

مراكز الصناعة في مصر والإسكندرية من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن



مراكز الصناعة
في مصر الإسلامية
من الفتح العربي حتى الحملة الفرنسية

الألفا كتاب الثاني

الإشراف العام

و. سمير سرحان

رئيسة مجلة الإدارة

رئيس التحرير

لمنّى المطيعي

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

محمود عبده

الإشراف الفني

محمد قطب

الإخراج الفني

مراد نسيم

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الحملة الفرنسية

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من
بأسكم فهل أنتم شاكرون »

(الأنبياء : ٨٠)

الإهداء

الى من كانت

الدوحة الوارفة فى الهجير
والمرقا الآمن من كل الأعاصير
وبلسم القلب اذا القلب كسير

الى من كانت

أعذب نبع للحب بلا حدود
وأصفى منهل للود بغير جحود
وفرحة اللقاء كلما نعود

الى من كانت

أخلص من شكر لله فى النعماء
وأحسن من أسلم له فى الضراء
وأطيب من رضى منه بالقضاء

الى أمى التى رحلت أحب من كان لدى

المؤلف

مراكز الصناعة في مصر الاسلامية

تمهيد :

قبل أن نتحدث عن مراكز الصناعة في مصر الاسلامية لابد لنا من الإشارة الى أن هذه المراكز كانت الأساس الذي قامت عليه ونمت من حوله التجمعات الحضرية المصرية في تلك العصور ، اذ المعروف أن مراكز الصناعة كانت ولا زالت عامل جذب كبير لأعرض قطاع من سكان أى مجتمع ، يهوى اليها الصناع والعمال والحرفيون من كل صوب ليشهدوا منافع لهم ، ويرد عليها كثير غيرهم ممن يتاجرون فى المواد الخام التى تحتاجها حرف وصناعات هذا المركز أو ذاك ، أو ممن يعملون فى تسويق منتجات هذه المراكز فيحملونها الى الأسواق المختلفة محلية كانت أم أجنبية ، فيكثر الناس وتتشعب حاجاتهم ومطالبهم ، وتفيض هذه الحركة فى النهاية على هؤلاء جميعا - صانعا كان أم جاليا للمواد الخام أم متاجرا محليا فى البضائع والمنتجات أم مصدرا للجيد والنفيس منها - بفيض من الأرزاق فيعم الخير ويكثر الرخاء .

ليس هذا فقط بل أنه تبعا لما أنتجته هذه المراكز من سلع حرفية وصناعية ، لم تعرف مصر حينذاك كواحدة من أهم البلدان المنتجة لكثير من الصناعات ذات الجودة العالية التى صدر كثير منها لمختلف الأسواق العربية والاسلامية والأجنبية فقط ، بل كانت محط أنظار هذه البلدان جميعا ، يفد اليها الناس من كل فج يتعلمون ويتاجرون ويسيحون ، فأفادت عليهم من علمها ومنتجاتها وعجائبها ما شفى غلة كل منهم ، فكتب عنها بعد ذلك من كتب عدلا وصدقا .

ونظرة للمواقع الجغرافية للقرى والمدن التى مورست فيها الحرف والصناعات ، تجعل عملية تقسيم هذه المراكز الى ثلاثة أبواب أمرا منطقيا ومقبولا ، فيخصص الباب الأول منها للعواصم وضواحيها حيث نتحدث فى فصله الأول عن الفسطاط وفى فصله الثانى عن القاهرة وفى فصله

الثالث عن الضواحي ، ويخصص الباب الثانى لمراكز الوجه البحرى
فنتناول فى فصله الأول مراكز شرق الدلتا وفى فصله الثانى مراكز وسط
الدلتا وفى فصله الثالث مراكز غرب الدلتا ، ويخصص الباب الثالث
لمراكز الوجه القبلى فنتكلم فى فصله الأول عن مراكز الصعيد الأدنى وفى
فصله الثانى عن مراكز الصعيد الأوسط وفى فصله الثالث عن مراكز
الصعيد الأعلى .

وسنحاول فى حديثنا عن كل هذه المراكز أن نبرز الأنشطة الحرفية
والصناعية المختلفة التى مورست فيه ، مستدلين على ذلك - قدر المستطاع -
بما خرج من هذا المركز أو ذاك من سلع ومنتجات كشفت عنها أعمال
الحفر الأثرى فيه ، أو لازالت محفوظة كسفير له فى المتاحف المختلفة
والمجموعات الأثرية الخاصة ، وكذا بما جاء عنه فى المصادر العربية القديمة
أو فيما نشر خاصا به فى المراجع الحديثة عربية كانت أم أجنبية .

الباب الأول
العواصم وضواحيها

كانت القسطنطينية هي أول عاصمة لمصر الإسلامية اختطها عمرو
ابن العاص في اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الثاني سنة (٢٠ هـ)
الموافق للسادس من ابريل سنة (٦٤٠ م) بعد ما تم له فتح الاسكندرية ،
وبقيت المدينة دارا للحكم والادارة طوال عهدي الخلفاء الراشدين والأمويين
الى أن انتهى عصر بني أمية سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) (١) .

فلما جاء أبو عون وصالح بن علي على رأس الجيش العباسي الى مصر
للقضاء على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وتم لهما فتح البلاد بنيا
سنة (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) في الشمال الشرقي للقسطنطينية مدينة جديدة
سميها العسكر وأقاما في وسطها قصرا سميها دار الامارة وجعله مقرا
للحكم ، فاتخذوه الولاية العباسيون من بعدهما لنفس الغرض الى بداية
حكم الدولة الطولونية ، وقيل ان العسكر كانت مدينة ذات أسواق ومساجد
ودور عظيمة منها مثلا دار ابراهيم بن صالح التي بنيت سنة (١٧٦ هـ /
٧٩٢ م) ودار حاتم بن هرثمة التي شيدت عام (١٩٤ هـ / ٨١٩ م)
وغيرهما .

وعندما استقل ابن طولون بحكم مصر سنة (٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م)
أقام أول أمره في دار الامارة المشار اليها ، ولكنه ما لبث أن تحول عنها
بعد سنتين لانها لم تعد تتسع له ولحاشيته من ناحية ولأن القسطنطينية
والعسكر أصبحتا - في نظره - أقل من أن تصلحا قاعدة لملكه من ناحية
أخرى ، فبنى على الجبل المسمى بجبل يشكر في الجهة الشمالية الشرقية
للعسكر مدينة ثالثة سماها القطائع وبنى في وسطها مسجده الجامع وكذا
القصر والميدان واتخذها مقرا لحكومته (٢) .

وفي سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) زالت الدولة الطولونية وعادت مصر
ولاية عباسية من جديد فخرّب الوالي العباسي حينذاك (محمد بن سليمان)
القصر والميدان وعاد العباسيون مرة أخرى الى مدينة العسكر فاتخذوها
مقرا للحكم والادارة (٣) .

وفي عهد الدولة الاخشيدية اتصلت عمارة القطائع والعسكر ووصلت
هذه بالقسطنطينية فأطلق عليها جميعا « مصر » . أما مصر بمعناها الذي

نعرفه اليوم فقد أشار اليه القزويني بقوله « ناحية مشهورة عرضها أربعون ليلة في مثلها . . سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي أطيب الأرض ترابا وأبعدها خرابا ولا تزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض انسان » (٤) . وأضاف ابن بطوطة أنها « أم البلاد وقرارة فرعون ذى الأوتاد ، ذات الأقاليم العريضة والبلاد الأريضة المتناهية في كثرة العمارة المتباهية بالحسن والنضارة » (٥) .

وعندما فتحت مصر للعبيدين على يد جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله اختط سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) مدينة رابعة سماها القاهرة ، اتخذها خلفاء الفواطم أول الأمر مقاما خاصا لهم ولحاشيتهم وأبقوا التجار والصناع والعمال في مصر (أى فى الفسطاط والعسكر والقطائع) وظل الحال على ذلك حتى اتسعت القاهرة وأصبحت عامل جذب كبير لبقية طبقات المجتمع فتوافدت هذه الطبقات تباعا على المدينة الجديدة وتقلصت من ثم المدن الثلاث الى أن أتى عليها الخراب تماما بعد حريق الفسطاط سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) فأصبحت القاهرة حاضرة مصر الأولى وسكن أهلها بغير شريك .

أما ضواحي هذه العواصم التى سنتحدث عنها كمراكز صناعية فإن أهمها على الإطلاق جزيرة الروضة فى مواجهة الفسطاط ، وعين شمس (المطرية) والمقس على شاطئ النيل فى مواجهة القاهرة ، بالإضافة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة كبولاق والجزيرة الوسطى وقصر ابن العيني .

والواقع أن التجمع السكانى للعواصم وضواحيها الذى كان قد أخذ منذ الفتح العربى لمصر كل الأدوار العسكرية والادارية والحضارية ، كان هو أيضا صاحب الدور الصناعى والاقتصادى للبلاد ، فقد ازدهرت الصناعة والتجارة فى هذا التجمع لتفى أولا باحتياجات الطبقة الحاكمة من منتجات مختلف الحرف والصنائع ، ولتمد الوطن ثانيا بمتطلباته السياسية المختلفة كالمعدات الحربية وسفن الأسطول وخلع التشريف ونحوها ، ولتلبى ثالثا حاجة الأسواق المحلية مما كانت تقتضيه معيشة الناس وحاجاتهم اليومية من بضائع ومنتجات .

كذلك كان للنمو السكانى لهذه العواصم - بما فى ذلك أفقر الطبقات الاجتماعية - متطلباته المختلفة التى تزايدت يوما بعد يوم على منتجات مختلف الحرف والصناعات ، فأدى ذلك الى ازدهارها والى سرعة تأسيس تجارة عالمية فى هذه العواصم لعبت دورا هاما فى نموها وتطورها حتى كان لها فى النهاية مكان الريادة فى العالمين العربى والاسلامى .

الفصل الأول

الفسطاط

جاء في المصادر العربية أن عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) عزم على التوجه الى الاسكندرية لاستكمال الفتح وأمر بفسطاطه أن يقوض فاذا يمامة قد باضت فى أعلاه فقال : « تحرمت بجوارنا ، أقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها » ووكل به من يحفظه ومضى نحو الاسكندرية ، يدل على ذلك ما أشار اليه الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) من أن عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) عزم على التوجه الى الاسكندرية وأمر بفسطاطه أن يقوض فاذا حمامة قد باضت فى أعلاه فقال « والله ما كنا لنسئ لمن ألفنا واطمأن الى جانبنا حتى نفجع هذه الحمامة بكسر بيضها » فترك الفسطاط على ما هو عليه ومضى نحو الاسكندرية (٦) .

ثم جاء ياقوت بعد الادريسي فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) وكرر نفس الرواية باختلاف واحد مؤداه أنها كانت يمامة لا حمامة (٧) ، وقد نقل عنهما هذه الرواية فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) كل من المقرئى وابن دقماق (٨) . فلما فرغ عمرو من فتح الاسكندرية أراد أن يتخذ منها عاصمة لمصر لما وجد فيها - بطبيعة الحال - من عمائر شاهقة وقصور فارهة وحصون منيعة ، وكتب فى ذلك الى الخليفة عمر فبعث اليه قائلاً « انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف » (٩) . وهنا قال عمرو لأصحابه أين تحبون أن تنزلوا اذن فقالوا نرجع الى فسطاطك لنكون على ماء وصحراء ، فرجعوا اليها وخط كل قوم خطتهم وكان ذلك فى ذى القعدة سنة (٢١ هـ / ٦٤١ م) وسميت المدينة بالفسطاط (١٠) ، وتذكر المصادر والمراجع أن عمرو بن العاص أقام على هذا التخطيط أربعة من أعموانه هم معاوية بن خديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحزم الخولانى وجبريل ابن ناشرة المعافى (١١) ، فقسم هؤلاء الاخطاط على القبائل من مهرة ورعين وغافق وبنى سبأ وبنى وائل وغيرهم ، وأشرفوا على هذا العمل حتى أنجز .

وقد وصف لنا كل من ابن حوقل والاصطخري مدينة الفسطاط فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال الأول « الفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام وممالك جسام ، الى ظاهر أنيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الأيام خضرة ، والدار تكون بها طبقات سبع وست وخمس ، وربما سكن بالدار المائتان من الناس » (١٢) ، وطابق قول الثانى ما ذكره الأول فيما عدا اختلاف عنه فى أن طبقات الدار الواحدة بلغت ثمانى طبقات لا سبعة (١٣) ، وزادنا المقرئ فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنه كان للفسطاط أبواب قديمة ، وأن هذه الأبواب كانت قد تخربت فعملت لها أربعة أبواب جديدة هى : باب الصفاء بالقرب من كوم الجراح ، ومنه كانت تخرج العساكر وتعبر القوافل ، وقد هدم هذا الباب فى أيام الظاهر بيبرس ، باب الساحل وكان يفضى الى ساحل النيل القديم وكان موضعه قريب من الكسارة ثم بابى مصر والقنطرة وهما من بناء قراقوش وكان موضع أولهما بالمراغة مجاورا لكوم المشانيق ، وموضع ثانيهما جنوب المدينة وقد سمي بباب القنطرة لانه كان قريبا من قنطرة بنى وائل (١٤) . ومع أنه لا جدال فى أن المقرئ قد أثرى معرفتنا عن الفسطاط بما أشار اليه من معلومات الا أن هذه المعلومات لم تكن كافية بالقدر اللازم فى بعض المواضع ، من ذلك مثلا أنه لم يذكر لنا عدد الأبواب القديمة التى كانت للمدينة ، ولم يحدد مواضع هذه الأبواب ، كذلك لم يوضح ما يمكن أن يستنتج منه هل عملت الأبواب الجديدة فى مواضع الأبواب القديمة أم انها عملت فى مواضع أخرى ، يضاف الى ذلك أنه لم يشر بشئ الى الزمن الذى عمل فيه البابان الأول والثانى ولا الشخص الذى أمر بعملهما مع أنه أشار الى ذلك فى حالة البابين الثالث والرابع .

ورغم ذلك كله يطلع علينا بتلر برأى غير موضوعى يقول فيه أن الذين اختطوا المدينة الجديدة وبنوها كانوا من القبط لانه لم يكن فى العرب حينذاك من له فى نظره علم بذلك الفن ولا دراية به ، ليس هذا فقط وانما يزيد على ذلك أن اسم الفسطاط هو اسم أعجمى يرجع الى اللفظ البيزنطى (Fossatum) الذى كان وقت الفتح لفظا شائعا عند العسكر (١٥) ، وحول هذه التسمية تختلف الآراء فمن قائل بأن كلمة فسطاط هى كلمة عربية خالصة ومعناها المدينة (١٦) ، الى قائل بأن لفظ (Fossatum) هو لفظ أعجمى فعلا أخذه العرب عن الروم أثناء حروبهم فى الشام (١٧) ، ولو رجعنا فى ذلك الى القواميس والمعاجم والموسوعات والمصادر والمراجع لوجدنا أن لفظ الفسطاط بضم الفاء وكسرها يعنى « البيت من الشعر أو الادم (أى الجلد) وكان يأتى على ثلاثة أوجه هى فسطاط وفستاط

وفساط . والفسطاق لغة هو مجتمع أهل الكورة حول مسجد جماعتهم ،
ومنه قيل كل مدينة فسطاق وبه سميت مدينة مصر التي بناها عمرو بن
العاص بالفسطاق ، وعلى ذلك فان اثنان لا يختلفان على أن اللفظ بمعناه
اللغوي المشار اليه كان ولا يزال وسيبقى عربيا رغم ما يقال في معناه
بخلاف ذلك ، ليس هذا فقط بل اننا قد نستطيع القول ان اللفظ
البيزنطي (Fossatum) لم يكن أصلا للفظ العربي كما زعم بتلر بل ربما
كان العكس في ذلك هو الصحيح (١٨) .

أما ما ذهب اليه بتلر من نسبة هذا البناء الى الأقباط لأنه لم يكن
بين العرب حينذاك من له علم بذلك الفن ولا دراية به ، فانه أمر يدعو الى
الغربة سيما وأن العرب كانوا قد بنوا قبل الفسطاق في مصر الكوفة
وبصرة في العراق ، وقبلهما الحرم النبوي بالمدينة المنورة ، ورغم ذلك
كله فبناء مدينة صغيرة متواضعة حول مسجد جامع بشيطن لم يقصد بها
في البداية أن تكون أكثر من معسكر للجند الفاتح ومركزا للقيادة والادارة ،
لم يكن بالأمر الذي يحتاج الى الهندسة المعقدة بمعناها الذي نعرفه اليوم
لأن ذلك كله لم يكن مطلوبا وقتئذ ، وكثيرا ما خلط البعض بين مفهوم
مصطلح العمارة بمعناه العلمي العام الذي أطلق اجمالا على كل ما عمره
الانسان شريطة أن يوفر له الوقاية من الحر والبرد ويضمن له الأمن
من الخوف والفرع وادخلت فيه من ثم عمارة الكهوف ، وبين مفهوم مصطلح
العمارة الذي نعرفه اليوم بتعقيداته الهندسية وتنميقاته الزخرفية ، ومن
هنا تجنى كثير من المستشرقين من أمثال بتلر على العرب خاصة والمسلمين
عامة وعلى الحضارة العربية الاسلامية آخر الأمر ، والأدلة على ذلك كثيرة
فيما كتبه في هذا الصدد أساتذة العمارة العربية تفنيدا وشرحا
واسهابا (١٩) .

ويغلب على الظن أن موقع المدينة الذي امتد على ضفاف النيل مقابلا
لجزيرة الروضة كان يشغل مسطحا طوله خمسة كيلومترات وعرضه
كيلومتر يحده من الشمال جبل يشكر ومن الجنوب دير الطين
(ماريوحنا) (٢٠) .

وعلى الرغم من أن الفسطاق قد تخربت تماما بعد حريقها المشهور
سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) فإنها كانت ولا تزال أول موقع أثري اسلامي
في مصر يعثر فيه على الكثير من المخلقات الأثرية التي تشهد على ما كان
يمارس فيها من حرف وصناعات منذ عصر الطبولوثيين وحتى عصر
المماليك (٢١) ، يدل على ذلك ان كثيرا مما افرزته هذه الحرف وتلك
الصناعات من تحف لا زال موجودا يمكن رؤيته حتى اليوم في متحف الفن
الاسلامي بالقاهرة ، وان كثيرا غيره مما كان قد خرج من مصر بطرق

شرعية وغير شرعية لازال محفوظا في العديد من المتاحف العالمية والمجموعات الأثرية الخاصة .

والثابت ان الفسطاط لموقعها المتفرد على رأس الدلتا (٢٢) ، متوسطة الاقاليم المصرية من ناحية ، ولاتخاذها سكنا لطبقات الحكام والأعيان والمقطعين وبقية طوائف المجتمع من ناحية أخرى ، كانت أهم مركز صناعي في مصر الإسلامية (٢٣) ، لأن وجود كل هذه الطبقات كان قد استدعى قيام حرف وصناعات مختلفة لسد مطالب كل منها ، ولأن توسطها للاقاليم المصرية المختلفة كان قد ساعدها كثيرا سواء في يسر الحصول على المواد الخام أو في سهولة تسويق منتجاتها الحرفية والصناعية .

ويمكن بصفة عامة تقييم أهمية الفسطاط الحرفية والصناعية أولا من خلال ما كشفت عنه أعمال الحفر في المدينة من آثار تثبت ليس فقط تنوع حرفها وصناعاتها بل أيضا جودة هذه الحرف وتلك الصناعات ، وثانيا من خلال ما كتب عنها في المصادر التاريخية وكتب الرحلات ولا سيما ما دونه المؤرخون والرحالة الذين زاروها وكتبوا عنها من واقع مشاهداتهم الشخصية ، ومن هذه وتلك يمكن القول بأن الفسطاط كانت قد تميزت بنشاطات حرفية وصناعية في المجالات التالية :

١ - صناعة الفخار والخزف :

لقد أمدتنا أطلال الفسطاط بعشرات الآلاف من القطع الخزفية التي تمثل شتى أنواع الخزف الإسلامي مما كان يصنع فيها منذ العصر الطولوني في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وحتى العصر المملوكي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، فقد عثر في المدينة على قطع أرجعها على بهجت وفيلكس ماسول (Felix Masseul) فيما كتباه عن الخزف المصري الإسلامي الى ما قبل العصر الطولوني وهي قطع وصفها زكي حسن بأنها ذات مسحة أولية وأشكال غير أنيقة وبريق معدني غير واضح (٢٤) . (أنظر شكل ١ ، ٢) والمعروف أن صناعة الخزف ذي البريق المعدني كانت قد نمت في العصر الطولوني الى حد كبير بالفسطاط وخير شاهد على ذلك ان معظم ما نعرفه من هذا النوع من الخزف الطولوني كان قد وصل اليينا من أطلال المدينة التي ظلت عامرة حتى أمر الوزير الفاطمي شاور بحرقها سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) حين أدخل وزراء الفواطم الصليبيين فيما كان بينهم من نزاع .

ثم وصلت صناعة الخزف في الفسطاط أوج ازدهارها فيما بين القرنين (٣ - ٦ هـ / ٩ - ١٢ م) بوصول الخزافين فيها الى قمة التطور.

في صناعة الخزف ذي البريق المعدني وهو أشهر أنواع الخزف الاسلامي وأرقاها على الإطلاق ، وتشهد مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة (أنظر شكل ٣) بمدى التطور الذي حدث على هذه الصناعة في المدينة منذ العصر الطولوني وحتى العصر الفاطمي (٢٥) ، كذلك فقد كشف في اطلال القسطنطينية عن مجموعة من القطع الخزفية ذات البريق المعدني تحمل على ظواهر قواعدها أسماء صناعاتها مثل ساجي وأبو الفرج وابن نظيف والدهان ويوسف ولطفى والحسين وغيرهم (٢٦) وكان في مقدمة هؤلاء الصناع سعد ومسلم وهما صانعان بلغا شأوا بعيدا في هذا المضمار وكانت قماثتهما - في غالب الظن - بالمدينة ذاتها ، ليس هذا فقط بل لقد عثر في اطلال القسطنطينية على قطع تالفة من هذا النوع أثناء صناعيتها تثبت بما لا يدع مجالا للشك حقيقة قيام هذه الصناعة بالمدينة (٢٧) .

هذا عن المصادر المادية أما عن المصادر التاريخية فقد أخبرنا ناصر خسرو الذي زار مصر في القرن (٥ هـ / ١١ م) ابان حكم الفاطميين أنهم يصنعون في مصر (أى في القسطنطينية) (٢٨) خزفا بالغ الشفافية والرقّة يلونونه بالألوان جميلة فيبدو كذيل الطاووس ويتخذون منه الاقداح والاطباق والظروف والاباريق التي يعلو صفاؤها على صفاء الزبرجد ويبيعون تلك الاباريق وزنا كأنها الذهب (٢٩) .

وفي عصر الأيوبيين والمماليك أنتج الخزافون بالقسطنطينية من الخزف ذي زخارف منقوشة أو محفورة تحت طلاء شفاف باللونين الأخضر والأزرق ، وقد عثر على قطع كثيرة من هذا النوع في اطلال المدينة من بينها قطع تالفة (Wastes) من القرن أثناء الصناعة أو التسوية ولا تترك هذه مجالا للشك في صناعة هذا النوع من الخزف بالقسطنطينية (٣٠) . (أنظر شكل ٤ ، ٥) .

والى جانب الخزف ذي البريق المعدني والخزف ذي الزخارف المنقوشة والمحفورة تحت الطلاء أنتجت فواخير القسطنطينية خلال عصر المماليك نوعا ثالثا ذاعت شهرته حينذاك كثيرا في العالمين العربي والاسلامي هو الفخار المطلق ، وهو نوع كان يستعمل بكثرة في بيوت الأمراء وأرباب الدولة لما كان يحمله من رنوك وشارات لهؤلاء وأولئك (٣١) . (أنظر الأشكال : ٦ ، ٧ ، ٨) .

كذلك فقد أنتج الخزافون بالقسطنطينية كميات هائلة من فن لم يزدهر في بلد عربي أو اسلامي مثلما ازدهر في مصر عامة وفي القسطنطينية خاصة هو فن شبابيك القلل ، وقد عثر في اطلال المدينة على قطع تالفة

من القرن مما يؤكد قيام هذه الصناعة فى الفسطاظ بغير شك ، ولو أن
الراجع ان هذه القلل بشباييكها المزخرفة لم تكن تصنع فى الفسطاظ
وحدها بل كانت تصنع فى مراكز أخرى ولا سيما بالوجه القبلى ثم تحمل
الى العاصمة بالمراكب النيلية ، لأنه لم يكن فى مقدور خزافى الفسطاظ
أن ينتجوا منها ما كان الناس جميعا فى حاجة اليه . (٣٢) (أنظر شكل :
٩ ، ١٠) .

وأخيرا فاننا لو اعتبرنا ما أشار اليه المقريزى عند حديثه عن حريق
الفسطاظ من أن عشرين ألف (٢٠٠٠٠) قارورة نפט وعشرة آلاف
مشعل (١٠٠٠٠) كانت قد وزعت على أخطاط المدينة وأشعلت فيها
نارا ظلت ملتهبة من اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة (٥٦٤ هـ
/ ١١٦٨ م) لتمام أربعة وخمسين يوما (٣٣) على انه أمر قد يفسر
سبب العثور على مئات القطع من هذه القوارير فى اطلال الفسطاظ ،
فان ذلك لا يمنع من القول بأن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة
أيضا ، يؤيد ذلك انه لم يكن من المعقول سهولة الحصول على هذا الكم
الهائل من تلك القوارير التى وزعت على أخطاط المدينة لو انها لم تكن
تصنع فيها ، ويؤيده أيضا أن مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة
تضم بعضا من قوارير النفط « الجلل » التى عثر عليها فى اطلال الفسطاظ
سواء فى الحفائر التى أجراها المتحف المشار اليه أو التى أجرتها هيئة
الآثار المصرية أو التى أجراها مركز البحوث الأمريكى بالقاهرة . (٣٤)
(أنظر الأشكال : ١١ ، ١٢ ، ١٣) .

الا أن صناعة الخزف بالمدينة كانت قد بدأت فى التدهور خلال
العصر المملوكى مما دعى سلاطين هذه الدولة الى استقدام مجموعة من
الخزافين المهرة من سورية وايرن لبت لروح فى هذه الصناعة من جديد ،
ولا شك أن توقيعات هؤلاء الصناع على ما أنتجوه من تحف فخارية
وخزفية مما لا يزال محفوظا بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة هو خير
شاهد على ذلك . (٣٥) (أنظر شكل : ١٤ ، ١٥) .

وصفوة القول أن مدينة الفسطاظ كانت منذ عصر الطولونيين فى
القرن (٣ هـ / ٩ م) مركزا هاما لصناعة الفخار والخزف وخاصة الخزف
ذى البريق المعدنى ، وظلت المدينة محتفظة بتقاليد هذه الصناعة حتى
العصر المملوكى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى حيث
كانت تصنع فيها شتى أنواع الفخار والخزف الأخرى ولا سيما الفخار
المطلى (بما عليه من رنوك) ، والخزف ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء ،
وشباييك القلل بزخارفها النباتية والهندسية والكتابية ، وقوارير

النفط ، وتقليد الخزف الصيني وخاصة ما كان منه ذا طلاء بلون واحد وغير ذلك من الأنواع .

٢ - صناعة الزجاج والبلور :

مما لا شك فيه ان صناعتي الزجاج والبلور كانتا ضمن أكبر الصناعات ازدهارا في الفسطاط ، يؤيد ذلك ما كشف عنه في اطلال المدينة من أوان وتحف زجاجية وبلورية ، وما سجل عن هاتين الصناعتين في المصادر التاريخية وكثير من المراجع العربية ، فقد أسفرت أعمال الحفر الأثرى التي تمت بالفسطاط عن العثور على قرن (مسبك) من أفران صناعة الزجاج يتكون من ثلاث دوائر أولاها شرقية وتعلوها قبة القرن ذاته ، وثانيتهما غربية وتمثل المستودع الذي كان مخصصا للوقود . وثالثتها بحرية . وكانت مخصصة لوقوف الصانع أمام قبة القرن لتسوية عجينة الزجاج وبها حوض من الجرانيت لتبريد الآلات الحديدية التي كان يستعملها هذا الصانع في نفخ عجينة الزجاج وترقيقها (٣٦) .

ونحن نعرف أنه منذ بداية العصر الاسلامي في مصر وامتدادا لما كان متبعاً في العصر الروماني ، كانت المكاييل والموازين الزجاجية (أنظر شكل ١٦) تصنع في الفسطاط وتحمل كتابات عربية كوفية في أختام تشمل اسم الخليفة واسم الوالي أو صاحب الخراج ووزن الميزان وكمية المكيال (٣٧) ، كذلك كانت تصنع فيها خلال العصر الطولوني الكؤوس والقنينات المتواضعة ذات الزجاج المعتم كثير الفقايع (أنظر شكل ١٧) مما تشهد به القطع الزجاجية التي لا زالت محفوظة في خزائن متحف الفن الاسلامي ومتحف كلية الآثار بالقاهرة وغيرهما من المتاحف الأجنبية (٣٨) ، يضاف الى ذلك أيضا انه كانت تصنع في الفسطاط خلال الفترة المشار اليها القوارير الصغيرة ذات الأشكال المختلفة والأطباق وقنينات العطور ذات الزخارف المختومة وغير المختومة (٣٩) . (أنظر الأشكال من ١٨ - ٢٢) .

ثم أصبحت الفسطاط زمن الفاطميين أعظم مركز لصناعة الزجاج في مصر ، وقد وصلت المدينة في عهدهم بما عرفت من أسرار هذه الصناعة وممارساتها في عهد الطولونيين الى درجة كبيرة من التقدم والاتقان فعملت في مسابكها قطعاً بديعة فاخرة امتازت بجمالها ورقتها واختلاف زخارفها فكان منها القطع الزجاجية ذات الزخارف المضافة وذات الزخارف المقطوعة أو المحزوزة وذات الزخارف المذهبة أو المموهة بالمينا وغيرها ، وكانت هذه القطع الأخيرة هي أرقى المصنوعات الزجاجية الفاطمية وأكبرها

ببینه فنیه ، يدل علی ذلك ما وصل الینا من نماذج ومخلفات هذا النوع المذهب والمموه مما عثر علیه فی اطلال الفسطاط • (٤٠)

واستمرت شهرة الفسطاط فی صناعة الزجاج بعد الفاطمیین ، وما انتجته فی عصری الأیوبیین والمماليك من القنینات والكؤوس والمشكاوات المموهة هو ولا شك فخر انتاج هذا المركز ، ولعل فی مجموعة المشكاوات المموهة التي يحتفظ بها متحف الفن الاسلامی بالقاهرة والسی تعد من أفخم المجموعات الزجاجية المموهة فی العالم ما يشهد بحق علی المستوى الرفیع الذي وصلت الیه صناعة الزجاج فی الفسطاط خلال العصر المشار الیه (٤١) • (أنظر شكل : ٢٣ ، ٢٤) وغنی عن التعریف أن هذه المشكاوات كانت تعمل فی مصانع الزجاج بالمدينة التي أطلق علیها المؤرخون والرحالة ممن زاروا الفسطاط وكتبوا عنها من واقع مشاهداتهم اسم المسابك ، ولدينا فی المصادر التاريخية الموثوق بها ما يكفي من المعلومات الدالة علی صدق هذا القول ، فيقول ناصر خسرو (٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) أنه كان يصنع فی مسابك الزجاج فی مصر (الفسطاط) قوارير كالزبرجد فی الصفاء والنظافه يبيعونها بالوزن (٤٢) وقد استمر وجود هذه المسابك فی الفسطاط خلال القرن (٧ هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن سعيد (٤٣) ، وخلال القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٤٤) ، وخلال القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما ذكره السيوطی • (٤٥)

ليس هذا فقط بل لقد احتفظت وثائق جنيزة القاهرة التي نشرها جوتاین بقطع من عقد مشاركة كتب فی الفسطاط سنة (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) مؤداه أن صانعی زجاج شريكان فی مسبك بالمدينة استأجرا صانع زجاج ثالث لكي يعمل عندهما فی فرن الصهر لمدة عام واحد علی أن يتسلم أجرا يوميا قدره خمسة دراهم ووجبة غذائية بما يساوي درهما ، ويشترط العقد علی هذا العامل المستأجر ألا يعمل لأحد آخر طوال مدة التعاقد ، وعليه أن يدفع غرامة قدرها خمسة دنانير لصندوق معبدین محددین بالفسطاط فی حالة اخلاله بشروط العقد (٤٦) ، ويكفی ما لهذا العقد من أهمية أكدت لنا أولا - الى جانب كل الأدلة السابقة - صدق قيام صناعة الزجاج فی الفسطاط ، وألقت لنا ثانيا بعض الضوء علی أجور الصناع فی مجال هذا النشاط والتي تحددها العقد بخمسة دراهم نقدية بالاضافة الى درهم واحد غينا (نظير الوجبة الغذائية) فيكون أجر عامل فرن الصهر بذلك هو ستة دراهم فی اليوم أى مائة وثمانین درهما فی الشهر ، ويذكر المؤلف بعد ذلك أن عدد العمال اليهود العاملين فی حقل صناعة

الزجاج بالفسطاط نان يقدر بمائتين وعشرين عاملا وأنه كانت هناك حالات مشاركة فى مصانع تمت بين المسلمين واليهود فى الفسطاط .

هذا عن صناعة الزجاج فى الفسطاط منذ العصر الطولونى وحتى العصر المملوكى ، أما عن صناعة البلور الصخرى التى كانت قد بدأت فى المدينة منذ القرن (٣هـ / ٩م) فيقول ناصر خسرو « ويقع فى الجانب الشمالى من مسجد عمرو بن العاص سوق يسمى سوق القناديل » رأيت فيه نوعا من البلور آية عى الجمال ورأيت صناعا ينحتون ذلك البلور بخفة ومهارة تستوقفان النظر » . (٤٧)

ولعل أشهر ما أنتج فى الفسطاط من الأوانى والأباريق البلورية هى تلك المجموعة الرائعة التى تنسب الى العصر الفاطمى فيما بين القرنين ٥١ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) والتى خرجت من مصر فى سنوات مختلفة لأسباب شتى وأخذت طريقها الى بعض المتاحف والكنائس والكاتدرائيات الأوروبية فحفظت فيها كأثمن ما يمكن أن يحتفظ به من الهدايا والتحف ، وخير شاهد على ذلك ما يوجد من هذه الكؤوس والأباريق فى كنيسة سان مارك بالبندقية باسم العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وما يوجد منها فى متحف اللوفر بباريس وفى متحف فيكتوريا وألبرت بلندن وغيرها (٤٨) . (انظر شكل : ٢٥ ، ٢٦) .

وقد ورد فى ذلك أن المصريين كانوا قد زاولوا صناعة البلور الصخرى الذى كان يجلب من بلاد المغرب وبعض مناطق البحر الأحمر ، وكان النوع الذى يجلب من القلزم طبقا لما ذكره ناصر خسرو أجمل من المغربى وأكثر منه شفافية (٤٩) ، وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من التحف البلورية الصغيرة التى تنسب الى مصر وترجع الى ما قبل العصر الفاطمى وتحتوى على قنينات صغيرة بعضها مصلع ، وعلى تماثيل صغيرة لحيوانات وطيور وأسماك ، وعلى قطع من الشطرنج (٥٠) .

واستنتاجا مما ورد عن هذه الصناعة فى بعض المصادر العربية ولا سيما ما رواه الحسن بن عمر (٥١) وهو أحد كتاب القرن (٨ هـ / ١٤ م) فإنه يمكن القول أن صناعة الزجاج بالنظر الى الاعتبارات الصحية العامة التى فرضتها الدولة الإسلامية كانت من الصناعات غير المسموح بممارستها داخل المدن ، ونظرا الى أن أحدا من المؤرخين أو الرحالة الذين تكلموا عن مسابك الزجاج فى الفسطاط لم يحدد مواقع هذه المسابك بالنسبة للمدينة ، كما أن بقايا المصنع الذى أشير اليه فى كتاب «الفسطاط»

لم يحدد أيضا ، فانه يمكن القول ان هذه المسابك كانت فى غالب الظن على مشارف المدينة وليس فى داخلها .

٣ - حرف وصناعات تعتمد على منتجات زراعية :

ان كثيرا من الحرف والصناعات التى تعتمد على الانتاج الزراعى مثل صناعة السكر والعسل وطحن الغلال وعصر الزيوت وعمل الصابون والشموع وصناعة المراهم والعقاقير ، وعمل الفقاع والنبيد وصناعة الورق وعمل السلال والحصير ، كانت كلها من الصناعات الرائجة فى الفسطاط وفيما يلى استعراض موجز لموقف كل من هذه الحرف وتلك الصناعات فى المدينة .

(أ) صناعة السكر والعسل :

لا شك أن هاتين الصناعتين كانتا مما يمارس فى الفسطاط من صناعات ، وقد أشار ثامر خسرو الى ذلك فى القرن (٥ هـ / ١١ م) ووصف انتاج مطابخ السكر فى الفسطاط بالكثرة (٥٢) ، كذلك أكد ابن سعيد (٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) أن بالفسطاط مطابخ السكر ومعظم ما يجرى هذا المجرى لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند (٥٣) . وقد استمر وجود هذه المطابخ بالمدينة خلال القرن (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) طبقا لما ذكره المقرئزى (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٤ - ١٤٤٢ م) الذى طبقت كلماته فى هذا الصدد ما ذكره ابن سعيد قبله بقرن من الزمان (٥٤) ، وتأكدت استمراريتها خلال القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٨٠٩ هـ / ١٤١٦ م) الذى أحصاها فى ثمانية وخمسين مطبخا ذكرها تفصيلا بأسماء مالكيها (٥٥) .

والواقع أن السكر الذى لا يزال معروفا باسمه العربى فى كثير من لغات العالم حتى اليوم كان من مآثر المسلمين على الحضارة الانسانية ، فمنذ سنة (١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) كانت زراعة قصب السكر فى مصر قد أصبحت من أنجح الزراعات فى دلتا النيل ، فتقدمت مصر (الفسطاط) لذلك كل البلدان التى أسست فيها هذه الصناعة وحقت أعظم التحسينات فى صناعة التكرير ، ومن السكر صنع المصريون فى الفسطاط وغيره من الحلوى يسمى « القند » نقلها الأوروبيون بنفس التسمية العربية فقالوا (candy) (٥٦) .

والواقع أن بعضا من اليهود كانوا قد قاموا بدور فى مجال هذه الصناعة بالفسطاط ، يدل على ذلك ما ذكره ابن دقماق عند حديثه عن

مطابخ السكر بالمدينة وحصره لها بأسماء مالكيها ، فقد أورد لنا في هذا الحصر ثلاثة مطابخ يمتلكها اليهود (٥٧) ويبدو انها هي الحالات الثلاث التي أشار اليها جوتايين في دراساته لوثائق الجنيزة موضعا أنه كانت هناك حالتين أو ثلاث تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود في مطابخ السكر بالقسطنطينية (٥٨) . ومنطق الاستقراء العقلي للمادة التاريخية التي بين أيدينا مما ذكره ابن دقماق وما سجلته وثائق الجنيزة مطابقا له يجعل هذا الحكم أمرا صادقا لا ريب فيه .

أما صناعة العسل الأبيض والأسود فقد قامت بالمدينة جنبا الى جنب مع صناعة السكر ، ولا غرابة في ذلك فهي توأم هذه الصناعة وصنوها ، يدل على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية في هذا الصدد ومنها ما جاء في القرن (٥ هـ / ١١ م) على لسان ناصر خسرو الذي أشار الى أنه يكثر في مصر جنى العسل (٥٩) ، وهو يعنى بذلك العسل الأبيض لأن الأسود لا يجنى ، وما جاء في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) على لسان كل من السيوطي وابن ظهيرة حيث أورد أولهما هذه الصناعة من خصائص مصر (٦٠) ، وقال ثانيهما « وبمصر شراب العسل وهو لا يعمل الا بها ويشترطه الخلفاء والوزراء على عمال مصر فيما يشربونه ، وبها عسل النحل الذي يفضل ويفوق أعسال الدنيا » (٦١) .

(ب) طحن الغلال :

يغلب على الظن أنه كان لايران فضل السبق في مجال طحن الغلال بواسطة الأرحاء الهوائية ، وقد ورد في ذلك أن الرياح كانت تشتد باقليم سجستان وكرمان ويدوم هبوبها دواما غير مألوف فانتفع الناس بهذه الرياح ونصبوا عليها أرحاء تدار بالهواء ، ولا يزال بعض من هذه الطواحين باقيا هناك حتى اليوم ، وتتكون الرحى الهوائية عادة من ثمانية أجنحة تعمل خلف عمودين ينفذ بينهما الهواء كالسهم وتكون هذه الأجنحة عمودية على قائم عمودى أيضا يحرك طرفه الأسفل حجرا فيدور هذا الحجر على حجر آخر ، وقد حكى الغزولى (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) في أمر هذه الطواحين ما يبين أن تنظيم سرعتها كان يتم بواسطة منافس تغلق وتفتح حسب الحاجة (كما يفعل اليوم بالعجلات المائية) لأنها اذا كانت قوية أكثر من اللازم أحرقت الدقيق فخرج أسود وربما حمت شدة الرياح حجر الرحى فانفلق ، لذلك كانت عملية التحكم في سرعة هذه الأرحاء الهوائية لازمة وضرورية (٦٢) .

أما أرحاء القسطنطينية فكانت تقع في الجانب الجنوبي الغربى من المدينة وربما قصد بذلك أن تكون هذه الطواحين خلفها وليس أمامها ، وقد جاءت

أخبارها فيما ذكره المقرئى حين قال أن « فى يوم الاثنين سابع عشر صفر سنة (٧٨٥ هـ / مارس ١٣٨٣ م) خلع على شمس الدين ابراهيم كاتب أرلان واستقر فى الوزارة بعد شدة تمنعه وكثرة إباطه ، وبعد أن أجيب الى كل ما طلبه لبس خلعة من صوف وأدار الطواحين السلطانية بجوار الاهراء بمدينة مصر وعمر الحواصل بسائر الأصناف (٦٣) ، وجدير بالذكر أن بعضا من هذه الطواحين لا زالت قائمة هناك حتى اليوم شاهدا ودليلا على ما أدته فى حينها من دور فى خدمة مجتمع المدينة فى المجال الذى نتحدث فيه .

(ج) صناعات الزيوت والصابون والشموع :

مما لا شك فيه أن كثيرا من الزيوت كانت تستخلص فى الفسطاط من مصادر نباتية مختلفة كالبذور والأوراق الخاصة ببعض النباتات والأعشاب ، يدل على ذلك ما ورد فى المصادر التاريخية الموثوق بها خاصة بهذا الأمر ، فيذكر السيوطى مثلا (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) أنه يجتمع بمصر زيت البذر (أى بذر الكتان) وزيت الفجل وزيت الخردل وزيت الخس وزيت السلجم وأن بعضا من هذه الزيوت ولا سيما زيت الفجل كان يصدر الى العراق وغيرها من البلدان (٦٤) ، وإثبات السيوطى لتصدير هذا النوع من الزيوت إنما يعنى حقيقة أنه كان ذا جودة عالية أهلته لكى يتبوا مكانة التصدير بين ما كان يستخلص فى الفسطاط من زيوت .

ويزيدنا تأكيدا فيما ذكره السيوطى فى هذا الصدد فى بداية القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ، ما جاء على لسان ابن ظهيرة فى نهاية نفس القرن بقوله : « ومن خصائص مصر زيت الفجل والحلو والحار مما يدخل فى الأدام والعلاجات » (٦٥) ، وما ذكره جوتايين فى دراسته لوثائق الجنيزة التى حفظت لنا عقد مشاركة يرجع تاريخه الى سنة (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) فحواه أن زيت بذر الكتان وزيت الزيتون وعصير الليمون كان يباع فى مخزن بالفسطاط عند بوابة الخراطين « (٦٦) .

هذا عن المصادر التاريخية الدالة على قيام هذه الصناعة فى الفسطاط، وكلها كما نرى مصادر لا تقبل الشك فيما أوردته ، أما عن الأدلة المادية فقد جاءت فيما ذكره صاحب كتاب « الفسطاط » فى معرض حديثه عن الدور والاطلال المعمارية التى كشفت عنها حفائر المدينة وفيها يثبت الكشف فى هذه الاطلال عن بقايا معصرة للزيت (سرجة) عثر فيها على أحجار لطحن البذور التى تستخلص الزيوت منها ، ومراقدة مستديرة تدور مع طرفها قناة تنتهى بشقب يرتفع عن الحوض الذى يصير اليه الزيت ،

وهي مراقدة منقورة في الصخر ، وكانت طريقة استخراج الزيت من هذه المعاصر تتلخص في وضع قواصر (أبراش) تفصل بين طبقات من البذور المطحونة المنداة ثم تضغط بالحجر فيسيل الزيت منها منطلقا الى قناة نعلو حوضا ، ومنها الى الثقب الموجود في هذه القناة ثم الى الحوض ذاته حيث يتم جمعه واخراجه (٦٧) .

أما صناعة الصابون فقد ذكرت مصانعها في مصطلح العصور الوسطى تحت اسم « مطابخ الصابون » مثلها في ذلك مثل صناعة السكر التي قيل لمصانعها « مطابخ السكر » وقد جرى العرف عند مؤرخي هذه العصور على ذكر المصطلح مقرونا بنوع الصناعة التي تمارس فيه - فقول « مطابخ السكر » و « مطابخ الصابون » و « مسابك الزجاج » و « مسابك الفولاذ » و « مسابك النحاس » وغير ذلك ، والذي لا شك فيه أن صناعة الصابون كانت مزدهرة في الفسطاط ولاسيما في القرن (٧ هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن سعيد (٦٨) ، وفي القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٦٩) .

أما عن صناعة الشموع فقد ذكرها ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وقال ان « بمصر الشمع الذي يفضل شمع الدنيا » (٧٠) وتلك كلها اشارات واضحة من مصادر ثابتة تؤكد أن هاتين الصناعتين كانتا من الصناعات الرائجة في الفسطاط .

(د) صناعة الفقاع والنبيد :

على الرغم من أنه ليست لدينا معلومات كافية من الناحية التاريخية عن صناعتي الفقاع والنبيد والسوائل المخمرة التي كانت تعمل منهما ، فإنه يمكن القول أن المزر والنبيدة كانتا تصنعان في المدينة من القمح أو الشعير بواسطة التخمر (Fermenting) ونظرا الى أن هذه الصناعة كانت من الصناعات التي يتطلبها كثير من العامة ممن اعتادوا شربها ، ونظرا الى أن اسمها لم يكن شائعا في العصور الوسطى فقط وإنما ظل معروفا حتى وقت قريب فإنه يمكن القول باضافة هذه الصناعة الى صناعات المدينة وحرفها .

يدل على ذلك ما ذكره السيوطي في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين أورد عند حديثه عن الفسطاط بعضا من هذه الصناعات مثل النبيدة والقند والاباليج والطبرزد (٧١) ، ولا غرابة في أن تكون هذه وتلك من بين الصناعات التي مورست في الفسطاط لا سيما وأنها جميعا كانت كما

قلنا مما تعود الناس عليه في حياتهم اليومية من مأكّل ومشرب وناهينا في ذلك بالمباح وغير المباح منها من الناحية الدينية .

(هـ) صناعة الورق :

كان من الطبيعي أن يضع ظهور الورق في مجال الخط والكتابة نهاية لعهد أوراق البردي ، وقد جاء في ذلك أن صناعة الورق كانت قد بدأت في الصين ، ثم انتقلت في أواسط القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي الى سمرقند بايران ، ومنها الى بغداد بالعراق حيث أسس الفضل بن يحيى على عهد الرشيد سنة (١٧٨هـ / ٧٩٤م) أول صناعة للورق في العراق (٧٢) ، ثم انتشرت هذه الصناعة بعد ذلك في جميع أنحاء العالم الاسلامي فدخلت سوريا ومصر وشمال أفريقيا وأسبانيا (٧٣) ، يؤيد ذلك أن آخر ما يؤرخ من أوراق البردي يرجع تاريخه الى سنة (٣٢٣هـ / ٩٣٥م) وأن أول وثائق مكتوبة على الكاغد (الورق) ترجع الى سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م) (٧٤) .

وقد ازدهرت صناعة الورق في مصر (الفسطاط) خلال القرن (٤هـ / ١٠م) على عهد الفاطميين ، وصنع فيها ورق مختلف الأنواع كان أبرزه الورق الأبيض والورق المنصوري الذي كان يباع بأسعار تختلف تبعا لنوعه وجودته ، يدل على ذلك ما ذكره في هذا الصدد كثير من المؤرخين (٧٥) ، ويفهم مما سجله هؤلاء أنه كان من خصائص مصر القراطيس أو الطوامير وهي أوراق البردي التي كانت تصنع - على ما قيل - من حشائش أرضها في لفائف تصل الواحدة منها الى ثلاثين ذراعا في الطول وشبرا في العرض ، وظلت كل البلدان الاسلامية تستورد هذه القراطيس من مصر حتى حل محلها نوع من الورق صنع من الكتان وسمى الكاغد ، وقد نقلت صناعته كما أشرنا - من الصين الى سمرقند ومن ثم الى باقي البلاد الاسلامية في أوائل القرن (٤هـ / ١٠م) ، وأدخل عليه المسلمون كثيرا من التحسينات حتى نالت سمرقند من الشهرة في صناعة هذا الكاغد ما جعل المؤرخين يسجلون ذلك بقولهم أن كواغد سمرقند عطلت قراطيس مصر (٧٦) .

(و) صناعة السلال والحصير :

لاشك أن سعف النخيل وعيدان البوص كانت تستخدم لصناعة السلال والحصير في الفسطاط وفاء لحاجة الناس الضرورية من هذه الصناعة لفرش أرضيات منازلهم ومساجدهم ، وقد تأكد استمرار هذه

الانشطة الحرفية بالمدينة ابان القرن (١٠ / ١٦ م) من خلال ما ذكره السيوطي الذي عدها بين الحرف والصناعات التي أوردتها عن مصر (الفسطاط) وقال فيما يتعلق بالسلال أنها كانت تسمى السلال الوهبانية ، وفيما يتعلق بالحصير أنها كانت تسمى بالحصير العبداني . وأضاف الى ذلك قوله أن بمصر من سائر أصناف الحصر ما لا يوجد في غيرها ، ثم أشار نقلا عن الذهبي الى أن الوباء الذي حدث بالديار المصرية سنة (٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م) قد عطل كثيرا من مناسج الحصر التي قيل أنه كان بمصر منها تسعمائة منسج فلم يبق منها عاملا الا خمسة عشر منسجا (٧٧) .

٤ - صناعة الجلود والدباغة :

ورث المسلمون عن أقباط مصر صناعة الجلود واهتموا في هذا المجال بشكل خاص بالسروج وأدوات الركوب لارتباطه بطبيعة حياتهم من ناحية ، ولما كان لاعداد رباط الخيل من أهمية بشها الاسلام في نفوسهم من ناحية أخرى ، لذلك لم يكن غريبا أن كثيرا من الصناعات الجلدية فيما عدا السروج كجلود الكتب والخفاف والأحذية والأحزمة والقرب وغيرها كانت تمارس في الفسطاط . (انظر شكل : ٢٧ ، ٢٨) .

ويؤيد ذلك أولا ما ذكره ناصر خسرو في القرن (٥ هـ / ١١ م) حيث قال أنه شاهد بمصر جلدة بقرة جلبت من الحبشة كانت كجلد النمر (في برقشتها) وأن الصناع كانوا يعملون منها الأحذية (٧٨) ، ويؤيده ثانيا ماورد في وثائق جنيزة القاهرة التي نشرها جوتايين وجاء في وثيقة منها ذكر لكثير من أنماط الصناعات الجلدية ولا سيما في مجال صناعة الأحذية وصناعة السروج والقرب ، كذلك فقد جاءت في هذه الوثيقة إشارة الى أنه كان لهذه الصناعة سوقا خاصا بالمدينة وإشارة أخرى الى أن صناعة الدباغة كانت من بين الصناعات التي تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود في الفسطاط (٧٩) ، ولم يكن من المعقول أن تكون هناك صناعة دباغة دون أن تكون هناك صناعة جلدية رائجة .

ويؤكد قيام هذه الصناعات في المدينة قبل هذا وذاك ما عثر عليه في حفائر الفسطاط من بقايا النعال التي كان منها ما يزخرف بالذهب أو يرصع بالدر والجوهر ، أو يزركش بالقصب أو يطرز بالخياط الملونة (٨٠) ، كما تؤكد مجموعة من الصور المرسومة بالمداد على الرق ترجع الى ما بين القرنين (٥ - ٨ هـ / ١١ - ١٤ م) عثر عليها في حفائر

متحف الفن الاسلامى بالفسطاط وعليها صور آدمية وأشكال حيوانات.
وطيور (٨١) .

٥ - صناعة المعادن والحلي :

ان ما جاء عن صناعة المعادن فى مصادر العصور الوسطى كان شبيها بما جاء عن صناعة الزجاج ، فقد سميت مصانعها « بالمسابك » فليل « مسابك النحاس » « ومسابك الفولاذ » ونحو ذلك ، والذي لاشك فيه أن المسابك كانت قائمة بالفسطاط وتنتج من الخامات المعدنية المصهورة والمسيبوكة ماكان صناع المعادن فى مصر فى حاجة اليه لعمل العديد من الأسلحة والآلات الحربية ، علاوة على الأدوات المنزلية والمتحف المختلفة ، وقد أشار كثير من المؤرخين الى وجود هذه المسابك بالفسطاط (٨٢) .

ولعل ما أنتج من أسلحة وتحف معدنية مختلفة الأشكال والأنواع والخامات والزخارف ، على مدى عصور مصر الاسلامية ولا سيما عصر المماليك بدولتيه البحرية والبرجية مما لا تزال نماذجه محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وفى غيره من المتاحف الأجنبية والمجموعات الخاصة ، هو خير شاهد على الكم والكيف الذى كانت قد وصلت اليه هذه الصناعة فى مسابك الفسطاط وغيرها من مسابك مصر (٨٣) .

ولعل ذلك غير مستغرب وبمصر من المعادن كما قال ابن ظهيرة « معدن الذهب والفضة والزمرد فى جبل خلف أسوان لا يشاركها فيها بلد » (٨٤) كما أن بها الحديد والنحاس وغير ذلك ، والواقع أن الشماعد والمباخر والأدوات المعدنية التى ترجع الى بداية العصر الاسلامى ، والتى كشفت نماذج منها فى حفائر الفسطاط لا تختلف كثيرا فى شكلها وزخارفها عما كان معروفا فى مصر قبل الفتح العربى مما يجعل عملية التمييز بينها وبين ما أنتج فى العصر القبطى من تحف معدنية أمرا ليس من السهولة بمكان (٨٥) .

أما أكثر ما صنع فى الفسطاط من تحف معدنية فقد كان فى العصر الفاطمى الذى شهد ازدهارا حقيقيا فى هذه الصناعة ساعده عليه كثيرا هجرة عدد كبير من صناع المعادن المواصله الى مصر منذ أواخر العصر الأيوبرى ونقلهم خبرة مدرسة الموصل الى الفسطاط ، وما أنتج من تماثيل مختلفة ترجع الى هذا العصر مما لا يزال محفوظا حتى الآن بالمتاحف المختلفة هو خير شاهد على ذلك ، فهناك مثلا العقاب البرونزى الشهير بمدينة بيزا الايطالية الذى يقال انه نقل من مصر الى هناك على يد عمورى.

ملك بيت القدس سنة (٥٥٩ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٢ - ١١٧٣ م) ،
والطاووس المحفوظ بمتحف اللوفر بباريس ، والآيل البرونزي الموجود
بالمتحف البافاري بمدينة ميونخ (أنظر شكل : ٢٩) ، والأسد المجوف
بمتحف برلين ، وشبيهه بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، وغيره من
التمائيل التي يحتفظ بها المتحف الأخير كالظباء والأرانب ونحوها (٨٦) .
(أنظر شكل : ٣٠) .

على ان انتاج الفسباط في العصر الفاطمي من التحف المعدنية لم
يقتصر على التماثيل الحيوانية المشار اليها ، بل لقد أنتجت أيضا بعض
التمائيل الآدمية ، وقد عثر في المدينة بالفعل على تمثال لسيدة تعزف
على الدف وعلى رأسها تاج به نتوء يوحى بأنه كان مرصعا بالجواهر وحول
كل من ذراعيها وساقها سوار (٨٧) . (أنظر شكل : ٣١) .

ثم وصلت الصناعات المعدنية في الفسباط غاية نضوجها في العصر
المملوكي ، يدل على ذلك تلك النماذج الكاملة من الأبواب المصفحة والشماعة
والتنانير والثريات وكراسي (العشاء) وصناديق المصاحف والمحابر
والأواني والأباريق والأسلحة والحلي وغيرها مما يحتفظ به متحف الفن
الاسلامي بالقاهرة وغيره من المتاحف العالمية (٨٨) . (أنظر شكل :
٣٢ ، ٣٣) .

ومع ذلك كله فهناك من الأدلة القطعية الأخرى ما يثبت قيام هذه
الصناعة في الفسباط ، من ذلك مثلا ما ورد في وثائق جنيزة القاهرة
التي تشير الى أن صناعة المعادن كانت من الصناعات التي تمت في بعض
حالاتها مشاركة بين المسلمين واليهود في الفسباط ، وتحصى هذه الوثائق
كثيرا من التخصصات المختلفة التي كانت تمارس في مجال الصناعة مثل
السكاكين والمغارف والملاعق والملاقط والخطاطيف والأمواس والابر وما شابه
ذلك (٨٩) .

هذا عن الصناعات المعدنية التي كانت تمارس في الفسباط ، أما
بالنسبة لصناعة الحلي فلدينا من المصادر المادية مما عثر عليه في اطلال
المدينة ومما لا يزال محفوظا بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة وفي غيره من
المتاحف ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن كثيرا من هذه الحلي كان يصنع
في الفسباط ، من ذلك مثلا قرص ذهبي صغير مستدير الشكل وجهه
مقعر ومطلي بالميना يشتمل في الجزء الأوسط على كتابة كوفية نصها « الله
خير حفظا » (Sic) وفي الجزئين الأعلى والأسفل على زخرفة حمراء محددة
بالذهب على أرضية خضراء عثر عليه بالفسباط (انظر شكل : ٣٤)
وأرجعه مؤرخو الفنسون الى القرن (٥ هـ / ١١ م) ابان العصر

الفاطمي ، (٩٠) كذلك فقد عثر في أطلال المدينة على كثير من قطع الحلى وأدوات الزينة كالأساور والخواتم والأقراط المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة مما أمكن ارجاعه لما عليه من زخارف نباتية دقيقة الى العصر المشار اليه (٩١) .

ويزيد ما لدينا من المصادر المادية تأكيداً على قيام صناعة الحلى فى الفسطاط ما ورد فى المصادر التاريخية عن المحابر الذهبية والفضية (انظر شكل : ٣٥) وقطع الشطرنج والمقابض والمظلات وأوانى زهر النرجس والبنفسج وغيرها مما نهبه الجنود الأتراك من القصور الفاطمية فى فتنة عام (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) (٩٢) . وما ورد فى وثائق جنيزة القاهرة من أن تسوية تمت فى الفسطاط سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) بين زوج وزوجته تعد الأم فيها بدفع تكاليف طعام ابنها الأكبر وجزيته لمدة عامين ، وكذا تكاليف تعليمه صنعة الصياغة ، وما ورد فيها أيضاً من أن صياغة الذهب والفضة كانت من الصناعات التى تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود فى الفسطاط (٩٣) .

٦ - صناعات النسيج والسجاد والصباغة :

إذا كان من المعروف أن صناعة النسيج كواحدة من أبرز صناعات مصر فى العصور الوسطى كانت تمارس فى مراكز عديدة موزعة على خريطة مصر الجغرافية بين الوجهين البحرى والقبلى ، فلا غرابة أن يكون للفسطاط - وهى أول مراكز الصناعة فى مصر - نصيب وافر من هذه الصناعة ، ولدينا من المعلومات التاريخية والأدلة المادية ما يؤيد بالقطع هذه الحقيقة ، فقد جاء فى المغرب - كواحد من المصادر التاريخية - أن جميع زى الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك كل ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية (٩٤) . ومعنى ذلك صراحة أن صناعة نسيج غير متطورة كانت تمارس فى المدينة حتى أيام ابن سعيد (٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) ولكننا لا نميل الى الأخذ بهذا رأى لأن كل الأدلة التاريخية والشواهد المادية تقف على النقيض من هذا تماماً . فمعظم المصادر التاريخية وغالبية المراجع العربية والأجنبية تقول أن صناعة النسيج كانت تمارس فى العديد من المراكز التى انتشرت فى طول مصر وعرضها خلال العصر القبطى ومن بينها بابيلون ، يدل على ذلك ما ذكره البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال أن عمرو بن العاص «الزم جميع

أهل مصر (من القبط) لكل رجل (من المسلمين) جبة صوف وبرنسا أو
عمامة وسراويل وخفين في كل عام أو بدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا
وكتب عليهم بذلك كتابا « (٩٥) ومعنى هذا أن مصر وبابيلون التي لا تبعد
عن القسطنطينية أمتارا كانت تصنع في تلك الفترة الجبة والبرنس والعمامة
والسروال والخف والثوب القبطي مما كان يسمى « بالقباطي » ويشهد هذا
كله بمدى ما وصلت إليه تلك الصناعة خاصة في مصر القديمة على عهد
الاقباط (انظر الأشكال : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

ويشير ابن سيده في القرن (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) الى أن
الأقمشة التي كانت تصنع في مصر (القسطنطينية) كانت من الكتان الأبيض
الذي لا تلوين فيه ، وأن هذه الأقمشة كانت خلال العصر الأموي كالغشاء
على البيض (٩٦) وفي هذا من الدلالة على رقتها ما يكفي لمعرفة مدى التطور
الذي كان قد حدث على هذه الصناعة بالقسطنطينية ، ثم يضيف ابن فضل
الله العمري في القرن (٨ هـ / ١٤ م) على ما ذكره البلاذري وابن سيده
أن من خصائص مصر « دار الأنماط (وكانت بالقسطنطينية) وفيها يباع قماش
النساء وفاخر الثياب والأمتعة ، وكان يجلس على حوانيتها أهل الفراغ
واللهو وكانت من عجائب المباني وغرائب الآثار » (٩٧) ومعنى ذلك بما
لا يدع مجالا للشك أن منسوجات القسطنطينية كانت على درجة كاملة من
الجودة والذوق حتى أنه وصفها « بفاخر الثياب والأمتعة » وفي هذا ما يكفي
للقوف على النقيض مما ذكره ابن سيده .

يضاف الى ذلك كله ما جاء في كتاب « القسطنطينية » في معرض الحديث
عن الأطلال المعمارية التي كشفت بالمدينة من وصف لقاعة مستطيلة الشكل
مسيحة الأرجاء قيل أنها كانت لسعتها وبعض الأسباب التي وجدت
فيها - مصنعا للنسيج لأنها تشبه القاعات الحالية التي تنصب فيها أنوال
النسيج اليدوية ويعمل فيها النساجون على نفس المنوال (٩٨) ، وذلك
يعني نوعا من المناسج الأهلية المسماة بطراز العامة التي كانت تعمل
بالمدينة جنبا الى جنب مع دار الأنماط التي مثلت طراز الخاصة .

وفي متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ما يؤيد ذلك ممثلا في قطعة من
نسيج الكتان باسم الخليفة الأمين بن هارون الرشيد (١٩٤ - ١٩٨ هـ /
٨٠٩ - ٨١٣ م) عليها كتابة تقول « بسم الله بركة من الله لعبد الله
الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعه في طراز العامة
بمصر على يد الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين » (٩٩) . (انظر أيضا
شكل ٣٩) وكانت دور الطراز العامة والخاصة بالقسطنطينية تنتج العديد
من الأقمشة التي كانت تزخرف بألوان متعددة وتزينها عناصر من أشكال

آدمية وأشكال طيور وحيوانات بالإضافة الى الأشكال الهندسية والخطوط المتقاطعة المتماسة والأشرطة الأفقية التي توازيها أشرطة من الكتانة الكوفية (١٠٠) ، وقد نسج بعض هذه الأقمشة بلحمت من الحرير أو الصوف وسداة من الكتان ، ونسج بعضها الآخر من الحرير الخالص سداة ولحمة ، ووشى بعضها الثالث بخيوط الذهب ، ولعل ما عرفتة اللغات الأوربية من الأقمشة باسم (Fustian) نسبة الى الفسطاط (١٠١) هو خير الأدلة القاطعة في هذا الصدد لأنه لولا جودته وعلو ذوقه لما نسب في تسميته الى المدينة التي أنتجته ولما صدر الى الأسواق الأجنبية التي كان من المفروض الا يصدر اليها الا كل جيد ونفيس .

كذلك فقد جاء في وثائق الجنيزة أنه في سؤال رفع الى ابن ميمون (١٠٢) نقراً عن شركة لصناعة الحرير كانت بالمحلة الكبرى قام أصحابها بافتتاح فرع لها بالقرب من محل يتبع شركة مماثلة بالفسطاط ، وخوفاً من المنافسة وافقت الشركة بالفسطاط على أن تقبل أحد عمال شركة الحرير المحلة للعمل عندها مقابل أن يذهب أحد أعضائها الى المحلة الكبرى ويلتحق هناك بشركائها ، ونحن نعرف أن صناعة الحرير كانت قد راجت في الفسطاط كثيراً على عهد المماليك وكانت قطعها المصنعة تسمى الكمخة .

وتضيف وثائق الجنيزة المشار اليها أن الحرير والنسيج والحياكة كانت من الصناعات التي تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود في الفسطاط (١٠٣) ، وفي موقع آخر يقول صاحب هذه الدراسات أنه في إحدى الشكايات التي رفعت لابن ميمون بحوالى عام (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) يشكو صاحبها من تحويل جار له لمنزله الواقع في منطقة سكنية الى دكان للصباغة وأن دخان موائده قد أتلّف كل الصوف الذي كان ينشره (١٠٤) ، وفي هذا ما يشير صراحة الى أن الصباغة أيضاً كانت من بين صناعات الفسطاط ، وهو أمر غير مستغرب لما لهذه الصناعة من صلة عضوية ضرورية بصناعة النسيج .

كذلك فقد أشارت المراجع العربية الى أن صناعة أبسطة وبرية كتانية سدى ولحمة تعمل عقدها من اللحمة كانت تمارس في الفسطاط منذ العصر العباسي وحتى العصر المملوكي ، وكانت المدينة حينذاك أكبر منافس لبلاد العجم في هذه الصناعة (١٠٥) ، ويؤيد ما ذكرته هذه المراجع ما جاء في وثائق الجنيزة من أن ٤٤٣ يهوديا كانوا يعملون في حقل صناعة السجاد بمصر (١٠٦) .

وقد أمدتنا حفائر الفسطاط بقطع من السجاد ذات أهمية كبرى في

دراسة هذا الفن في فجر الاسلام ، منها مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامي بالقاهرة قطعة عليها بقية تاريخ يرجح أنه سنة ستة ومائتين بعد الهجرة (٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) وقطعتان أخريان عليهما كتابات كوفية تحمل احدها تاريخ (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) ومنها مما يحتفظ به متحف المتروبوليتان في نيويورك قطعة أخرى عثر عليها في اطلال المدينة (١٠٧) .

أما قطع النسيج التي كشفت عنها حفائر الفسطاط فهي كثيرة ومتنوعة ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بغالبيتها (١٠٨) ، كما تحتفظ المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة ببعض آخر منها (أنظر الأشكال من : ٤٠ - ٥٤) ، وتشتمل مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة من منسوجات الفسطاط على خمسين وأربعين قطعة كتانية ذات كتابات كوفية بسيطة في سطر أو سطرين تمتد تواريخها من سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) الى سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) (١٠٩) ، منها قطعتان عملت احدهما في طراز الخاصة بالمدينة وتقول كتاباتها « بعد البسملة والديباجة » مما أمر بعمله في طراز الخاصة بمصر سنة أربع وخمسين ومائتين (١١٠) ، وعملت الثانية في طراز العامة وتقول كتاباتها « ٠٠ مما أمر بعمله الوزير علي بن محمد أعزه الله في طراز العامة بمصر على يدي ٠٠٠ مولى أمير المؤمنين سنة ستة وتسعين ومائتين » (١١١) .

ومعنى ذلك أن مصانع نسيج الفسطاط كانت كما قلنا قد اشتملت على دور الطرازين العامة والخاصة ، وقد حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء : المعتمد على الله ، المعتصم بالله ، المكتفى بالله ، المقتدر بالله ، ومن أسماء الأمراء الآخرين بالصنع : الوزير علي بن محمد وأخيه الحسن بن محمد ، ومن أسماء الصناع بشر الخادم ، وشفيح المقتدرى .

وتشتمل مجموعة تانور (Tanq) من منسوجات الفسطاط على ست قطع كتانية أخرى ذات كتابات كوفية بسيطة في سطر أو سطرين . أيضا تمتد تواريخها من سنة (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م) الى سنة (٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) (١١٢) منها ثلاث قطع تشير كتاباتها الكوفية البسيطة الى أنها عملت في طراز العامة بالمدينة تقول كتابات واحدة منها « بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله أحمد الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين أيده الله مما أمر بعمله في طراز العامة بمصر سنة خمس وستين ومائتين (١١٣) ، وتقول كتابات واحدة أخرى « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين بركة من الله لعبد الله جعفر الامام المقتدر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . مما أمر الوزير علي بن محمد أعزه الله بعمله في طراز العامة بمصر على

يدى شفييع المقتدرى مولى أمير المؤمنين سنة ثمن وتسعين ومائتين « (١١٤) ،
وقد حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء المعتمد على الله ، المعتصم
بالله ، المتوكل على الله ، المقتدر بالله ، ومن أسماء الصنائع بشر الخادم ،
شفييع المقتدرى .

وتشتمل مجموعة متحف بذاكى فى أثينا من منسوجات الفسطاط
أيضا على ثلاث قطع بذات المواصفات السابقة تمتد تواريخها من سنة
(٣٠٦ هـ / ٩٨١ م) الى سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) (١١٥) منها قطعتان
عملتا فى طراز الخاصة بالمدينة احدهما باسم المقتدر بالله وتقول
كتاباتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ بعمله فى طراز الخاصة بمصر
على يدى شفييع المقتدرى مولى أمير المؤمنين ٠٠٠ مائتين » (١١٦) وقد
حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء المقتدر بالله ، ومن أسماء
الأئمة حامد بن العباس ، ومن أسماء الصنائع شفييع المقتدرى . وتشتمل
مجموعة متحف المتروبوليتان فى نيويورك على قطعة واحدة من منسوجات
الفسطاط يرجع تاريخها الى سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) تقول كتاباتها
بعد البسملة « نعمة لعبد الله العباس المعتصم بالله أمير المؤمنين أعزه الله
مما أمر بمصر سنة اثنين ثمانين مائتين » (١١٧) .

كما تشتمل مجموعة أبيمايور (Abemayor) على قطعة واحدة
أخرى من منسوجات الفسطاط يرجع تاريخها الى سنة (٢٩٨ هـ / ٩١٠ م)
تقول كتاباتها بعد البسملة « بركة من الله لعبد الله أمير المؤمنين أيده الله
مما عمل بمصر سنة ثمان تسعين مائتين بركة » (١١٨) .

ولا تقتصر منسوجات الفسطاط فى المجموعات الأثرية الخاصة على
ما سبقته الإشارة اليه من مجموعتى تانو وأبيمايور وانما تشتمل مجموعة
نهمان (Nahman) على ست قطع من هذه المنسوجات تمتد تواريخها من
سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) الى سنة (٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) منها أربع قطع
باسم المتقى لله تواريخها حول سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) وقطعتان باسم
الطبيع لله تاريخيهما (٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ، ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) (١١٩) .

ويبقى بعد ذلك كله أهم ما يجب الإشارة اليه بالنسبة لصناعة
النسيج فى الفسطاط وهو أن لدينا من الأدلة المادية ما يثبت بما لا يدع
رجالا للشك أن هذا المركز كان قد شارك فى صناعة كسوة الكعبة
المشرفة ، من ذلك مثلا ثلاث قطع كتانية باسم المقتدر بالله العباسى أولاها
فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) وثانيتهما

فى متحف بناكى فى أثينا تاريخها (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) وثالثتها فى مجموعة تانو تاريخها (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) (١٢٠) ، وان دلت هذه القطع الثلاث على شىء فانما تدل على مبلغ ما كان عليه هذا المركز من تطور فى صناعة السيج لأن هذه الكسوة كانت - كما نعلم - تعمل من أفخر الخامات وأغلاها وبأمر الأيادى الصناعية المدربة وأدقها .

٧ - صناعة الخشب والعظم والعاج :

لم يكن غريبا أن يزدهر فن الحفر على الخشب فى مصر الإسلامية ازدهارا بالغاً لما كان للمصريين فى هذا الفن من براعة ترجع الى العصر الفرعونى ، يدل على ذلك ما وصلنا من القطع الخشبية الكثيرة المزخرفة التى يرجع أقدمها الى العصرين الأموى والعباسى فى القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) والتى عشر على كثير منها فى القرافة الكبرى بالقسطاط (انظر شكل : ٥٥ - ٥٦) ، حيث كانت هذه القطع الخشبية تستعمل بعد أخذها من الأبنية والأثاث لمنع انهيار الأتربة فى المدافن (١٢١) ، أما فى العصر الطولونى فقد مارس صناع الأخشاب بالقسطاط أساليب جديدة جاء بها ابن طولون من سامرا ، وكان من أهمها أسلوب الحفر المائل أو المشطوف (Slant cut) (انظر الأشكال : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) وما لبثت هذه الأساليب أن امتزجت تدريجيا بالأساليب المصرية المحلية فنتج من هذه ونلك أروع الأمثلة الزخرفية العربية على الإطلاق ، وتكفى فى ذلك نظرة الى تلك الثروة الزخرفية الهائلة والمتنوعة التى يزخر بها جامع الشهير (١٢٢) .

ولدينا فى المصادر التاريخية من المعلومات ما يؤيد قيام هذه الصناعة فى القسطاط ، فيشير المقرئى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) الى أنه كان للخشب أسواق هامة فى القسطاط منذ العصر الطولونى (١٢٣) ، ويقول ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) أن بمصر الابنوس الابلق (١٢٤) ، بينما يؤكد جوتايين أنه وجد فى دراسته لوثائق الجنيزة خمس صناعات خشبية مختلفة كانت تمارس فى المدينة هى التجارة والنشارة وعمل الصناديق والخراطة وعمل أقفال الأبواب (الضبيب) ثم يضيف الى ذلك قوله أنه كان لكل طائفة من طوائف هذه الصناعات سوقا خاصا سمي باسمهم فى القسطاط (١٢٥) .

أما عن الأدلة المادية القاطعة بممارسة الصناعات الخشبية فى

الفسطاط فهي كثيرة ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بالكثير من نماذجها ، بينما تحتفظ المتاحف العالمية ببعض نماذجها الأخرى ، ولعل أهم من هذه وتلك هي حلية وإفريز من جامع عمرو بن العاص يرجعان الى التجديد الذي قام به عبد الله بن طاهر سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) ، وتتألف زخارفها من صف من أوراق الاكانثس المحورة (شوكة اليهود) ، ومن شريط زخرفي تتألف عناصره من البيضة والسهم المألوفتين في الفن الكلاسيكي ، ومن إفريز يضم فرعاً نباتياً به أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية وأوراق عنب خماسية (١٢٦) . (انظر شكل ٦٠) .

كذلك فقد مورست في الفسطاط أنماط أخرى لصناعات خشبية تدخيل في اطرار الفنون الجميلة منها تزيين الأخشاب بقطع الفسيفساء (١٢٧) ، أو نقشها بالمعجون وقطع العظام (١٢٨) ، وينسب ما عثر عليه من بقايا هذه الصناعات في المدينة الى الفترة ما بين القرنين (١ - ٣هـ/٧ - ٩م) .

وقد استمر هذا الانتاج الخشبي في الفسطاط خلال العصر الفاطمي ، وما وصلنا من أدلة مادية عديدة ترجع الى هذا العصر تثبت بما لا يدع مجالاً للشك مدى التطور الذي حدث لهذه الصناعة فيه ، فهناك مثلاً بعض الألواح التي كانت في سقف مارستان قلاوون وتم نقلها الى متحف الفن الاسلامي ، ونهى من مخلفات القصر الفاطمي الغربي وقد عثر على بعض منها في الفسطاط ، وتشتمل على رسوم مختلفة لأشكال آدمية وحيوانية وأشكال نباتية وكتابات وغير ذلك (١٢٩) (انظر شكل : ٦١) .

أما عن صناعاتي العظم والعاج بالفسطاط فقد عثر في اطلال المدينة على قطع عديدة منها ترجع الى أوائل العصر الاسلامي في العهدين الأموي والعباسي ، يحتفظ ببعضها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، ويحتفظ بعض المتاحف العالمية ببعضها الآخر ، ومن أهم هذه القطع قطعة من لوح من العظم عليها صورة صياد وغزال على أرضية من التفريعات النباتية تدل دلالة قاطعة على حسن ذوق صناعتها (١٣٠) ، ثم سبار اسلوب الحفر على العظام وفق أسلوب الحفر على الخشب زمن الطولونيين كما يشاهد من قطع عثر عليها بالفسطاط محفوظة الآن بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة عليها رسم سيدة في هودج وجندي في يده زمج وترس وضائد بالبار على ظهر جواد (١٣١) .

٨ - صناعة السفن :

سميت ترسانة صناعة السفن بالفسطاط فى المصادر العربية « بدار صناعة مصر » او « صناعة العمائر » وقد أنشأ هذه الدار سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) بساحل مصر القديمة محمد بن طغج الاخشيدي عندما نقل جزءا من دار صناعة السفن بجزيرة الروضة الى الفسطاط ، فغدت السفن الحربية والنيلية تبني فى دار صناعة مصر تارة وفى دار صناعة الجزيرة تارة أخرى (١٣٢) ، وقد ظلت هذه الدار تعمل أيام الفاطميين والأيوبيين ، يدل على ذلك ما ذكره المقرئى بقوله « وأنشئت سنة (٥٧٧ هـ / ١٨٨١ م) أربع حرايق لصناعة مصر برسم من تجرد الى بلاد اليمن » (١٣٣) .

على أن نشاط هذه الصناعة لم يقتصر على انشاء المراكب النيلية فقط وانما امتد الى بناء السفن الحربية التى أمدت صلاح الدين بأساطيل البحر المتوسط خلال حروبه مع الصليبيين فى الشام ، فكانت هذه الأساطيل بعد بنائها فى صناعة مصر تشحن بآلات الحرب والمقاتلة ثم تبحر فى النيل الى الاسكندرية أو رشيد أو دمياط أو الفرما ، ومنها الى البحر المتوسط لملاقاة الروم أو الفرنج (١٣٤) ، وبلغ من اهتمام الأيوبيين بالأسطول أن أنشأوا له على عهد صلاح الدين ديوانا خاصا سموه «ديوان الأسطول» وعينوا له الأموال الكافية للنفقة عليه (١٣٥)، ولقد كان للسفن الحربية التى بنيت فى هذه الدار على عهد الكامل محمد وابنه الصالح أيوب الفضل كله فى صد العدوان الصليبي على مصر الذى قاده صاحب عكا ، والعدوان الذى قاده لويس التاسع ملك فرنسا (١٣٦) .

ثم سار سلاطين المماليك من حيث العناية بهذه الدار على نهج بنى أيوب فيذكر المقرئى أن السلطان الظاهر بيبرس كان قد أصدر مرسوما يمنع الناس من التصرف فى أعواد العمل (أى خشب السفن) وأمر بأن تنشأ لتخزين هذه الأعواد عشرين شونة ، ليس هذا فقط بل لقد لازم الركوب بنفسه الى هذه الصناعة كل يوم طوال شهر المحرم سنة (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) ليباشر انشاءها حتى تم انجازها (١٣٧) .

كذلك اهتم الأشرف خليل ببناء أسطول فى صناعة مصر سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) وعهد باعداده الى الوزير ابن السلعوس ، ثم سار الناصر محمد بعد ذلك على نهج أخيه وبنى فى هذه الدار سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) أسطولا غزا به جزيرة أرواد عند ساحل مدينة طرطوس شمالى طرابلس بالشام (١٣٨) ، الا أن دوام الحال بالنسبة لهذه لصناعة كان

من المحال فتوقفت الدار بعد أن تربى على مر الأيام جرف فى البحر الذى
يفصل بينها وبين جزيرة الروضة أو بين القسطنطين ودير النحاس ، فتحولت
أرضها سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) الى بستان عرف ببستان كيسان
ثم ببستان الطواشى (١٣٩) ونقلت الصناعة من ثم الى ساحل مصر
تجاه دير النحاس حيث استقرت مدة طويلة ، ثم نقلت مرة أخرى الى
ساحل بولاق خلال عهد محمد على (١٤٠) ، وكان للخلفاء الفاطميين
منظرة بصناعة مصر يجلسون فيها حتى تقدم لهم العشاريات ويركبونها
ويسبرون بها الى المقياس حتى يخلق بين أيديهم عند الوفاء ، والذى أنشأ
هذه المنظرة هو الوزير المأمون بن البطائحي وجعل لها دهليزا مده
بمصاطب فرشها بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا ، وظلت هكذا حتى
خربت الصناعة والمنظرة فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وتحولت الى بستان
على نحو ما ذكرنا (١٤١) .

١ - حواشي وتعليقات الفصل الأول

من الباب الأول

الفسطاط

١ - راجع في ذلك المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٣ - ١٠ . ابن دقماق : الانتصار ج ١ ص ٢ - ٥ . وانظر أيضا : حسن الهوارى : الفسطاط : ص ١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ج ١ ص ٥٣٣ ، على حسنى الحروبلى : الحضارة العربية الاسلامية : ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى : ص ٢٤٠ .

٢ - أحمد فكرى : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها : ص ٦١ - ٦٤ .

٣ - حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ٢ .

٤ - القزوينى : آثار البلاد : ص ٢٦٣ - ٢٧١ .

٥ - ابن بطوطة : الرحلة : ص ٣٦ وراجع أيضا : ناصر خسرو : سفر نامه (ترجمة أحمد خالد البدلى) ص ٩٢ .

٦ - راجع في ذلك : الادريسي : نزهة المشتاق : ص ١٤٠ - ١٦٤ .

٧ - ياقوت الحموى : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

٨ - المقرئى : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٥٦ ، ابن دقماق : المصدر السابق ج ٢ ص ٢ .

٩ - راجع في ذلك : المقرئى : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٥٥ وانظر أيضا : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ج ١ ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

١٠ - راجع في ذلك : البلاذرى : فتوح البلدان : ج ٣ ص ٧٥٧ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣١١ ، وانظر أيضا : محمود عكوش : مصر فى عهد الاسلام : ص ٢٥٢ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الاسلامية : ص ٢٤٩ ، سيرة القاهرة : تأليف : ستانلى لين بول ، و ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرون : ص ٥٣ ، أحمد فكرى : المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٨ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٣٠٠ - ١٣٠١ .

١١ - راجع في ذلك ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ٦ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ وانظر أيضا : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ج ١ ص ٥٣٣ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ٢٤٠ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع : ص ٨ .

١٢ - راجع في ذلك : ابن حوقل : صورة الأرض : ص ١٣٧ ، الادريسي : المصدر السابق : ص ص ١٤٠ - ١٦٤ .

١٣ - الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ص ٤٨ - ٤٩ .

١٤ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٧ .

١٥ - فتح العرب لمصر : تأليف : الفريد بتلر وترجمة ، محمد فريد أبو حديد : ص ص : ٢٩٤ - ٢٩٥ .

١٦ - جمال الدين النسيال : دراسات في التاريخ الاسلامى : ص ص : ٢١ - ٣٢ .

١٧ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٣٥١ - ٥٣٢ ، على حسنى انخربوطلى : المرجع السابق : ص ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

١٨ - راجع عن كلمة « القسطاط » بمعناها الذى أشرنا اليه : ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، الجوهري : الصحاح : ج ١ ص ص ٥٦٠ - ٥٦١ ، الجوالقى : المعرب من الكلام الاعجمى على حروف المعجم : ص ٢٤٩ ، المقرئى : المصباح المنير : ص ٦٤٧ ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٠٣ ، تحليل الجز : المعجم العربى الحديث : « لاروس » ص ٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٠٠ ، وانظر أيضا المقرئى : المصدر السابق ج ١ : ص ٥٥٥ ، أحمد فكرى : المرجع السابق : ص ٥٧ .

١٩ - لمعلومات أكثر تفصيلا عن الادعاءات المفروضة للمستشرقين في مجال العمارة الاسلامية أنظر مثلا : أحمد فكرى : اندخل الى مساجد القاهرة ومدارسها : الذى صدر عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ : ص ص ٥ - ٢١ ، فريد شافعى : العمارة العربية الاسلامية عصر الولاة ، الذى صدر بالقاهرة عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٠ م ص ص ٥٨٤ - ٦٢٣ ففي هذه الصفحات ما يكفى وزيادة للوقوف على كثير من هذه الادعاءات التى لا تستند الى دليل منصف واحد .

٢٠ - محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية : ص : ١٥ .

٢١ - أنظر أيضا : عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ص ٩٤ - ٩٨ ، حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ص : ١٦ - ١٧ ، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين : ص : ٣٨٠ .

٢٢ - محمد رمزى : القاهرة والجغرافى للبلاد المصرية : ج ١ ص ٩٢ .

٢٣ - أنظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ٣٨٠ - ٣٨١ .

٢٤ - يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بقطعتين من هذا النوع اولاهما القطعة المسجلة تحت رقم (٤١٧٦) وثانيتهما القطعة المسجلة تحت رقم (٧٩٠٠) وهما من الخزف ذو البريق المعدنى الذى ينسب الى الطراز العباسى بمصر خلال القرنين (٣ - ٤ هـ ٩ - ١٠ م) أنظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣١٠ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ١٠٠ ، أطلس الفنون الزخرفية : ص ٦ شكل ١٧ ، ١٨ ، عبر كحالة : الفنون الجميلة فى العصور الاسلامية : ص ٢١٤ ، محمود ابراهيم : الخزف الاسلامى فى مصر : ص ص : ٨٣ - ٨٥ .

٢٥ - فى الخزانات أرقام (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) بالقاعة رقم (١٣) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من هذا النوع من الخزف تمتد تواريخها بين القرنين

٣ - ٦ هـ / ٩ - ١٢ م ، ومنها مثلاً القطعة المسجلة تحت رقم (٥٨٦٧) وقد عثر عليها فى اطلال القسطنطين وتمثل جزءاً من اناء ذى بريق معدنى عليه زخرفة لسيدة فى ملابس رفص ترفع احدى قدميها فوق الأخرى . انظر أيضاً : أنور الرفاعى : تاريخ الفن عند العرب والمسلمين : ص ١٥٨ ، حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية : ص ص : ٣٧٦ - ٣٧٨ ، محمد صدقي الجياخاني : الموجز فى تاريخ الفن : ص ص : ١٧٠ - ١٧١ .

٢٦ - انظر أيضاً : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١٥١ ، ١٥٨ ، فنون الاسلام : ص ٣١٠ ، أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ١٢ - ١٩ (الأشكال من ٣٩ - ٦٨) ، تراث الاسلام : تأليف : توماس أرنولد وآخرون : وترجمة جرجس فتح الله : ص ١٩١ (شكل ٢٢) ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٣٩ ، الفنون الاسلامية تأليف : م . س . ديمانند : وترجمة أحمد عيسى : ص ٢١٧ .

٢٧ - زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٤٨ ، م . س . ديمانند : المرجع السابق : ص ٢١٦ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٣٧ ، أبو صالح الإلفى : الفن الاسلامى : ص ٢٦٩ .

٢٨ - تجب الإشارة هنا الى أن كلمة مصر كانت تستخدم عادة عند مؤرخى العصور الوسطى للدلالة على القسطنطين ، فيقول المقدسى مثلاً أن « مصر هى القسطنطين فى كل قول » راجع : أحسن التقاسيم : ص ١٩٧ ويقول الإدريسي « ومدينة القسطنطين هى مصر سميت بذلك لأن مصرأم بن حام بن نوح بناها فى الأول وكانت مدينة مصر أولاً عين شمس فلما نزل عمرو بن العاص والمسلمون معه فى صدر الاسلام وافتتحها اختط المسلمون حول قسطنطين فعمروا مكان مصر الآن » راجع نزهة المشتاق : ص : ١٤٠ .

٢٩ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٨ - ١٠٩ ، وانظر أيضاً : « عرض وتحقيق سفر نامه للدكتور يحيى الخشاب فى تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨ ص ص : ٦٤١ - ٦٥٣) ، السيوطى : حسن المحاضرة : ج ٢ ص ٢٢٩ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٢١٥ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ١٣٤ .

٣٠ - يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بثلاث قطع تألفة من مصبع غزال ، وتضم الخزانة رقم (٦) بالقاعة رقم (١٣) من المتحف المشار اليه مجموعة طيبة من قطع الخزف المصرى ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء ، ترجع الى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) ، ومنها مثلاً القطعة المسجلة تحت رقم (٥٤٠٢/١٤) وهى من عمل شرف الأبوانى نسبة الى بلدة أبوان من أعمال مصر الوسطى ، والقطع المسجلة تحت أرقام (٦٠٢٩ ، ٦٠٣٧/١ ، ٦٠٣٩/١ ، ٦١٦٣/٩) وغيرها وتمثل كلها أوان من الخزف ذى الزخارف المنقوشة تحت الطلاء رسم كل منهما من الوجهين لتظهر الزخرفة على أحدهما . وتوقيع الصانع على الوجه الآخر . انظر أيضاً زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٢ - ٣٢٥ ، أطلس الفنون الزخرفية : (لنفس المؤلف) ص ص : ٥٨ - ٦٦ (الأشكال من ١٧٨ - ٢٠٥) ، محمد مصطفى : شرف الأبوانى صانع الفخار المصرى فى القرن الثامن الهجرى : مؤتمر الآثار العربية : دمشق ١٩٤٧ م ، ص ص : ١٥٩ - ١٦٤ .

٣١ - فى الخزانة رقم (٧) بالقاعة رقم (١٣) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بعض أطباق من الفخار المطلق عثر عليها فى الفسقاط تحمل رنوك بعض رجال بلاط الدولة المملوكية مثل القطعة المسجلة تحت رقم (٥١٥٨/٧) التى تحمل رنك البقجة وهى شارة الجوكاندار والقطعة المسجلة تحت رقم (٣٩٤٥) التى تحمل رنك الكأس وهى شارة الساقى وغيرها ، انظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣٢٦ ، أطلس الفنون الزخرفية : (لنفس المؤلف) ص ٦٢ : شكل (١٩١) ص ٦٥ : شكل (١٩٩ - ٢٠٠) ، توماس أرنولد : المرجع السابق : ص ١٩٩ ، غيف بهنس : جمالية الفن العربى : ص ١٩٧ ، نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية : ص ٣٩ ، عمر كحالة المرجع السابق : ص ٢٣٩ ، أبو صالح الألفى : المرجع السابق : ص ٢٦٨ .

٣٢ - يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بمجموعة رائعة من هذه الشبائيك منها مثلا القطعة المسجلة تحت رقم (٨٥٧٦) ، كما يحتفظ متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بمجموعة جميلة أخرى منها مثلا القطع المسجلة تحت أرقام (٧٢٢ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩ ، ٧٣٥) . انظر أيضا : أبو صالح الألفى : المرجع السابق : ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٧ - ٣٣٢ ، أطلس الفنون الزخرفية (لنفس المؤلف) ص ٦٦ (الاشكال من ٢٠٢ - ٢٠٥) وتمثل شبائيك قتل ذات زخارف مختلفة منها الزخارف النباتية ومنها الزخارف الهندسية وتقوم على هذه وتلك فى معظم الأحيان عبارات دعائية بالحطين الكوفى والنسخى .

٣٣ - المقرئى : المصدر السابق : ج ١ ص ٦٣٦ .

٣٤ - يحتفظ المتحف المشار اليه ببعض من هذه القوارير حتى الآن ومنها مثلا القارورة المسجلة تحت رقم (٢٣١٩٧) وغيرها .

٣٥ - فى الخزانة رقم (٩) بالقاعة رقم (١٣) من المتحف السابق أمثلة عديدة تحمل توقيعات هؤلاء الخزافين مثل القطعة المسجلة تحت رقم (٦٠٢٩) وهى من عمل غزير ، والقطعة المسجلة تحت رقم (٦٠٣٧/١) وهى من عمل دهنين ، والقطعة المسجلة تحت رقم (٧٢٣٣/١٠) وهى من عمل غيبى وغيرها . راجع أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٢ - ٣٢٥ (ولفس المؤلف) : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٦١ (شكل ١٨٨) ، ص ٦٤ (شكل ١٩٨) الفن الاسلامى فى مصر ، ص ١٢٢ ، وانظر أيضا م . س . ديماند : المرجع السابق : ص ٢٢٠ ، سعيد عاشور : العصر المملوكى فى مصر والشام : ص ٢٨٣ .

٣٦ - انظر : حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ١٦ .

٣٧ - فى الخزانة رقم (٢) بالقاعة رقم (٢١) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة أمثلة عديدة من هذه المكاييل وتلك الموازين : انظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٥٨٥ (شكل ٤٨٠) ويمثل خفما من الزجاج باسم عبيد الله بن الحباج صاحب خراج مصر من سنة (١٠٢ - ١١٦ هـ / ٧٢٠ - ٧٣٤ م) مؤرخ بسنة (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) .

٣٨ - يحتفظ متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بقنيتين من الزجاج من صناعة مصر (الفسقاط) فى فجر الإسلام ، كل منهما ذات تعريقات لونية تجعلها شبيهة

بزجاج المليفوري (أو الألف زهرة) الذي كانت تنتجه الاسكندرية في العصر الروماني ، كما يحتفظ القسم الاسلامي بمتحف برلين بكأس زجاجية وقنينة قوف ظهر جمل من صناعة مصر (الفسباط) فيما بين القرنين (٢ - ٤ هـ / ٨ - ١٠ م) ، وكلها قطع تمتاز بما أشرنا اليه من خصائص فنية تدل على بدائية الصناعة وبساطتها . انظر بالنسبة لقنيتي متحف كلية الآثار : زكي حسن : فنون الاسلام : ص ٥٨٤ (شكل ٤٧٩) وبالنسبة لكأس متحف برلين وقنيتته : نفس المرجع : ص ٥٨٣ (شكل ٤٧٥) . ص ٥٨٤ (شكل ٤٧٨) وانظر أيضا : زكي حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٢٤٩ (شكل ٧٣٢) ويمثل تحفة زجاجية ذات رسوم مختومة لحيوانات خرافية مما كان يصنع بالفسباط في فجر الاسلام .

٣٩ - أمثلة عديدة من هذه التحف لازالت محفوظة في ثلاث خزائن بالقاعة رقم (٢١) بمتحف الفن الاسلامي توضح الطرق المختلفة التي استخدمها الزجاجون بالفسباط وغيرها في صناعة وزخرفة التحف الزجاجية . انظر أيضا : تاريخ الحضارة المصرية : مجلد ٢ ص ٦٠١ وما بعدها ، توفيق عبد الجواد : تاريخ الفنون والعمارة : ج ٣ ص ٢٢٤ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٤٤ ، زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ، فنون الاسلام : ص ٥٨٦ - ٥٨٧ ، أنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ١٦٠ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص ٢٠٠ ، دولة بني قلاوون في مصر (لنفس المؤلف) : ص ٣٠٩ .

٤٠ - يحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ببعض النماذج الكاملة من الزجاج المذهب والموه . وبعض القطع الثالفة منه مما عثر عليه في الفسباط ، كما يحتفظ بمتحف بناكي في أثينا وغيره من المتاحف الأجنبية بنماذج أخرى من هذا النوع من الزجاج انظر أيضا : زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨٣ ، أطلس الفنون الزخرفية (الشرح الوارد في ص ٤٩٥ على شكل (٧٤٩) المصور في ص ٢٥٤ ، الفن الاسلامي في مصر : ص ٢٧٧ ، م . س . ديمان : المرجع السابق : ص ٢٣٤ ، عفيف بهنسي : المرجع السابق : ص ١٩٧ ، نعمت علام : المرجع السابق : ص ١٤٠ ، عمر كحالة : المرجع السابق ص ٢٤٦ .

٤١ - لقد رتبنا هذه المجموعة من المشكاوات ترتيبا تاريخيا في خزائن متتابعة بالقاعة رقم (٢١) من المتحف المشار اليه ، كذلك فقد خرجت بعض المشكاوات والقنينات المموهة الأخرى الى كثير من المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة مثل المشكاة المشار اليها في (شكل ٧٥١) ص ٢٥٤ من أطلس الفنون الزخرفية والمحفوظة في متحف اللوفر في باريس ، والاناء المشار اليه في شكل (٧٥٢) ص ٢٥٤ والمحفوظ في المتحف البريطاني بلندن ، والقنينة المشار اليها في (شكل ٧٥٤) ص ٢٥٥ والمحفوظة في متحف كليفلاند بأمريكا ، والكأس المشار اليه في شكل (٧٥٥) ص ٢٥٥ والمحفوظ في متحف المتروبوليتان بنيويورك وغيرها .

انظر أيضا : زكي حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٢٥٤ - ٢٥٨ (الأشكال من ٧٤٩ - ٧٦٣ ، فنون الاسلام : ص ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، الفن الاسلامي في مصر : ص ٢٧٨ ، نعمت علام : المرجع السابق : ص ١٩٧ - ١٩٨ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ٣٠٩ - ٣١٠ ، سعيد عاشور : المرجع السابق : ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

٤٢ - راجع : ناصر خسرو ، عرض وتحقيق سفرنامه في تراث الانسانية : مجلد :
٣ ج ٨ : ص ٦٥٣ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق :
ص ١٣٤ .

٤٣ - ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى بلاد افريقية والمغرب : ج ١ : ص ١١ .

٤٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ص ص : ٤١ - ٤٦ .

٤٥ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ ، وانظر أيضا : محمد
جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص ١٣٤ ، دولة بني قلاوون في مصر : ص ٣٠٩ ،
سعيد عاشور : المرجع السابق : ص ٢٨٢ ، توفيق عبد الجواد : المرجع السابق : ج ٣
ص ٢٢٤ .

٤٦ - دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية : تأليف س . د . جوتاين
وتعريب عطية القوصي : ص ١٨٥ (عن المقد) ، ص ١٧٠ (عن عدد العمال) ، ص ١٧٩
(عن حالات المشاركة) .

٤٧ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٧ ، زكي حسن : كنوز الفاطميين :
ص ١٨٨ ، فنون الاسلام : ص ص ٥٩٢ - ٥٩٨ ، سعيد عاشور : المرجع السابق :
ص ٢٨٣ ، نقولا زيادة : مدن عربية : ص ١٠٠ .

٤٨ - انظر أيضا : زكي حسن : اطلس الفنون الزخرفية : ص ٢٥١ (شكل ٧٤١) ،
فنون الاسلام : ص ص : ٥٩٢ - ٥٩٨ (الاشكال من ٤٨٨ - ٤٩٠) ، توماس ارنولد :
المرجع السابق : ص ٢١٤ ، وكلها اشكال تمثل كنوسا واباريق من البلور الصخري
مما عرف بعضه تجاوزا بكنوس القديسة هديج ، وكانت هذه الكؤوس والاباريق تزخرف
بطريقة القطع في اشكال طيور وحيوانات وعناصر أخرى نباتية من شجر الحياة والمراوح
النخيلية وغيرها من الاشكال التي تدل على براعة الفنان وقدرته ومدى تحكمه .

٤٩ - راجع ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٦٠ وانظر أيضا : محمد جمال الدين
سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ٣٠٧ ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق
(لنفس المؤلف) ص ١٣٩ .

٥٠ - انظر أيضا : الحسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٢٥ .

٥١ - الحسن بن عمر : آثار الأول في ترتيب الدول : ص ١٦٥ .

٥٢ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٨ .

٥٣ - ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، وانظر أيضا : راشد البراوي :
المرجع السابق : ص ١٧٨ .

٥٤ - المقرئ : الخط ج ٢ ص ٨ ، السلوك : مجلد ٣ ق ٢ ص ٥٩٦ ، وانظر
أيضا : راشد البراوي : المرجع السابق : ص ص ١٧٧ - ١٧٨ .

٥٥ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ : ص ص ٤١ - ٤٦ ، ١٠٨ وانظر أيضا :
خليل خومط : الدولة المملوكية : ص ١٦٣ .

- ٥٦ - جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها في الترفى العالمى : ص ٣٨٧ - ٣٨٩ .
- ٥٧ - راجع : ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٤١ - ٤٦ وفيها يذكر من عنده
الاسماء اليهودية « مطبخ ابراهيم بن المشنقض اليهودى » ، « مطبخ ابن المشنقض اليهودى
(آخر) » ، « مطبخ سعيد اليهودى » .
- ٥٨ - ص ١٨٤ : جوتاين : المرجع السابق : ص ١٨٤ .
- ٥٩ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٧ .
- ٦٠ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ .
- ٦١ - ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة : ص ١٣٣ .
- ٦٢ - راجع : المقدسى : المصدر السابق : ص ٣٣٣ ، وانظر أيضا : الحضارة الاسلامية
في القرن الرابع الهجرى تأليف آدم متز وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة : ج ٢
ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .
- ٦٣ - المقرئى : السلوك : مجلد ٣ ج ٢ ص ٤٨٦ .
- ٦٤ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ .
- ٦٥ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٣٣ .
- ٦٦ - ص ١٦٦ : جوتاين : المرجع السابق : ص ١٦٦ .
- ٦٧ - حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ١٢ - ١٣ .
- ٦٨ - ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ .
- ٦٩ - ابن دقماق : المصدر السابق : ص ١٠٨ .
- ٧٠ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٣٣ .
- ٧١ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ وانظر أيضا : راشد البراوى :
المرجع السابق : ص ١٨٣ - ١٨٤ .
- ٧٢ - عبد الله حسين : الدولة الاسلامية (تاريخها وحضارتها) ص ٣٩ .
- ٧٣ - جلال مظهر : المرجع السابق : ص ٣٨٢ - ٣٨٦ ، أبو زيد شلبى :
المرجع السابق ص ٣٠٧ .
- ٧٤ - محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق : ص ١٣٥ - ١٣٤ .
- ٧٥ - مثل : ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، ابن دقماق : المصدر
السابق : ص ١٠٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ وانظر أيضا : عبد الله
حسين : المرجع السابق : ص ٣٩٣ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٦٠ - ١٦١ .
- ٧٦ - الثعالبي : لطائف المعارف : ص ١٢٦ ، محمد جمال الدين سرور : المرجع
السابق : ص ١٣٤ .
- ٧٧ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ ، وراجع أيضا الكندى : فضائل
مصر : ص ٦٩ ، الثعالبي : المصدر السابق : ص ١٢٦ ، وانظر أيضا : نقولا زيادة :
المرجع السابق : ص ١٠٤ . محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ١٣٤ ، آدم متز :
المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

٧٨ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٧ - ١٠٨ .

٧٩ - س . د . جوتايين : المرجع السابق : ص ص : ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧٩ وانظر ايضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ٣٨٣ - ٣٨٥ (الأشكال من ٦٢٩ - ٦٣٥) وتمثل كلها جلود كتب مزخرفة من مصر تنسب الى الفترة بين القرنين (٣ - ٩ هـ / ٩ - ١٥ م) .

٨٠ - من أمثلة النعال التي لازالت محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مما عثر عليه فى الفسقاط الحذاء المسجل برقم (٦٠٦٧٩) ، وانظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٤٥٠ - ٤٥١ .

٨١ - هذه المجموعة مثبتة على اللوحة رقم (٢) بالقاعة رقم (١٩) من المتحف المشار اليه .

٨٢ - مثل : ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ص ١٠٨ ، السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٥ .

٨٣ - فى القاعة رقم (١١) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة نجد العديد من التحف المعدنية المملوكية التى تدل دلالة قاطعة على رقى هذه الصناعة التى أنشئت فى الفسقاط ثم تطورت وازدهرت فى القاهرة بعد أن خربت الفسقاط تماما وتحول الناس عنها بما فى ذلك الصناع وأرباب الحرف .

٨٤ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ١٣٣ - ١٣٤ .

٨٥ - انظر أيضا زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ٢٤١ - ٢٤٢ .

٨٦ - يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ببعض هذه التماثيل المعدنية الفاطمية التى تمثل الأسود والظباء والأرانب وغيرها مما عثر عليه فى أطلال الفسقاط ، ومن أهم هذه المجموعة الأسد المسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٤٥٠٥) والأرنب المسجل تحت رقم (١٤٤٨٧) ، انظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : الأسد : ص ٥١٤ (شكل ٤١٩) والظبي : ص ٥١٥ (شكل ٤٢٠) والأرنب : ص ٥١٥ (شكل ٤٢١) ، (شكل ٤٥٥) ص ١٤٩ من الأطلس .

٨٧ - هذا التمثال محفوظ ضمن مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ومسجل تحت رقم (٦٩٨٣) وانظر عنه أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ١٤٨ (شكل ٤٤٩) .

٨٨ - يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بكثير من هذه التحف التى وردت أشكالها فى كثير من كتب الفنون العربية الاسلامية مثل الباب الخشبي المصفح بالنحاس المخزم الذى يحمل كتابة تاريخية باسم الامير - سبقر (أحد مماليك السلطان قلاوون) المتوفى (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) والمشار اليه فى كتاب : فنون الاسلام : ص ٥٥٢ (شكل ٤٥١) ، رقبة الشمعدان المشار اليها فى ص ٤٥٤ (شكل ٤٥٣) والمقلعة المشار اليها فى ص ٥٥٧ (شكل ٤٥٤) ، والعلبة الصغيرة المشار اليها فى ص ٥٥٨ (شكل ٤٥٥) والثريا المشار اليها فى ص : ٥٥٩ (شكل ٤٥٦) والخوذة المشار اليها فى ص : ٥٦١ (شكل ٤٥٨) وغيرها . كما تحتفظ المتاحف العالمية بكثير من هذه التحف أيضا مثل صندوق

المتحف المحفوظ في القسم الاسلامي بمتحف برلين والمشار اليه في ص : ٥٦٠ (شكل ٤٥٧) من الكتاب المشار اليه .

٨٩ - س . د . جوتايين : المرجع السابق : ص ص : ١٦٤ . ١٧٩ .

٩٠ - أنظر عن هذا الفرص : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢٤٥ (شكل ١)
عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٧ .

٩١ - أنظر أيضا : زكى حسن : المرجع السابق : ص ٢٤٨ ، فنون الاسلام ٥٢٢ ،
عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٨ .

٩٢ - توماس أرنولد : المرجع السابق : ص ص : ١٧٨ - ١٧٩ .

٩٣ - س . د . جوتايين : المرجع السابق : ص ص : ١٧٦ - ١٧٩ وراجع أيضا :
ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ .

٩٤ - ابن سعيد : نفس المصدر : ج ١ ص ١١ ، كذلك يجد الزائر لمتحف الفن
الاسلامي بالقاهرة على لوحات الجانِب الأيسر بالقاعة رقم (١٧) قطعا من المنسوجات التي
ترجع الى ما قبل القرن (٩ هـ / ١٥ م) وأغلبها من صناعة مصر مما عثر عليه في حفائر
المتحف بمنطقة القسطنطينية . أنظر أيضا : محمد مصطفى : دليل موجز متحف الفن الاسلامي :
ص ٨٠ .

٩٥ - البلاذري : المصدر السابق : ص ٢٢٢ وأنظر أيضا عن بابيلون : ياقوت :
معجم البلدان : ج ١ ص ٣١١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ٢٩٦ .

٩٦ - ابن سيده : العقد الفريد : ج ١ ص ٤٦ وأنظر أيضا : آدم متز : المرجع
السابق : ج ٢ ص ٣٥٢ .

٩٧ - ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار : ج ١ ص ٢٣٤ .

٩٨ - حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ٩ .

٩٩ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٣٠٨٤) وأنظر أيضا مصطفى حسين : دراسات
في تطور فنون النسيج والطباعة : ص ٢٤٧ ، زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية ص ص :
١٨٤ - ١٨٧ (الأشكال من ٥٥٨ - ٥٦٧) وهي منسوجات مصرية من صناعة القسطنطينية
وترجع الى الفترة فيما بين القرنين (١ - ٣ هـ / ٧ - ٩ م) بعضها أشرطة من نسيج
الصوف على النمط القبطي ، وبعضها أشرطة من نسيج الكتان ، وبعضها أشرطة من نسيج
الصوف والكتان ، وأهم هذه القطع جميعا قطعة مسجلة بمتحف الفن الاسلامي تحت رقم
(٩٤٣٩) باسم الخليفة العباسي المتوكل على الله وتعد أقدم ما وصلنا من المنسوجات
العباسية المطرزة مما كان يصنع في القسطنطينية . أنظر هذه القطعة أيضا في (شكل ٥٨٣)
ص ١٩٣ من الاطلس .

١٠٠ - عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ص ٩٦ - ٩٧ ، مصطفى حسين :
المرجع السابق ص ص ٤٧ ، ٥١ .

١٠١ - توماس أرنولد : المرجع السابق : ج ٢ ص ص ٦١ - ٦٢ ، ٢٠٠ ، محمد
جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٢٩٦ .

١٠٢ - هو الناقد ابراهيم بن موسى بن ميمون رئيس التجمع اليهودي بمصر حينذاك
وقد توفي سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) .

١٠٣ - س . د . جوتلين : المرجع السابق : ص ص : ١٧٩ - ١٨٠ .

١٠٤ - نفس المرجع : ص ص : ١٦٦ - ١٦٧ .

١٠٥ - محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ص ص : ٥٩٦ - ٥٩٧ .

١٠٦ - س . د . جوتلين : المرجع السابق : ص ١٧٠ .

١٠٧ - زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣٩٧ ، عبد الرحمن زكى : المرجع السابق

ص ٩٦ . عفيفى بهنسى : المرجع السابق : ص ٢٠٦ .

١٠٨ - ومن هذه القطع التى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى خمس وأربعون قطعة
تبدأ تواريخها من سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) وتنتهى بسنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) تقول
كتابات بعضها أنها عملت فى طراز الخاصة وتقول كتابات بعضها الثانى أنها عملت فى
طراز العامة بينما تقول كتابات بعضها الثالث أنها عملت فى طراز مصر (ولم تزد)
ويشتمل بعض هذه القطع على أسماء الخلفاء الذين صنعت لهم هذه القطع وكذا أسماء
عمال الطراز وصناع الطراز وأرقام سجل هذه القطع على التوالى هو : (١٠٤٥٢ ،
١١٤٨٣ ، ١٠٣٠٣ ، ١٠٣٦٩ ، ١٠٧٠٩ ، ١٠١٤٢ ، ٨٤٣٣ ، ٨٢٦٩ ، ١٠٥٢٢ ، ١٠٦٢١ ،
٣٩٥٠ ، ١٠٧٤٥ ، ١٠٢٦٨ ، ١٠٧٣٣ ، ١٠٢٨٦ ، ١٠٦٨٩ ، ١٠٥٧٦ ، ٩٣٨٨ ،
١٠٧٠٤ ، ١٠١١٧ ، ١٠٠٩١ ، ١٠٦٦٨ ، ١٠٢٨٧ ، ١١١٠٧ ، ١١٦٧٨) . راجع عن هذه
القطع أيضا :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe

Tome 3, p. 29 No. 843, p. 219, No. 906 A, p. 174,
No. 1114, p. 67 No. 914, Tome : 4 p. 64, No. 1331, p. 125,
No. 1457, Tome 5 p. 25 No. 6 1666, Tome : 4, p. 189, No.
1570, p. 43 No. 1285, Tome : 2 p. 97, No. 957, p. 105, No.
981 p. 115 No. 1000, p. 122, No. 1013, pp. 122-3 No. 1914, p. 129
No. 1047 p. 161 No. 1039, p. 168 No. 1101, p. 178,
No. 1014, p. 139 No. 1047, p. 161, No. 1255, p. 28 No. 1260
p. 74, No. 1855 p. 123 No. 1453, Tome : 5 p. p. 3-4, No. 1608,
p. 96, No. 1822, p. 133, No. 1886.

يضاف الى ذلك خمس قطع أخرى غير محددة التاريخ تقول كتاباتها أنها صنعت كلها
بمصر (الفسطاط) الأولى باسم الأمين والثانية باسم القاهر والثالثة باسم المطيع
والخامسة بلا أسماء ، وأرقام هذه القطع على التوالى هي : (٣٠٨٤ ، ١١٤٩٠ ، ٩٧٨٤ ،
١٠٨٣٧ ، ١٠٥٥٣) راجع أيضا عن هذه القطع الخمس :

Ibid : Tome, 1, p. 7٤, No. 95, Tome : 4 p. 21, No. 1246, Tome :

4 p. 42 No. 1282, Tome : 5-p.p. 21-2, No. 1642, Tome : 5, p. 21, No. 1641.

ومن هذه القطع أيضا قطعتان باسم المعز لدين الله الفاطمى أولاهما تحمل رقم سجل
(٨٩٣٤) وثانيتهما تحمل رقم (٩١٦٠) وقد عثر على هاتين القطعتين فى حفائر المتحف
التي أجراها فى عين الصيرة بالفسطاط . راجع عنها كذلك : زكى حسن : كنوز
الفاطميين ص ١٢٤ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ٨٦ ، م . س . ديمان / المرجع
السابق : ص ٢٥٢ .

١٠٩ - راجع عن بعض هذه القطع :

Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe : Tome : 2, p.p. 138-9, No. 597, 180 No. 656, 249, No. 758, 252 No. 763, 269, No. 793, Tome : 3, p.p.g. No. 814, 16, No. 826, 22, No. 838, 39, No. 864, 41 No. 868, 48, No. 882, 51-2 No. 888, 91-2 No. 958, 92, No. 959, 106, No. 983.

١١٠ - هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاسها (١٨ ر × ٦ م) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط وهي محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة تحت رقم (٧٠٨٥) راجع أيضا :

Ibid : Tome : 2, p. 138, No. 597.

١١١ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٣٨٧) وهي من نسيج الكتان وطولها (١٩ م) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط . راجع عنها أيضا :

Repe.: Chro. d'epigraph. Arabe, Tome : 3, p. 48 No. 882.

١١٢ - راجع عن هذه القطع الست :

Ibid : Tome 2 p. 200 No. 635, 235, No. 736, 261, No. 779, 275 No. 476, Tome, 3 p.p. 59, No. 900, 60 No. 901.

والحق أن مجموعة تانو تشتمل من منسوجات القمطاط بالإضافة الى هذه القطع الست على تسع عشرة قطعة أخرى ، منها قطعة باسم المكتفي بالله تاريخها (٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) وقطعتان باسم الفاهر بالله غير محددي التاريخ ، وسبع قطع باسم المقتدر بالله تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٤ م) وقطعة باسم الراضى بالله غير محددة التاريخ ، وخمس قطع باسم المتقي لله تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) وثلاث قطع باسم المطيع لله تاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) . راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid : Tome : 3, p. 218 No. 848A Tome 4, p. 24, No. 1253, p. 25, No. 1254, p.p. 9-10 No. 1224, Tome : 3, p. 165, No. 1095, p.p. 107-8, No. 987, p. 130, No. 1028 p. 144, No. 1058, Tome : 4, p. 16 No. 1237, p. 11, No. 1227, p. 45, No. 1290, p.p. 78-9 No. 1365, p. 79, No. 1366, p. 76, No. 1359, p. 77, No. 1361, p. 79, No. 1367, Tome : 5, p. 79, No. 1787, Tome : 4, p. 191, No. 1576, p. 180, No. 1555.

١١٣ - هذه القطعة من نسيج الكتان وطولها (٢١ ر) م وكتابتها بالخط الكوفي البسيط . أنظر عنها أيضا : -

Ibid : Tome 2 p. 200 No. 685.

١١٤ - هذه القطعة من نسيج الكتان وطولها (٢٧ ر) م وكتابتها بالخط الكوفي البسيط . أنظر عنها أيضا :

Ibid Tome 3, p. 60 No. 901.

١١٥ - راجع عن هذه القطع الثلاث :

Ibid : Tome 3, p. 63 No. 907, 117, No. 1004, p. 103 No. 1839.

السابق : ص ٢٥٢ .

كذلك يحتفظ متحف بناكى فى اثينا بالاضافة الى القطع الثلاث المشار اليها من منسوجات
الفسطاط بثلاثة عتبر قطعة أخرى تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) الى سنة ٣٢٤ هـ /
٩٣٥ م) تشتمل من أسماء الخلفاء العباسيين المستكفى بالله . . المقندر بالله ، الراضى بالله راجع
عن هذه القطع أيضا : -

Ibid . Tome : 4. p. 102, No. 1411, Tome : 5. p. 66. No. 1752,
Tome : 2 p.p. 92-3 No. 966. p. 101 No. 975. p. 123 No. 1015,
p. 129. No. 1026. p. 142. No. 1054 p. 145. No. 1060. p. 149.
No. 1068. p. 168, No. 1102, Tome : 4. p. 32 No. 1266., p. 47. No.
1294.

١١٦ - هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٦٠ ر × ٣٢ م) وتشتمل على
سطين بالخط الكوفى البسيط . انظر عنها أيضا :

Ibid : Tome. 3. p. 63 No. 907.

١١٧ - هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٢٦ ر × ١٨ م) وكتابتها بالخط
الكوفى البسيط . انظر عنها أيضا :

Ibid Tome 2, p. 264, No. 784.

وهناك قطعة أخرى من منسوجات الفسطاط فى متحف برلين باسم الراضى بالله
ووزارة أبى الفضل جعفر تقول كتابتها أنها عملت فى طراز الخاصة بمصر سنة ٣٢٣ هـ /
٩٣٤ م . راجع عن هذه القطعة أيضا :

Ibid, Tome. 4 p.p. 206-7, No. 1260 A.

١١٨ - هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٤٣ ر × ٢٧ م) وكتابتها بالخط
الكوفى البسيط : انظر عنها أيضا :

Ibid : Tome : 3, p. 58 No. 898.

والحق أن مجموعة أبيمايور تشتمل بالاضافة الى القطعة المشار اليها من منسوجات
الفسطاط على قطعتين أخريين احدها باسم المتقى لله وتاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
وثانيتهما باسم المطيع لله وتاريخها (٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) . راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Ibid. Tome : 4. p. 78 No. 1364, p. 111. No 1430:

١١٩ - راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid. Tome 4, p. 75 No. 1357, No. 1358, p. 82 No. 1373, p. 99.
No. 1406, p. 108, No. 1423, 188. No. 1568.

١٢٠ - قطعة متحف الفن الاسلامى محفوظة تحت رقم (١٠٧٥٨) وطولها (٣٧ ر) م
وقطعة متحف بناكى طولها (٣٢ ر م) وقطعة مجموعة تانو طولها (٣٠ ر م) . راجع عن
هذه القطعة أيضا :

Ibid : Tome 3, p. 69 No. 919, p. 141, No. 1052, p. 136, No. 1039.

١٢١ - زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص ٤٤٧ - ٤٤٨ ، الفن الاسلامى فى
مصر : ص ص ٢٩١ - ٣٨٠ .

- ١٢٢ - أنظر أيضا نماذج أخرى من الاخشاب المزخرفة بطريقة الحفر المائل في :
ركى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص : ١٠١ (الأشكال من : ٣١٥ - ٣٢٠) وسجل
ثلاثة ألواح مزخرفة بالحفر المائل من الطراز العباسي بمصر في نهاية القرن (٣ هـ / ٩ م)
ويحتفظ بها متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة .
- ١٢٣ - المقریزی : الخطط : ج ١ ص ص : ٢٣١ - ٢٣٣ وأنظر أيضا : زكى
حسن : الفن الاسلامی فی مصر : ص ٩١ ، أنور الرفاعی : المرجع السابق : ص ١٦٥ .
- ١٢٤ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .
- ١٢٥ - س . د . جوتائين : المرجع السابق : ص ١٦٤ .
- ١٢٦ - فريد شافعى : الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي (مجلة كلية الآداب ح
القاهرة مجلد ١٤) ج ٢ ص ص ٦٨ - ٧٢ وأنظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون
الزخرفية ص ٩٤ (شكل ٢٩٦ - ٢٩٧) .
- ١٢٧ - زكى حسن : نفس المرجع : ص ٩٧ (شكل ٣٠٤ ، ٣٠٥) وهما يمثلان
لوحان من الخشب مزخرفان بطريقة الفسيفساء وينسبان الى مصر في القرن (٣ هـ / ٩ م) .
- ١٢٨ - نفس المرجع : ص ٩٨ (شكل ٣٠٦) ويمثل قطعة من خشب مزخرف بطريقة
المعجون وقطع العظام . يحتفظ بها متحف الفن الاسلامی بالقاهرة وتنسب الى مصر في
القرن (٣ هـ / ٩ م) .
- ١٢٩ - زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ ، نعمت علام : المرجع السابق :
ص ٩٠ ، م . س . ديماندي : المرجع السابق : ص ١٣٢ .
- ١٣٠ - عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٧ ، زكى حسن : فنون الاسلام :
ص : ٤٩٣ .
- ١٣١ - رقم سجل (٥٠٢٤) وأنظر أيضا : م . س . ديماندي : المرجع السابق
ص ١٣١ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢٢٥ .
- ١٣٢ - راجع في ذلك المقریزی : الخطط : ج ٣ ص ١٧ ، وأنظر أيضا : سعاد
ماهر : البحرية في مصر الاسلامية : ص ٣١٥ ، أبو زيد شلبی : المرجع السابق :
ص ١٦٦ .
- ١٣٣ - المقریزی : السلوك : مجلد ١ قسم ١ ص ٧٤ .
- ١٣٤ - المقریزی : الخطط : ج ٢ ص ١٨٩ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الاسلامية : ج ١ ص ص : ٢١٩ - ٢٢٠ .
- ١٣٥ - جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامی : ج ١ ص ١٥٩ .
- ١٣٦ - المقریزی : السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٣ وأنظر أيضا : السيد
عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ٢٢٠ .
- ١٣٧ - المقریزی : الخطط : ج ٢ ص ١٩٤ .
- ١٣٨ - المقریزی : نفس المصدر : ج ٢ ص ١٩٥ ، السلوك : ج ١ قسم ٣ ص ٢٨ .
- ١٣٩ - المقریزی : الخطط : ج ٢ ص ١٩٧ ، وأنظر أيضا : سعاد ماهر : المرجع
السابق : ص ٣١٥ .
- ١٤٠ - عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ - ٣١ .
- ١٤١ - راجع أيضا : المقریزی : الخطط : ج ٢ ص ٢٦١ .

الفصل الثاني

مدينة القاهرة

مدينة القاهرة كما ذكرها ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) هي المدينة التي « استحدثها المغاربة بظاهر مصر ، استحدثها جوهر صاحب أهل المغرب عند دخوله الى مصر بجيشه وشمله وحاشيته ، وقد أحرق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما بنى بها ، وهي خالية كأنها تركت محالا للسائمة عند حصول خوف وبها ديوان مصر ومسجد جامع حسن نظيف » (١٤٢) ، وقد أشار اليها ناصر خسرو في القرن (٥ هـ / ١١ م) بقوله « أنها أول ما يواجه القادم من الشام الى مصر لأنها تقع جنوب النيل مما يلي الشام » (١٤٣) ، ثم جاء كل من القزويني ورياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) فرصفها الأول بقوله « وهي المدينة المشهورة بجانب الفسطاط بمصر يجمعها سور واحد وبها دار الملك » (١٤٤) ، وأكد الثاني على ذلك الا أنه أضاف بأنها « أطيب وأجمل مدينة رآها لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها » (١٤٥) كما وصفها ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) بأنها قاعدة الوجه البحري ودار المملكة » (١٤٦) أما المقريزي فقال « أنها رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة الاسلامية لأن الامارة كانت أولا بمدينة الفسطاط ثم صارت الى العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة فيها الى أن خربت فسكن الأمراء بالعسكر حتى قدم جوهر الصقلي بعساكر مولاه المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا ، وصارت المدينة دار خلافة ينزلها الخليفة بجرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم بنو أيوب حتى عهد الملك الكامل محمد الذي انتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فصارت القاهرة من ثم مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به فهانئ بعد العز وابتذلت بعد الاحترام » (١٤٧) .

وقد اختط جوهر الصقلي أساس القاهرة يوم السبت لسبت بقيين من جمادى الآخرة سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م) بعد استيلائه على مقاليد

الأمور في مصر بعام ، وجعل موضعها فيما حازه السور الحجري الذي طوله من بابي زويلة جنوبا الى باب الفتوح وباب النصر شمالا وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة غربا الى باب البرقية والباب المحروق شرقا ، ومعنى ذلك أن الموضع الذي بنيت فيه القاهرة كان يحده جبل المقطم شرقا والخليج الناصري غربا ، بينما يحده الخط الممتد من ميدان باب الخلق الى جبل المقطم مارا بباب زويلة جنوبا والخط الممتد من ميدان باب الشعرية الى باب الفتوح فباب النصر فجبل المقطم شمالا (١٤٨) ، وأدار عليها جوهر القائد سورا من اللبن بنى من داخله جامعا سمي بالجامع الأزهر وقصرا سمي بالقصر الشرقي الكبير واختطت القبائل من حولهما خططها فاخطت زويلة الحارة المعروفة بها ، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية ، واختطت الروم حارتين هما حارة الروم البرانية وحارة الروم الجوانية قرب باب النصر الى غير ذلك من الاخطاط .

ولم يكن القصد من بناء المدينة أن تكون عاصمة للدولة وبيتا لكل سكان مصر ، بل قصد أن تكون سكنا خاصا للخليفة وحرمة وجنده وخواصه بغيرها عن مصر الفسظاط وامتداداتها من العسكر والقطائع مما كان مكتظا بمختلف طبقات الشعب من العمال والصناع والحرفيين ونحوهم ، فكانت لذلك مدينة ملكية عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء ومسكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن السلاح ونحو ذلك (١٤٩) . ولهذا بقيت المدينة فترة من الزمن لايسمح لقاطني مصر بدخولها الا باذن حتى كان عهد المستنصر بالله فسمح وزيره أمير الجيوش بدر الجمالي للناس جميعا من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر فيها ما شاء من الأبنية والمسكن مما خلا مصر (١٥٠) . والغريب في ذلك ما ذكره صاحب كتاب « الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي » في معرض حديثه عن تأسيس القاهرة والجامع الأزهر حين قال أن من الظواهر المعروفة في مصر منذ القدم بمناسبة اعتلاء أسرة جديدة لعرش الفراعنة - بناء المعابد لنشر الدعوة للحكام الجدد ، فحيثما تقم العاصمة الجديدة يقم في وسطها مقر الحاكم ثم المعبد وتقام من حولها خطط المدينة الحديثة (١٥١) ، وقد حاول بذلك هذا الباحث أن يربط بين تأسيس القاهرة وجامعها الأزهر وقصور خلفائها وأخطاط قبائلها بهذه العادة الفرعونية التي لانستطيع تأكيدها أو نفيها ، ولا ندرى كيف نسي صاحب هذا الرأي ما درج عليه العرب في فتوحاتهم جميعا تأسيسا بما فعله رسول الله (ص) عندما هاجر الى المدينة - من انشاء المسجد الجامع وسط المكان الذي اختاروه لمقامهم

فى البلد النى فتحوها ثم توزيع الاخطاط بين القبائل المصاحبة للفتح حول هذا المسجد ليكون بيت الله هو محور حركتهم الادارية والعسكرية والقضائية والعلمية والدينية ونحوها فى مدينتهم الجديدة ، وكذا كان الحال فى كل عاصمة عربية اسلامية أسسوها قبل القاهرة مثل الفسطاط والعسكر والقطائع فى مصر ، والقىروان والمهدية فى تونس ، وبغداد والكوفة والبصرة فى العراق وغيرها ، ومن غير المعقول أن يترك العرب سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ويتبعوا منهجا فرعونيا لا صلة ولا اعتقاد لهم به .

وعلى أية حال فقد كان قيام القاهرة هو آخر مرحلة فى خطط مصر الاسلامية ، اذ لم تنشأ بها بعد ذلك عواصم أخرى ، بل انه لم يمض على انشائها جيل واحد حتى اتسعت جنباتها ونمت أطرافها فاتصلت بمصر الفسطاط وامتزجت المدينتان وتداخلتا وصارتا تكونان معا مدينة من أكبر وأعظم مدن الاسلام (١٥٢) .

وقد اشتملت القاهرة كما ذكر المقرئى على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والخوانيت والمطابخ والشئون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات مما كان متصلا بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل المقطم (١٥٣) .

وكان من نتيجة ذلك كله أن نمت المدينة من الناحية العمرانية نموا هائلا (١٥٤) سرعان ما صاحبه نمو أنشطة حرفية صناعية كثيرة أنشئت لها أسواق مختلفة كانت مسمياتها مبعث حيرة كبيرة للباحثين زادها تعقيدا أن المصادر العربية لم تحدد ما اذا كان اسم السوق مشتقا من صناعة السلعة المشار اليها فيه أم من عملية بيعها أو المتاجرة فيها ، أم مشتقا من كليهما معا (١٥٥) ، يدل على ذلك مثلا أن سوق الامشاطيين كان يمكن أن يعنى بهذا المفهوم ورش صناعة الامشاط أو محلات بيعها أو يعنى الاثنين معا وهكذا .

ومع ذلك فالذى لا شك فيه أن القاهرة كانت قد أصبحت بعد قرن واحد من عمر الزمن على الأكثر مركزا عمرانيا هاما سرعان ما أسست فيه حياة مجتمع كامل بكل طبقاته ومتطلباته ، فانتشرت فى أرجائه أنشطة حرفية وصناعية مختلفة نوجزها فيما يلى :

١ - صناعة المعادن والحلى :

الواقع أن صناعة المعادن بمختلف أفرع حرفها كانت من أكثر الصناعات رواجاً وازدهاراً في مدينة القاهرة ، يدل على ذلك أولاً تلك المخلفات الأثرية العديدة التي لازالت محفوظة في كثير من المتاحف المحلية والعالمية ، ويدل عليه ثانياً ماورد في هذا الصدد من كتابات تاريخية كثيرة فيما لدينا من مصادر ومراجع .

فمن الناحية الأثرية مثلاً هناك شمعدان من النحاس المكفت بالفضة لا يزال محفوظاً بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (انظر شكل : ٦٢ ، ٦٣) تزيينه جامات بها صور أشخاص فى مناظر صيد وشراب وأمير جالس على عرش وغير ذلك ، ويحيط بأسفل رقبتة كتابة تنص على أنه « من نقش على بن حسين بن محمد الموصلى بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانين وستمائة » (١٢٨٢ م) (١٥٦) ومن هذا النص الصريح نستطيع القول فى ثقة واطمئنان أن القاهرة كانت بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) هى دوائى صناع المعادن المواصله الذين هربوا من وجه هذا الطوفان ، فجاء اليها كثير من هؤلاء الصناع ناقلين معهم أسلوب مدرستهم بالموصل التى كانت شهرتها فى مجال صناعة المعادن عموماً قد طبقت العالمين العربى والاسلامى .

ولعل فيما لم نشر اليه من محتويات متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من تحف معدنية كثيرة تتمثل فى بعض التماثيل الحيوانية كالأسد والظبي والأرنب ونحوها ، وفى الشماعد والتنانير والثريات (أنظر شكل : ٦٤) والمرايا وكراسى العشاء والصناديق (انظر شكل ٦٥) والأواني والأباريق والأسلحة والدروع والطاسات (أنظر شكل ٦٦) والزرد والأبواب المصفحة برقائى النحاس المفرغ والمنقوش وغيرها من قطع الحلى كالأساور والخواتم والأقراط مما صنع بعضه فى الفسطاط وبعضه فى القاهرة منقوشاً أو مطلياً بالمينا أو مكفتاً ، لعل فى ذلك كله خير شاهد على مدى ما وصلت اليه هذه الصناعة فى القاهرة خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية (١٥٧) .

يؤيد ذلك أيضاً مما صنع فى القاهرة خلال القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) مجموعة من التحف المعدنية المكفتة بالذهب والفضة ، منها قمقم من النحاس المكفت (انظر شكل ٦٧) عليه زخارف نباتية وكتابة نسخية باسم السلطان الناصر حسن بن قلاوون الذى تولى

السلطة فى سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) (١٥٨) ، ومنها زهرية نحاسية مكفتة بالذهب والفضة (انظر شكل : ٦٨) عليها أشرطة من زخارف نباتية متناهية الدقة وكتابة نسخية باسم الأمير طشتمر الساقى (ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م) تتخلل كتابتها ثلاثة رنوك بكل منها رسم نسر ناشرا جناحيه وواقفا على كأس (١٥٩) .

هذا عن الأدلة المادية التى تؤكد ممارسة صناع القاهرة لمختلف الصناعات المعدنية ، أما عن الناحية التاريخية فيذكر لنا المقرئى فى حديثه المسهب عن أسواق القاهرة خلال القرن (٩ هـ / ١٥ م) مامعناه أن سوق الكفتين كان الموضوع الذى يشتمل على كثير من التحف المعدنية المكفتة (بالذهب والفضة) وغير المكفتة (١٦٠) ، وأن بعض الورش فى سوق السروجيين كانت قد تخصصت فى بيع المهاميز واللجم والسروج المكفتة أيضا (١٦١) .

ويبقى مع ذلك ونحن نتحدث عن صناعة المعادن فى القاهرة أن نشير الى سوق السلاح الذى كان يمتلئ بمختلف أنواع الأسلحة والدروع والحرايب والزرد والخوذات والسيوف وبلط القتال ونحوها مما كان ينقش ويكفت ، وقد أشار المقرئى الى أن موقعه كان فيما بين المدرسة الظاهرية ببيرس وباب قصر بشتاك ، وقد استحدث فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين (١٦٢) . وسوق السيوفيين الذى خصص لمختلف أنواع السيوف ، وسوق الخراطين ويسلك فيه من مسوق المهامزين الى الجامع الأزهر وغيره ، وكان يعرف قديما بقصبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين ، وكان فيما بين دار العزب والوكالة الأمرية وبين المارستان ، ثم عرف على عهد المقرئى بسوق الخراطين ، وكان معدا لبيع المهاد التى يجرى فيها الأطفال ، وحوانيت الخراطين وصناع السكاكين والدوى ونحوها ، وكان يشتمل على خمسين حانوتا (أو ورشة) (١٦٤) ، وسوق المهامزين الذى اختص بعرض بدلات اللجم الفضية والمهاميز المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة ، وقد استجد هذا السوق بعد الدولة الفاطمية وأدركه المقرئى وهم يتخذون منه المهاميز (عاليها وسقطها) من الذهب الخالص والفضة الخالصة ، وقال أن بدلات اللجم التى كانت تباع فيه كانت تعمل من الفضة المموهة بالمينا تارة ومن الفضة المجراة بالذهب تارة أخرى فيبلغ زنة مافى البدلة من خمسمائة درهم فضة الى مادونها ، كذلك كان يباع بهذا السوق السلاسل والمخاطم الفضية والمطلية التى كانت تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة فيركب بها أعيان المقطعين وأكابر الكتاب

من القبط ورساء التجار . كما كانت تباع فيه أيضا الدوى والطرف
التي بها الفضة والذهب كسكاكين الأقلام ونحوها (١٦٥) ، وسبق
للحامين الذي ضم عدة حوانيت أو ورش للحام المعادن (١٦٦) .

ويزيدنا من الناحية التاريخية تأكيداً على ما ذكره المقرئ عن
صناعة المعادن وأسواقها في القاهرة ما جاء في كتاب وصف مصر بهذا
الخصوص ، فقد ورد في هذا الكتاب أن بالقاهرة يتركز كل ضرب من
ضروب الصناعات في حي خاص فنجد شوارع بأكملها لا يعيش فيها سوى
نحاسين ، وشوارع أخرى لا يعيش فيها سوى حدادين وهكذا ، وكان
هؤلاء وأولئك يصنعون من النحاس والحديد مختلف الآلات والأدوات (١٦٧) ،
ولعل في الورش المتبقية في خان الخليلي بحي الجمالية قريبا من الجامع
الأزهر مما لا يزال صناع المعادن يمارسون فيها مختلف التخصصات
الحرفية المعدنية من حفر ونقش وتكفيت خير الأدلة الشاهدة على صدق
هذه الحقيقة .

٢ - سك العملة :

كان من الضروري أن تكون بالقاهرة - كعاصمة للدولة -
دار للضرب تسك فيها واحدة من أهم شعارات الخلافة وهي السكة ، وقد
أشار إلى ذلك غير واحد من مؤرخي العصور الوسطى (١٦٨) ، ويفهم
مما أشار إليه هؤلاء أن هذه الدار كانت قد أنشئت في العصر الفاطمي
ثم استمرت بعد ذلك في أداء رسالتها خلال العصرين الأيوبي والمملوكي
حتى كانت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) كما قال ابن مماتي (٦٠٦ هـ /
١٢٠٦ م) « واحدة من دارين احدهما بالقاهرة المحروسة والأخرى
بالاسكندرية حماها الله » (١٦٩) إلى أن أصبحت في القرن (٨ - ٩ هـ /
١٤ - ١٥ م) كما أشار المقرئ (٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٤ - ١٤٤٢ م)
واحدة من أهم دور الضرب في العالم الاسلامي ، كما كان مسئولها واحدا
من أهم موظفي الدولة ، وفي ذلك يقول « وما زالت هذه الدار باقية في
جميع الدولة الفاطمية ، فلما استولى صلاح الدين على السلطة أقر هذه
الدار وجعلها وقفا على سنور القاهرة مع ما كان جاريا في أوقاف السور
من الرباع والنواحي الجارية في ديوان الأسوار » (١٧٠) .

وأهم من هذا كله أن لدينا من الأدلة المادية ما يؤكد وجود هذه
الدار بالقاهرة خلال الفترة المشار إليها ، فهناك مثلا دينار مؤرخ بسنة
(٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) باسم السلطانة الملكة شجرة الدر على هامشه
كتابة تقول « بعد البسطة » ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة

ثمان وأربعين وستمائة « (١٧١) ، ودينار مؤرخ بسنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) باسم السلطان الملك المنصور صلاح الدين حاجى الثانى خلال فترة حكمه الثانية ، على مركز ظهره كتابة تقول « ضرب بالقاهرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة » (١٧٢) ، ودرهم مؤرخ سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) باسم السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق على هامشه كتابة تقول « ضرب بالقاهرة سنة تسع وثمانين وسبعمائة » (١٧٣) وفلس مؤرخ بسنة (٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م) باسم السلطان الملك سيف الدين برقوق أيضا خلال فترة حكمه الأولى ، على ظهره كتابة تقول « ضرب بالقاهرة سنة خمس وثمانين وسبعمائة » (١٧٤) .

وبذلك يتضح أن دار ضرب القاهرة ظلت تقوم بدورها طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية - كما أشرنا - وكانت تضرب فيها كل العملات المعروفة حينذاك من الدينار والدراهم والفلس ومضاعفاتها ، ولعل استمرار هذه الدار فى عملها بمنطقة الجمالية بالقاهرة حتى اليوم خير شاهد على صحة هذه الأدلة جميعا .

٣ - صناعة النسيج والسجاد والصبغة :

على الرغم من أنه ليست لدينا أدلة مادية صريحة عن صناعة النسيج بمدينة القاهرة فى عصورها الاسلامية يعكس ما كان عليه الحال بالنسبة للفسباط مثلا ، فانه استنباطا مما جاء فى المصادر التاريخية والمراجع العربية يمكن القول بأن المدينة كانت قد اشتملت على الأقل منذ القرن (٧ هـ / ١٣ م) على عدد غير قليل من المناسج ، وقد سبقنا عند الحديث عن صناعة النسيج فى الفسباط الاشارة الى ما ذكره ابن سعيد فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وصادق عليه المقريرى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) من أن « جميع زى الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسباط » (١٧٥)

والواقع أن ما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى من قطع المنسوجات الفاطمية والمملوكية العديدة التى يرجع بعضها الى أواخر العصر الفاطمى (١٧٦) وتزيينه أشرطة زخرفية كثيرة تكاد تغطى السطح كله تخللها أسطر لكتابات دعائية بالخط النسخ الذى كان استعماله قد بدأ فى الشيوع على التحف الاسلامية المختلفة خلال تلك الفترة ، ويرجع بعضها الآخر الى العصر المملوكى (١٧٧) وتزخرفه كتابات نسخية وصور طيور وغزلان وعناصر نباتية وهندسية مختلفة ، كل ذلك يوحى بأنه كان لمدينة القاهرة من انتاج هذه المنسوجات الى جانب الفسباط نصيب ليس بالقليل (انظر شكل : ٦٩ ، ٧٠) .

ولعل فيما ذكره المقرئزى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) فى هذا الصدد خير شاهد على أن القاهرة كانت خلال العصر الفاطمى مركزا هاما لصناعة المنسوجات عامة والحريرية خاصة ، فقد أنشأ بها المعز لدين الله دار الكسوة وكانت تصنع فيها ثياب موظفى الدولة وكسوة الكعبة وخلع التشريف التى كانت تمنح للوزراء والأمراء والاشراف وكبار رجال الدولة ، وكذلك فقد أنشأ الفاطميون عدة مصانع لانتاج الأنواع الفاخرة من الثياب ، وكانت دار الديباج منذ عهد الأفضل شاهنشاه تنتج نوعا من الحرير عرف بالحرير الديباج (١٧٨) ، وقد حددها المقرئزى عند اصطبل الطارمة من غربيه حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وما جاورها من جانبها ، وقال أن أول من أنشأها هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، ثم سكنها اليازورى وغيره من الأمراء الى أن قدم بدر الجمالى من عكا واستوزره المستنصر ، فأنشأ داره تجاه حارة برجوان وسكنها ، فصارت هذه اندار بعد ذلك تعرف بدار الديباج لأنه كان يعمل فيها الحرير الديباج وتولاها الأوائل والأعيان ، فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكانها المدرسة السيفية (١٧٩) . ليس هذا فقط بل لقد أورد المقرئزى أن خزانة البنود التى بناها الظاهر لاعزاز دين الله كان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الأقمشة (١٨٠) .

وما تطور اليه الأمر بالنسبة لهذه الصناعة فى القاهرة خلال القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) ، طبقا لما ورد فى بعض المصادر العربية الموثوق بها يكاد يؤكد هذه الحقيقة ، وعن ذلك مثالا ما ذكره المقرئزى من أن القاهرة كانت قد اشتهرت بانتشار مصانع وحوانيت النسيج فى سويقة أمير الجيوش وسوق الجملون الصغير حيث كانت تصنع المنسوجات المتنوعة من الكتان والخام الملون وأنواع الطرح والأصناف القطنية المتعددة (١٨١) ، كذلك يذكر المقرئزى فى معرض حديثه عن أسواق القاهرة سوق الحريريين ، وكان موقعه من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين وقد عرف قديما بسويقة العداس ، ثم عمل صاغة للقاهرة ، ثم سكنه الاساكفة ، ثم عرف على عهد المقرئزى بسوق الحريريين الشراربين ، وقد حوى الكثير من المنسوجات الحريرية ذات الجودة العالية (١٨٢) ، وقد تأكد استمراره خلال القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٩٠٨ هـ / ١٤٠٦ م (١٨٣) .

كذلك فقد أشار المقرئزى ضمن ما أشار اليه من أسواق القاهرة الى سوق الشرابشين الذى اشتمل على الكثير من الخلع السلطانية التى

كانت تعمل فى غالب الأحيان من فاخر الثياب ، وقال أن هذا السوق مما أحدث بعد الدولة الفاطمية وكانت تباع فيه الخلع التى يهبها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم ، وأشار الى أن سبب تسميته بسوق الشرايشيين « ترجع الى أن السلطان كان اذا أمر أحدا من الأتراك البسه الشربوش ، وهو شئ يشبه التاج على شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ، ويلبس معه على قدر رتبته ثوب بخ أو طرد وحش أو غيره ، وقد بطل هذا الشربوش فى الدولة الجركسية (١٨٤) ، سوق الصوافين الذى كانت تعرض فيه المنسوجات الصوفية المختلفة (١٨٥) ، يضاف الى هذه الأسواق جميعا سوق الخييمين الذى كانت تصنع فيه طبقا لما جاء فى بعض المراجع العربية الخيم والفساطيط بجميع آلاتها من الأعمدة الملبسة بأنايب الفضة والحبال المكسية بالقطن والحريير والقماش المذهب ونحو ذلك (١٨٦) .

ومما ورد عن هذه الأسواق جميعا يمكن القول أن المنسوجات الحريرية.والكتانية والقطنية والصوفية كانت تصنع غالبيتها فى دور الطراز الخاصة والعامة التى انتشرت فى كثير من مدن مصر بالوجهين البحرى والقبلى (مما سنتكلم عنه بالتفصيل كل فى موضعه) ثم يؤتى بها للبيع فى أسواق القاهرة التى كانت قد اشتملت أيضا على عدد محدود من هذه الدور ، يؤكد ذلك أيضا ماورد فى كتاب « وصف مصر » فى معرض الحديث عن الصناعات والحرف فى المدن بشكل عام ، فقد جاء فيه أن مصانع الأقمشة الكتانية والقطنية والصوفية والحريرية كانت تنتشر فى كل أنحاء مصر « وقد امتلكت المدن الرئيسية عامة والقاهرة خاصة عددا من هذه المصانع كانت تعمل فيها أشغال الزركشة والخيوط الحريرية الممزوجة بخيوط الذهب والفضة كما كانت تصنع فيها الشرابات والاهداب ونحوها » (١٨٧) .

والذى لاشك فيه أن القاهرة كانت قد شهدت تطورا هاما فى صناعة النسيج والسجاد خلال عصر المماليك ، يؤيد ذلك أن الحكومة المملوكية كانت قد ساهمت فى سبيل النهوض بهاتين الصناعتين مساهمة تتجلى فى عنايتها بدور الطراز الخاصة التى كانت تديرها (١٨٨) ، ويؤيده أيضا ما جاء فى الخطط المقرية عن سوق الخياطين الذى كانت تعمل فيه مختلف الأزياء المملوكية من السراويل والسلاريات والفرجيات ونحوها مما كان يصنع من الأقمشة الكتانية والقطنية والحريرية والصوفية (١٨٩) ، يضاف الى ذلك كله أن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر فى نهاية عصر المماليك وبداية العصر التركى أشاروا الى وجود كثير من مصانع النسيج

والسجاد فى القاهرة ، والى أن بعض الصناع المهرة ولاسيما فى صناعة السجاد كانوا قد نقلوا من مصر الى استانبول فى العصر التركى (١٩٠) ، ولعل ذلك كان فى عملية النقل الكبرى التى جرت على يد السلطان سليم بعدما تم له فتح مصر والقضاء على طومانباى آخر سلاطين المماليك فيها والتى قيل أنها قضت على أكثر من خمسين حرفة وصناعة فى مصر والقاهرة .

أما الصباغة وما صاحبها من عمليات خاصة لتلوين الخيوط النسيجية بالألوان المطلوبة فى عملية النسيج ذاتها ، أو لصبغ الثياب المصنعة بألوان تغاير لونها الأصلى فقد كان للقاهرة من مصانعها نصيب ، يدل على ذلك صراحة ما ذكره المقرئى فى معرض كلامه عن حوادث جمادى الآخر سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) مشيراً الى أنه ابتدئ فيه بهدم ربيع الحليزون تجاه قبو الخرنفش وعرض صاحبه بدلاً منه مصمطاً تجاه مصبغة الأزرق (١٩١) .

ومما لا يستبعد ترجيحه فى هذا الصدد أن بعضاً من اليهود كانوا يعملون فى مجال هذه الصناعة طبقاً لما أشارت اليه وثائق الجنيزة فى العديد من الاشارات الخطية التى حفظتها ، والتى يستفاد منها أن عدد اليهود العاملين فى مجال الصباغة كان يقدر بحوالى ثلاثة وعشرين يهودياً ، وأن الأقمشة المصبوغة كانت تأتى على رأس قوائم السلع التى يتاجرون فيها فى أقطار المحيط الهندى والبحر المتوسط (١٩٢) .

٤ - صناعة الجلود والدباغة :

كانت الصناعات الجلدية المختلفة ولا سيما صناعات السروج واللجم والخرايط (الجلدية) والقرب والخفاف والأحذية والأحزمة وجلود الكتب ونحوها ، من بين الصناعات التى راجت كثيراً وازدهرت بالقاهرة فى عصورها الإسلامية ولاسيما المتأخرة منها ، يؤيد ذلك ما ذكره المقرئى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) عن سوق اللجمين الذى يفهم مما أشار اليه بصدده أنه اشتمل على كثير من اللجم والسروج وغيرها مما كان يصنع من الجلد بدرجة عالية الجودة وكان يحل فى كثير من الأحيان بالذهب الخالص والفضة الخالصة ، وقد حدد المقرئى أنه يتصل بسوق المهامزين وتباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد ، وأشار الى أن فيه عدة وافر من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحوها وعدة من صناع مياتر السروج وقرابيسها ، وأدرك السروج تعمل فيه ملونة ما بين أصفر وأزرق ، ومنها

ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى والأسود وأشار الى أن أحدا لا يكاد يركب فرسا بسرج ساذج الا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع ، فلما تسلطن الظاهر برقوق اتخذ سائر الأجناد السروج المغرقة وهى التى جمع قرابيسها من ذهب أو فضة اما مطلية واما ساذجة (١٩٢) ، وسوق الاخفايين الذى أنشأه بجوار سوق البندقانيين بعد سنة (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) الأمير يوسف النوروزى دوا دار السلطان الظاهر برقوق ، وخصص للخفاف والأحذية الجلدية التى كانت صانعها قد وصلت بالمدينة الى درجة ممتازة (١٩٤) حتى أنها كانت تصدر كما ورد فى بعض المراجع العربية الى البلدان الخارجية ولاسيما الشام (١٩٥) .

ويؤيد قيام هذه الصناعة فى القاهرة أيضا ما جاء فى كتاب « وصف مصر » من « أن فن السروجية كان قد وصل بالمدينة الى مدى يعيد فى التطور حتى أن الناس كانوا يصنعون كل ماله صلة بالخيول ، وكذلك النقش على الجلود بدرجة ملفتة للنظر » (١٩٦) .

ولعل فيما يحتفظ به متحف الفن الإسلامى بالقاهرة من مخطوطات وجلود وكتب ورسوم وصور توضيحية ما يؤكد صدق هذه الحقيقة (١٩٧) ، ومع ذلك فقد كانت جلود الكتب هى أهم مشغولات القاهرة الجلدية وخاصة من الناحية الفنية ، لأن فن التجليد كان قد ازدهر على يد المسلمين ازدهارا كبيرا حتى كاد أن يقتصر عليهم ، ولم يقف هذا الفن عند حدود بلدان هذه الأمم (الإسلامية) بل تعداها الى البلدان الأوربية وكان تأثيره هناك جليا وواضحا فيما لا يزال محفوظا لديهم من نماذج هذا الفن حتى اليوم ، وقد انتشرت صناعة التجليد فى مصر منذ بداية القرن (١٠ هـ / ١٠ م) ، وقد ورد فى ذلك أن أناسا من الحجاز كانوا قد قدموا الى مصر وأنشأوا بالحسينية مخابغ للجلود على نمط جلود الطائف ، وبدار الكتب المصرية نماذج لجلود كتب يرجع بعضها الى أواخر العصر الأيوبي وبعضها الى العصر المملوكى الذى شهدت القاهرة خلاله ازدهارا لم يسبق له مثيل فى هذا المجال (١٩٨) .

٥ - صناعات الخشب والعظم والعاج :

الواقع أن مالدينا من أدلة مادية ممثلة فى كثير من التحف الخشبية والعظمية والعاجية مما لا يزال محفوظا فى المتاحف المختلفة المحلية والأجنبية ، وما لدينا من أدلة تاريخية ممثلة فى المعلومات التى سجلتها لنا المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، يثبت بما لا يدع مجالا

لشك أن هذه الصناعات كانت من جملة صناعات القاهرة فى عصورها
الفاطمية والأيوبية والمملوكية .

ومن المعروف أن التحف الخشبية التى صنعت بالقاهرة خلال
العصر الفاطمى المبكر كانت قد سارت على نهج الأساليب الفنية التى
سادت فى العصرين الطولونى والاختشىدى ، ونعنى بذلك أنها تمثلت
فى المقام الأول أسلوب الحفر المائل أو المشطوف مع نوع من الميل الى
الدقة والعمق، ومن أحسن الأمثلة الدالة على ذلك مثلا تلك العروق الخشبية
الموجودة تحت قبة المجاز القاطع بجامع الحاكم والتى تزينها فروع
نباتية متصلة وأوراق شجر ذات حفر دقيق وعميق ، ومنها أيضا الباب
المحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة والذى أمر الحاكم بأمر الله بعمله
للجامع الأزهر سنة (٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) وتزخره حشوات مستطيلة
تشتمل على عناصر نباتية ذات أسلوب فنى يذكر والمثل السابق بالأساليب
العباسية الطولونية فى الحفر على الخشب (١٩٩) (أنظر شكل : ٧١) .

ثم بدأت فنون الحفر على الخشب فى العصر الفاطمى تأخذ بعد
ذلك أبعادا فنية جديدة ابتعدت من خلالها تدريجيا عن مرحلة التأثير
بالأساليب الفنية العباسية الطولونية ، حتى وصلت فى النهاية الى
أسلوب فاطمى خالص امتاز بعمق بالغ فى الحفر ، وبدقة متناهية فى
تفاصيل عناصره الزخرفية ، وبتخلص تام من أسلوب الحفر المائل
أو المشطوف ، وخير الأمثلة الدالة على بواكير هذه المرحلة مثلا منبر جامع
أسيوط الذى يرجح أنه عمل كما جاء فى بعض المراجع العربية سنة
(٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) وهى السنة التى مر فيها بدر الجمالى على أسيوط
وأخضع الثائرين فيها على المستنصر ، ومنبر حرم الخليل بفلسطين الذى
عمل فى عهد المستنصر سنة (٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م) ، ومنها أيضا منبر
مسجد دير سنانت كاترين الذى يرجع الى عهد الأمر بأحكام الله
(٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) (٢٠٠) .

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بنماذج أخرى تعد من
أحسن الأمثلة الدالة على قمة ما وصل اليه فن الحفر على الخشب بالقاهرة.
فى العصر الفاطمى ، ومن هذه النماذج باب ذو مصراعين كان فى جامع الصالح
طلائع بن رزىك الذى أسس سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠) (٢٠١) ،
وثلاثة محاريب خشبية متناهية الدقة والتأنق وآية فى الفن والجمال.
كان أوياها فى الجامع الأزهر ، وكان ثانيها فى مشهد السيدة نفيسة ،
وكان ثالثها فى مشهد السيدة رقية ، وتتألف زخارف هذه المحاريب

عامة من حشوات مجمعة مزينة بفروع نباتية دقيقة تكون كل ست منها طبقا نجميا ، وهو عنصر زخرفى شاع استعماله بعد ذلك كثيرا حتى كان من أبرز خصائص الزخرفة المملوكية ، ويعتبر محراب السيدة رقية هذا هو أقدم تحفة مؤرخة ظهر عليها هذا العنصر الزخرفى (٢٠٢) .

يضاف الى تلك الأمثلة جميعا مجموعة من الألواح الخشبية كانت أصلا فى القصر الفاطمى الغربى ، وقامت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٩٣٢ م) باستخراج بعضها من سقف مارستان قلاوون حيث كان قد أعيد استخدامها فى العصر المملوكى ، وهى محفوظة بالمتحف المشار اليه وتزينها رسوم جميلة من الخط الكوفى المزهر ومن أشكال الانسان والحيوان والطيور فى مناظر صيد وموسيقى وطرب مثلت على هذه الألواح بأسلوب واقعى بديع (٢٠٣) .

أما فى العصر الأيوبى فقد شهدت القاهرة بلوغ الاسلوب الفاطمى ذو الحفر العميق المتأنق قمة تطوره ، ومن أجمل التحف الخشبية الدالة على ذلك مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تابوت الامام الشافعى الذى صنعه سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) بالقاهرة عبيد النجار المعروف بابن معالى (٢٠٤) ، وتابوت الامام الحسين رضى الله عنه الذى صنع فى ثلاثة جوانب فقط من خشب الساج الهندى وزين بآيات فنية من عناصر نباتية وكتابية بعضها بالخط الكوفى الجميل المحلاة بحروفه بزخارف التوريق وبعضها بالخط النسخى الذى بدأ استعماله يشيع منذ أواخر العصر الفاطمى على كافة التحف والآثار (٢٠٥) (أنظر شكل ٧٢) ، وقد استمر ابداع النجارين فى القاهرة طوال العصر المملوكى ، يؤيد ذلك ما وصلنا من تحف خشبية تتجلى فى الأبواب والشبابيك والمشربيات والمنابر والكراسى والسقوف والكتيبات ودكك المبلغين ونحوها مما لايزال كثيره قائما فى الأبنية الدينية والمدنية المختلفة التى تزخر بها مدينة القاهرة ، ومما لايزال بعضه محفوظا فى المتاحف المختلفة ولاسيما متحف الفن الاسلامى (٢٠٦) .

وتشبهه كل هذه الأمثلة على أن فن التطعيم والتجميع الذى استخدم فيه العظم والعاج والصدف والذى كان شائعا فى شرق البلاد العربية وغربها لم يصل فى هذه البلدان جميعا الى ما وصل اليه على يد النجارين بالقاهرة ابان العصر المملوكى ولاسيما خلال القرنين (٧ - ٨ هـ /

١٣ - ١٤ م) (٢٠٧) (أنظر شكل : ٧٣ ، ٧٤) .

أما عن صناعة العاج بمدينة المعز خلال العصور الفاطمية والأيوبية والملوكية . فيبدو أنها لم تقتصر في هذه العصور على ما كان يستخدم منها في فن تطعيم التحف الخشبية المختلفة مما سبقنا الإشارة إليه ، بل كانت الطرائف الكاملة تصنع من هذا العاج مكونة قطعاً فنية مستقلة . وقد رسل إلينا بعضاً من هذه القطع العاجية الفاطمية التي يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ومنها مثلاً قطعة عاجية عليها رسم يمثل سيدة في هودج . وقطعة عليها رسم يشير إلى جندي في يده رمح وترس . وقطعة عليها رسم يعبر عن صائد بالباز على ظهر جواد (٢٠٨) .

كذلك فقد وصلت إلينا بعض اللعب العاجية الصغيرة المخرمة التي تنسب إلى القاهرة في العصرين الأيوبي والملوكي وعليها زخارف نباتية وهندسية وكتابية نسخية ، منها مثلاً علبة من العاج المخرم من صناعة القاهرة في عصر المماليك يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٠٩) ، وعلبة أخرى في المتحف البريطاني بلندن (٢١٠) .

يضاف إلى هذه الأدلة المادية الثابتة التي تؤكد ازدهار الصناعات الخشبية في مدينة القاهرة منذ العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر الملوكي ، ما جاء في بطون المصادر العربية ولاسيما ما ذكره المقرئ عند حديثه عن أسواق القاهرة ، فقد أشار من بين هذه الأسواق إلى سوق الأمشاطين الذي كانت تباع فيه الأمشاط ذات الأشكال والأحجام المختلفة (٢١١) ، وسوق الصناديق الذي حوى العديد من الصناديق الخشبية وكان تجاه المدرسة السيوفية وموضعه من جملة المارستان واشتمل على كثير من الصناديق والخزائن والأسرة وغيرها مما يعمل من الخشب (٢١٢) .

٦ - صناعة الزجاج والبلور :

إذا كنا قد أسهبنا في الحديث عن صناعة الزجاج والبلور في الفسطاط على عهد الفاطميين وأشرنا إلى ما كان يعمل في هذه المدينة من تحف زجاجية وبلورية كانت في نقائها كما ذكر ناصر خسرو كالزبرجد ، فإننا لانستطيع استبعاد القاهرة من هذا المجال .

ورغم أننا لانملك من الأدلة المادية ما يؤيد هذا الرأي صراحة إلا أن لدينا في المصادر التاريخية ما يؤكد ذلك ، ويأتي على رأس هذه الأدلة

ما جاء فى وثائق الجنيزة التى أشارت الى حجة مشاركة بين بعض المسلمين واليهود تاريخيا (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) صنع بمقتضاها زجاج فى مخزن يقع فى سوق النحاسين كان قبل ذلك دكانا لبيع الأوانى النحاسية (٢١٣) ، ثم يأتى بعد وثائق الجنيزة ما ذكره المقرئى عن أسواق القاهرة فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) مشيرا فيه الى سوق الزجاجين الذى خصص للأوانى الزجاجية على اختلاف أشكالها وأنواعها (٢١٤) .

ومع ذلك فان لدينا مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من عشرات التحف الزجاجية ممثلة فى المشكاوات التى يمتلك منها المتحف المشار اليه أكبر مجموعة مشكاوات فى العالم ترجع الى العصر المملوكى مثل مشكاة السلطان الناصر حسن (أنظر شكل : ٧٥ ، ٧٦) الذى قتل سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٢١٥) ، ومشكاة السلطان الظاهر برقوق (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م) (٢١٦) وغيرها ، وفى مئات القطع من الأوانى الزجاجية ذات الزخارف المذهبة ، وذات الأسلاك الزجاجية المضافة والملونة ، وذات الطلاء المينائى ، وذات البريق المعدنى ، وذات الأختام المضغوطة ، وذات الزخارف المقطوعة أو المنحوتة من القناني والقماقم والكؤوس والقوارير وغيرها (٢١٧) ، يجعل من الصعب علينا قصر هذا الانتاج الضخم على مسابك الفسطاط وحدها ، وحتى اذا جاز لنا هذا القصر طوال فترة الازدهار التى عاشتها هذه المدينة ، فانه لايجوز بعد اندثارها وانتقال كافة الحرف والصناعات منها الى القاهرة ، ولعل فيما بقى من أسرار هذه الصناعة بخان الخليلى بحى الجمالية ما يؤيد ذلك .

٧ - صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

نما لاشك فيه أن بعض الصناعات التى اعتمدت على الانتاج الزراعى ولاسيما صناعات طحن الغلال والورق والسكر والعسل والزيت والشموع والصابون ونحوها ، كانت من الصناعات التى مورست فى القاهرة خلال عصورها الاسلامية ، يؤيد ذلك ما جاء عن هذه الصناعات فى المادة التاريخية التى بين أيدينا ، ويأتى على رأس هذه المادة ما ذكره المقرئى فى معرض كلامه عن أحداث شوال سنة (٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) حيث يذكر أنه قبض حينذاك على الأمير أقباي عند طاحون باب الفرج من القلعة (٢١٨) ، الأمر الذى يؤكد أن طحن الغلال كان لضرورته الحيويه

بالنسبة لحياة الناس من بين الأنشطة الصناعية بالقاهرة خلال تلك الفترة . ويؤيده أيضا ما أشار إليه ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) عند حديثه عن شبرا الخيمة من القاهرة بقوله « وبها سوق جامع وطواحين » (٢١٩) .

كذلك يذكر المقرئى من أسواق القاهرة سوق الوراقين الذى كانت تباع فيه الأوراق المختلفة (٢٢٠) مما كان يعمل بعضه فى وراقات القسطنطين وبعضه فى وراقات القاهرة ويبيع حسب نوعه وجودته فيعود ذلك على خزانة الدولة بكثير من المال (٢٢١) .

أما عن صناعة السكر فيبدو أنها كانت قد تقدمت تقدما عظيما فى المدينة خلال العصر المملوكى ولاسيما على عهد الناصر محمد بن قلاوون ، حيث كثر إنتاجها كما تذكر بعض المراجع العربية كثرة تشهد بها تلك الكميات الهائلة من السكر التى كانت تستخدم فى المآدب والحفلات (٢٢٢) ، ويبدو أن هذه الصناعة كانت من الصناعات الهامة فى العصر المشار إليه ، وظلت تدر أموالا طائلة للخزانة السلطانية خلال ازدهارها الذى استمر بالقاهرة حتى نهاية القرن (٨ هـ / ١٤ م) (٢٢٣) .

وبالإضافة الى ذلك كله فإننا لا نستطيع أن نغفل من إنتاج القاهرة الصناعى والحرفى صناعة الفخار والخزف كواحدة من أكثر الصناعات شعبية فى تاريخ الشعوب (٢٢٤) ، وصناعة الزيوت ولاسيما الزيت الحار والشيرج وزيت العصفى الذى كان يستخلص من بذور شجيرات ، وقد أشار ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) الى هذه الصناعة عندما وصف شبرا الخيمة بقوله « وبها أفران ومعاصر زيت حار وشيرج وغير ذلك » (٢٢٥) كما جاء ذكرها بين الصناعات التى كانت مزدهرة بالمدينة على عهد الحملة الفرنسية على مصر (٢٢٦) .

ولا يخفى ما كان لهذه الزيوت من أهمية بالنسبة لحياة الناس بصفة عامة ، إذ كان بعضها يستخدم للاضاءة التى اعتمدت على هذه الزيوت أساسا لأنها كانت الوسيلة الرئيسية المتاحة حينذاك لهذا الغرض ، وكان بعضها الآخر يستخدم فى الطعام ، وهما غرضان أساسيان وكانا يمثلان عصب حياة الناس فى تلك العصور .

وفى ختام هذا العرض لأنشطة القاهرة الحرفية والصناعية فإنه يمكن القول بأن صناعة شموع متطورة كانت قد راجت فى المدينة كثيرا لحاجة الناس إليها فى الاضاءة التى لم تكن قد عرفت غير الزيوت

والشموع بعد ، يدل على ذلك ما أشار اليه المقرئزى عند حديثه عن أسواق القاهرة وذكره « لسوق الشماعين » الذى كانت تباع فيه شموع ذات أشكال وأحجام مختلفة مما تفنن الصناع فيه ، وكان موقع هذا السوق ينحصر من الجائع الأقمير الى سوق الدجاجين ، وكان يعرف فى الدولة الفاطمية بسوق القماحين ، وقد أدركه المقرئزى من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات ، وكانت حوانيته تظل مفتوحة الى منتصف الليل ، وكان من شموعه الموكبية ماتزن الواحدة منها عشرة أرطال ، ومن شموعه المزهرية ماهو عجيب ملىح الصنعة ، ومن شموعه التى تحمل على العجل ماتزن الواحدة منها القنطار . . كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فى رمضان (٢٢٧) .

والذى لاشك فيه بعد هذا كله أن تأسيس القاهرة لم يؤثر فقط على أنشطة الفسقاط الحرفية والصناعية ، بل انه سرعان ما اجتذب كافة هذه الأنشطة الى العاصمة الجديدة ، فكان لذلك أكبر الأثر فى تلاشى أمر الفسقاط واندثارها حتى أصبحت أثرا بعد عين .

٢ - حواشي وتعليقات الفصل الثاني من الباب الأول القاهرة

- ١٤٠ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٣٨ .
- ١٤١ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٩٢ وانظر أيضا : الشيخ الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي : ص : ١٦٠ .
- ١٤٢ - القزويني : المصدر السابق : ص : ٢٤٠ .
- ١٤٣ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٤ ص ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- ١٤٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥ - ٤٠ . وانظر أيضا نقولا زيادة : المرجع السابق : ص ص ٩٥ - ١٠٨ .
- ١٤٥ - المقرئزي : الخطط : ج ٢ ص ١٨ .
- ١٤٦ - نفس المصدر : ج ٢ : ص ص : ٤١ - ٤٢ وانظر أيضا : سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحيائها : ص : ٢٠ ، الموسوعة العربية المسيرة : ص : ١٣٦٦ .
- ١٤٧ - راجع في ذلك المقرئزي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٧٣ ، السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ ، وانظر أيضا عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها : ص ص : ١١ - ١٢ ، أحمد فكري : العصر الفاطمي : ص ص : ٦ - ٧ ، راشد البراوي : المرجع السابق ص ٣٨٢ ، لين بول : المرجع السابق ص ص : ١١٢ - ١٤٩ .
- ١٤٨ - المقرئزي : المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٩ ، فتحية النبراوي : المرجع السابق ص : ٢٥٣ .
- ١٤٩ - الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق : ص ١٦ .
- ١٥٠ - محمد عبد الله عنان : المرجع السابق : ص ص : ٢٠ - ٣٠ .
- ١٥١ - المقرئري : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠ .
- ١٥٢ - محمد رمزي : المصدر السابق : ج ١ ص ٣ ، وانظر أيضا راشد البراوي : المرجع السابق : ص ٣٨٢ .
- ١٥٣ - س . د . جوتاين : المرجع السابق : ص ٨٢ .
- ١٥٤ - هذا الشمعدان مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٥١٢٧) وانظر عنه أيضا : محمد مصطفى : دليل هوجز متحف الفن الاسلامي : ص ٤٦ .

- ١٥٥ - أنظر أيضا أنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ١٦٩ .
- ١٥٦ - عدا العمقم مسجل ضمن محتويات متحف الفن الاسلامى تحت رقم (١٥١١١) وانظر عنه أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٦ (صورة ٤٤) .
- ١٥٧ - هذه الزعرية مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٥١٢٥) وانظر عنها أيضا : محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٢٥ (صورة ١٤) .
- ١٥٨ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧٨ .
- ١٥٩ - نفس المصدر : ج ٢ ص ٤٦٥ .
- ١٦٠ - نفس المصدر : ج ٢ ص ص : ٤٦٣ ، ٤٧٨ ، السلوك : ج ١ ق ٣ : ص : ٨٠٥ وانظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص : ٤١٢ .
- ١٦١ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٤ .
- ١٦٢ - نفس المصدر : ج ٢ ص ص : ٤٧٤ - ٤٧٥ ، السلوك : ج ٤ ق ٢ : ص ص ٤٦٢ - ٤٦٩ .
- ١٦٣ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ص : ٤٦٥ ، ٤٧٥ .
- ١٦٤ - نفس المصدر : ج ٢ ص ٤٦٠ ، وانظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ١٧١ .
- ١٦٥ - وصف مصر : تأليف علماء الحملة الفرنسية وترجمة زهير الشايب وآخرون ، مجلد ٤ ص ٢٣٨ ، وانظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٧٢ - ١٧٣ .
- ١٦٦ - راجع فى ذلك مثلا : ابن مائى : قوانين الدواوين : ص ٣٣١ ، المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ١٢٣ .
- ١٦٧ - ابن مائى : المصدر السابق : ص ٣٣١ .
- ١٦٨ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٢٣ .
- ١٦٩ - أنظر فى ذلك : سامح عبد الرحمن فهمى : الوحدات النقدية المملوكية : ص ص : ٣١ - ٣٢ .
- ١٧٠ - نفس المرجع : ص ص : ٢٣٢ - ٢٣٣ .
- ١٧١ - نفس المرجع : ص : ٢٢٩ .
- ١٧٢ - نفس المرجع : ص : ٢٣٠ .
- ١٧٣ - ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ : المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٨ .
- ١٧٤ - مثل القطعة رقم (٣٣١١) . وانظر عنها أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٨٢ .
- ١٧٥ - مثل القطع أرقام : (١٥٥٥٤) ، (١٥٦٢٦) ، (٧٩٢٤) . أنظر عنها أيضا محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٨٢ .
- ١٧٦ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

- ١٧٧ - نفس المصدر : ج ١ ص ٤٣٣ ، وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور :
مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص ٢٠٠ ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق (لنفس
المؤلف) ص ص : ١٣٧ - ١٣٨ .
- ١٧٨ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ص : ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- ١٧٩ - المقرئى : نفس المصدر : ج ٢ ص ١٠١ ، أنظر أيضا : خليل ضومط :
المرجع السابق : ص ١٥٧ .
- ١٨٠ - المقرئى السابق : ج ٢ ص ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، السلوك : ج ٣ ق ١ :
ص ٥٩ ، ج ٤ ق ٣ ص ١١٨٩ .
- ١٨١ - ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٢٨ .
- ١٨٢ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٦ .
- ١٨٣ - المقرئى : نفس المصدر : ج ٢ ص ٤٦٥ وانظر أيضا : محمد مصطفى
زيادة : تاريخ الإسلام ومصر الإسلامية : ص ١٣٨ .
- ١٨٤ - محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٣٠٠ .
- ١٨٥ - وصف مصر : ج ٤ : ص ص : ١٩٥ - ٢١١ ، ٢٣٧ - ٢٤٢ .
- ١٨٦ - محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون : ص ص : ٣٢٧ -
٣٢٩ .
- ١٨٧ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧١ ، ابن دقماق : المصدر السابق
ص ٣١ .
- ١٨٨ - زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص : ٤٢٦ .
- ١٨٩ - المقرئى : السلوك : ج ٤ ق ٢ ص : ٦٦٥ .
- ١٩٠ - س . د . جوتاين : المرجع السابق ص ص : ١٦٨ - ١٧٠ ، ١٧٩ .
- ١٩١ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٥ ، وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع
السابق : ص : ٣٨٢ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٣٣٠ .
- ١٩٢ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧٨ ، السلوك : ج ١ ق ١ ص
١٦٥٠ .
- ١٩٣ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ .
- ١٩٤ - وصف مصر : ج ٤ ص ٢٣٨ .
- ١٩٥ - هذه القطع محفوظة بالقاعة رقم (١٩) بالمتحف المشار اليه .
- ١٩٦ - أنظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٤٥٣ - ٤٦٠ .
- ١٩٧ - هذا الباب مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٥٥١) أنظر عنه
أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٢ ، زكى محمد حسن : فنون الإسلام :
ص : ٤٥٠ .
- ١٩٨ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ .
- ١٩٩ - رقم سجل (١٠٥) وانظر عنه أيضا : زكى محمد حسن : المرجع
السابق ص : ٤٦١ ، محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٤٢ .

- ٢٠٠ - أنظر عن هذه المحاريب أيضا : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٤٥٨ . محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٤٢ .
- ٢٠١ - أنظر عن هذه الألواح : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ ، فنون الاسلام : ص : ٢٥٥ . محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٤ ، الصور أرقام (١٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٦) .
- ٢٠٢ - أنظر عن هذا التابوت أيضا : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٤٦٢ .
- ٢٠٣ - أنظر عن هذا التابوت أيضا : زكى محمد حسن : ص ٤٦٢ ، محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٤ (صورة ٢٧) .
- ٢٠٤ - فى القاعة رقم (٧) من المتحف المشار اليه ، عرض العديد من التحف الخشبية المملوكية ولا سيما التابور والمشرقيات . وفى القاعة رقم (٨) عرضت مجموعة من الأخشاب الأخرى التى اشتملت فى الخزانة رقم (٢) على حشوات من الخشب والايونوس ، وفى الخزانة رقم (٣) على أدوات منزلية ولعب وأمشاط وحشوات مختلفة من الخشب والعظم والعاج .
- ٢٠٥ - أنظر أيضا : زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ١٣٣ - ١٣٧ (الأشكال من ٣٩٩ - ٤١٢) ، فنون الاسلام : ص ٤٦٢ ، عفيف بهنسى : المرجع السابق : ص ص : ١٩٧ - ١٩٨ ، وصف مصر : ج ٤ ص ٢٣٨ .
- ٢٠٦ - أنظر عن هذه القطع العاجية أيضا : فنون الاسلام : ص ٤٩٨ .
- ٢٠٧ - رقم سجل (٥٦٢٠) وأنظر عنها أيضا : زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية ١٤٥ (شكل ٤٣٥) .
- ٢٠٨ - أنظر عن هذه العلبة أيضا : زكى محمد حسن : نفس المرجع : ص ١٤٥ (شكل ٤٣٦) ، فنون الاسلام : ص : ٥٠٤ .
- ٢٠٩ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٤ ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ص : ٨٠٣ ، ٨٨٥ .
- ٢١٠ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٧٣ .
- ٢١١ - س . د . جوتائين : المرجع السابق : ص ١٦٦ .
- ٢١٢ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٤ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٢٩ .
- ٢١٣ - أنظر عن هذه المشكاة أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٩٥ ، ص ٣٩ (صورة ٣٢) .
- ٢١٤ - محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٩٩ .
- ٢١٥ - لا زالت أمثلة من كل هذه الأنواع الزجاجية محفوظة بالقاعة رقم (٢١) من المتحف المشار اليه ، أنظر عنها أيضا : محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ص : ٩٥ - ١٠١ .
- ٢١٦ - المقرئى : السلوك : ج ٤ ق ١ ص ص : ٤٢٤ - ٤٢٥ .
- ٢١٧ - ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٤٧ .

- ٢١٨ - المقریزی : المصدر السابق : ج ١ ق ١ ص ١٦٥ .
- ٢١٩ - خليل ضووط : المرجع السابق : ص ١٧٢ .
- ٢٢٠ - محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ص ٣٢٨ .
- ٢٢١ - خليل ضووط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٢ - ١٦٣ .
- ٢٢٢ - حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٦٢ .
- ٢٢٣ - ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٤٧
- ٢٢٤ - لقد وردت هذه الحقيقة في الفصل الذي كتبه مسيو (Girar, B.S.)
 هي كتاب « وصف مصر » عن الجوانب الزراعية المصرية على عهد الحملة الفرنسية على مصر ،
 وقد ترجم يوسف نحاس وكامل مطران هذا الجزء الى العربية ونسراه سنة (١٩٤٢ م)
 تحت عنوان : الأحوال الزراعية في القطر المصري على عهد الحملة الفرنسية ، راجع ص ٦٥
 من هذه الترجمة .
- ٢٢٥ - المقریزی : المخطوط : ج ٢ ص ٤٦٢ . نحل عبر النحل : (لنفس المؤلف) :
 ص ٨٨ .

الفصل الثالث

ضواحي العاصمة

تتكون ضواحي العاصمة التي سنتحدث عنها في هذا الفصل كمراكز صناعية من جزيرة الروضة وعين شمس (المطرية) والمقس ، بالإضافة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة مثل الجزيرة الوسطى وبولاق وقصر ابن العيني ، وسنحاول فيما يلي عرض الأنشطة الحرفية والصناعية لكل واحدة من هذه الضواحي .

١ - جزيرة الروضة :

جزيرة الروضة كما حددها الاصطخرى في النصف الأول من القرن (٤ هـ / ١٠ م) هي « جزيرة يعبر من الفسطاط اليها على جسر في سفن ، ويعبر من هذه الجزيرة الى الجانب الآخر على جسر آخر الى أبنية ومساكن على الشط الآخر يقال لها الجيزة » (٢٢٨) كذلك فقد حدد ناصر خسرو موقع جزيرة الروضة في القرن (٥ هـ / ١١ م) بأنه امام مدينة مصر في قلب النيل ، وقال ان فيها مسجد تحيط به الأشجار الغناء ويربط مصر بها جسر مكون من ثلاثين قطعة خشبية في شكل زوارق « (٢٢٩) ، وأشار الادريسي في القرن (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) الى أنها تقابل مصر (أى الفسطاط) وبها المباني والمتنزهات ودار المقياس (٢٣٠) . ونسبها كل من القزويني وياقوت في القرن (٧ هـ / ١٢ م) الى الفسطاط فقال الاول « وبالفسطاط محلة تسمى الجزيرة لأن النيل اذا زاد أحاط الماء بها وحال بينها وبين معظم الفسطاط فاستقلت هي بنفسها وبها أسواق وجامع وبساتين وهي من متنزهات مصر » (٢٣١) وقال الثاني « وهي محلة من محال الفسطاط وانما سميت الجزيرة لأن النيل اذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين معظم الفسطاط واستقلت بنفسها وبها أسواق وجامع ومنبر وهي من متنزهات مصر » (٢٣٢) وذكر ابن بطوطة في القرن (٨ هـ / ١٤ م) أنها على ضفة النيل مما يواجه مصر وهي مكان النزهة والتفرج وبها البساتين الكثيرة الحسنة (٢٣٣) . ووصفها

ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بأنها جزيرة فى وسط البحر والبحر دائر عليها دن جميع جهاتها وهى بين الفسطاط والجزيرة وبطرفها الجنوبي دير المنيا (٢٢٤) .

اما السيوطى فقد بين فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) انها جزيرة بين مدن مصر والقاهرة والجزيرة . عرفت أول الاسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ، ثم قيل لها جزيرة الحصن ، الى أن عرفت أخيرا بجزيرة الروضة ، وهو الاسم الذى ظلت تعرف به حتى اليوم . وأضاف السيوطى الى ذلك قوله بأنها لم تزل متنزها ملوكيا ومسكنا للناس الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة العبيدية فتحسنت أحوال الجزيرة حتى صارت مدينة عامرة بها وال وقاض وبستان نزه أنشأه فى شمالها سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى سماه الروضة ، ومنذ ذلك الحين ظلت الجزيرة كلها تعرف بجزيرة الروضة (٢٣٥) . كذلك فقد أشار المقرئ فى نفس القرن المشار اليه الى أنه لما تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأ بها قلعة واتخذها سرير ملك ، فعرفت من ثم بقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبقلعة المقياس وبالقلعة الصالحية ، وكان الشروع فى حفر أساسات هذه القلعة يوم الأربعاء الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠ م) ولم تزل القلعة المشار اليها عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب ، فلما ملك السلطان المعز ايبك أمر بهدمها وعمر فيها مدرسته المعروفة بالمعزية فطمع فى القلعة من له جاه وأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك ، فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الظاهر بيبرس اهتم بعمارة قلعة الروضة من جديد ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى هذه العمارة حتى يعيد القلعة الى ما كانت عليه فأصلح بعض ما كان قد تهدم منها (٢٣٦) .

ولم تكن جزيرة الروضة منذ العصر الاسلامى فى مصر أهم مركز لصناعة السفن فقط وانما كانت من أقدم المراكز التى ولدت فيها قوة المسلمين البحرية (٢٣٧) ، ويبدو أن عناية المسلمين ببناء هذه القوة من السفن والأساطيل كانت قد بدأت بعد فراغهم من أمر تحصين سواحل البحر المتوسط التى خضعت لسلطانهم ، وبعد أن أقاموا المحارس والمناظر والمواقيد على هذه السواحل ، وقد جاء فى ذلك أنه لما كانت سنة (٤٩٠ هـ / ٦٦٩ م) هاجم الروم سواحل الشام وكانت دور الصناعة اذ ذاك بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بإنشاء دار للصناعة فى عكا .

ثم ازدهرت صناعة السفن بعد ذلك على عهد الوليد بن عبد الملك فى كل من شمال أفريقية ومصر ، فقد أمر هذا الخليفة حسان بن النعمان

عامه على افريقية ببناء دار للصناعة في تونس فأنشأها حسان وجهرسا بالعدة والسلاح ، أما في مصر فتدل أوراق البردى التي عثر عليها في كوم أشقاو وترجع الى عهد الخليفة المشار اليه أن صناعة السفن كانت تجرى بجهة ونشاط في دور الصناعة المصرية بجزيرة الروضة والقلزم والاسكندرية ، وتروى بعض تلك الأوراق طبعا لما جاء في بعض المراجع العربية . أن قره بن شريك عامله على مصر كان كثيرا ما يطلب من صاحب كورة أشقاو أن يرسل اليه عمالا وصناعا وفلاحين للعمل في دور الصناعة والمساهمة في اعداد الأسطول (٢٣٨) .

وعلى ذلك فانه يمكن القول في ثقة واطمئنان طبعا لما ذكره كل من المقریزی وابن دقماق في القرن (٩هـ / ١٥م) وما أكدته السيوطي في القرن (١٠هـ / ١٦م) أن دار الصناعة بجزيرة الروضة كانت قد أنشئت في أوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وقد ورد في ذلك أن أول صناعة عملت بأرض مصر هي التي بنيت بجزيرة الروضة سنة أربع وخمسين من الهجرة (٦٧٣ م) على يد مسلمة بن مخلد إلى مصر من قبل معاوية ، وكان سبب ذلك المباشر هو غزو الروم للبرلس سنة (٥٣هـ / ٦٧٢ م) وقتل الكثير من أهلها وعلى رأسهم وردان مولى عمرو بن العاص (٢٣٩) .

واستمرت هذه الصناعة بالجزيرة الى أيام الاخشيدي الذي أمر سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦ م) بنقلها من الجزيرة الى ساحل مصر بالفسطاط ، وكان سبب هذا التحويل كما يروى المقریزی وابن دقماق أن يحكم التركي وعلى بن بدر ونظيف النوشري وعلى المغربي لما خرجوا على الأخشيدي وهزموا سفنه بقيادة صاعد بن الكلکم في الفيوم وأحرقوها نزلوا بالجزيرة وملكوا صناعتها ، فركب الأخشيدي في جيشه لمحاربتهم وسار حتى وقف قبالتهم على الساحل عند دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون عندما كان أميرا ، ولكنه لم يستطع النزول اليهم فكره ذلك وقال « صناعة يحول الماء بينها وبين صاحبها ما هي بصناعة ، أعملوا الصناعة ها هنا » فلما رحل المتمردون الى الاسكندرية ورجع الاخشيدي الى دار امارته أمر بالصناعة فحولت الى موضعها المشار اليه بالفسطاط (٢٤٠) .

وكان هجوم البيزنطيين على دمياط سنة (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) على عهد الخليفة العباسي المتوكل ، والهاقهم الكثير من الدمار والتخريب بالمدينة وسبيهم النساء والأطفال من أهم العوامل التي ساعدت على اضطراب التقدم في صناعة الجزيرة ، فقد أمر هذا الخليفة عنبسة بن اسحاق عاملة على مصر بالتوسع في بناء قاعدة بحرية قوية تساعد على ردع هؤلاء البيزنطيين وتحمل شواطئ الدولة فأمر عنبسة بزيادة بناء الشوانى .

ثم جاءت الأحداث السياسية في مصر بعد ذلك وأضافت بعدا جديدا لضرورة الاهتمام بالأسطول ودور الصناعة ، فقد قامت فيها سنة (٢٥٤ هـ / ٨٧٨ م) على يد أحمد بن طولون ولاية استقلت ولو اسميا عن الخلافة العباسية في بغداد ، وكان لزاما على ابن طولون من ثم أن يدعم قوته البحرية لدفع محاولات الخلافة التي قد تحدث لاسترداد مصر ، فاهتم بشئون الأسطول وجدد دار الصناعة بالروضة وقام بتوسعتها وتحسينها وعمل الأحواض اللازمة لها (٢٤١) ، وقد سميت صناعة الجزيرة هذه بعدة أسماء منها بالإضافة الى التسمية المشار اليها - صناعة الروضة وصناعة الجسر (٢٤٢) .

وظلت هذه ائدار منذ انشائها مركزا لصناعة سفن الاسطول المختلفة كالسميريات التي استخدمت في العصر العباسي واستمر استخدامها طوال العصر الفاطمي . والشواني أو الاغربة التي اشتملت على الأبراج والقلاع وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا ، والحراقات التي حوت مرامي للمنجنقات لقذف النيران على الأعداء وحرق سفنهم ، والطرادات التي جهزت لحمل الخيول والدواب ، والشلنديات أو المسطحات التي استخدمت لنقل السلع وكافة المؤن ، والبطسات ذات الطوابق المتعددة والقلاع الكثيرة التي كانت تتسع لسبعمئة جندي ، بالإضافة الى السفن النيلية المختلفة مثل العشاريات والعلابيات والحماثم والسنايك وقوارب الخدمة والمراكب الطائرة ونحوها (٢٤٣) .

وظل الحال بصناعة الجزيرة على ذلك حتى سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) حين أمر الاخشيد كما أشرنا بتحويل بناء السفن من الجزيرة الى ساحل مصر (الفسطاط) واتخاذ دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان زوجة أحمد ابن طولون مقرا لهذه الصناعة ، فكان تنظيمها في هذه الدار - بالإضافة الى موقف الاخشيد ممن خالفوه وخرجوا عليه فيما سبقت الإشارة اليه - لأنها كانت على شاطئ النيل مباشرة ولها درج يؤدي الى مياهه (٢٤٤) .

واعتبارا من السنة المشار اليها ، ظلت السفن - في غالب الظن - تبني في دار الصناعة بالجزيرة تارة وفي دار الصناعة بالفسطاط تارة أخرى ، حتى كان عصر الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله فأمر وزيره المأمون بن البطائح سنة (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) بنقل عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي بجزيرة الروضة الى الصناعة القديمة بساحل مصر فنقلها ، وكان لزاما عليه من ثم أن يبني في الصناعة الأخيرة منظره للخليفة ، يستعرض منها سفن الاسطول في يوم الاسطول (٢٤٥) .

ومعنى ذلك أن السفن الحربية ظلت تصنع في الجزيرة الى جانب السفن النيلية حتى عصر الأمر الفاطمي (٤٩٥ - ٥١٩ هـ / ١١٠١ -

١١٢٥ م) ثم أصبحت بعد ذلك دارا لصناعة السفن النيلية والتجارية فقط .
وبذلك اقتصرت صناعة مصر ببناء السفن الحربية من الشوانى والشلندبات
ونحوها بينما اقتصرت صناعة الجزيرة ببناء السفن النيلية أو التجارية
من العشاريات والعلايات والحماثم وغير ذلك (٢٤٦) .

فلما جاء عصر الأيوبيين واتخذ الصالح نجم الدين من جزيرة
الروضة مقرا لحكمه وبنى فيها قلعه - كما أسلفنا - زادت العناية
بصناعة الروضة من جديد وأُفرد للأسطول ديوان خاص سمي « ديوان
الأسطول » فعادت الجزيرة دارا للصناعة تبنى فيها الحراريق والشلنديات
ونحوها حتى سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) بينما ظلت تبنى في دار الصناعة
بالفسطاط الشوانى وغيرها من المراكب النيلية أو الديوانية (٢٤٧) .

وبعد سقوط الدولة الأيوبية قلت العناية بجزيرة الروضة وخرب
قلعتها ودار صناعتها وأهمل الجسر الذى يربط بينها وبين مدينة مصر ،
فلما كان عصر السلطان الظاهر بيبرس عادت العناية الى دار الصناعة
بالجزيرة من جديد ، وصدر مرسوم ينظم تجارة الأخشاب أو (أعواد
العمل) كما كانت تسمى تأمينا لما تحتاجه دار الصناعة من هذه الأعواد
لبناء الأسطول الذى أمر به ، بل أكثر من ذلك أنه كان يذهب الى الدار
بنفسه ليشرف على اعداد الشوانى التى أمر بصناعتها حتى أنهى رجال
الدار بإشرافه بناء أسطول قوامه أربعون سفينة ، واستمرت عناية الممالك
بعد ذلك بصناعة الروضة حتى نهاية دولتهم وبداية عصر الدولة
العثمانية (٢٤٨) .

وطبقا لما لدينا من معلومات تاريخية لم يذكرها فيما نعلم غير المقرئى
فانه يمكن القول أن الأمير جركس الخليلى كان قد أنشأ بجزيرة الروضة
فى شعبان سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) طاحون غلال مائية جعلها فى
مركب على بسطة المقياس يديرها الماء برسم طحن الغلال دقيقا (٢٤٩) ،
وكان ذلك أمرا غريبا فى حينه فجعل الناس يأتون من كل فج لرؤيتها ،
وكانت الحبوب منذ القرن (٤ هـ / ١٠ م) تطحن فى مطاحن اما مائية
واما هوائية ، ويبدو أن قصب السبق فى مضمار الأرحاء (الطواحين)
المائية كانت لأهل البصرة بعد أن استفادوا كثيرا من حركة الماء فى أنهارهم
أثناء مده وجزره ، فعملوا الى أرحية أقاموها على أفواه هذه الأنهار يديرها
الماء أثناء حركته خروجا ودخولا واستغنوا بذلك عن الدواب فى إدارة
الطواحين الا فى الجهات التى ليس بها أنهار .

وما وصلنا فى بعض المصادر والمراجع العربية من وصف لهذه
الطواحين المائية يبين أن كل واحدة منها كانت تسمى عربية ، وكانت تصنع

من الخشب والحديد الذي لا يمازجه شيء من الحجر والجبص ، وتربط دى وسط الماء بسلاسل من حديد ، وبكل عربة من هذه العربات حبران يطحن كل منهما خمسين وقرا فى كل يوم ، وكانت أكبر الأرحاء فى بغداد على نهر دجلة ويقال لها « البطريق » لأنها كانت تشتمل على دائرة حجرة تدل فى كل سنة مائة ألف ألف درهم (٢٥٠) ، وعلى ذلك فإنه يمكن القول أن نشاط جزيرة الروضة الصناعى لم يقتصر على صناعة السفن فقط. وإنما شمل أيضا طحن الغلال كواحدة من المصناعات التى قامت على الانتاج الزراعى .

٢ - عين شمس (المطرية) :

أشار البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) الى عين شمس بقوله أنها « بلدة بمصر قريبة من الفسطاط » (٢٥١) وذكرها كل من ابن حوقل والاصطخرى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال الأول « وبالفسطاط قرية تعرف بعين شمس .. لها نبت يزرع كالقضببان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض الا هناك ويؤكل لحياء هـ - ن القضببان فيكون له طعم مالح وفيه حرارة وحروفة لذيدة » (٢٥٢) وقال الثانى « وعين شمس ومنف هما قريتان قد خربتا ، وعين شمس من شمالى الفسطاط ومنف من جنوبيه ويقال انهما كانتا مسكنين لفرعون ، وحوالى الفسطاط (يقصد فى عين شمس) زرع ينبت مثل القضببان يسمى البلسان يتخذ منه دهن البلسان ولا يعرف بمكان فى الدنيا الا هناك » (٢٥٣) وأضاف المسبجى فى القرن (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) أنها « من أشهر المدن القديمة كان موقعها فى الشمال الشرقى للقاهرة فى الموضع المعروف بالمطرية وكان بها بستان يتخذ الخلفاء الفاطميون للمنزهة » (٢٥٤) وأشار إليها الادريسي فى القرن (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله أنها « أسفل جبل المقطم على مقربة منها مكان يعرف بثنور فرعون وعين شمس مما يلى انفسطاط ينبت البلسان وهو النبات الذى يستخرج منه دهن البلسان ولا يعرف بمكان من الأرض الا هناك » (٢٥٥) .

أما ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقد قال أن « عين شمس اسم مدينة فرعون موسى بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاث فراسخ (الفرسخ ثلاثة أرباع ميل) وكانت مدينة كبيرة وهى قصبة كورة أتريب وبها قدمت زليخا على يوسف القميص » (٢٥٦) وبين القزوينى بعد ياقوت بقليل من الزمن أنها كانت محل سرير فرعون وتقع بالجانب الغربى من النيل قرب الفسطاط ثم كرر ما ذكره ياقوت بقوله « وبها قدمت زليخا على يوسف عليه السلام » (٢٥٧) .

وذكر ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) بالاضافة الى كنى هذه
الاشارات أنيا ، كانت في قديم الزمان عظمة الطول والعرض متصلة البناء
بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط وبها المسلتان العجيبتان وتعرف الآن
(أى على عنده) بالحوف الشرقى وبالمطرية وهى كيمان خراب بين بلدتى
الخصوص والمطرية « (٢٥٨) أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن
(١٣ هـ / ١٩ م) الى أن من هذا الاسم بلدتان بمصر احدهما المطرية من
ضواحي القاهرة بمديرية القليوبية ويقال لها منية مطر ٠٠ والمطرية غير
عين شمس وانما هى بقربها ، وعين شمس مدينة قديمة كانت بقرب المطرية
وكانت تسمى هليوبوليس ، وقد بقى لها هذا الاسم حتى سنة (٢٢٦ هـ /
٨٤٠ م) ثم سميت بعده باسم عين شمس (٢٥٩) . وأخيرا قال صاحب
القاعوس الجغرافى أن موقعها بأراضى ناحية المطرية فى الشمال الشرقى
للقاهرة على بعد عشرة كيلو مترات منها ، وقد اندثرت هذه المدينة ويعرف
موقعها اليوم بتل الحصن وما جاوره من أرض المطرية حيث توجد احدى
المسلماتين (٢٦٠) .

أما المراجع العربية الحديثة فقد فصلت فى ذلك كثيرا ، وجاء فى هذا
الصدد ان تلك المدينة ذكرت فى التوراة باسم « أون » ، وانها كانت فى
العصر الفرعونى عاصمة دينية وقاعدة للقسم الثالث عشر من أقسام مصر
القديمة ، وقد أقيمت على نهد من الأرض يحيط به سور غليظ لا زالت
بقاياها قائمة حتى اليوم وسميت حينذاك (بير رع Per. Ra) أى معبد
الشمس أو مدينة الشمس ، ثم تحول هذا الاسم بمعناه عند اليونان الى
« هليوبوليس » ، ومع ذلك فقد ظل اسمها القديم « أون » باقيا متداولا
عند الأقباط حتى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى لأنها كانت لقدسيتها
منبعا للديانة ومركزا لدراسة علم اللاهوت والفلسفة ، وفى هذا يقول
على باشا مبارك أن أهلها كانوا أعرف الناس بالعلوم وقد تعلم فى مدرستها
أودوكس وأفلاطون وغيرهما علم النجوم والفلسفة والتاريخ وغيره (٢٦١) .

فلما فتح العرب مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) اتخذها عمرو بن
العاص - كما تروى بعض المصادر والمراجع العربية - مقرا يتجهز منه لمعاركه
المحلية لما كانت تمتاز به من صلاحية الموقع ووفرة المياه التى كانت فى
بئر مجاور لها سماها العرب « بئر الشمس » أو « عين الشمس » فغلب
اسم البئر من ثم على المدينة وعرفت به ، الى ان غلب على المدينة فى الوقت
الحاضر اسم المطرية واختفى من ورائه اسمها القديم (٢٦٢) .

هذا عن المدينة اسما وموقعا ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى
فالذى لا شك فيه أنها كانت المركز الهام والوحيد لانتاج دهن البلسان

فى عصر ، يؤيد ذلك ما جاء فى كثير من المصادر التاريخية التى لا يرقى اليها ريب ، وما ورد فى معظم المراجع العربية وغير العربية والمترجمة ، وقد أفاضت المصادر العربية كثيرا فيما أوردته عن صناعة البلسان فى عين شمس واتفق فى ذلك ما ذكره الاصطخرى فى منتصف القرن (٤ هـ / ١٠ م) (٢٦٣) وما ذكره ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) (٢٦٤) والادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) (٢٦٥) وياقوت الحموى فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) (٢٦٦) والقزوينى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) (٢٦٧) وابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) (٢٦٨) والسيوطى فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) (٢٦٩) وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) (٢٧٠) ، ومجمل ما ذكره هؤلاء ان شجر البلسان كان يشبه فى شكله شجر الحناء أو شجر الرمان أول ما ينشأ ، وأنه كان بالمدينة قوم يخرجون ماء هذا الشجر ، يستقطرونه بجده واجتهاد فى آنية لطيفة من زجاج فيحصلون منه فى العام على نحو مائتى رطل بالمصرى ، وأنه كان هناك رجل نصرانى يطبخه ويصفى منه الدهن بصناعة يعرفها ولا يطلع عليها أحدا وقد اجتهد بعض الملوك لكى يعلمهم ذلك فأبى .

كذلك فقد جاء فى هذه المصادر أيضا ان الملك الكامل محمد كان قد استأذن أباه الملك العادل فى أن يزرع شيئا من شجر البلسان فأذن له ، فلما زرعه لم ينجح ولا حصل منه دهن البتة ، فسأل أباه ان يجرى لهذا الزرع ساقية من بئر المدينة فأذن له ففعل ونجح الزرع ، فكان ذلك دليلا على خاصية هذا البئر الذى يقال ان المسيح عليه السلام كان قد اغتسل فيه عندما استراحت العائلة المقدسة تحت ظل شجر البلسان بمدينة « أون » خلال رحلة هذه العائلة الى مصر هربا من الحاكم الرومانى بفلسطين ، فكانت لمياهه من ثم خاصيتها التى ميزت هذا الشجر بما كان يستخرج منه ، وفى هذا يقول كل من ياقوت والقزوينى أنه ليس فى جميع الدنيا موضع ينبت فيه شجر البلسان وينجح دهنه الا هناك ، وأرض هذا النبات بالمدينة على امتداد البصر طولا وعرضا (٢٧١) .

والواقع ان ما ذكره على باشا مبارك خلال القرن (١٣ هـ / ١٩ م) فى هذا الصدد يعد أكثر تفصيلا ممن سبقه ، ويتضح مما أوردته أن المساحة التى كانت تزرع بشجر البلسان فى عين شمس كانت تقدر بنحو سبعة أفدنة ، وان ارتفاع شجرته كان نحو من ذراع أو أكثر قليلا ، وان هذه الشجرة كانت تشتمل على قشرين الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر سميك اذا مضغ ظهر فى الفم منه دهنة ورائحة عطرية ويجتنى دهنه عند طلوع الشعري بأن تشدخ السيقان بعد ازالة أوراقها بحجر معين وبطريقة خاصة ، تحتاج الى صناعة بحيث يقطع القشر الأعلى ويشق الأسفل شقا

لا ينفذ الى الخشب لأنه اذا نفذ لا يخرج منه دهن ، ثم تمهل هذه السيقان بعد الشدخ ريشما يسيل على العود لثاها فيجمع بالأصبع مسحا الى قرن يصب في القوارير الزجاجية حتى تمتلئ ولا يزال كذلك حتى ينتهي جناه وينقطع لثاه ، وكلما كثر الندى في الجو كان لثاه أكثر وأغزر (ومقدار ما خرج منه سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) وهى عام جذب بلغ نيفا وعشرين رطلا) ، ثم تأخذ القوارير وتدفن في القفيظ وتخرج من الدفن وتجعل في الشمس ثم تتفقد كل يوم لأخذ ما يطفو عليها من الدهن فوق رطوبة بائية ، ثم يعاد الى الشمس ثم يقطف دهنه وهكذا حتى لا يبقى منه شيء ويؤخذ هذا الدهن ويطبخه قيمه في الحفية لا يطلع على طبخه أحد ثم يرفعه الى خزانة الملك (٢٧٢) .

وقد رأى ناصر خسرو شجرة البلسان في عين شمس عندما زار مصر في القرن (٥ هـ / ١١ م) وقال « ان هذا النوع من الشجر لا يوجد في أى مكان آخر ، واذا زرع فانه لا يكون بهذه الجودة ، واذا نجح فانه لا ينبت بالدهن ، واذا كبر وحان قطافه فان الناس تجدع أغصانه ويربطون على المكان المقطوع زجاجة تمتلئ بمادة صمغية تتسرب من الأغصان وعندما يتم افراغ تلك المادة فى الأواني الزجاجية تيبس الشجرة وتحمل أعوادها لتباع فى المدينة ، وهى أعواد سميكة يخرج منها طعام يشبه اللوز ، ثم يضيف (٢٧٣) الى ذلك فى معرض حديثه عن العصر الفاطمى قوله « وكذلك تتوافر فى القصر السلطاني جميع أنواع الأشربة والأدوية وتمنع لكل من يطلبها من الناس وكذلك الدهون والمراهم مثل زيت البلسان وغيره مهما طلب الناس منها فانهم يحصلون عليها دون تأخر أو اعتذار أو مطل » (٢٧٤) .

ولكننا لا نميل الى الأخذ بهذا المعنى الذى جعل مرهم البلسان شيئا يعطى لكل الناس مهما طلبوا منه ، لأن هذا الدهن لأهميته وفاعليته فى علاج البرودين والمقروحين كان عادة ما يمنح على سبيل الهدايا القيمة الى ضيوف الدولة ، وهو الأمر الذى كان - على ما يبدو - سببا فى احتكار الدولة لصناعته طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية ، ليس هذا فقط بل لقد أحاطت هذه الدول موضعه بسور متين وأناطت حراسته ولا سيما وقت حصانه برجال الشرطة وأحيانا ما عهدت بهذه الحراسة الى الأسرى المسيحيين (٢٧٥) .

وفى ذلك أيضا يقول على باشا مبارك « ويخرج لعصر البلسان أوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه، ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل الى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة البرودين ، ولا يؤخذ منه شيء الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك ، وللملوك النصارى

من الحيشة والروم والفرنجة فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر
ويسمونه « دهن الميرون » (٢٧٦) .

ومهما يكن من أمر فالواضح من تلك المصادر العربية كلها أن عين
شمس كانت قبل الفتح العربي لمصر مركزا هاما لصناعة دهن البلسان ،
يؤيد ذلك أيضا ما ورد في تاريخ البطارقة من أن أمينا على استخراج دهن
البلسان أو الميرون كان بالمطرية على أيام البطريق غبريال بن تريك ،
وأن هذا الأمين الذي كان واحدا من رهبان دير الأب حلوش كان قد سعى
برهبان الدير - طبقا لما أشار إليه ابن المقفع - عند الامام الحافظ (٢٧٧)
فاذا كان معنى ذلك بما لا يقبل الشك أن غبريال بن تريك هذا كان معاصرا
لعهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٥ - ٥٢٣ هـ / ١١٢٠ ...
١١٣٨ م) ، فانه يمكن القول ان صناعة البلسان لم تكن قد أنشئت خلال
عند الحافظ لأول مرة ، بل لا بد أن يكون انشاؤها قد سبق هذا التاريخ
الى الوراء كثيرا منذ العصر البيزنطي ، بل ربما كان هذا النوع من الدهن
هو ما استخدمه المسيح عليه السلام في علاج المرضى ممن أشار اليهم القرآن
الكريم بقوله « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله » (٢٧٨) .

من ذلك كله يتضح أن صناعة مرهم البلسان كانت قد مورست
في عين شمس منذ العصر البيزنطي وظلت تمارس فيها خلال العصر
الاسلامي حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار اليه
السيوطي (٢٧٩) . مرورا بتأكيد استمراريتها خلال هذا العصر في القرن
(٧ هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن ممتي (٢٨٠) .

٣ - المقس :

المقس كما حددتها المصادر والمراجع العربية هي « أم دين »
(Tendunyas) وكانت تقع على شاطئ النيل تجاه القاهرة الى الشمال
من حصن بابليون على البر الغربي للمخليج ، فلما انحسر عنها ماء النيل
بعد سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) ، وظهرت جزيرة الفيل تقلص النيل
عند سور القاهرة الذي كان ينتهي عند المقس ، والمعروف أن النيل كان
يجري حينذاك بجوار حصن بابليون ودير أبي سيفين فكان مجراه بهذا شرق
المجرى الحالي بكثير وكان بعد مروره بمنطقة الكبش يتجه شمالا حتى
المقس ، فكانت المقس بذلك هي ميناء القاهرة النهري منذ الفتح العربي
لمصر حتى القرن (٦ هـ / ١٢ م) .

وموقع المقس اليوم هو محطة باب الحديد وشارع كلوت بك الى
حديقة الأزبكية في المنطقة الواقعة بين جامع المقس (أولاد عنان حاليا)

بشارع رمسيس حتى شارع قنطرة البركة (نجيب الريحاني الآن) ويشتمل
ذلك مدخل شارع الجمهورية من جهة شارع رمسيس والمباني الواقعة على
جانبه حتى الدرب الابراهيمى (٢٨١) .

والواقع أن « أم دنين » كانت قبل الاسلام واحدة من المدن المصرية
الهامّة ، يدل على ذلك ما أورده كل من ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م)
وابن تغرى بردى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) عن أنها كانت تشتمل قبل
سوء الفسطاط على حصن حاصره عمرو بن العاص وقاتل أهله قتالا شديدا
حتى فتحه الله له سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) فكان هذا الفتح بمثابة قاعدة
اتخذها العرب على النيل تركوا فيها حامية لهم وانطلقوا منها بالسفن عبر
النهر لتابعة الفتح (٢٨٢) ، ويذكر أن سبب تسمية المقس بهذا الاسم
يرجع الى أنها كانت فى العصر الاسلامى مقرا لصاحب المكس أو العاشر
الذى كان يأخذ عشر أموال القوم من بائعى السلع فى الأسواق مكسا
أو جباية للدولة فقلبت الكاف فى كلمة المكس قافا وقيل المقس (٢٨٣) .

أما فيما يتعلق بالمقس كمركز صناعى فإن ما لدينا من مادة تاريخية
وأكدة تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت منذ العصر الفاطمى أحد
المراكز الهامة لصناعة السفن ، وقد جاء فى ذلك - طبقا لما ذكره المقرئى -
أن المعز لدين الله الفاطمى هو الذى أنشأ دار الصناعة بالمقس وبنى فيها
ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على ميناء ، وعندما تم بناء هذه السفن
ركب فى شوال سنة (٣٦٢ هـ / ١٩٧٢ م) الى المدينة ليشرّف بنفسه
على الاسطول وقرأ عليه وعوذه (٢٨٤) .

ويغلب على الظن أن سبب انشاء هذا الاسطول يرجع الى ان الروم
كانوا قد هددوا سواحل الشام التى كانت فى حوزة العبّديين ، واستولوا
على بعض منها مثل حلب وأنطاكية فأمر المعز بانشاء دار للصناعة بالمقس
قريبا من مدينتهم القاهرة لبناء الاسطول الذى يرد به على غارات هؤلاء
الروم ويؤمن بواسطته حدود الدولة الساحلية (٢٨٥) فلما تولى الحاكم
بأمر الله أقام الى جوار دار الصناعة هذه مسجدا سمي بجامعة المقس
فعمرت المنطقة وأمها الناس حتى أصبحت بعد ذلك من أهم ثغور
القاهرة (٢٨٦) ، وفى عهد العزيز بالله جددت هذه الدار وأمر من فيها
سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) ببناء أسطول ضخم للهجوم على قواعد الروم
المجاورة للشام ، ولكن ما كادت دار صناعة المقس ان تفرغ من بناء هذا
الأسطول حتى شب حريق هائل أتى على معظم قطعه التى كانت قد
بنيت ، واتهم الخليفة تجار الروم وعملاءهم فى مدينة أقالقى بتدبير الحادث
فاعترفوا بجريمتهم وغادروا البلاد مطرودين (٢٨٧) .

وكان من جملة مناظر الفاطميين منظره بجوار جامع المقس على النيل
الاعظم أعدت لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول للغزو فيحضر اليها
رؤساء الشوانى مجهزة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل
أمامه . وقد خربت هذه المنظره وصار موقعها فى الدولة الأيوبية برجا
عرف بقلعة المقس فلما جدد الوزير شمس الدين بن على جامع المقس سنة
(٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م) هدم هذا البرج وجعل مكانه حديقة شرقى
الجامع (٢٨٨) .

وظلت المقس ثغرا من أهم ثغور القاهرة كما ظلت دار صناعتها عامرة
عاملة حتى بداية العصر الأيوبى فى أواخر القرن (٦ هـ / ١٢ م) عندما
ما سجله ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) بقوله « كان
ينتهى عندها ، وهنا امتلأت المنطقة بالرمال وأخذت الجزر تزداد فيها سنة
بعد أخرى وسميت هذه المنطقة باسم بولاق التى ما أن تكونت حتى اتجهت
العناية الى تعميرها منذ ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩ -
٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م) حتى صارت بولاق ثغر القاهرة بدلا من
المقس (٢٨٩) .

وآخر ما يمكن الاشارة اليه بالنسبة للمقس كمركز صناعى هو
ما سجله ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) بقوله كان
لقريات من مصر منهن أم دنين وبلهيب عهد ، وان عمر بن الخطاب لما سمع
بذلك كتب الى عمرو بن العاص يأمره أن يخيرهم فان دخلوا الاسلام فذلك
وان كرهوا فارددهم الى قراهم » (٢٩٠) ، ومعنى ذلك أن « أم دنين » كانت
دارا يسكنها القبط وربما كان ذلك سببا يدعونا الى القول بأن صناعة
النسيج كانت تمارس فيها رغم أننا نفتقر الى الأدلة الكافية لاثبات ذلك ،
ولكن هذا القول ينبع مما نعرفه من أن صناعة النسيج فى مصر بشكل
عام كانت قد انتشرت فى البلدان التى يسكنها هؤلاء الأقباط ، ولعل
فيما فرضه عمرو بن العاص عليهم استيفاء لحاجة المسلمين من السراويل
والجلبب والقمصان القبطية والبرنسبات ونحوها ، دليلا على أن كل هذه
الأنواع من الثياب كانت تصنع فى الكثير من البلدان التى قطنوها ولا سيما
ما كان منها مجاورا للعاصمة التى اتخذها العرب بعد الفتح (الفسطاط) .

٤ - مراكز أخرى بالقاهرة :

قبل أن ننهى الحديث فى هذا الفصل عن المراكز الصناعية بضواحي
العاصمة ، لا بد لنا من الاشارة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة بالقاهرة
ونعنى بذلك بولاق والجزيرة الوسطى وقصر ابن العيني .

وقد أشار السيوطي الى بولاق في معرض سرده لحوادث سنة (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) وذكره لهبوب عاصفة شديدة في هذه السنة أغرقت نحو ثلاثمائة مركب عند ساحل بولاق (٢٩١) وقد سبقت الإشارة الى أن هذه الضاحية كانت قد أصبحت بعد انحسار النيل عن المقس ثغرا هاما بالقاهرة ودارا لصناعة السفن منذ أواسط القرن (٨ هـ / ١٤ م) وازدهرت هذه الدار خلال عصر المماليك الشراكسة بدليل ما ورد على لسان ابن اياس من ان السلطان الغوري كان قد توجه في صفر سنة (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) الى مدينة طرة لاستعراض المركب الكبير الذي سمي بالغليون والذي كان قد عمر في بولاق ، فلما تم بناؤه زينوه بالصناجق والطوارق والمكاحل وتوجهوا به الى طره حيث عرضوه على السلطان في البحر (٢٩٢) ، واستمرت دار الصناعة في بولاق عامرة الى ما بعد انتهاء دولة المماليك بوقت طويل .

أما الجزيرة الوسطى أو جزيرة أروى فكانت تقع في وسط النيل بين الروضة وبر الجيزة وبر القاهرة وبولاق ، وتعرف هذه الجزيرة اليوم بالزمالك ، وكان انحسار الماء عنها سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) (٢٩٣) ، وقد أنشأ سلاطين المماليك بهذه الجزيرة دارا للصناعة ، يدل على ذلك ما ذكره ابن اياس من ان السلطان اينال (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ - ١٤٦٠ م) كان قد شرع في عمارة أغربة بالجزيرة الوسطى عندما رسم بتجريد حملة الى جزيرة قبرص ، فلما انتهت عمارة هذه الأغربة نزل السلطان بنفسه من القلعة وتوجه الى تلك الجزيرة واستعرض ما تم بناؤه فيها (٢٩٤) .

أما قصر ابن العيني فقد أنشأه سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م) المقر الشهابي أحمد بن العيني ، وبذلك نسب اليه وقيل قصر ابن العيني ، ثم اختصرت التسمية وقيل قصر العيني أو القصر العيني ، ويروى ابن اياس أنه في ذى القعدة سنة (٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م) ركب السلطان الظاهر خشقدم من القلعة وشق مصر العتيقة الى أن وصل الى شاطئ البحر فنزل في الحراقة وانحدر الى قصر ابن العيني الذي أنشأه في منشأة المهراني على النيل تجاه آخر الروضة فأقام بها الى آخر النهار ، ثم يضيف في حوادث سنة (٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) أن والى القاهرة كان قد توجه نحو قصر ابن العيني وكشف على المراكب التي أنشأها هناك واستعجل الصناع في سرعة العمل (٢٩٥) .

وبعد ، فليس بغريب أن تؤسس كل هذه الدور في مصر لصناعة السفن ، ومن المعروف أنه كان للمصريين بوجه عام وللأقباط قبل الفتح

العربي بوجه خاص يد طولى فى هذا المجال فكانت هناك عائلات قبطية كثيرة اقتصت باتقان فنون هذه الصناعة مثل سبد الشجرات واستخدام المسامير أو الحبال وطلاء الزيت والقطران والنقش بمختلف الألوان ونحو ذلك ، لهذا كان الأقباط هم عماد الدور التي أقامها المسلمون فى كل من مصر والشام وبلاد المغرب .

٣ - حواشي وتعليقات الفصل الثالث

من الباب الأول

ضواحي العاصمة

- ٢٢٦ - الاصطخري : المصدر السابق : ص ٤٩ .
٢٣٧ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٩ - ١١٤ وأنظر أيضا محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٣ ق ٢ ص ١٩ .
٢٢٨ - الادريسي : المصدر السابق : ص ١٤٤ .
٢٢٩ - القزويني : المصدر السابق : ص ٢٣٧ .
٢٣٠ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣٩ .
٢٣١ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ٣٧ .
٢٣٢ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠٩ - ١٢٠ .
٢٣٣ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٧ - ٣٨٦ .
٢٣٤ - راجع في ذلك : المقرئزي : الخطط : ج ٢ ص ١٢ - ١٣ ، ٦٠٩ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٧ .
٢٣٥ - لمعلومات أكثر تفصيلا عن البحرية الاسلامية أنظر :
Fahmy (A. H.) : Muslim Sea power in the Eastern Mediter-
ranean from the seventh to the tenth century A. D. (1st.
ed., Cairo 1966).
وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .
٢٣٦ - محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ٣٧٤ .
٢٣٧ - المقرئزي : الخطط : ج ٢ ص ٦١٥ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ : ص ١٢ ، السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٨ . وأنظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص ٣١٥ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتها العسكر والقطائع : ص ٣٠ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٦ ، على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق : ص ٦٢ .
٢٣٨ - المقرئزي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٦١٥ وما بعدها ، ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ ص ١٢ وأنظر أيضا : عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٣١ .
٢٣٩ - لمعلومات أكثر تفصيلا فى ذلك أنظر :
Fahmy (A. H.) : Muslim naval in the Eastern Mediterranean
from the seventh to the tenth century A.D. (1st. ed. Cairo 1966);
Kubiak (W. B.) : The Byzantine attack on Damietta in 853.
A.D. (Byzantion, vol. xl, 1970. pp. 45-66).
وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .

- ٢٤٠ - سعاد ماهر : المرجع السابق : ص ٣١٣ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص ١٦٦ .
- ٢٤١ - راجع أيضا : المسبحي : أخبار مصر : ج ١ ص ١٠ ح ١ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٣٣٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ٤ ص ٩٩ .
- ٢٤٢ - حورية عبد السلام : النظم الحربية فى مصر زمن الفاطميين : ص ص : ٧٩ - ٨٤ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص ١٦٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ١٣١ - ١٣٩ .
- ٢٤٣ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ ص ١٢ .
- ٢٤٤ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٩ .
- ٢٤٥ - ابن مباتى : المصدر السابق : ص ٣٤٠ ، المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .
- ٢٤٦ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٨ وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٨ .
- ٢٤٧ - المقرئى : السلوك : ج ٣ ق ٢ ص ٤٧٢ ، وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٩ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص ١٦٨ .
- ٢٤٨ - راجع فى ذلك : المقدسى : المصدر السابق : ص ٤٠٨ وأنظر أيضا : آدم منز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص : ٣٦٢ - ٣٦٤ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص : ٣٠٨ .
- ٢٤٩ - البلاذرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٧٥٤ .
- ٢٥٠ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٥٠ وأنظر أيضا : على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة : ج ١٥ ص ٥٢ .
- ٢٥١ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٥٤ .
- ٢٥٢ - المسبحي : أخبار مصر : ج ١ ص ٩ ح ١ .
- ٢٥٣ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٤١ ، ١٤٥ .
- ٢٥٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ص : ١٧٨ - ١٧٩ وأنظر أيضا : عبد العال الشامي : مدن مصر وقراها عند ياقوت : ص ٤٧ .
- ٢٥٥ - القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ٢٥٦ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٣ - ٤٤ .
- ٢٥٧ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ص : ٤٧ - ٥١ .
- ٢٥٨ - محمد رمزى : المرجع السابق : ج ١ ص ٣٣٩ وأنظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٧٤٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٧١٣ .
- ٢٥٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٤٨ .

- ٢٦٠ - راجع : الكندي : المصدر السابق : ص ٥٢ ، ياقوت : المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٣ وأنظر أيضا : بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٢٠٠ - ٢٠١ ، محمود عكوش : المرجع السابق : ص ص : ٥٢ - ٥٣ .
- ٢٦١ - الاصطخري : المصدر السابق : ص ٥٤ .
- ٢٦٢ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٣ - ١٠٤ .
- ٢٦٣ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٤١ .
- ٢٦٤ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٤٩ وأنظر أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ص : ٣٦ - ٣٧ .
- ٢٦٥ - القزويني : المصدر السابق : ص ص : ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ٢٦٦ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٣ - ٤٤ .
- ٢٦٧ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٣١ .
- ٢٦٨ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .
- ٢٦٩ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٤٩ وأنظر أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق ص ص : ٣٦ - ٣٧ ، القزويني : المصدر السابق : ص ص : ٢٧١ - ٢٧٢ .
- ٢٧٠ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٥٣ .
- ٢٧١ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ١١٤ .
- ٢٧٢ - نفس المصدر : ص ١١٤ .
- ٢٧٣ - أنظر أيضا : راشد البراوي : المرجع السابق : ص ٣٨٤ ، سعاد ماهر القاهرة القديمة وأحيائها : ص ص : ١٢٧ - ١٢٨ .
- ٢٧٤ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ٥٣ .
- ٢٧٥ - ساويرس : تاريخ البطارقة : مجلد ٣ ج ١ ص ص : ٣٥ ، ٤١ .
- ٢٧٦ - سورة آل عمران : آية : ٤٩ .
- ٢٧٧ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣١ .
- ٢٧٨ - ابن مباتي : المصدر السابق : ص ٨١ وأنظر أيضا : راشد البراوي : المرجع السابق : ص ٣٨٤ .
- ٢٧٩ - راجع في ذلك المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠ ح ٤ ، القلقشندي : المصدر السابق : ج ٣ ص ٣٥٧ ، السخاوي : الذيل على رفع الاصر : ص ٢١٥ .
- وأنظر أيضا : محمد رمزي : المرجع السابق ج ١ ص ١١٤ ، بتلر : المرجع السابق : ص ١٩٢ .
- ٢٨٠ - راجع : ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٥١ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ٥٦ ، ابن تغري بردي : المصدر السابق : ج ٤ ص ٥٣ وأنظر أيضا : بتلر : المرجع السابق : ص ١٩٤ .
- ٢٨١ - راجع في ذلك : المقرئزي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠٧ وأنظر أيضا :

عبد المال السامى : المرجع السابق ص ٥٦ ، المسبحى : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠
ج ٤ .

٢٨٢ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٥٠٧ وراجع أيضا : اتعاط الحفا (تحقيق
الشميل) ص ١٣٩ .

٢٨٣ - أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ص : ١٦٧ - ١٦٨ ، جورجى
زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .

٢٨٤ - راجع فى ذلك : المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٥٠٢ ، السلوك : مجلد ١
ق ١ ص ٧٤ ح ٧ وأنظر أيضا : سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحيائها : ص ٦٧ .

٢٨٥ - راجع : المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر أيضا : سعاد ماهر :
البحرية فى مصر الإسلامية : ص : ٣١٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق :
ج ١ ص ٩١ .

٢٨٦ - راجع : المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز
سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، سعاد ماهر : القاهرة القديمة
وأحيائها : ص ٦٧ .

٢٨٧ - راجع فى ذلك : المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ص : ١٨٥ - ١٨٦ وأنظر
أيضا : سعاد ماهر : ص ص ٦٧ - ٦٨ ، عبد الرحمن زكى : القاهرة (تاريخها
وأثارها) ص ص : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١
ص ص : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

٢٨٨ - راجع فى ذلك : ابن عبد الحكيم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٨ .

٢٨٩ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨٠ وأنظر أيضا : فادوس جغرافى
للقطر المصرى : ص ١٤٩ .

٢٩٠ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٧٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور :
ج ٣ ، ص ٣٠٣ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١
ص ٢٢٣ .

٢٩١ - راجع فى ذلك : ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٧٥ ، المقرئى :
الخطط : ج ٢ ص ٥٠٧ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق :
ج ١ ص ٢٢٤ ، عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة : ص ٦٤ .

٢٩٢ - ابن اياس : المصدر السابق : ج ٢ ص ٦٣ .

٢٩٣ - نفس المصدر : ج ٣ ص ٣٠٢ .

الباب الثاني

مراكز الوجه البحري

مما لا شك فيه أن مراكز الصناعة فى الوجه البحرى كانت قد لعبت دورا هاما وأساسيا فى تشكيل البنية الاجتماعية للتجمعات الحضرية المصرية فى العصور الإسلامية بشكل عام ، وفى محيط أقاليمها المحلية بشكل خاص ، لأن هذه المراكز كانت قد أخذت بالفعل دور القيادة الصناعى والحرفى والتجارى ، ومن ثم دور القيادة الحضارى لهذه الأقاليم بسبب الكثير من الأنشطة الصناعية والحرفية والتجارية التى تطلبتها الصناعات والحرف التى مورست فيها .

فمن هذه المراكز لم يخرج العديد من الانتاج الصناعى والحرفى لىفى بحاجة الأسواق الإقليمية فقط ، وإنما ليمد الأسواق المصرية الأخرى بما كان روادها فى حاجة اليه ، ليس هذا فقط ، بل ان انتاج هذه المراكز ذو الجودة العالية مثل منسوجات تنيس وتونة ودبيق ودمياط وشطا وغيرها كان يصدر الى مختلف الأسواق الأجنبية حاملا معه شهادة التفوق الصناعى المصرى الى هذه الأسواق من ناحية ، وجالبا الكثير من العملات الأجنبية لتدعيم الاقتصاد الوطنى من ناحية أخرى .

وأهم من هذا وذاك أن مصر نتيجة لما صنعتته هذه المراكز كانت قد عرفت بين دول العالم المعاصر (حينذاك) كدولة صناعية متقدمة اعتمد عليها فى تلبية كثير من متطلبات هذه الدول ، وفى هذا ما يكفى لالقاء الضوء على أهمية الدور الذى لعبته هذه المراكز فى حياة المجتمع المصرى خلال عصوره الإسلامية .

والواقع أن حديثنا عن مراكز الصناعة فى الوجه البحرى ينقسم الى ثلاثة فصول يخصص الأول منها لمراكز غرب الدلتا ، ويخصص الثانى

لمراكز وسط الدلتا ويخصص الثالث لمراكز شرق الدلتا وسنحاول في هذا الحديث إبراز الدور الصناعي والحرفي لكل مركز من هذه المراكز معتمدين في ذلك - كما حدث في الباب الأول - على ما عثر عليه في أي منها من مخلفات أثرية في المقام الأول وعلى ما كتب عنها في المصادر العربية في المقام الثاني وعلى ما ورد بشأنها في المراجع الحديثة في المقام الثالث .

الفصل الأول

غرب الدلتا

انحصرت مراكز الصناعة في غرب الدلتا خلال العصور الإسلامية بصفة أساسية في اقليم الاسكندرية والبحيرة ، ونعني بذلك مدينة الاسكندرية ذاتها ثم مدينة دمنهور وتوابعها وهي بلقتر وترنوط (الطرانة) ورشيد وادكو .

١ - الاسكندرية :

الاسكندرية هي عاصمة الاقليم الحضارى القديم المعروف بذات الاسم ومقره الادارى (٢٩٦) ، وقد جاء ذكرها في كثير من المصادر العربية بدءا من مصادر القرن (٢ هـ / ٨ م) حتى مصادر القرن (١٠ هـ / ١٦ م) . وأفاضت علينا هذه المصادر طوال ثمانية قرون من عمر الزمن بمعلومات وافرة عن المدينة وكل ما يحيط بها ، من ذلك مثلا ما أشعار اليه ابن عبد الحكم في القرن (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) بقوله أن الذي بنى الاسكندرية هو ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية ، وبين أنها كانت تتألف حينذاك من ثلاث مدن تجاور بعضها بعضا هي : منه وهي موضع المنارة وماوالاهما ، والاسكندرية وهي موضع قسبة الاسكندرية اليوم ، نقيطة (التى لم يحددها) ، وأضاف أنه كان على كل واحدة منهن سور علاوة على سور من خلف ذلك على الثلاث (٢٩٧) ، ورغم ما أفادنا به ابن عبد الحكم من معلومات قيمة عن الاسكندرية ، الا أنه قد خلط في التسمية بين ذى القرنين الملك العربى البمنى الحميرى وبين الاسكندر الأكبر ابن فليبس المقدونى باني الاسكندرية الذى لم يتسم بذى القرنين طبقا لما أجمع عليه المؤرخون ، أولا لأن ذو القرنين العربى هو الصعب بن ذى مرثد بن الحارث بن وائل بن حمير بن سبأ بن قحطان ، وكان ملكا عربيا من ملوك حمير تجبر بعد ما ولى الملك ثم تواضع لله واجتمع بالخضر ، وهو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سبيبا فاتبع سبيبا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا

ياذا القرنين اما ان تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا » (٢٩٨) ، وثانيا لأن حرف ذى يدل على صفة لم تعرفها الا الأسماء العربية ، ومن ثم فقد جانب التوفيق ابن عبد الحكم عندما نعت الاسكندر المقدوني بذى القرنين (٢٩٩) .

كذلك فقد أشار البلازرى الى الاسكندرية فى القرن (٣ هـ / ٩ م) وقال أنها « على ساحل بحر الشام افتتحها العرب سنة عشرين سن الهجرة » (٣٠٠) ، وقال الكندى فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) « أن الناس أجمعوا على أنه ليس فى الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غيرها » (٣٠١) ، كما ذكرها فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من ابن حوقل والمسعودى والاصطخرى فقال الأول أنها « مدينة على بحر الروم رسومها بينة وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة وتفصح عن عظة وعبرة كبيرة الحجارة جليلة العمارة » (٣٠٢) ، وقال الثانى أن الاسكندر « حشد لها الصناع من البلاد وخط الأساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمود من الرخام الذى أتت به المراكب من جزيرة صقلية وبلاد افريقية وأقريطش وغيرها » (٣٠٣) ، أما الثالث فقد قال أنها مدينة على شط البحر كثيرة الرخام والعمود وبها منارة وقد أسست فى الماء من صخر رفيع (٣٠٤) .

وجاء ناصر خسرو والادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فحدد الأول موقعها على ساحل بحر الروم وحافة النيل كما حدد المسافة بينها وبين القاهرة بثلاثين فرسخا وقال ان السفن تنقل كثيرا من الفواكه من مينائها الى مدينة القاهرة (٣٠٥) ، وقال الثانى أنها « مدينة بناها الاسكندر وبه سميت وهى على نحر البحر الملح وبها آثار عجيبة ورسوم قائمة تشهد لبانيها بالملك والقدرة . وهى قاعدة من قواعد مصر » (٣٠٦) ، وذكر القزوينى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) أنها « مدينة مشهورة بمصر على ساحل البحر » (٣٠٧) ، وقد زارها ابن بطوطة فى جمادى الآخرة سنة (٧٢٦ هـ / ابريل سنة ١٣٢٦ م) ووصفها بالشجر المحروس والقطر المأنوس كما وصف أبوابها ومرساها والمنارة وعمود السوارى ، وتكلم كثيرا عن علمائها وأوليائها وكل خصائصها (٣٠٨) .

وأوضح المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) أن الاسكندرية من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وقد بنيت غير مرة كانت أولها بعد الطوفان فى زمن مصر ايم بن بصر بن نوح ، وقد سميت (حينذاك) باسم رقودة ، ثم بنيت بعد ذلك مرتين (لم يحددهما) الا أنه قال فلما كانت أيام اليونانيين جددوها الاسكندر بن فيليب المقدونى فانتقل تخت المملكة من مدينة منف اليها فصارت دار المملكة بمصر حتى قدم عمرو

ابن العاص بجيوش المسلمين وفتح مصر فانتقل تخت الملك من الاسكندرية الى القسطنطينية (٣٠٩) . ومع أننا نجد فيما ذكره المقرئ عن الاسكندرية في القرن (٩ هـ / ١٥ م) تطابقا كبيرا مع ما ذكره ابن عبد الحكم عن المدينة في القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) فيما عدا تسمية أولهما لمنه التي ذكرها ثانيهما بمنية وإشارته الى أنه كان يحيط بها سبعة حصون وسبعة خنادق (٣١٠) ، إلا أننا نجد اختلافا ظاهرا بين ما ذكره نفس المؤرخ وما أورده المسعودي في القرن (٤ هـ / ٢٠ م) وهو اختلاف يفهم منه أن ما ذكره المسعودي يعنى أن المدينة كانت قد أنشئت لأول مرة على عهد الاسكندر بينما يفهم مما ذكره المقرئ أن الاسكندر جدد بناءها فقط ولم ينشئها لأول مرة . أما ابن دقماق فقد أوضح في القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنه « لم يكن بالديار المصرية مثل الاسكندرية ولا ما يقاربها في الحسن واتقان البناء » (٣١١) ، وأخيرا أورد ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) نقلا عن المقرئ أن الاسكندرية هي « ثاني مدينة باقليم مصر وهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » (٣١٢) .

وأضافت بعض الكتب الحديثة الى ما ورد في المصادر العربية عن مدينة الاسكندرية ما مؤداه أنها كانت قد أنشئت خلال حملة الاسكندر على مصر سنة ٣٣١ ق م ، وإن الذي وضع تخطيطها طبقا لأحدث قواعد تخطيط المدن حينذاك هو المهندس الروماني دينوكراتس وكانت المدينة مستطيلة الشكل تشقها شوارع تتقاطع عموديا بعضها على بعض (٣١٣) . وقد اختير للمدينة موقعا عند الطرف الشرقي للساحل الأفريقي فوق كتلة من الرمال ربطت القارة بجزيرة فاروس القديمة وجعلتها تلامس البحر المتوسط في الشمال وبحيرة ماريوتيس في الجنوب (٣١٤) .

وقد عرفت الاسكندرية منذ عصر اليونان والرومان كمركز صناعي هام مورست فيه كافة الصناعات التي عرفت في العالم القديم ولا سيما صناعات الفخار والخزف والنسيج والزجاج والمعادن وسك العملة وغيرها ، وقد ورد في ذلك أيضا أن الإغريق كانوا قد ساهموا كثيرا في حياة مصر الاقتصادية بإدخالهم نشاط العبيد بالاسكندرية في الصناعة ، إذ كان يعيش منهم في المدينة وقتذاك ما يقرب من مائتي ألف عبد عملوا في كثير من مصانعها وساعدوا على كثرة إنتاجها (٣١٥) .

وبعد هذا العرض الموجز عن مدينة الاسكندرية قبل الفتح الإسلامي العربي لمصر (تاريخا وموقعا) نأتى الى الحديث عنها كمركز صناعي إسلامي نشطت فيه صناعات النسيج والزجاج وسك العملة وبناء السفن والخزف والجلود ، بالإضافة الى مجموعة أخرى من الصناعات التي اعتمدت على

من منتجات زراعية مثل السكر والنبيد والصابون والحصير وغيرها ، وسنوضح فيما بلى موقف كل واحدة من هذه الصناعات التى عرفتھا المدينة فى عصورھا الاسلامیة بعد أن فتحھا عمرو بن العاص اثر حصار طويل دام - كما یقول المقریزی - خمسة أشهر قبل موت هرقل وتسعة أشهر بعده ، وكان هذا الفتح يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى وعشرين من الهجرة النبویة (٣١٦) .

١ - صناعة النسيج :

من المعروف أن صناعة النسيج كانت من أكثر الصناعات ازدهارا فى الاسكندرية خلال عصورھا القديمة ، ولعل نسيج البوليميتا (Polymita) الذى أخرجته مصانع المدينة فى العصر البطلمى والذى قيل أنه كان يضارع فى عظمته ورقته نسيج نيسوت (Nissut) الملكى الفرعونى هو خير الشواهد المؤيدة لذلك (٣١٧) . ومن الثابت أن المدينة كانت تشتمل حينذاك على ثلاثة أنواع من المناسج ، أولھا مناسج الدولة الرسمية ونعنى بها مناسج الملكة كليوباترا ، وثانيھا مناسج المعابد (جريا على العادة الفرعونیة القديمة) ، وثالثھا المناسج الأهلية التى كان الناس يمتلكونها ، والتى كانت منذ عصر بطليموس السابع خاضعة لاشراف الدولة مما يدل على أن نظام الاحتكار السلعى كان قائما خلال هذا العصر (٣١٨) .

وقد حافظت الاسكندرية على تقالیدھا الصناعیة النسيجية فى العصر البيزنطى فقد ورد أنها كانت فى هذا العصر أحد المراكز الهامة لصناعة المنسوجات الكتانية (٣١٩) ، ورغم قلة المعلومات التى لدينا فى هذا الصدد فانه من المؤكد أن الصناعة كانت قد استمرت فى المدينة بعدما أصبحت المسيحية هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية ، يؤيد ذلك أن الاسكندرية كانت ولا تزال واحدة من أهم مدن الوجه البحرى حيث تكثر زراعة الكتان من ناحية ، وأن المنسوجات الكتانية كانت ضربا من أهم ضروب المنسوجات القبطیة من ناحية أخرى ، ولا یعقل والحال هذه أن تتوقف صناعة النسيج فیها لمجرد انتقال الدولة من الوثنية فتتوقف المناسج ويسرح الصئاع ولا یجد منتجوا المواد الخام من یبیعون أهم هذا المواد .

أما فى العصر الاسلامى فقد ذاعت شهرة المدينة كثيرا فى مضمار صناعة النسيج ، حيث أنتجت دور طرازھا المنسوجات الكتانية والقطنیة والصوفیة الحریریة ، وكان من هذه المنسوجات : المنسوج والمطبوع

والمطرز والمنحرم والمذهب (٣٢٠) ، يدل على ذلك أيضا ما ورد في المصادر العربية خاصة بهذه الصناعة ، فقد ذكر ابن عبد الحكم في القوانين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) أن الاسكندر هو أول من عمل الوشى بالمدينة ، وقد ظل هذا الوشى يعمل فيها خلال العصر الاسلامى (٣٢١) ، وجاء السيوطى في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ليثبت أن هذا الوشى كان على درجة من الجودة حتى أنه كان يقوم مقام وشى الكوفة (٣٢٢) ، وفصل ابن ظهيرة ذلك في القرن المشار اليه بقوله « وبها مناسج الكتان والغلائل والمعتب الذى يحمل الى الآفاق » (٣٢٣) .

وقد كانت الأقمشة الكتانية أكثر منسوجات الاسكندرية فى العصر الاسلامى شهرة على الاطلاق ، يؤيد ذلك ما أشار اليه ابن تغرى بردى على لسان ابن حجر العسقلانى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذى عبر عن علو مكانة أقمشة الاسكندرية ببيتين من الشعر قال فيهما :

اسكندرية كم ذا	يسموا قماشك عزا
فطمت نفسى عنها	فلمست أطلب بزا (٣٢٤)

ويؤيده أيضا ما ذكره ياقوت الحموى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) (٣٢٥) ، وما ذكره كل من القلقشندى (٣٢٦) والمقريزى (٣٢٧) فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) ، ويفهم مما ذكره هؤلاء المؤرخين أن هذه المنسوجات كانت على أنواع منها ما كان عاديا رخيصا لعامة الناس سمي بالتيل ، ومنها ما كان رقيقا غاليا للقادرين منهم سمي بالشرب بيع الدرهم منه بدرهم فضة ، وفى ذلك يقول المقريزى « وفى ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة ، وما يدخل فى الطراز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة » (٣٢٨) .

وما بين أيدينا من أدلة مادية يؤكد أن شهرة الاسكندرية فى صناعة النسيج خلال العصر الاسلامى كانت قد ذاعت منذ العصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بما لا يبعد كثيرا عن أصولها القديمة فى العصور التى سبقت الاسلام ولا سيما فى العصر البيزنطى ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من هذه الأدلة المادية بخمس قطع كتانية من انتاج الاسكندرية ترجع كلها الى العصر العباسى ، منها ثلاث قطع مؤرخة واثنتان غير مؤرختين ، وأولى هذه القطع المؤرخة باسم المهدي بالله وتقول كتاباتها بعد الديباجة المعروفة « . . مما عمل بالاسكندرية على يد محمد بن هلال سنة (ست) وخمسين ومائتين » (٣٢٩) ، وثانيتها باسم المعتمد عنى الله وتقول كتاباتها بعد المقدمة المألوفة « . . مما عمل بالاسكندرية سنة ستين ومائتين » (٣٣٠) ، أما الثالثة فليس فيها اسم

الخليفة وتقول كتاباتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠ مما عمل بالاسكندرية سنة احدا ثمانين مائتين (Sic) (٣٣١) أما الآخرين غير المؤرخين فهما باسم الخليفة العباسي المعتمد على الله (٣٣٢) .

كذلك تحتفظ بعض المجموعات الخاصة ببعض من أقمشة الاسكندرية الكتانية التي ترجع الى العصر العباسي ، فهناك مثلا قطعتان أخريان باسم المعتمد على الله احدهما بمجموعة نهمان يرجع تاريخها الى سنة (٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠ مما عمل بطراز الاسكندرية سنة ثلث ستين مئتين » (٣٣٣) (Sic) ، والثانية في مجموعة تانو يرجع تاريخها الى سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) (أنظر شكل : ٧٧) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « مما عمل بالاسكندرية سنة اثنين مائتين (Sic) (٣٣٤) ، ولا شك أن هذه القطع وغيرها كانت من أهم الأسباب التي دعت بعض الباحثين الى اعتبار الاسكندرية من بين أهم مراكز صناعة المنسوجات القطنية والكتانية في مصر منذ عصر الاخشيديين (٣٣٥) .

ثم ازدادت أهمية المدينة كمركز صناعي في العصرين الفاطمي والأيوبي ، وظلت دار طرازها التي كانت قد أنشئت على ما قيل خارج باب البحر تواصل انتاجها الوافر ولا سيما من الأقمشة الكتانية والحريرية رغم تعرضها للحريق خلال الغزوة القبرصية حتى تعطلت تماما في عصر برسباي على أثر الوباء الكبير الذي حدث بالمدينة سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٣٦) .

أما في العصر المملوكي فقد اقتصرت الاسكندرية بانتاج كثير من الأقمشة الممتازة مثل السقلاطون (٣٣٧) والشرب (٣٣٨) والمنمر (٣٣٩) والمفرج (٣٤٠) والطررد وحش (٣٤١) وغيرها (٣٤٢) . ومع ذلك فقد كانت المنسوجات الحريرية هي أبرز أنواع الأقمشة التي أنتجتها مصانع الاسكندرية في العصر المملوكي ، ساعدها على ذلك أن موقع المدينة كميناء على البحر المتوسط جعل الحصول على المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة والتي كان يؤتى بها من الشام وصقلية وأفريقية أمرا سهلا وميسورا ، وكانت عائدات المصانع في العصر المشار اليه تعود الى الديوان السلطاني بوافر الأموال حتى قيل أن مدخولها السنوي كان يزيد على ألف دينار (٣٤٣) . وأخيرا فقد جاء في الدراسة التي أعدها ميسيو أوليفييه (Olivier) (وهو أحد علماء الحملة الفرنسية . على مصر) أن الاسكندرية كانت على عهد هذه الحملة تضم مائتي نول لصناعة المنسوجات الحريرية الخفيفة التي كانت تعمل للملابس الطبقة الميسورة من أهلها من كلا الجنسين ، أربعمائة نول لصناعة الأقمشة التيلية (الكتانية الحشنة)

لابناء الطبقة الشعبية ، وخمسين نولا لصناعة المنسوجات الصوفية الحشنة
للابس العربان بالصحراء (٣٤٤) .

٢ - صناعة الزجاج والبلور :

عرفت الاسكندرية منذ عصور ما قبل الاسلام بصناعة الزجاج
والفسيفساء الزجاجية وقد تطورت فيها هاتين الصناعتين كثيرا خلال عصرى
البطالة والرومان ، ولدينا من الأدلة المادية مما يحتفظ به المتحف اليونانى
الرومانى مما عثر عليه فى حفائر منطقة القبارى بالمدينة العديد من القطع
الزجاجية والفسيفسائية (٣٤٥) . وقد انتشرت صناعة هذا النوع من
الزجاج بالاسكندرية خلال الفترة المشار اليها كامتداد لما كان قد عرف
عنه قبل ذلك فى طيبة فى عصر الدولة الحديثة ، وطريقة عمله هى أن
تغطى قطعة من زجاج بلون ما بطبقة أو طبقتين من زجاج متعددة الألوان ،
ثم تبسط شرائح زجاجية تظهر بشكل وريادات عندما تجف ، أو تعمل
من عيدان زجاجية ملونة تجمع بعضها الى بعض فى حزم ، ثم تصهر فى
فرن خاص حتى تصير كتلة واحدة ، ثم تقطع فى شرائح تبدو بتعريقات
لونية شتى ، تصنع منها التحف الزجاجية المختلفة (٣٤٦) ، ولعل فيما
عرف عند مؤرخى الفنون الاسلامية بزجاج المليفورى (أو زجاج الألف
زهرة) مما كان يصنع فى الاسكندرية منذ العصر البطلمى هو خير دليل
على ما نالته صناعة الزجاج فى المدينة من رعاية ، وعلى ما وصلت اليه من
جودة واتقان (٣٤٧) .

وقد حافظت الاسكندرية على تقاليدھا الصناعية فى مجال صناعة
الزجاج طوال العصور الاسلامية ، فكانت تصنع فيها الأوانى المختلفة
والقوازير والأختام ونحوها حتى غدت المدينة مركزا من بين أهم مراكز
هذه الصناعة فى تلك العصور (٣٤٨) ، وبذلك لم تفقد الاسكندرية كل
ما كان لها من خطير الشأن فى هذا الميدان فى عصور ما قبل الاسلام على
الرغم من أن الفسطاط كانت - كما سبق القول - قد انتزعت منها
القيادة فيه (٣٤٩) .

والواقع أن معلوماتنا عن صناعة الزجاج فى الاسكندرية لم تنحصر
فيما جاء عن هذه الصناعة فيما سبقت الإشارة اليه من الكتب والمراجع
العربية ، بل لقد أكدتها أدلة مادية كثيرة تتمثل فيما كشفت عنه الحفائر
الأثرية بمنطقة كوم الدكة من كميات القطع البلورية والزجاجية الكثيرة
المزينة بزخارف التذهيب والتمويه على غرار ما كان متبعاً فى مشكاوات
وأوانى العصر المملوكى الزجاجية (٣٥٠) .

٣ - سك العملة :

كان من الطبيعي الا تكفى دار واحدة للضرب بالقاهرة لسك ما تحتاجه الدولة الاسلامية فى مصر من العملات المعدنية المختلفة من الدنانير والدرهم والفلوس ، ونظرا الى أن الاسكندرية كانت فى عصور ما قبل الاسلام ولا سيما فى العصرين اليونانى والرومانى واحدة من العواصم العالمية ذات الشأن أنشئت فيها فى العصر البطلمى دار للضرب ، فقد كان من الطبيعى أن تبنى فى المدينة خلال العصر الاسلامى دار أخرى تكمل ما تقوم به دار القاهرة .

ولدينا من المصادر التاريخية ما يؤيد هذه الحقيقة ، فقد أشار ابن مماتى (٦٠٦ هـ / ١٠٢٩ م) الى ذلك بقوله « المستمر الآن فى الديار المصرية داران : دار بالقاهرة المحروسة ودار بالاسكندرية حماها الله » (٣٥١) ، كذلك فقد ذكر المقرئى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أن الاسكندرية كانت احدى دور ثلاث لضرب النقود فى مصر أولاها فى قوص وثانيتهما فى القاهرة وثالثتها فى الاسكندرية (٣٥٢) ، وطبيعى أن تكون وظيفة هذه الدار هى سبك ما يحمل اليها من الذهب والفضة والنحاس لعمل الدنانير والدرهم والفلوس ، وكان أهل الاسكندرية على عهد المقرئى (٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٤ - ١٤٤٢ م) يتعاملون بنوع من الدراهم الفضية التى يدخل فى سبكها النحاس ، وظلوا يتعاملون بها حتى ضربت فيها الفلوس النحاسية الخالصة على عهد الظاهر برقوق فى العصر المملوكى (٣٥٣) .

أما ما بين أيدينا من أدلة مادية تقطع بصحة ما جاء فى المصادر التاريخية المشار اليها عن دار الضرب بالاسكندرية فهى كثيرة وتنحصر فى العديد من قطع الدنانير الذهبية والدرهم الفضية والفلوس النحاسية التى ترجع الى العصر المملوكى بشكل خاص ، ومنها مثلا دينار باسم السلطان المعز عز الدين أيبك (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م) على هامشه كتابة تقول « ٠٠٠ باسكندرية سنة أربع وخمسين وستمئة » (٣٥٤) . ودينار آخر باسم الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيبك على عهد الامام المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله يرجع تاريخه الى سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) (٣٥٥) ، ودينار ثالث باسم السلطان الظاهر بيبرس يرجع تاريخه الى سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) (٣٥٦) ، وكان أحيانا ما ينقش على ما ضرب فى المدينة من دنانير عبارة « ضرب ثغر الاسكندرية » وقد وردت هذه العبارة فيما ضرب بالدار

من دنانير باسم المنصور قلاوون (٣٥٧) ، كذلك فقد ضربت بذات الدار عملات أخرى غير الدنانير من الدراهم والفلوس ، ولدينا من ذلك مثلاً درهم باسم السلطان المشار إليه ضرب بالاسكندرية سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٥٨) .

٤ - بناء السفن :

كانت الاسكندرية منذ الفتح العربى لمصر بفضل خبرة الصناع الأقباط ومهارتهم واحدة من أهم دور بناء السفن فى مصر ، وتولى الأسطول المصرى الذى بنى فى المدينة عبء العمليات العسكرية فى المغرب وفى جزر البحر المتوسط حتى تمكنت دار الصناعة التى أنشئت فى تونس بأمر معاوية بن أبى سفيان من إنتاج ما يكفيها من السفن (٣٥٩) ، وقد أشار ابن خلدون فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) الى ما يؤيد ذلك من أن العرب كانوا قد اعتمدوا فى بناء السفن والأساطيل أول أمرهم على أبناء الأمم التى خضعت لسلطانهم ممن كان لهم دراية بالبحر وثقافته (٣٦٠) ، وكانت مصر بطبيعة الحال من أولى تلك الأمم التى حذق أبناؤها (من الأقباط) كافة فنون صناعة السفن مما سبقت الإشارة اليه عند الحديث عن دور الصناعة فى كل من الروضة والفسطاط ، ومنذ أن دخلت مصر فى حوزة الخلافة العباسية حرص ولاية بنى العباس على مواصلة الاهتمام بدار صناعة الاسكندرية ، يدل على ذلك أن المدينة خلال العصر الطولونى كانت قد أصبحت أكبر قاعدة بحرية فى مصر ، وقد ساعدها على تبوأ هذه المكانة أنها كانت أكبر أسواق العالم حينذاك وأكثر ثغوره ازدهاما بحركة التجارة الواردة اليها اما من البحر الأحمر عن طريق القلزم واما من خليج تراجان الى مدينة منف على نهر النيل ومنها الى ميناء الاسكندرية لتصدر الى جميع موانئ البحر المتوسط (٣٦١) .

ولما دخلت مصر فى حوزة العبيديين اهتم خلفاؤهم بأمر الأسطول ، وبذلوا جل عنايتهم فى سبيل تقويته وتطويره والنهوض به ، ودعموا من أجل هذا الهدف دور الصناعة المختلفة التى عرفت فى عهدهم ومن أهمها دار صناعة الروضة والمقس والاسكندرية ودمياط (٣٦٢) .

أما فى العصرين الأيوبي والمملوكى فقد ذكر ابن مباتى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) أن صناعة العماثر أو صناعة الانشاء بمصر كانت على عهده فى ثلاث مدن هى مصر (الفسطاط) والاسكندرية ودمياط ، وأضاف بأن لكل واحدة من هذه الصناعات مستخدمون يستدعون ما تحتاج اليه (٣٦٣) ، وقد استمر الاهتمام ببناء السفن فى الاسكندرية طوال

العصر المملوكى . ويذكر فى ذلك أن المدينة كانت قد حوت خلال هذا العصر داران للصناعة احدهما شرقية والأخرى غربية وأنشئ فى هاتين الدارين عدد كبير من السفن والطرائد ولا سيما فى عصر المماليك الشراكسة (٣٦٤) .

ثم ظلت دار الصناعة بالاسكندرية - على ما يبدو - عامرة عاملة بعد الفتح العثمانى لمصر على يد السلطان سليم سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) . يدل على ذلك ما ورد فى وصف مصر من أنه قد بنيت فى الاسكندرية خلال العصر التركى بعض سفن الكرافيل أو الفرقاطات الحربية التركية التى كانت تشتمل على ثلاثة أو أربعة صوار وكانت تزود بأربعين أو خمسين مدفعا ، وبعض السفن التجارية الكبرى التى كانت تقوم بتجارة الشط بين رشيد ودمياط (٣٦٥) .

٥ - صناعات أخرى متفرقة :

بالإضافة الى ما سبقت الإشارة اليه مما كان يمارس فى الاسكندرية من صناعات النسيج والزجاج وسبك العملة وبناء السفن ، فقد عرفت المدينة خلال العصر الاسلامى أنواعا أخرى من الصناعات والحرف ولا سيما صناعة السكر والنبيذ والصابون والخصير والفخار والجلود .

(أ) صناعة السكر والنبيذ والصابون :

لسنا بالنسبة لصناعة السكر فى حاجة الى تكرار القول بأن معاصر القصب ومن ثم صناعة السكر والعسل الاسود ، كانت قد انتشرت خلال العصر الاسلامى ولا سيما المتأخر منه فى كثير من المراكز فى الوجهين البحرى والقبلى لتفى بحاجة الدولة التى تنامت باضطراب من هذه الصناعة، ولم يكن غريبا أن تكون الاسكندرية واحدة من بين هذه المراكز (٣٦٦) .

أما صناعة الخمر فقد ذكرها فيما أشار اليه السيوطى فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) بقوله « فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط ، فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر » (٣٦٧) ، وكانت هذه الصناعة من الصناعات الواسعة الانتشار فى مصر عامة والاسكندرية خاصة فيما قبل انعصر الاسلامى (٣٦٨) ، ولم يكن غريبا أن تستمر خلال العصر المشار اليه ولو بقدر أقل كثيرا مما كان عليه الحال قبله لا سيما وأن المدينة كانت مسرحا لكثير من الطوائف غير المسلمة حتى وقت قريب . أما بالنسبة لصناعتى الخصير والصابون فقد أشار ابن ظهيرة الى أولاهما

فى القرن (١٠هـ / ١٦م) حىث قال أنه كان بالاسكندرية عدة مناسج للحصر السامانى والعبدانى (٣٦٩) . و جاء الحديث عن الثانية فى وصف مصر حىث ذكر أن المدينة كانت تضم على عهد الحملة الفرنسية على مصر ثلاثى مصنعا للصابون جلبت الزيوت اللازمة لها من جزيرة كريت وسورية (٣٧٠) .

(ب) صناعتا الفخار والجلود :

أسفرت الحفائر التى قامت بها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى منطقة كوم الدكة منذ عام (١٩٤٨) عن العثور على كميات هائلة من الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى والفخار المطفى المملوكى وبعض الكتل الزجاجية المختلفة من الأفران ، وكل ذلك لا يدع مجالا للشك فى قيام هذه الصناعة بالمدينة خلال العصور المشار اليها (٣٧١) ، ليس هذا فقط بل لقد عثر فى كوم الشقافة على مجموعة أخرى من القطع الفخارية الملونة التى تحمل فى مجملها زخارف ذات رسوم آدمية وأشكال طيور وأسماك وعناصر نباتية تقوم على أرضية من العناصر الهندسية (٣٧٢) .

وأخيرا فقد جاء فى « وصف مصر » أنه يصنع فى الاسكندرية الجلد المراكشى الأحمر وهو جلد ثمين بالغ الجودة وتحظى مصنوعاته باقبال كبير ليس فى أسواق القاهرة ومدن مصر الأخرى فقط وانما فى الأسواق الافريقية أيضا (٣٧٣) .

٢ - البحيرة :

بعد الحديث عن الاسكندرية كأول مركز من مراكز غرب الدلتا ، نأتى الى الحديث عن ثانى هذه المراكز وهو قصبه البحيرة . . وهى محافظة بمصر فى غرب الدلتا عاصمتها دمنهور ، وقد عرفت بهذا الاسم منذ بداية العصر الاسلامى ، وكانت كورة صغيرة ثم ضمت اليها كل الكور الواقعة غربى فرع رشيد . وهى ليست كما قال ياقوت فى القرن (٧هـ / ١٣م) بحيرة ماء وانما هى كورة معروفة من نواحي الاسكندرية بمصر تشتمل على قرى كثير ودخل واسع (٣٧٤) ، ولم تقتصر أنشطة البحيرة الحرفية والصناعية على مدينة دمنهور كعاصمة للاقليم فقط وانما شملت مدنا أخرى بهذا الاقليم هى بلقطن و ترنوط و رشيد وادكو ، وسنوضح فيما يلى الموقف الصناعى لكل مركز من هذه المراكز .

(أ) مدينة دمنهور (الوحش) :

هى قسبة الاقليم الزراعى الذى يعرف اليوم باسم محافظة البحيرة التى يغلب على الظن أن النسبة فى تسميتها بالبحيرة ترجع الى بحيرتها الشهيرة المسماة ببحيرة مريوط (٣٧٥) . كان اسمها فى العصر اليونانى « هرموبوليس بارفا » ثم عرفت فى العصر البيزنطى باسم دمنهور ومنه اسمها العربى الحالى ، وقد وصفها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بأنها بلدة متوسطة فى الصغر والكبر بينها وبين الاسكندرية يوم واحد فى طريق مصر وفيها أسواق حافلة وفنادق (٣٧٦) ، وأشار اليها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) فقال بأنها « مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومخاستها أثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذى عليه مدار أمرها » (٣٧٧) ، وذكر ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنها « مدينة قديمة عامرة بها جامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وهى قاعدة البحيرة وبها مقام نائب الوجه البحرى ويطلق عليه ملك الأمراء » (٣٧٨) ، أما على باشا مبارك فقد فصل كثيرا فى ذلك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) وقال أنها سميت بدمنهور الوحش لأنه كان بقريتها محلا سمي بذلك ، وكانت هذه المدينة تسمى قديما « تيم أنهور » وظلت عامرة حتى آخر القرن (٧ هـ / ١٣ م) لأنها كانت قد تهدمت أثر زلزال سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) ثم جدد السلطان برقوق أسوارها سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) (٣٧٩) .

وقد عرفت المدينة منذ العصر البيزنطى كمركز صناعى مورست فيه صناعات الفخار والزجاج والرسوم المائية على الجص (الفريسكو) ، يدل على ذلك أن قطعا أثرية عديدة من الفريسكات والزجاج والفخار المصقول وغير المصقول تم اكتشافها فى منطقة القلايا (٣٨٠) ، ومن المؤكد أيضا أن صناعة النبيذ كانت من بين أنشطة هذا الاقليم وخاصة فى الأديرة المسيحية التى انتشرت فيه بكثرة مثل دير السريان ودير الأنبا سمعان ودير الأنبا بيشوى ودير أبى مقار وغيرها ، وقبل هذه الأديرة فى المواقع السكنية لمنطقة القلايا المشار إليها ، ونحن نعرف أن معاصر النبيذ كانت واحدة من أبرز سمات الأديرة المسيحية فى مصر ويحتفظ المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية ببقايا واحدة من هذه المعاصر عثر عليها فى أحد المواقع بالاقليم .

أما فى العصر الاسلامى فإن صناعات هذا الاقليم لم تقتصر على مدينة دمنهور وحدها وإنما شملت منه مدنا أخرى انحصرت كما قلنا فى بلقطن وتزنوط ورشيد وادكو ، وقد أشار ياقوت الحموى الى أن مدينة دمنهور كانت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) مركزا من مراكز صناعة النسيج وتنسب اليها الثياب الدمنهورية التى كانت تحمل الى مختلف الجهات (٣٨١) ،

ويفهم من اشارة ياقوت هذه أن منسوجات المدينة كانت ذات خصائص معينة وعلى درجة عالية من الجودة والا لما نسبت في تسميتها الى المدينة التي صنعت فيها . وهو أمر ورد كثيرا في مراكز متطورة شتى كدبيق وتنيس وشيطا فليل لمنسوجاتها الدبيقى والتنيسى والشمطوى ، وهكذا! يؤيد ما أشار اليه ياقوت كمصدر هام من المصادر العربية ما ورد عن هذا المركز في بعض المراجع العربية الحديثة التي أفادت أن الاسكندرية ودمنهور كانتا قد ورثتا عظمة تنيس ودمياط في عالم الصناعة منذ العصر الفاطمي وحتى العصر المملوكي عندما دمرت المدينتين خلال المعارك التي دارت مع البيزنطيين (٣٨٢) ، وان صح ذلك فانه يمكن القول أن دمنهور كانت قد شملت بعد السنة التي دمرت فيها دمياط وهي سنة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) مناسج للطراز بنوعيه العام والخاص ، ويمكن لهذين الطرازين أن يكونا قد استمرا فيها حتى نهاية العصر المملوكي ، يؤيد ذلك أولا ما ذكره ياقوت فيما سبقت الاشارة اليه ، ويؤيده ثانيا أن أنواعا عديدة من المنسوجات ذات الجودة العالية لا زالت تصنع حتى اليوم في كفر الدوار وهي مدينة بالاقليم على حدوده مع محافظة الاسكندرية .

(ب) بلقطنر :

يبدو أن اشارة المراجع المذكورة الى العظمة التي ورثتها دمنهور والاسكندرية عن تنيس ودمياط في مجال صناعة النسيج ، لم يكن يقصد بها فقط المدينة ذاتها وانما قصدت بها أيضا مدن أخرى بالاقليم مثل بلقطنر وترنوط ورشيد كما أشرنا ، ولدينا من المعلومات التاريخية التي وردت في بعض المصادر والمراجع العربية رغم قلتها ما يؤيد ذلك ، فبلقطنر مثلا هي ناحية تابعة لمركز أبو حمص محافظة البحيرة وهي بذلك واحدة من الأعمال البحرية التي قصبته دمنهور (٣٨٣) ، وقد جاء ذكرها على لسان ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) حين قال « وبها يعمل الطراز من الصوف وهي العبي التي لا يعمل مثلها في الدنيا من الأكسية والسرويات والكنابيش والعبي والعرقيات ما تبلغ قيمة العباءة الواحدة مئتين دراهم » (٣٨٤) .

(ج) ترنوط :

هي إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وقد عرفت في عصر الفراعنة باسم « بررانوت » وفي عصر اليونان والرومان باسم « ترنوتيس » وفي العصر البيزنطي باسم « ترنوت » (Ternut) أو ترنوط ، وتسمى أيضا جزيرة بني نصر ، وكانت من مدن مركز كفر الزيات وتلا ومنوف ثم حرف اسمها في القرن (٧ هـ / ١٣ م) الى الطرانة ولا زالت تعرف

بهذا الاسم حتى اليوم (٣٨٥) ، وقد وصفها الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وتجار وقياسر (٣٨٦) ، وأشار اليها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال انها « قرية بين مصر والاسكندرية ٠٠ كبيرة جامعة على النيل فيها أسواق ومسجد وجامع وكنيسة خراب » (٣٨٧) .

ورغم أننا لا نملك كثيرا من المعلومات فيما يختص بترنوط كمركز صناعي فإننا لا نستطيع تجاهلها وقد أشير اليها في بعض المصادر والمراجع العربية على أنها كانت واحدة من البلدان التي عرفت بصناعة التعدين والسكر ، وما جاء في هذا الصدد أشار اليه الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « وبمدينة ترنوط معدن النطرون الجيد ومنها يحمل الى جميع البلاد » (٣٨٨) ، كما أشار اليها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) وقال « وبها معاصر للسكر وبساتين وأكثر فواكه الاسكندرية منها » (٣٨٩) ، ثم جاء البكري في القرن (١١ هـ / ١٧ م) وأيد ما أشار اليه ياقوت قبله فيما يختص بصناعة السكر حيث قال ان هذه الصناعات كانت منتشرة في أنحاء مختلفة من البلاد منها « الفسطاط والمنيا والفيوم وترنوط » (٣٩٠) ، وتصديق ذلك أو نفيه أمر يجب ألا يكون بمنأى عن حقيقتين أولاهما ما كان عليه حال هذه الصناعة بشكل خاص في العصر الاسلامي المتأخر ولا سيما في عصر المماليك الذي لم يعرف عصر أكثر منه استهلاكاً للسكر ، وثانيتهما أن اشارتي ياقوت والبكري باعتبار أن ترنوط كانت مركزا من مراكز صناعة السكر هي إشارة لا يمكن اغفالها أو عدم الاهتمام بها لا سيما وأنها لاثنتين ممن تركوا لنا الكثير من المعرفة في المصادر العربية التي يعتمد عليها .

(د) رشيد :

وأخيرا نأتى الى الحديث عن ثغر رشيد كواحد من مراكز الصناعة بقصبة البحيرة التي بين أيدينا ، وقد ذكرها ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « مدينة على النيل قريبة من مصب فوهته الى البحر وتعرف هذه الفوهة وهي المدخل من البحر بالأشتوم ، وكانت بها أسواق صالحة وحمام ، وبها نخيل كثيرة وارتفاع واسع وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية ويحمل اليها من متاع البحر الى سائر أسباب التجارة » (٣٩١) ، ثم أشار اليها الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « وهى مدينة متحضرة وبها سوق وتجارة وفعلة ٠٠ وبها نخيل كثير وأنواع من الغلات الرطبة » (٣٩٢) كما ذكرها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال « بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية خرج

منها جماعة من المحدثين منهم عبد الوارث بن ابراهيم الرشيدى قاضيها وغيره « (٣٩٣) وأشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) حين قال « وبلدته (أى بلدة ثغر رشيد) عند مجمع البحر وبها البرزخ المذكور فى القرآن » (٣٩٤) وقد فصل على باشا مبارك فى ذلك كثيرا حين قال فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) أن رشيد بلدة غرب النيل الغربى عند مصبه فى البحر شرقى الاسكندرية ، وأشار الى انها كانت قد بدأت فى الظهور فى خلافة المتوكل على الله العباسى ، وظلت قرية صغيرة فى موقعها حتى القرن (٧ هـ / ١٣ م) ، وعندما حكمت الدولة العثمانية الديار المصرية بطل رسو المراكب كلية من مدينة فوة وقامت محلها فى ذلك مدينة رشيد ، وأخذت المدينة بعد ذلك فى التقدم حتى بلغت سنة (١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م) أعظم درجة (٣٩٥) .

وقد عرفت مدينة رشيد ولا سيما فى العصر الاسلامى الوسيط المتأخر بممارسة العديد من الصناعات مثل النسيج والمعادن والمجوهرات والفخار والخزف والقفف والأقفاس ونحوها ، وما لدينا من معلومات تاريخية فى هذا الصدد تنحصر أساسا فيما ورد بكتابى ، وصف مصر والخطط التوفيقية حيث قيل أن مدينة رشيد تشتمل على مناسج عديدة لصنع الأقمشة الكتانية والقطنية الحشنة ، وأقمشة يختلط فيها الكتان مع القطن ، وأقمشة كتانية ذات خطوط من الحرير الأبيض كانت تستخدم بصفة خاصة فى عمل قمصان النساء وجميع أنواع الملابس والمطرزات والطرابيش ، ويجلب الكتان اللازم لمناسج هذه المدينة من محافظتى الغربية والمنوفية ، كما يجلب القطن من قصبتي دمنهور والمنصورة ، أما الحرير فكانوا يجلبونه من الشام (٣٩٦) ، ليس هذا فقط بل لقد قيل أن أفضل أقمشة قلع السفن هو ما كان يصنع فى رشيد (٣٩٧) .

كذلك فقد مورست فى رشيد صناعة المعادن وصياغة المجوهرات كحرف يدوية ذات انتشار واسع ، فكانت تصنع فى المدينة مختلف الألوان النحاسية من الصوانى والمواقد والطشوت ونحوها ، كما كانت تصاغ فيها أنواع شتى من المجوهرات ذات الصبغة الفنية المحلية (٣٩٨) .

ويضاف الى هذه وتلك صناعة الفخار والخزف ولا سيما صناعة الارجيلات (البايب) التى كانت تعمل فى المدينة بكميات كبيرة ، وكانت كل واحدة منها تتكون من جزأين هما الجسم واليد ، وكثيرا ما كانت ترسم عليهما قبل الجفاف بعض العناصر الزخرفية التى تنم عن ذوق راق فى بعض الحالات ، وقد تطلت هذه العناصر أحيانا بماء الذهب لتصبح القطعة أكثر جمالا (٣٩٩) وجاذبية ، وفى الحفائر التى أجريتها بنفسى فى

الجبانة العثمانية بالمدينة خلال عام (١٩٦٨ م) عشر على الكثير من هذه الارجيالات المصنوعة من الفخار المظلي والمزينة بالعناصر الزخرفية المختلفة من نباتية وهندسية ، وفي هذا ما يكفي للتدليل على صدق ما جاءت به المعلومات التاريخية المشار اليها .

كذلك كانت تصنع في رشيد من جذوع النخل وسعفه قفف وأقفاص على يد صناع ماهرة يخيطنون الأولى بسرعة فائقة بواسطة أحبال ليفية رقيقة ، ويدخلون ضلوع الثانية بعضها في بعض بواسطة ثقوب يحدثونها فيها بمثاقب خاصة ، وكانت هذه وتلك تستخدم في تغليف البضائع المختلفة ونقل الحبوب والأرز (٤٠٠) ، وقد أضاف علي باشا مبارك الى هذه الصناعات جميعا بعض الصناعات الأخرى مثل الورق وآلات الموسيقى والدباغة والشموع والعسل والروائح والعقاقير (٤٠١) .

(هـ) ادكو :

ادكو هي آخر المطاف بالنسبة لمراكز غرب الدلتا ، وهي ناحية بمركز رشيد محافظة البحيرة (٤٠٢) لا تتوافر لدينا معلومات تاريخية كافية عنها من الناحية الصناعية ، فلا المكتشفات الأثرية ولا المصادر التاريخية قد أوصلت إلينا حتى الآن ما يمكن أن يضيء لنا السبيل في هذا المجال ، وما ورد فقط هو بعض اشارات عربية حديثة تقول انها كانت منذ القرن (٧ هـ / ١٣ م) مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الحريرية في مصر (٤٠٣) ، ويبدو أن ذلك كان أمرا ممكنا لأن الحصول على المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة بالنسبة لادكو كان سهلا وميسورا عن طريق بحيرتها المعروفة اما من ميناء الاسكندرية التي كانت أيضا مركزا لهذه الصناعة - كما قلنا - واما من ميناء رشيد الواقع على شاطئ فرع النيل المسمى بذات الاسم لأنها كانت تقع بين الميناءين ، ونظرا لأن صناعة المنسوجات الحريرية كانت رائجة في العصر المملوكي ، وان كميات كبيرة من منتجات هذه الصناعة كانت تطلبها أسواق الدولة المختلفة ، وان كثيرا من المدن في طول البلاد وعرضها قد شهدت انتاج هذا النوع من النسيج ، فانه من المرجح ان ادكو - طبقا للأسباب المشار اليها - كانت واحدة من المدن التي اشتملت على مناسج للمنسوجات الحريرية .

حواشى وتعليقات الفصل الأول من الباب الثانى غرب الدلتا

- ٢٩٤ - محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ١ ج ٢ ص ٥ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٨١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٥٢ .
- ٢٩٥ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ص : ٣٢ - ٣٨ وراجع أيضا : ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨٢ .
- ٢٩٦ - سورة الكهف : الآيات : ٨٣ - ٨٦ .
- ٢٩٧ - راجع عن ذى القرنين أيضا : الكندى : المصدر السابق : ص ٣٣ ، الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ٥٢ - ٥٤ ، المقرئى : الخطط : ج ١ ص ص : ٢٧٤ ، ٢٨٤ .
- ٢٩٨ - البلاذرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٦٨٦ - ٦٨٧ .
- ٢٩٩ - الكندى : المصدر السابق : ص ص : ٣٣ ، ٦٦ .
- ٣٠٠ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٤١ .
- ٣٠١ - المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص ص : ٣٧٠ - ٣٧١ .
- ٣٠٢ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٥١ .
- ٣٠٣ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٩ .
- ٣٠٤ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص ١٣٨ - ١٤١ .
- ٣٠٥ - القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ١٤٣ - ١٤٧ .
- ٣٠٦ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ص : ٢٠ - ٢٩ وانظر أيضا عن وصف الاسكندرية عند الفتح العربى لها بكل ما فيها من عمائر وابنية قديمة وعجائب شتى ما ذكره بئلى فى كتابه : فتح العرب لمصر : ص ص : ٣١٩ - ٣٤٧ .
- ٣٠٧ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٢٦٨ .
- ٣٠٨ - نفس المصدر : ج ٢ ص ٢٧٦ .
- ٣٠٩ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ١١٦ - ١٢٦ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ٥٩ .
- ٣١٠ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ - ٧٠ ، المقرئى : الخطط : ج ١ ص ١١٧ .
- ٣١١ - محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ١٨ - ١٩ .

- ٣١٢ - وصف مصر : ج ٣ ص ص : ٢٩٥ - ٢٩٧ .
- ٣١٣ - محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص ٤٢ وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها : ص ص : ٥٢٥ - ٥٣١ .
- ٣١٤ - المقریزی : الخطط : ج ١ ص ٣٠٧ .
- ٣١٥ - محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ صناعة النسيج في الاسكندرية على عهد البطالة ص : ٦ .
- ٣١٦ - نفس المرجع : ص ص : ٩ - ١١ وانظر أيضا : زكي الرشیدی وآخرين : تطور الصناعات في مصر : ج ١ ص ٢١٢ .
- ٣١٧ - رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ وانظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٣٥ .
- ٣١٨ - زكي حسن : فنون الاسلام : ص ٣٤٧ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص : ٤٢ وانظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٦ - ٤٩ .
- خليل ضومط : المرجع السابق : ص ١٥٦ .
- ٣١٩ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ٣٦ .
- ٣٢٠ - الكوفة هي مدينة عراقية نالت شهرة واسعة في مجال صناعة النسيج حتى قيل لنوع من انتاجها « الكوفية » نسبة اليها . راجع أيضا : السيوطي : ج ٢ ص : ٢٢٩ .
- ٣٢١ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ - ٥٩ .
- ٣٢٢ - راجع في ذلك : ابن تغري بردي : المصدر السابق : ج ٥ ف ١ : ص ٢٨٨ .
- ٣٢٣ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٤٦ .
- ٣٢٤ - القلقشندي : المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٠٤ .
- ٣٢٥ - المقریزی : الخطط : ج ١ ص ٣٦٥ .
- ٣٢٦ - راجع : المقریزی : نفس المصدر : ج ١ ص ٣٦٥ وانظر أيضا عن صناعة النسيج في الاسكندرية في العصر الاسلامي : محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ٣٧٢ - ٣٧٦ ، أبوزيد شلبي : المرجع السابق : ص ٣٠٦ آدم متر : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ٢٩٧ .
- ٣٢٧ - مقاسات هذه القطعة (١٦ X ٧٠ رم) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط وهي مسجلة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة تحت رقم (٧٠٨٦) . انظر عنها أيضا : Reper. Chrono, d'epigraph Arab : Tome : p. 15, No. 614.
- ٣٢٨ - طول هذه القطعة (٢٩ رم) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط وهي مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٩٣٨٩) . انظر عنها أيضا : Reper. Chrono, d'epigraph, Arab : Tome 2, p. 173, No. 646.
- ٣٢٩ - طول هذه القطعة (١٨ رم) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط وهي مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٤٧٩) . انظر عنها أيضا : Reper. Chrono, d'epigraph, Arab : Tome 2, p. 260, No. 778.
- ٣٣٠ - الأولى مسجلة بالمتحف السابق تحت رقم (١ / ٤٣٢٤) وهي من الكتان ومقاساتها (١٧ X ٠٤ رم) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط انظر عنها أيضا : Reper Chrono, d'epigraph, Arab : Tome : 2, p. 251, No. 762.

ليس هذا فقط بل ان هناك قطعة سادسة من الكتان طولها ١٢ ارم يحفظ بها منحف
الفن الاسلامى تحت رقم ١٠٤٨٤ تقول كتابتها انها عملت « . . . » باسكندرية سنة تسعين
مائتين « راجع عنها ايضا :

Repe . Chrono d'epigraph, Arab : Tome : 3, p. 22, No. 837.

٣٣١ - طول هذه القطعة (١٨ ارم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط . انظر عنها

ايضا .

Reper, Chrono. d'epigraph, Arab . Tome : 2, p. 187, No .667.

٣٣٢ - طول هذه القطعة (١٤ ارم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط انظر عنها ايضا :

زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ١٩٣ شكل ٥٨٥ .

٣٣٣ - انظر ايضا : سيده اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ .

٣٣٤ - انظر ايضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها :
ص ص : ٤٩٦ - ٤٩٧ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١١٦ ، الفنون الاسلامية :
ص ٢٥٠ ، ص . د . جوتابن : المرجع السابق : ص ١٨٠ ، السيد الباز العرينى : مصر فى
عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ - ٢٠٠ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ .
٣٣٥ - السقلاطون هو نوع من النسيج كان يصنع من الحرير ويطرز بخيوط من
الذهب ، وكان معروفا فى بلاد اليونان ، ثم انتقلت صناعته الى البلاد العربية ومنها
الاسكندرية .

٣٣٦ - الشرب : نوع من نسيج الكتان الرقيق كانت تعمل منه القمصان الداخلية
وشيشان العمائم وخمر النساء .

٣٣٧ - النمر : نسيج حريرى كان يزدان برسوم مخططة أو مرقشة تشبه جلد
النمر راجع : المقريزى : الخطط : ج ٣ ص ١٥٩ ، القلقشندى : المصدر السابق
ج ٤ ص ٥٣ .

٣٣٨ - المقرج : نسيج رقيق تتداخل فيه خيوط الذهب ، كانت تصنع منه الطرح
والكلوتات المزركشة .

٣٣٩ - الطرد وحش : هو النسيج الذى كان يزين فى مناظر صيد تشتمل على
وحوش يطاردها الصيادون .

٣٤٠ - راجع أيضا عن هذه الأنواع : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية
وحضارتها : ص ص : ٥٢٦ - ٥٢٨ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ص :
٩٠ - ٩٢ .

٣٤١ - خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٥٦ - ١٦٢ .

٣٤٢ - وصف مصر : ج ٣ ص ٣١٣ .

٣٤٣ - فى الخزانة (أ) بالقاعة رقم (١٠) من المتحف المشار اليه بعض قطع
الزجاج اليونانى الرومانى الملون ، وبعض قطع القسيفساء الزجاجية مثل القطعة المسجلة
تحت رقم (٣٦٩٦) . انظر ايضا : هنرى رياض : دليل آثار الاسكندرية : ص ص :
٣٨ - ٧٩ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص ٦٠١ .

٣٤٤ - انظر ايضا . هنرى رياض : المرجع السابق : ص ٧٩ ، نعمت علام : فنون
الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية : ص ٤٣ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع
السابق : ج ٢ ص ٦٠١ .

- ٣٤٥ - محمد عبد العزيز مرزوق : نفس المرجع : ج ٢ ص ٦٠١ .
- ٣٤٦ - انظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ - ٥٨٧ . توفيق عبد الجواد : المرجع السابق : ج ٣ ص ٢٢٤ . محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ص : ٣٠٨ - ٣٠٩ .
- ٣٤٧ - انظر أيضا : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ .
- ٣٤٨ - انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص : ٥٣١ .
- ٢٤٩ - ابن ممتى : المصدر السابق : ص ٣٣١ .
- ٣٥٠ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ١٩٥ وانظر أيضا : نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى الفترات الهلنستية : ص ٣٤ .
- ٣٥١ - انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٤٩٢ - ٤٩٣ .
- ٣٥٢ - راجع : سامح عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق : ص ص : ٣٤ - ٣٥ رقم ٥ .
- ٣٥٣ - نفس المرجع : ص ص : ٣٨ - ٣٩ .
- ٣٥٤ - نفس المرجع : ص ٥٤ .
- ٣٥٥ - انظر مثلا : نفس المرجع : ص : ١١٣ دينار رقم (١٤٣) ، ص ١١٤ دينار رقم (١٤٤) .
- ٣٥٦ - نفس المرجع : ص ١٠٨ .
- ٣٥٧ - انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ج ١ ص ص ٤٤ - ٤٦ ، ص ص : ٨٨ - ٩٣ .
- ٣٥٨ - ابن خلدون : المقدمة : ص ص : ١٩٩ - ٢٠٣ .
- ٣٥٩ - انظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص ص ٣١١ - ٣١٨ .
- ٣٦٠ - انظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٩ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ١٥٩ ، ٣٨٢ .
- ٣٦١ - ابن ممتى : المصدر السابق : ص ٣٤٠ .
- ٣٦٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٤٩٤ - ٤٩٧ ، خليل ضوط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٨ - ١٧٠ .
- ٣٦٣ - وصف مصر : ج ٣ ص ٣١١ .
- ٣٦٤ - انظر أيضا : خليل ضوط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٢ - ١٦٧ .
- ٣٦٥ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٨١ .
- ٣٦٦ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ١٨٣ - ١٨٤ ، ٣٨٢ .
- ٣٦٧ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ - ٦٠ .
- ٣٦٨ - وصف مصر : ج ٣ ص ٣٠ .
- ٣٦٩ - انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٥٢٩ - ٥٣١ .

- ٣٧٠ - يحتفظ المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية بهذه المجموعة في الخزانة (ب)
بالقاعة رقم (١) . انظر عنها أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص ١٩٣ .
- ٣٧١ - وصف مصر : ج ٣ ص ٣٠ .
- ٣٧٢ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٣٥١ وانظر أيضا : الموسوعة العربية
الميسرة : ص : ٣٣١ .
- ٣٧٣ - انظر أيضا : محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ق ٢ ص ٢٨٤ .
- ٣٧٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧٢ وانظر أيضا : الموسوعة العربية
الميسرة : ص ٨٠٣ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ٥٠ .
- ٣٧٥ - ابن بطوطة : الرحلة : ص ٢٩ .
- ٣٧٦ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠١ وانظر أيضا : قاموس
جغرافى للقطر المصرى : ص ٣٨٦ .
- ٣٧٧ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص ٢٢ .
- ٣٧٨ - القلايا موقع أثرى قبلى فى الصحراء الغربية يقع أساسا ضمن امتدادات
مراكز أبو المطامير ، حوش عيسى ، الدلنجات وتقوم بأعمال الحفر فيه بعثتان احدهما
فرنسية والأخرى سويسرية ، وقد حفظت بعض هذه القطع فى المتحف القبطى بمصر القديمة
عقب عمليات القسمة التى كانت تتم فى نهاية كل موسم بين هيئة الآثار المصرية وبين
كل من البعثتين المشار اليهما ، وقد مثلت هيئة الآثار المصرية مع البعثة السويسرية فى
هذا الموقع على مدار أربعة مواسم متتالية . انظر أيضا : محمود ابراهيم : الخزف
الاسلامى فى مصر : ص ص : ٨٨ - ٩٠ .
- ٣٧٩ - عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ٢٢ ، على باشا مبارك : المرجع
السابق : ج ١١ ص ٢٢ .
- ٣٨٠ - زكى الرشيدى وآخرين : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٧ .
- ٣٨١ - راجع : ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٤٨٩ وانظر أيضا : قاموس
جغرافى للقطر المصرى : ص ١٣٨ .
- ٣٨٢ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠٥ .
- ٣٨٣ - محمود عكوش : المرجع السابق : ص ١٢٨ ح ١ ، محمد رمزي : المرجع
السابق : ج ٢ ص ٣٣١ .
- ٣٨٤ - الادريسي : المصدر السابق : ص ١٦٠ .
- ٣٨٥ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٧ .
- ٣٨٦ - الادريسي : المصدر السابق : ص ١٦٠ .
- ٣٨٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٧ .
- ٣٨٨ - راجع : البكرى : المغرب فى حلى بلاد أفريقية والمغرب : ص ٢ وانظر
أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٧٨ .
- ٣٨٩ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ص : ١٣١ - ١٣٢ وانظر أيضا : الموسوعة
العربية الميسرة : ص ٨٦٩ .
- ٣٩٠ - الادريسي : المصدر السابق : ص ١٦٢ .

- ٣٩١ - بافوت : المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٥ .
- ٣٩٢ - ابن دوماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ١١٣ - ١١٤ وانظر أيضا :
واموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٣٠٧ .
- ٣٩٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص ٧٥ .
- ٣٩٤ - وصف مصر : ج ٤ ص ٢٠٨ ، الخطط التوفيقية : ج ١١ ص ٧٥ .
- ٣٩٥ - وصف مصر : ج ٤ ص ٢١٠ .
- ٣٩٦ - نفس المرجع : ج ٣ ص ص ٢٢١ - ٢٦٧ .
- ٣٩٧ - نفس المرجع : ج ٣ ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، على باشا مبارك : الخطط
التوفيقية : ج ١١ ص ٧٦ .
- ٣٩٨ - وصف مصر : ج ٣ ص ص : ٢٥٥ - ٢٥٦ .
- ٣٩٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١١ ص ٧٦ .
- ٤٠٠ - محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٢ ج ٢ ص ٢٩٨ وانظر أيضا :
فاهوس جغرافى للقطر المصرى : ص ٧٦ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٠٠ .
- ٤٠١ - حسين الرفاعى : أحدث الصناعات فى مصر : ص ١٠ .

الفصل الثانى

وسط الدلتا

الواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن مراكز الصناعة المصرية فى وسط الدلتا خلال العصور الاسلامية يحصر هذه المراكز فى ثلاث محافظات هى المنوفية والغربية ودمياط ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذه المراكز معتمدين فى ذلك أيضا على ما عثر عليه فى أى منها من مخلفات أثرية (ان وجدت) وعلى ما ورد عنه فى المصادر العربية وما جاء بصده فى المراجع الحديثة .

أولا : محافظة المنوفية

تقع محافظة المنوفية فى جنوب الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد وعاصمتها الحالية شبين الكوم ، وقد عرفت باسم محافظة المنوفية فى عهد الدولة الفاطمية نسبة الى منوف التى كانت عاصمة لها حتى سنة (١٨٢٦م) قبل نقل العاصمة الى شبين الكوم - وتشير المصادر الأثرية والتاريخية التى بين أيدينا الى أن الصناعة بمحافظة المنوفية خلال العصور المشار إليها كانت تنحصر فقط فى مدينتى أشمون ومنوف .

١ - أشمون :

أشمون قرية مصرية قديمة ذكرها الإدريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) باسم « اشمن جريش » وقال انها « مدينة صغيرة كثيرة العمارات والبساتين والجنات » (٤٠٤) وأشار إليها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال « أشموم » بضم الميم اسم لبلدين بمصر يقال لاحدهما « أشموم طنّاح » وهى قرب دمياط من الدقهلية ، وللأخرى « أشموم الجريسات بالمنوفية » (٤٠٥) . وحدد على باشا مبارك موقعها فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله انها « قرية من أعمال المنوفية وهى رأس مركز واقعة على الشاطئ الشرقى لبحر رشيد بقرب أم دينار وحولها

سور من الأجر » (٤٠٦) وذكرها صاحب القاموس الجغرافى نقلا عن تاريخ (دفتر المساحة) سنة (١٨١٣ م) باسم أشمون جريس لمجاورتها لناحية بهذا الاسم تمييزا لها عن أشمون الرمان التى بمركز دكرنس (٤٠٧) .

أما فيما يختص بمدينة أشمون كمركز صناعى فانه طبقا لما لدينا من الأدلة التاريخية وبعض الشواهد الأثرية يمكن القول أن المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات والحرف ولا سيما صناعات النسيج والزيوت والفخار ، وقد جاء فى غير واحد من الكتب العربية المنشورة أن هذه المدينة كانت خلال العصر البيزنطى مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية (٤٠٨) ، ورغم أننا لا نملك أدلة كافية لنفى أو تأييد هذا الرأى إلا أننا لا نستبعد ذلك لعدة أسباب منها أن الأقليم بشكل عام هو أحد الأقاليم الخصبة بالدلتا حيث تكثر زراعة الكتان وتكثر من ثم المادة الخام اللازمة لصناعة المنسوجات الكتانية ، ومنها أن هذا النوع من النسيج كان أكثر أنواع المنسوجات القبطية صنعا ، ومنها أن صناعة النسيج خلال الفترة المشار اليها كانت من أكثر الصناعات شعبية فى مصر وانتشرت مصانعها فى كثير من البلاد المصرية بالوجهين البحرى والقبلى ولا سيما فى المناطق التى يكثر بها الأقباط .

ورغم أننا لا نستطيع أن نثبت موقف هذه المدينة فيما يختص بصناعة النسيج فى العصر الاسلامى خاصة وأن ما لدينا من الأدلة لا يكفى للقطع برأى فى هذا الشأن لأنه لا المكتشفات الأثرية ولا المصادر التاريخية تعطى معلومات واضحة أو محددة عن هذا الموقف إلا أننا لا نستطيع أيضا أن ننفى هذا الاحتمال خاصة وقد ورد فيما نشره جروهمان من أوراق البردى العربية أن مدينى أشمون وانصنى كان بهما طراز له متوكل ، يؤيد ذلك قطعة من البردى الأصفر الجيد مقاسها (٨١ × ١٠٥) سم عليها كتابة من خمسة أسطر تقول بعد البسملة « قبض حسين بن يحيى عن من رماح بن يوسف المتوكل بطراز أشمون وانصنى ٠٠ » (٤٠٩) ، وعلى ذلك فانه يمكن القول أن معلومات أكثر وضوحا أو تحديدا لا زالت متوقعة عن هذه المدينة من الدراسات الأثرية فى المستقبل طالما أن تحقيقات علمية منتظمة ومرتبة لمواقع العصور الوسطى الأثرية فى مصر لم تزل غير قائمة بعد .

ويغلب على الظن أن نشاطات مدينة أشمون الصناعية والحرفية فى العصر الاسلامى لم تقتصر على صناعة النسيج فقط وإنما كانت تمارس فيها أنشطة أخرى ولا سيما فى مجال صناعة الزيوت ، ولدينا من المصادر التاريخية ما يؤيد ذلك ، من ذلك مثلا ما أشار اليه الكندى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله أن من بين « فضائل مصر الدبحة التى أرضعت

عندها مريم عيسى بأشمون فخرج من هذه اللبخة الزيت « (٤١٠) ويفهم من ذلك أن صناعة مراهم أو دهون كانت على ما يبدو من بين صناعات المدينة على غرار ما سبقت الإشارة إليه لمرهم البلسان في عين شمس (المطرية) .

هذا عن الأدلة التاريخية التي وردت في المصادر والمراجع العربية فيما يختص بصناعات أشمون ، أما عن الأدلة المادية أو الشواهد الأثرية ، فقد أسفرت الحفائر التي لم تنشر بعد والتي أجريت معظمها سنة (١٩٧٢م) أثر العثور مصادفة على كثير من العملات الذهبية الفاطمية في تل العمري بالمدينة ، عن العثور على كميات وافرة من الفخار والزجاج يرجع بعضها إلى العصر البيزنطي وبعضها إلى العصر الإسلامي ، وفي هذا ما يؤكد قيام هاتين الصناعتين في المدينة خلال العصور المشار إليها ، وليس ذلك بغريب ونحن نعرف أن صناعتى الفخار والزجاج كانتا من أقدم الصناعات التي لازمت حضارة الإنسان على ظهر الأرض ، وأولاهما واحدة من أهم المقاييس التي يمكن أن تقيم من خلالها هذه الحضارة .

٢ - منوف :

منوف هي إحدى مراكز محافظة المنوفية تبعد عن شبين الكوم بثلاثة عشر كيلو مترا تقريبا (٤١١) ، وقد أشار إليها ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال انها « مدينة كبيرة عظيمة واسعة الغلات والخيرات والكتان وبها والوجاكم وحمامات وجامع وأسواق حسنة وكور عدة برسمها » (٤١٢) وذكرها الإدريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فقال « وهى قرية عامرة ولها اقليم معمور وبها غلات وخير كثير » (٤١٣) وهنا نجد اختلافا بين ما ذكره ابن حوقل الذي سماها بالمدينة وما ذكره الإدريسي الذي سماها بالقرية وأيده في ذلك ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) الذى وصفها بقوله انها « من قرى مصر القريبة لها ذكر فى الفتوح ، وهى أسفل الأرض من بطن الريف يقال لكورتها الآن المنوفية » (٤١٤) وفى هذا ما يدل على تغير حالها من مدينة إلى قرية ومن تحضر إلى بدو .

والواقع أنه ليس لدينا معلومات عن هذه المدينة كمركز صناعى لا فى الشواهد الأثرية ولا فى المصادر التاريخية باستثناء ابن حوقل الذى لم يزد على قوله انها « واسعة الغلات والخيرات والكتان » ولذلك فإن كل ما نعرفه عنها فى هذا الصدد جاء فى بعض المراجع الحديثة ولا سيما فى القرنين (١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م) ، فقد اشتهرت المدينة خلال هذه

الفترة ببعض الصناعات والحرف • ولا سيما صناعات النسيج والحصير والفخار والزيوت ، يؤيد ذلك ما جاء فى « وصف مصر » من أنه « تصنع فى منوف أقمشة كتانية مختلفة منها الأقمشة البيضاء ذات اللحيمات الضيقة ، والأقمشة الناصعة البياض ذات البراسيل (المتيت) ، والأقمشة الخشنة التى تستخدم فى صنع أغطية الفرش والخيام » (٤١٥) وقد ساعد على انتشار هذه الصناعة فى المدينة ما كان يحصل عليه بكميات وافرة من ألياف الكتان الذى انتشرت زراعته بالاقليم من ناحية ، وما كانت تقوم به النساء اللاتى كن عماد هذه الصناعة - على ما يبدو - من ناحية أخرى •

كذلك فقد جاء فى الكتاب المشار اليه أن مدينة منوف كانت تمتاز بين كل مدن الدلتا بجمال الحصر التى تصنع فيها ، وأن الطلب على هذه الحصر كان شديدا فى كل أنحاء مصر ، وكان ذلك سببا كافيا فى أن هذه الصناعة لم تقتصر على المدينة وحدها وانما انتشرت أيضا فى عدد كبير من القرى المحيطة بها ، والجزء الأكبر من حصر منوف وما جاورها يرسل الى القاهرة وبولاق ، ويستخدم بعضه سكان هاتين المدينتين ، ويصدر بعضه الآخر الى القسطنطينية وأزمير وجزر الأرخيل وفلسطين ودمشق وغيرها ، وقد قدرت دراسة صناعات هذه المدينة التى أجراها علماء الحملة الفرنسية عدد الصناع العاملين فى هذا المجال ما بين ستمائة الى سبعمائة صانع (٤١٦) •

أما عن صناعتي الفخار والزيوت فقد جاء ذكر الأولى فى نفس المرجع المشار اليه كواحدة من صناعات المدينة حيث قيل « أن بعض الفخاريات التى تصنع فى منوف وضواحيها كانت تتميز بطلاء أزرق يتكون من النطرون ونترات الصودا وأكسيد النحاس » (٤١٧) ، وجاءت الإشارة الى الثانية فيما ورد فيه من أن أربع عشرة أو خمس عشرة معصرة لاستخراج زيت الكتان كانت منتشرة فى مدينة منوف (٤١٨) • ومن الطبيعى فى بلد تكثر فيه زراعة الكتان وتمارس فيه صناعة أقمشة كتانية أن يشتمل على معاصر للزيت ولا سيما زيت بذر الكتان •

ثانيا : محافظة الغربية

الغربية محافظة بمصر يقال أنها سميت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، وقد ظلت المحلة الكبرى عاصمة لها حتى سنة (١٨٣٦ م) ثم نقلت العاصمة الى طنطا ، والواقع أن ما لدينا من أدلة أثرية وتاريخية عن مراكز الصناعة بمحافظة الغربية لا يشير صراحة الى قصبة الاقليم الحالية

ونعنى بها مدينة طنطا ، وانما يشير الى قصبته القديمة وهى مدينة المحلة الكبرى ، بالإضافة الى ما تشير اليه هذه الأدلة من المدن الأخرى بالاقليم ولا سيما برما وأبيار وسنبو وسنباط وسمنود ، وتتلخص الأنشطة الصناعية والحرفية التى مورست فى هذه المراكز بصفة أساسية فى صناعتى المسيج والزيوت وسنحاول فيما يلى عرض موقف كل مركز من هذه المراكز .

١ - مدينة طنطا وضواحيها :

أوردت المصادر التاريخية مدينة طنطا بمسميات مختلفة تعارضت كثيرا فى جزئياتها والتقت بشكل عام فى جوهرها ، فقد أشار إليها ابن حوقل مثلاً فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « ومن منوف الى طنطا ضيعة جليلة حسنة عظيمة الأهل لها جامع وحمامات وبها ضياع برسمها وعامن ذو عدة وعتاد » (٤١٩) وأشار إليها الإدريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) باسم « طنطة » حيث قال « ومن مليج نازلا الى طنطة فى جهة الغرب وهى مدينة متحضرة صغيرة لكنها ذات سوق وأرزاق وأهلها فى رفاهة وخصب » (٤٢٠) وذكرها فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) كل من ابن ممتى وياقوت فسمها الأول « طندتا » (٤٢١) وسمها الثانى « طنتشنا » وقال كانه مركب مضاف طنت الى ثنا وهى من كورة الغربية بينها وبين المحلة ثمانية أميال » (٤٢٢) وسمها السخاوى فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) باسم طنتداء (٤٢٣) وأوردها الجبرتى فى القرنين (١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م) باسم « طنتدا » بدون الهمزة الواردة فى تسمية السخاوى (٤٢٤) ، وفى العصر العثمانى حذفت الدال من طنتدا لتسهيل النطق فصارت طنطا ثم فحمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت « طنطا » وهو الاسم الذى وردت به أخيراً فى الخطط التوفيقية (٤٢٥) وكذلك فى القاموس الجغرافى نقلاً عن تاريخ سنة (١٨١٣ م) (٤٢٦) ، وذاعت شهرتها كثيراً بعد أن دفن فيها ولى الله أحمد البدوى المتوفى سنة (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م) .

والواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن مدينة طنطا وضواحيها من الناحية الصناعية والحرفية فى العصور الإسلامية لا تسمح لنا باعتبار هذه النواحي من المراكز الصناعية ذات الأهمية الكبيرة خلال العصور المشار إليها ، لأن ما ورد فى هذا الصدد ينحصر فقط فيما جاء عنها فى كتاب وصف مصر بما يشير الى ما كان عليه حالها الصناعى والحرفى على أحسن تقدير فى القرنين (١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م) وما جاء فى الكتاب المشار اليه يوضح أن صناعة منسوجات كثنائية كانت تمارس فى

المدينة وضواحيها خلال الفترة المشار اليها ، وتنتج من خلالها أقمشة سادة ذات لحيمات ضيقة وأخرى زرقاء ذات مربعات وثالثة تسمى « كركة » أو « كركا » وهي قماش أزرق كان يصدر الى سورية عن طريق دمياط بالإضافة الى أقمشة التغليف الخشنة (٤٢٧) ، ومع ذلك فان الإشارة الى تصدير قماش الكركة المشار اليه مما كان يصنع في المدينة الى سورية يجب الا تمر علينا بغير وقفة ، لأن عملية التصدير هذه لم تكن لتتم لولا أن المنتج كان على درجة من الجودة أهلتها لكي ينتقى لهذا الغرض ، ولدينا من الأدلة على ذلك كثيرا مما كان ينتج في المراكز الأخرى ذائعة الصيت ويصدر الى الأسواق الخارجية في سورية وغيرها ولا سيما الدبقي والتنيسي والدمياطى والشطوى وغيرها .

أما برما ومحلة مرحوم فهما ناحيتان واقعتان بمركز طنطا ولا يبعدان عنه الا بمسافة كيلو مترين أو ثلاثة (٤٢٨) ، وقد أشار ابن حوقل الى أولاهما في القرن (٤ هـ / ٢٠ م) وسماها محلة المرحوم وقال انها مدينة بها سلطان وفيها شحنة من خيل راجل وبها جامع وحمام وأسواق « (٤٢٩) وفي هذا ما يكفي للوقوف على قدر هذه المحلة بين البلدان المصرية في العصر الاسلامي ، ثم أشار اليها المحبى في القرن (١٢ هـ / ١٨ م) وقال ان « منها الشيخ ابراهيم بن عطاء بن على بن محمد الشافعى المرحومى » (٤٣٠) وفي هذا ما يفسر لنا تسميتها بمحلة مرحوم ثم جاءت في الخطط التوفيقية على أنها من مركز أبيار وتنسب الى ابن المرحوم ومن أحفاده أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن المرحوم (٤٣١) .

أما فيما يتعلق بهاتين المدينتين من الناحية الصناعية والحرفية فاننا لا نملك الا ما أشير اليه في كتاب « وصف مصر » حيث قيل أن صناعة الأقمشة الكتانية كانت تنتشر في كل القرى المجاورة لطنطا وبشكل جزئى في محلة مرحوم وبرما (٤٣٢) ، والواقع أن ما يفهم من هذه الاشارات انما يعنى أن مدينة طنطا وتوابعها كانت تشتمل على بعض الانوال الأهلية التى أنتجت باستثناء النوع الذى كان يصدر الى سورية أنواعا شعبية من الأقمشة الكتانية ، وهو أمر لا يمكن استبعاده لعدة أسباب منها أن الأقليم أصلا هو أحد الاقاليم الزراعية الخصبة حيث تكثر زراعة الكتان ومنه تؤخذ مادة هذه الأقمشة الخام ، ومنها أن انتشار الانوال الأهلية في البلاد المصرية كان أمرا عاديا وشائعا في مصر منذ العصر البيزنطى ، يضاف الى هذه وتلك أن حاجة الاسواق المحلية لا بد انها لعبت دورا هاما وأساسيا في تواجد الصناعة في تلك النواحي .

٢ - المحلة الكبرى وضواحيها : -

المحلة الكبرى كما أشار اليها الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) هى « مدينة كبيرة ذات اسواق عامرة وتجارات قائمة وخيرات شاملة » (٤٣٣) ، وكما ذكرها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) هى مدينة مشهورة بالديار المصرية سماها محلة شرقيون وقال « وهى المحلة الكبرى وهى ذات جنبين أحدهما سندفا والآخر شرقيون » (٤٣٤) ومع ذلك فقد ذكرها صاحب القاموس الجغرافى بقوله انها « مدينة مصرية قديمة اسمها القبطى » « دقلا » ولذلك سميت بعد الفتح العربى لمصر بمحلة دقلا أحيانا ، وبمحلة شرقيون أحيانا أخرى ، ثم عرفت أخيرا بالمحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة بمصر » (٤٣٥) .

وجاء ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) وأشار فى رحلته المشهورة الى أن المحلة الكبرى « مدينة جليلة المقدار ، حسنة الآثار ، كثير أهلها جامع بالمحاسن شملها » (٤٣٦) وذكر ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنها « مدينة كبيرة يشقها النيل وهى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية عرفت ولايتها قديما بالوزارة الصغيرة » (٤٣٧) أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الى انها على ترعة الملاح وهى فرع من فروع بحر شبين وقال « ان أكثر أبنيتها بالآجر المتين على طبقتين وثلاثة وأربعة وبها قصور مشيدة بالبياض النفيس ومناظر حسنة بشبابيك الخرط والزجاج ومفروشة بالبلاط والرخام » . وفيها أرباب حرف كثيرون من جميع الصنائع » (٤٣٨) وقد ظلت المدينة عاصمة لمحافظة الغربية حتى سنة (١٨٣٦ م) ثم قلت أهميتها بعد نقل العاصمة الى مدينة طنطا ثم عادت لها شهرتها مرة أخرى بعد انشاء مصانع الغزل والنسيج فيها سنة (١٩٣٠ م) وصارت المركز الرئيسى لصناعة المنسوجات القطنية فى مصر .

وهكذا نرى أن ما لدينا من أدلة تاريخية كافية لآى استقراء علمى يشير الى أن مدينة المحلة الكبرى كانت على الاقل منذ القرن (٩ هـ / ١٥ م) مركزا هاما من مراكز صناعة النسيج فى مصر ، يؤكد ذلك أولا ما ذكره ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) من أنها كانت « تشتمل على اسواق وجوامع وقياسر وبزازين » (٤٣٩) والمعروف أن البر هو الثياب الرفيعة من الكتان ، ويؤكد ثانيا ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) بقوله أن المراد بقوله تعالى « وأبعث فى المداين حاشرين » هى مدن المحلة الكبرى ، بنابوصير ، سمنود ، وأنه « كان فى هذه المدن من الكتان الذى يحمل الى بلاد الاسلام والكفر وأقاصى الدنيا ما لا يحصر » (٤٤٠)

ولسنا فى حاجة الى ذكر ما لمثل هذه المصادر التاريخية ذات الثقة من أهمية فى أية دراسة أثرية ، ويؤكد ذلك ما جاء فى وثائق جنيزة القاهرة التى نشرها جوتارين من أنه فى سؤال رفع الى ابن ميمون (وهو كما اشرنا) ابراهيم الناقد رئيس التجمع اليهودى فى مصر الذى توفى سنة (٦١٠ هـ / ١٢٠٤ م) نجد الاشارة الى شركة لصناعة الحرير بالمحلة الكبرى قام أصحابها بافتتاح فرع لها بالقرب من محل يتبع شركة مماثلة فى القسطنطينية ، وخوفاً من المنافسة وافقت الشركة التى بالقسطنطينية على أن تقبل أحد عمال شركة حرير المحلة للعمل عندهما مقابل أن يذهب أحد أعضائها الى المحلة ويمتحن هناك بشركاتها (٤٤١) .

وقد حافظت المدينة على تقاليدھا الصناعية النسيجية حتى أيام الحملة الفرنسية على مصر ، يؤيد ذلك ما ذكره علماء هذه الحملة تفصيلاً عن مصانع النسيج فى تلك المدينة ، فقد ورد فى هذا الصدد أنه ليس لمصانع الحرير بالمحلة الكبرى مثيل فى أية مدينة مصرية أخرى ، ويأتى هذا الحرير من سورية على هيئة شرائق الى دمياط ، وهناك تفك خيوطه لتلف فى بكرات ويصبح عندئذ أصفر اللون تشوبه بعض الشوائب ، ثم يبيض فى المحلة الكبرى وتغلى البكرات فى النطرون وتحل خيوطها وتوضع فى شبكات تضرب فوق حجارة مسطحة ثم تغمر بالمياه ويعطى هذا التجهيز الحرير لونا أبيض ، أما خيوط الحرير الملونة التى كانت تعمل بالمحلة الكبرى فكانت على ألوان مختلفة أهمها بالاضافة الى الاخضر والبرتقالى والأزرق الاسود والاحمر والاصفر ، وكانوا يحصلون على اللون الاسود من نبات النيلة ، وعلى اللون الأحمر من دودة القرمز ، وعلى اللون الأصفر من شجيرات البليخة التى كانت تزرع فى اقليم الشرقية (٤٤٢) ، وقد أدى ذلك بالطبع الى قيام مصانع أخرى بالمدينة لصباغة الحرير ، ويبدو أن صناعة الأقمشة الحريرية كانت تتركز فى المحلة الكبرى دون سائر مراكز الدلتا ، حيث كانت تعمل بها من هذه الأقمشة الستائر والاعطية والمفارش المطرزة بخيوط الذهب والفضة وكذا الأحزمة واليشامك (البراقع) السوداء الخاصة بالنساء ومناديل الرأس والشيلان ونحو ذلك مما كان يحمل بعضه الى كافة الاسواق المحلية المصرية ، ويصدر بعضه الثانى الى بلاد الشام عن طريق دمياط ، وبعضه الثالث الى القسطنطينية عن طريق ثغرى رشيد والاسكندرية (٤٤٣) .

ولم تقتصر صناعة المحلة الكبرى خلال الفترة المشار اليها على المنسوجات الحريرية وانما صنع فيها أيضا نوع من التفتاز الاسود استخدمته نساء الطبقة العليا من المجتمع كتنقاب لتغطية الوجه ، بالاضافة الى بعض المنسوجات القطنية والكتانية الخشنة ولا سيما الاتيال الزاهية

التي استخدمت بكثرة في عمل القمصان وكذا المناشف الكتانية ذات الألوان المختلفة التي كانت أصواف بعضها تطرز بالحريز (٤٤٤) .

أما ضاحيتي المحلة الكبرى التي وردت بشأنهما بعض المعلومات التاريخية الدالة على قيام بعض الصناعات والحرف فيهما فهما مسندفا وبنابوصير ، وقد جاء ذكر موقع أولاهما فيما أشار اليه الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) الذي سماها سندفة وقال انها « من سمندود في البرية جهة الغرب تقابلها صندور وهي مدينة جلييلة كثيرة الفواكه والنعم » (٤٤٥) كذلك جاء ذكرها فيما أشار اليه ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله انها « بليدة من نواحي مصر وتعد أحد جانبي المحلة الكبرى » (٤٤٦) ، وما أشار اليه على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله ان سندفا هي « قرية من ناحية السمندودية بمديرية الغربية بلصق المحلة الكبرى من الجهة الجنوبية لا يفصلهما الا الخليج » (٤٤٧) أما ذكر صناعتها فلم تشر اليه الا بعض المراجع العربية بقولها انها كانت خلال العصر الفاطمي مركزا من مراكز صناعة الزيوت في الاقليم (٤٤٨) ، وهو احتمال يرجحه أن الاقليم بكامله هو أحد الأقاليم الزراعية التي تكثر فيها زراعة الكتان وبذره كما نعلم هو أحد المصادر الرئيسية لهذه الصناعة .

أما الثانية فهي مدينة مصرية قديمة ذكرها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بكورة بنا وقال انها تقع جنوب بوصير بنحو فرسخين (٤٤٩) ، وكانت تابعة لمركز المحلة الكبرى على الشاطئ الغربي لبحر دمياط ، فلما أنشئ مركز سمندود سنة (١٩٣٥ م) انتقلت تبعيتها اليه لقربها منه (٤٥٠) ، وقد أشار ابن ظهيرة في القرن (٩ هـ / ١٥ م) الى هذه المدينة وقال انه « كانت تصنع فيها الأقمشة الكتانية الرفيعة التي كانت تحمل الى كافة بلاد الاسلام والكفر وأقاصي الدنيا » (٤٥١) .

٣ - مراكز أخرى متفرقة بالاقليم :

بالإضافة الى مدينتي طنطا والمحلة الكبرى وضواحيهما كانت هناك باقليم الغربية مراكز صناعية أخرى أهمها أبيار وسنبو وسنباط وسمندود ودميرة .

(أ) أبيار :-

أبيار كما وردت في الخطط التوفيقية « بلدة قديمة من مديرية الغربية بقسم محلة منوف واقعة على بحر يوسف شرقي كفر الزيات

أبنيتها من الآجر واللين فيها غرف كثيرة وقصور مشيدة وفيها مساجد
بمنارات ومناير وكانت من المدن العظيمة العامرة بالإيمان ولاكابر ومنها
الشيخ محمد بن علي بن احمد الإبيارى الذى ناب عن الصدر المناوى
بالقاهرة كما كانت محل تخت القضاء ومركز حكومة يتبعها نحو مائة
وخمسين بلدا « (٤٥٢) وقد أشار إليها فى القرن (٧هـ / ١٣ م) كل من
القزوينى وياقوت فقال الأول « مدينة بقرب الاسكندرية بها معدن النطرون
والنطرون نوع من البورق يستعمل فى الأدوية » (٤٥٣) ، وقال الثانى
« أبيار جمع البئر اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والاسكندرية
ينسب اليها أبو الحسن علي بن اسماعيل الإبيارى توفى (٥١٨ هـ /
١١٢٤ م) » (٤٥٤) وقد وصفها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م)
بأنها « قديمة البناء أرجة الأرجاء كثيرة المساجد ذات حسن زائد وهي
بمقربة من النحرارية يفصل بينهما النيل ، ثم قال وتصنع بأبيار ثياب
حسان تعلق قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها ، ومن الغريب قرب
النحرارية منها والثياب التى تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند
أهلها » (٤٥٥) ونحن لا نرى فى ذلك وجه غريبة لو أخذنا فى اعتبارنا
وفرة المنسوجات الممتازة التى كانت تنتجها مراكز الوجه البحرى الهامة
مثل تنيس ودمياط وديق وشطا وغيرها ، ولا بد أن أهل النحرارية كانوا
قادرين على الحصول على هذه المنسوجات ، مما جعلهم يعزفون عن شراء
منسوجات أبيار التى ساء حظها بوجودها بين كثير من أنواع المنسوجات
التي تبرزها مما كانت تنتجها المراكز المشار اليها .

أما ابن دقماق فقد حدد موقعها فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) على أنه فى
طرف جزيرة بنى نصر واشترك بذلك مع ما أشار اليه ياقوت فى القرن
(٧هـ / ١٣ م) إلا أنه أشار الى أن بها أسواق وقياسر وحمامات وجوامع
وبها تجار قاطنون ثم قال « ويعمل بها القماش الإبيارى والمحزر الذى
يفوق القماش الاسكندراني ، وتعمل بها الأبراد الغربية يباع البرد
الكتان منها بما يزيد على المائة درهم » (٤٥٦) والواقع أن ما ذكره
ابن دقماق فى هذا الصدد على جانب كبير من الأهمية لأن وجود التجار
القاطنين بها إنما يعنى وفرة انتاج كانت تقتضى تواجد هؤلاء التجار فى
المدينة بصفة دائمة ، لأن انتاجها كان يكفى على ما يبدو تجارتهم المتصلة
من ناحية ، ولأن تسمية بعض انتاجها بالإبيارى إنما يعنى أنه كان على
قدر من الدقة والجودة وبعض المميزات الخاصة حتى أنه نسب فى
تسميته الى المركز الذى أنتج من ناحية أخرى ، ولأن تفوق قماشها
على أقمشة الاسكندرية وزيادة سعر بردها الواحد على المائة درهم إنما
يعنى بغير شك أن هذه الأقمشة وتلك البرد كانت على درجة عالية من

الذوق والاتقان من ناحية ثالثة ، وقد حافظت المدينة على تقاليدھا الصناعية حتى القرنين (١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م) يدل على ذلك ما جاء في وصف مصر من أن صناعة المنسوجات القطنية والكتانية كانت تنتشر في كل القرى المجاورة لطنطا ولا سيما في محلة مرحوم وبرما وأبيار وبسيون وغيرها (٤٥٧) .

كذلك فقد أورد علي باشا مبارك أن بأبيار معمل دجاج وأنول ومصايخ نيلة وفي هذا ما يدل على أن الصباغة كانت من بين أنشطة هذه المدينة الصناعية خلال القرن (١٣ هـ / ١٩ م) (٤٥٨) .

(ب) سنـبـو : -

يقال لها سنـبو الكبرى وهي ناحية بمركز زفتى محافظة الغربية (٤٥٩) ، أشار اليها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله « ومنها الكنابيش الفائقة التي لا يعلوها شيء ، والاكسية الصنبوية (ربما كان يعنى الصنبوية) وهي أجود ما يعمل هناك » (٤٦٠) ولسنا في حاجة الى تكرار القول هنا بالنسبة لما أشار اليه ياقوت فيما يختص بصفة النسبة في تسمية أكسيته التي لولا تميزها لما نسبت الى المركز الذي أنتجها .

(ج) سنـبـاط : -

سنباط ناحية بذات المركز المشار اليه (زفتى) على بعد كيلو مترين منه (٤٦١) ، وقد ذكرها الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فقال « ومن بلوس الى سنباط (بالضم) ومزارعها كتان وفيها سوق عامرة وتجارات وأرباح » (٤٦٢) وأشار اليها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) على أنها سنباط (بالفتح) وقال كذا تقول العوام ويقال لها أيضا سنبوطية ووصفها ببلید حسن (٤٦٣) ، أما علي باشا مبارك فقد قال في خطته « قرية من مديرية الغربية بمركز زفتى في غربى ترعة الساحل وفي جنوب العجيزية واليها ينسب عبد الحق محمد بن عبد العال الشرف ابن الشمس السنباطى وغيره (٤٦٤) ، وأشار اليها ياقوت أيضا ضمن ما أورده من مدن مصر وقراها وقال انها اشتهرت بالقماش السنباطى (٤٦٥) ، وكأنه بهذا يريد أن يقول لنا أن أنواعا معينة من الأقمشة ذات مواصفات خاصة كانت تنتج في سنباط .

(د) سمـنود

سمنود هي آخر ما نذكره من المراكز الصناعية بمحافظة الغربية، وكانت تسمى في العصر القديم « سبنتوت » أى (الأرض المقدسة) لأن

عنه الكلمة تتكون من مقطعين أولهما « سب » ومعناه (الأرض) وثانيهما « نثرت » ومعناه (المقدسة) ، ثم حرفها اليونان الى « سبنوتس » وأخيرا سماها العرب سمنود ، وقد أشار اليها الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢) فقال « مدينة كثيرة الداخل والخارج عامرة أهلة وبها مرافق وأسعار رخيصة » (٤٦٦) كما أشار اليها ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وقال ٠٠ انها احدى المدن التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى « وابعث في المدائن حاشرين » (٤٦٧) وأنه يعمل فيها الكتان الذي يحمل الى كافة بلاد الاسلام والكفر واقاصى الدنيا (٤٦٨) ، ومعنى ذلك أن المدينة كانت منذ القرن (١٠ هـ / ١٦ م) مركزا لصناعة المنسوجات الكتانية ، وظلت محافظة على تقاليدها الصناعية في هذا المجال حتى القرنين (١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩) يدل على ذلك ما جاء في وصف مصر من « أن الأقمشة الفاتحة التي تحمل على حافتها أربعة أو خمسة خطوط منسوجة في البرسل والتي تستخدم في الملابس البيضاء والزرقاء ، فهي الأقمشة الكتانية التي تصنع بكميات كبيرة في سمنود ، حيث يدور في مجالها ما يقرب من ثلاثمائة نول » (٤٦٩) .

ثالثا : محافظة دمياط

١ - مدينة دمياط :

دمياط محافظة تقع شرق النيل بمصر على الضفة الشرقية لفرع النيل المسمى باسمها ، الى الشرق منها بحيرة المنزلة وهي عاصمة محافظتها ومقرها الادارى (٤٧٠) ، ذكرها كل من ابن حوقل والمسعودى في القرن (٤ هـ / ١٠ م) بطرفى نقيض فأشار اليها الأول مع تنيس بقوله « وهما جزيرتان من الماء المالح والعذب لا زرع فيهما ولا ضرع بهما وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشرب » (٤٧١) وقال الثانى انها كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وتراوة ، وكانت جنانا ونخلا وشجرا ومزارع ولم يكن بمصر كورة تشبهها الا الفيوم (٤٧٢) واتفق المقدسى في نفس الفترة أيضا مع ما ذهب اليه المسعودى فقال بانها « أطيب وأرحب وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بزا وأنظف عملا وأجود حماما وأوثق جدارات من تنيس » (٤٧٣) .

أما القزوينى وياقوت فقد أشارا اليها في القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال أولهما دمياط (بالكسر) مدينة قديمة بين تنيس ومصر عند زاوية التقاء بحر الروم بالنيل وهى مخصصة بالهواء الطيب ، وتعد من ثغور الاسلام عندها يصب ماء النيل فى البحر وعرض النيل هناك نحو مائة ذراع ،

وعليه من جانبيه برجان بينهما سلسلة حديد عليها جرس لا يدخل مركب في البحر ولا يخسرج الا بأذن . وعلى سورها مدارس ورباطات كثيرة » (٤٧٤) وقال ثانيهما « مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم والملح والنيل ، مخصوصة بالهواء الطيب . . . وهي ثغر من ثغور الاسلام » (٤٧٥) .

وذكر ابن بطوطة في القرن (٨هـ / ١٤م) أنها على شاطئ النيل وشجر الموز بها كثير ، ومنها يحمل ثمره الى مصر في المراكب ، وقال ان غنمها سائمة هملة بالليل والنهار ، ولهذا يقال في دمياط : « سورها حلوى وكلابها غنم » (٤٧٦) كذلك فقد أشار اليها المقرئ في القرن (٩هـ / ١٥م) وقال انها كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا سميت بدمياط من ولد اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام ، ثم حكى قصة فتح العرب لها فقال انه لما قدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من أخوال المقوقس يقال له الهاموك ، فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدمياط واستعد للقتال ، فأنفذ اليه عمرو المقداد بن الأسود في طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجمع أصحابه وشاورهم في الامر وكان فيهم حكيم قال له : ايها الملك ان جوهرة العقل لا قيمة لها وما استغنى بها أحد الا هدته ، وهؤلاء العرب لم تردهم راية ، وقد فتحوا البلاد ، ولسنا بأشد من جيوش الشام ، والرأى أن تعقد مع القوم صلحا ، فغضب الهاموك منه وقتله وكان له ابن عاقل ودار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في اللبل ودلهم على عورات المدينة فاستولى المسلمون عليها (٤٧٧) . .

وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن بدأت هجمات الروم المتكررة عليها تجلب لها الدمار والتخريب ، فقد نازلها هؤلاء الروم مثلا سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) وأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك ، ثم هاجموا مرة أخرى خلال عصر الامويين في خلافة هشام بن عبد الملك سنة (١٢١هـ / ٧٣٨م) ، وأغاروا عليها مرة ثالثة سنة بضع ومائتين أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون ، ثم مرة رابعة في خلافة المتوكل على الله العباسي وامارة عنبسة بن اسحاق وكان ذلك في يوم عرفة سنة (٢٣٨هـ / ٨٥٣م) فملكوها وما فيها فنفر اليهم عنبسة يوم النحر في جيشه فلم يدركهم ، ولذلك أمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدىء لثلاث خلون من رمضان سنة (٣٣٩هـ / ٨٥٣م) وأنشأ عنبسة من حينئذ الاسطول بمصر .

ولم تتوقف غارات الفرنج على دمياط عند هذا الحد وانما اغاروا عليها بعد ذلك للمرة الخامسة سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٧م) بعد موت كافور الاخشيدي

ثم مرة سادسة سنة (٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) فى خلافة الفائز ووزارة طلائع ابن رزيك . ثم مرة سابعة سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٦ م) فى وزارة الناصر صلاح الدين ، ثم مرة ثامنة سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م) فى سلطنة الملك العادل بن أبى بكر بن أيوب (٤٧٨) ، وفى عصر الملك الكامل محمد أشار القزوينى الى أن الفرنج اتخذوا مركبا بعلو سور دمياط وشحنوه بالرجال والسلاح وأجروه فى البحر الى أن وصل بسور دمياط فوثبوا من المركب الى السور وفتحوا دمياط بهذه الحيلة (٤٧٩) ، فلما استبد الظاهر بيبرس البندقدارى بمملكة مصر بعد قتل المظفر قطز ، أخرج سنة (٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) عدة من الحجارين لردم فم بحر دمياط حتى ضاق. وتعذر دخول المراكب منه ، وكان ذلك خوفا من هجوم الروم عليها مرة أخرى ، ثم أوقع هؤلاء الحجارون الهدم فى اسوارها حتى خربت كلها ومحيط آثارها ولم يبق منها سوى الجامع (٤٨٠) ، وكانت دمياط كغيرها من الاقاليم القاصية (كرشيد والاسكندرية وقوص) محلا لنفى بعض أرباب الجرائم كما حدث مثلا للظاهر تمرغا الذى نفى اليها لما خلع فى سادس رجب سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) (٤٨١) .

هذا عن مدينة دمياط كموقع وتاريخ ، أما عن دمياط كمركز صناعى فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وأدلة مادية يكفى لان نقول فى ثقة واطمئنان أن المدينة كانت مركزا هاما من مراكز الصناعة فى مصر فى العصر الاسلامى ، وقد عرفت فى هذا العصر بممارسة بعض الصناعات الهامة ولا سيما النسيج والصباغة وبناء السفن ، بالاضافة الى بعض الصناعات الأخرى التى اعتمدت على الانتاج الزراعى مثل السكر والحلوى والخمور .

(أ) صناعة النسيج :

تؤكد لنا المصادر التاريخية والأدلة المادية أن دمياط كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى عصر مجيء الحملة الفرنسية فى القرن (١٢ هـ / ١٨ م) ، ولدينا من هذه المصادر مثلا ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله « ومن دمياط المنسوجات الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب » (٤٨٢) والمعروف أن الصفاق والشروب هى أقمشة الكتان ، أما الدبيقية فقد نسبها اليعقوبى على ما يبدو خطأ الى دمياط لأنها كانت فى دبيق وليس فى دمياط كما هو واضح من تسميتها ، اللهم الا اذا كانت دبيق تابعة فى هذا الوقت الى دمياط فنسب انتاجها الى اسم الكورة دون أن ينسبها

الى اسم المركز الذى صنع فيه ، ولدينا أيضا ما أشار اليه فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من المقدسى والكندى فقال الأول انبا « أمذق صنعا وأرفع بزا » (٤٨٣) وقال الثانى انه « ليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب الساذج منه (أى الذى لا ذهب فيه) مائة دينار غير ثوب تنيس ودمياط » (٤٨٤) وهو أمر كرره الادريسى من بعدهما فى القرن (٦ هـ / ١٠٢ م) بالنص الا أنه زاد عليه قوله ان أصول كل هذه المنسوجات التى تنسج فى دمياط من الكتان وقال انه يعمل بدمياط من غريب الثياب الديبقية وغيرها ما يقارب التنيسية (٤٨٥) ومن هذا يتضح اتفاق ما ذكره الادريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) مع ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بشأن المنسوجات الديبقية ، ولدينا أيضا ما سجله ناصر خسرو فى رحلته المشهورة فى القرن (٥ هـ / ١١ م) من أن القصب لم يكن يصنع الا فى دمياط (٤٨٦) .

ثم جاء ياقوت والقزوينى وابن ممتى وابن عبد الظاهر فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وقال الأول « ومن غريب أمر تنيس ودمياط أن الحاككة بنا الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة قبط وأكثرهم يأكل ولا يغسل يده ثم يعود الى تلك الثياب الرفيعة الجليلة القدر » (٤٨٧) وأضاف الثانى الى ما ذكره الأول أنهم « ينشطون بها ويعملون فى غزلها .. وأن فى قبلها على الخليج غرfa تعرف بالمعامل يستأجرها الحاككة لعمل ثياب الشرب فيها ٠٠٠ وتبلغ قيمة الثوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار ، ولا تشارك تنيس فى شىء من عملها ، ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض ، وهما حاضرتا البحر ، وبها الفرش القلمونى من كل لون » (٤٨٨) وقال الثالث ان الفرش المطرزة بالقصب لم تكن تصنع الا فى دمياط (٤٨٩) ، وقال الرابع انها « مخصصة الهواء وعمر الشرب الفائق » (٤٩٠) ووصفه لشرب الكتان الدمياطى بالفائق يغنى عن الحديث عن الجودة التى كان عليها .

بعد ذلك بقرن من الزمان يأتى المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) ويفصل كثيرا فى بعض ما كان يعمل بدمياط من أنواع المنسوجات فيقول انه كان « يصنع للخليفة فيها ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سدى ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة ، وتبلغ قيمته ألف دينار ، وليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط » (٤٩١) . ثم يأتى بعد ذلك أيضا فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) كل من ابن دقماق والسيوطى وابن ظهيرة فيقول الأول (وقد وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه اليعقوبى)

« ودمياط يعمل غريب الثياب الدبيقية وغيرها وما يقارب التنيسية والطراز الدمياطي مشهور في الأرض » (٤٩٢) ويؤكد الثاني استمرار صناعة كل هذه المنسوجات في المدينة حتى عصره (٤٩٣) ، ويفصل الثالث بقوله ان « من بين منسوجات دمياط القلموني (وهو ضرب من الثياب يظهر للرائي بألوان مختلفة) والمناشف (القوط) وطراز الصعيد من الصوف والمطارح (جمع مطرح وهو المفرش) والشفاف والمستور والمقاطع والخيم والبسط والبراقع وغيرها » (٤٩٤) ، وفي موضع آخر يقول : « ويبلغ الثوب الأبيض من انتاجها وليس فيه ذهب ثلاث مثين دينار ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض » (٤٩٥) .

أما ما جاء في المراجع العربية الحديثة عن منسوجات دمياط فهو كثير أقدمه ما ذكر عن صناعة القطن والكتان في المدينة خلال عصر الاخشيديين في القرن (٣ هـ / ٩ م) (٤٩٦) ويظهر أن صاحبة هذا الرأي قد بنته - على ما يبدو - على ما ذكره المقدسي في القرن (٤ هـ / ١٠ م) وهو على أية حال رأى غير مستبعد لأسباب كثيرة لا داعي لاعادة القول فيها ، وأوسطه ما ورد عن منسوجات المدينة من الأنواع المشار اليها خلال العصرين الفاطمي والأيوبي ، وقيل أن دمياط في العصر الفاطمي كانت تعادل تنيس في شهرتها ، وأنه كانت تعمل فيها كافة أنواع النسيج الفاخر الذي استعملت فيه خيوط الذهب (٤٩٧) .

أما في العصر الأيوبي فقد جرى تشييد عمائر فخمة على النيل خارج المدينة استأجر النساجون حجرات طوابقها العلوية ومارسوا فيها صناعة المنسوجات ، ولا يعرف على وجه اليقين ما اذا كانت الحكومة أو بعض الناس هم الذين قاموا بتأجير هذه الحجرات ، ومع ذلك فالراجع أن هؤلاء هم السماسرة الذين خصتهم الدولة بممارسة هذه العملية فكانوا بذلك الفئة الوحيدة من الوسطاء بين الحكومة والصناع ، ويؤيد ذلك أيضا أنهم هم الذين أمدوا مصانع النسيج بما كانت في حاجة اليه من المواد الخام ، وكان المتبع في هذه الصناعة هو اثبات التزام كل صانع بما قرر له من المواد الخام ، فاذا توفر منها شيء جرى استقطاعه من الثمن المدفوع له ، واذا تم نسيج الثياب تولى تجهيزها فئة أخرى من الصناع ، فيقوم واحد بطيها وثنان بلفها وثالث بوضعها في الأسفاط والصناديق ورابع بحزمها ثم يجرى شحن هذه الثياب في مراكب توجه الى حيث يتم بيعها . (٤٩٨)

كذلك فقد جاء في وصف مصر أنه تمارس في دمياط حرفة تصنيع الكتان والقطن والحريير ، وأن هذه المدينة بصفة خاصة تقوم بصنع أقمشة كتانية ذات حواف حريرية ملونة كنوع من الزينة (٤٩٩) ، وقد

ساعد دمياط على تبوئها هذه المكانة الممتازة في صناعة المنسوجات بشكل عام وفرة المواد الخام ولا سيما الكتان والقطن في المناطق الزراعية المحيطة بها ، كما ساعد موقعها القريب من الشام ومينائها البحري في سهولة الحصول على ما يلزمها من الحرير الذي كانت تأتي شرائقه من سوريا وتلف في دمياط ثم ترسل بعضها الى المحلة الكبرى (٥٠٠) .

هذا عن صناعة الكتان في دمياط وما ورد بشأنها في المصادر العربية، أما المراجع الحديثة فكلها يتفق على أن دمياط كانت مركزا لهذه الصناعة منذ العصر البيزنطي وحتى العصر المملوكي مروراً بعصور الاخشيديين والفاطميين والأيوبيين (٥٠١) ، أما في عصر المماليك فقد ورد أن أهل دمياط كانوا قد مهرروا في عمل الفرش القلمونية المطرزة والملونة وكذا الأقمشة الرقيقة من الكتان الأبيض (٥٠٢) ، وظل الأمر بالنسبة لهذه الصناعة مستمرا حتى أيام الحملة الفرنسية ، لأن ما جاء في وصف مصر يشير الى أن دمياط وضواحيها كانت تشتمل على ثلاثمائة نول تعمل في صنع الشيلان الكتانية بالإضافة الى خمسين نولا أخرى لصناعة الأقمشة الكتانية المسماة بحواشي (٥٠٣) .

ولا تقتصر أدلة صناعة المنسوجات الكتانية في دمياط على ما أشير إليه من معلومات تاريخية وردت في الكثير من المصادر والمراجع العربية، وإنما هناك من الأدلة المادية مما تحتفظ به المتاحف والمجموعات الخاصة ما يكفي لتأكيد هذه المعلومات بغير شك ، ومن ذلك مثلا ثلاث قطع كتانية عملت في طراز العامة بالمدينة أولاها في متحف بناكس في أثينا تقول كتابتها الكوفية بعد البسملة والديباجة « ٠٠ مما عمل في طراز العامة بدمياط على يدى بشر الخادم مولى أمير المؤمنين سنة ست وتسعين ومائتين » (٥٠٤) وثانيتهما في مجموعة أبيمايور (Abemayor) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ٠٠ بعمله في طراز العامة بدمياط سنة أحد عشر وأربعمئة » (٥٠٥) (Sic) أما الثالثة فهي غير مؤرخة ومحفوظة في مجموعة الزبيرج (Elsberg) باسم المطيع لله وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠ بعمله في طراز العامة بدمياط سنة ٠٠ » (٥٠٦) .

كذلك فمن بين منسوجات دمياط الكتانية هناك قطعتان أخريان عملتا في طراز الخاصة بالمدينة أولاها باسم الامام الراضى بالله العباسى وهى لا زالت محفوظة في مجموعة تانو (Tano) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠ بعمله في طراز الخاصة بدمياط سنة عشرين ثلاثمئة » (٥٠٧) (Sic) أما الثانية فهي ملاءة محفوظة في كنيسة

سأنت آن بمدينة آبت (Apt) جنوبى فرنسا وهى منسوجة من كتان رقيق جدا طولها (٣١٠) م وعرضها (١٥٠) م تزين الشريطين الخارجيين منها جامات تحف بها كتابات دقيقة زرقاء تقول انها عملت « فى طراز الخاصة بدمياط سنة تسع وثمانين وأربعمائة » على عهد الخليفة المستعلى بالله الفاطمى بوزارة الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى (٥٠٨) .

وعلاوة على هذه القطع المشار اليها هناك قطع كتانية أخرى باسم الامام الفاطمى المكتفى بالله وامارة الأمير هرون بن خمارويه يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٩٢٩٣) (انظر شكل : ٧٨) طولها (١٨٥) م وعرضها (١٧٥) م تقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « . . بعمله فى طراز دمياط على يدى محمد بن خلف سنة تسع وثمانين ومائتين » (٥٠٩) وهى بذلك لم تحدد فى أى الطرازين عملت هذه القطعة فى دمياط ، ولدينا من الأدلة المادية - كما رأينا - ما يؤكد أنهما كانا يعملان جنبا الى جنب فى المدينة (انظر أيضا شكل : ٧٩) ، أما عن صناعة خيوط القصب النسيجية فى دمياط فقد أشارت اليها كثير من المصادر والمراجع العربية ، واتفقت هذه جميعا على ان هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة منذ القرن (٣هـ / ٩م) تقريبا وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) وما بعده ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣هـ / ٩م) حين قال « وتعمل بدمياط الثياب الصفاق والثياب الشروب والقصب » (٥١٠) وقد أكد كل من المقدسى وابن ممتى استمرارية هذه الصناعة فى المدينة خلال الفترة من القرن (٤هـ / ١٠م) حتى القرن (٧هـ / ١٣م) حين قال الأول « ومن دمياط القصب » (١١) وحيث أشار الثانى الى أنه « ليس فى طراز مصر ذهب غير برد تنيس ودمياط » (٥١٢) أما ابن ظهيرة فقد حدد لنا ذلك فى القرن (١٠هـ / ١٦م) حين قال « وبها (أى بدمياط) يعمل القصب البلخى من كل لون ، لا شتبارك تنيس فى شىء منه ، ويبلغ الثوب الأبيض منه وليس فيه ذهب ثلاث مئة دينار » (٥١٢) والقصب كما عرفته بعض المراجع العربية الحديثة هو عبارة عن قماش من التيل الأبيض وربما كان نوعا من الدانتلا (٥١٤) .

على أن صناعة النسيج فى دمياط لم تقتصر على انتاج المنسوجات الكتانية والقصب وانما شاركت مصانع المدينة فى انتاج كميات كبيرة من الأقمشة الحريرية التى كانت على ما يبدو على درجة عالية من الجودة وذات خصائص مميزة حتى قيل لها الحرير الدمياطى (٥١٥) . ويغلب على الظن أن هذه الصناعة كانت قد استمرت فى المدينة حتى القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) لأن ما ورد فى « وصف مصر » يقول « وقد

ادى القرب من سورية التى يرد منها الحرير المستخدم فى دمياط والمحلة الكبرى والقاهرة الى أن يتركز فى هذه المدن صناعة الأقمشة الحريرية « (٥١٦) » .

وآخر ما يمكن الإشارة اليه من صناعات دمياط النسيجية والمتعلقة بالنسيجية هى الخمارات (البراقع) وقلوع المراكب والصباغة ، وقد جاء الحديث عن هذه الصناعات أيضا فى كتاب « وصف مصر » الذى أشير فيه الى أنه تصنع فى دمياط أقمشة حريرية تتخذ منها خمارات النساء (البراقع) وغالبها ما كانت هذه الخمارات ذات لون أسود أو قرمزي ، ومن دمياط كانت هذه البراقع تنقل الى كافة أسواق مصر ولا سيما فى محافظتى الغربية والدقهلية (٥١٧) .

أما قلوع المراكب فقد ورد فى الكتاب المشار اليه أنها كانت تصنع فى كثير من بلدان الوجه البحرى ولا سيما دمياط والبرلس ورشيد والاسكندرية ، وكان أفضلها جميعا هو ما يصنع فى رشيد ، كذلك فقد كانت الصباغة تمارس فى دمياط على أيام الحملة الفرنسية حيث اشتملت المدينة على مصابغ كانت تعمل بشكل دائم وأكثر الألوان التى مورست فيها هى الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر والبرتقالى والقرمزي والبنفسجى (٥١٨) .

ب - بناء السفن :

الواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية يؤكد أن دمياط كانت مركزا من أهم مراكز بناء السفن فى مصر الاسلامية ، فقد أشار الكندي فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) الى أنه فى ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى نزلت السروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال ، فنفر اليهم عنبسة يوم البحر بجيشه ونفر كثير من الناس فلم يدركوهم ، ومضى الروم الى تنيس فلم يتبعهم (٥١٩) . وكان ذلك سببا من أهم الأسباب التى دعت الى قيام صناعة سفن فى المدينة أشار اليها بعد ذلك ابن ممتى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال « ان صناعة العماثر وتسمى صناعة الانشاء ثلاث بمصر والاسكندرية ودمياط ولكل واحدة مستخدمون يستدعون ما تحتاج اليه » (٥٢٠) . ثم جاء المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وقال انه كان بميناء دمياط دار صناعة لانشاء السفن يديرها أهل خبرة فى هذا الفن (٥٢١) . أما ما يختص بالمراجع العربية التى أشارت الى دمياط كمركز من مراكز صناعة السفن فهى كثيرة ، ويدل ما ورد فيها على أن المدينة ظلت

نمارس هذه الصناعة خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية ، ومن ذلك مثلا ما ورد من « أن العبيدين بذلوا عنايتهم في انشاء الأساطيل في الاسكندرية ودمياط ومصر » (٥٢٢) وأن المدينة اشتهرت ببناء السفن لأن خروج الأساطيل للغزو كان ينطلق من دمياط (٥٢٣) ، كذلك فقد ورد أن دار صناعة دمياط كانت تصنع في العصر الفاطمي الشوانى الحربية والشلنديات والمستطحات (٥٢٤) ، وقد ظلت دار صناعة السفن في دمياط تعمل حتى العصر المملوكى رغم الكثير من الصعوبات التى كان من أهمها عدم توفر الأخشاب اللازمة لهذه الصناعة . (٥٢٥)

ومن ذلك يتضح أن دمياط كانت من القواعد البحرية الهامة فى مصر خلال العصر الاسلامى لوقوعها على البحر المتوسط من جهة ، وعند مصب الفرع الشرقى الذى سمي باسمها من جهة أخرى ، ويبدو أن أهمية دمياط البحرية لم تبرز - كما أشار الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم - الا بعد أن تمكن غزاة البحر الاندلسيون من فتح أقريطش التى أصبحت ترتبط مباشرة بدمياط ، حتى ان هذه الأخيرة كانت تزودها بكل ما تحتاج اليه من أسلحة وعتاد وسفن وقلوع ، الى أن فطن البيزنطيون الى حقيقة ما تمثله دمياط بالنسبة لجزيرة أقريطش فوجهوا أساطيلهم لتأديبها كما حدث مثلا سنة (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) وسنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م) وسنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) وغيرها ، وكان لتلك الأحداث جميعا سببها المباشر فى تدمير المدينة خلال حكم المماليك ابان عهد الملك الأشرف خليل الذى وافقه مماليكه على تنفيذ قرار التدمير لتأمين حدود الدولة أثناء معاركها الحربية مع الصليبيين وحتى لا تقع فى أيديهم (٥٢٦) .

(ج) صناعات أخرى تعتمد على منتجات زراعية :

من الطبيعى فى مدينة كدمياط تقع وسط اقليم زراعى خصب أن تقوم فيها بعض الصناعات والحرف التى تعتمد على الانتاج الزراعى ولا سيما صناعات حفظ الفواكه وعصر الخمور والزيوت ، يدل على ذلك ما ورد عن هذه الصناعات فى بعض المصادر والمراجع العربية ، فقد أشار المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) الى أن انتاج المدينة من الفواكه هو انتاج وافر (٥٢٧) ، وهو أمر يدعونا الى الاعتقاد بأن حفظ الفواكه كان احدى صناعات المدينة فى هذه الفترة لا سيما وأنها صناعة لا تحتاج الى كثير من التعقيد ، كذلك فقد أورد ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) (أى فى العصر المملوكى) ما نصه « ولقد أخبرنى من أثق به من أهلها (أى من أهل دمياط) أن الفدان منها من القصب يخرج منه من السكر قنطارا

بالقوى وهو دئة قنطار بالمصرى وربما يزيد « (٥٢٨) . وفى هذا ما يشير صراحة الى الكم الهائل الذى كانت تنتجه دمياط من هذه الصناعة ، ولنا فى ذلك بالاضافة الى ما نعرفه عن الاستخدامات الهائلة للسكر فى العصر المملوكى أن نكتفى بهذا القدر من انتاجية فدان القصب ولا نجرى وراء تقصى كم من الأفدنة كانت تزرع قصباً فى دمياط لنعرف ولو على وجه التقريب هذا الكم .

أما عن صناعتي الحلوى والخمور فى المدينة فقد أشار ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) الى أولاهما حين قال ان « سورها حلوى وكلابها غنم » (٥٢٩) ، وأشار السيوطى فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) الى ثانيتهما ضمناً عندما قال « وفى سنة ثلاث وتسعين (أى ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر » (٥٣٠) ، كذلك فقد أشار على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) أنه كان يصنع فى دمياط أنواع من العقاقير بكثرة وبها فاخورات للأوانى وحجارة الدخان ونحوها (٥٣١) .

٢ - شطا :

أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية كثيرا فيما يتعلق بموقع شطا وتاريخها ، وهى كما ذكرها اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) (ولم يحدد) « بلثة على ساحل البحر » (٥٣٢) ، وأضاف البلاذرى فى نفس القرن أنها كانت « على ثلاثة أميال من دمياط وقد زال أثرها » (٥٣٣) ، وحدد موقعها المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال انها « قرية بين المدينتين (يقصد دمياط وتنيس) على البحيرة (يقصد بحيرة تنيس) يسكنها القبط » (٥٣٤) وأشار ابن حوقل فى نفس القرن الى أنها كانت من جزائر تنيس ، وأنها أوذيت كثيرا بما فعله أبو الفرج بن كلس وزير العزيز الذى استأصل خيرات صناعتها بالنوائب والكلف والمغارم والسخر الدائمة للصناع حتى أنه جعل جزية على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس (٥٣٥) ، وفى القرن (٧ هـ / ١٣ م) قال القزوينى انها « على ضفة البحر بقرب دمياط » (٥٣٦) وقال ياقوت انها « بليدة بمصر على بعد ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر المالح » (٥٣٧) .

وعند المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) أنها مدينة عند تنيس ودمياط عرفت بشطا بن الهاموك الذى لحق بالمسلمين وقت الفتح وأسلم ودلهم على عورات المدينة التى كان عليها أبوه الهاموك من

قبل المقوقس (٥٣٨) ، ورغم ما اعترض به بتلو من أن هذا الاشتقاق الذى أورده المقرئزى خاصا بتسميتها . لا حقيقة له لأن مدينة شطا كانت تعرف بهذا الاسم قبل أن يغزو العرب مصر بزمان طويل (٥٣٩) إلا أنه لم يدعم هذا الاعتراض بما يجعل الأخذ به أمرا ممكنا أو مقبولا ، وعلى أية حال فإن القاموس الجغرافى وهو أهم المراجع العربية فى هذا الصدد يوضح أن شطا بلدة يسكنها القبط وهى على بعد ثلاثة أميال من دمياط على البحر الملح وكانت من توابع غيط النصرى ثم أصبحت قائمة بذاتها (٥٤٠) .

هذا بالنسبة لشطا كموقع وتاريخ ، أما عن صناعاتها فإنها فى الواقع تنحصر فى صناعة النسيج فقط ، ولدينا من المصادر التاريخية والمراجع العربية والأدلة المادية ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر الإسلامية منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى القرن (٩ هـ / ١٥٠ م) ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال « وتعمل بها الثياب الشروب الشطوية » (٥٤١) وما أشار إليه المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) من أنه « يسكنها القبط واليه ينسب البز الشطوى » (٥٤٢) وما أورده ابن حوقل فى القرن المشار إليه حين قال « ويعمل فيها رفيع الثياب الشطوى مما كان حمله يبلغ (على عهده) من عشرين ألف الى ثلاثين ألف دينار » (٥٤٣) كذلك لدينا ما ذكره الأدريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذى قال انه « يعمل بها الرفيع من أجناس الثياب التى لا تقارب التنيسى ولا الدهياطى » (٥٤٤) .

ثم يأتى القزوينى وياقوت بعد ذلك فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فيقول الأول « وتنسب اليها الثياب الشطوية ويعمل بها الشرب الرفيع الذى تبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة درهم ولا ذهب فيه » (٥٤٥) ويشير الثانى الى أنه « تعمل بها الثياب الشطوية الرفيعة التى يبلغ ثمن الثوب منها ألف درهم ولا ذهب فيه » (٥٤٦) وفى هذا ما يكفى للوقوف على مدى الاختلاف الذى يحدث أحيانا بين المؤرخين ، فنرى مؤرخين متعاصرين تقريبا يقدر أولهما ثمن الثوب الشرب الشطوى الذى لا ذهب فيه بثلاثمائة درهم ، ويقدره الثانى بألف ، ونحن فى ذلك لا نستطيع أن نحدد أى المؤرخين أصدق إلا اذا كان كل منهما أراد أن يفخم فى قيمة هذه الثياب لا أن يثمنها فأتى التفخيم من كليهما متفقا مع ما يحسه تقديرا لا تحديدا . أما المقرئزى وابن ظهيرة فقد أخبرنا أولهما فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) أنه كانت « تعمل بها كسوة الكعبة » (٥٤٧) وأكد ثانيهما فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م)

قول سابقه من المؤرخين من أنه « تنسب اليها السياب الشطوية وتعمل بها كسوة الكعبة الرفيعة » (٥٤٨) ، ويبدو أن شهرة هذه المدينة وما تميزت به منسوجاتها من خصائص فنية انفردت بها عن منسوجات غيرها كانت سببا في تسمية بعض ما أنتجته من المنسوجات باسمها فقل له « الشرب الشطوية والبز الشطوي » وكلاهما كان يصنع في المدينة منذ القرنين (٢ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) (٥٤٩) .

وباستفاضة أخرى فيما يتعلق بشطا كمرکز هام من مراكز صناعة النسيج في مصر الإسلامية ، وردت المعلومات الوافرة في كثير من المراجع العربية مؤيدة لأهمية المدينة في هذا المجال منذ العصر البيزنطي وحتى العصر المملوكي ، يدل على ذلك مثلا ما جاء به القاموس الجغرافي متفقا مع ما ذكرته المصادر العربية من أنها كانت بلدة يسكنها القبط لأن في هذا ما يعنى أنها كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج قبل الفتح العربي لمصر ، وقد سبق لنا تكرار القول بأن هذه الصناعة في العصر الإسلامي المبكر كانت تمارس في المناطق التي يكثر فيها الأقباط وقد جاء ذكرها بالفعل كمرکز من مراكز المنسوجات الكتانية في هذه الفترة (٥٥٠) .

ثم وردت بعد ذلك المعلومات الدالة على أنها كانت مركزا هاما من مراكز صناعة المنسوجات القطنية والكتانية في عصر الإخشيديين (٥٥١) ، وظلت على هذا الحال أيضا في عصر الفاطميين ، وكانت كسوة الكعبة تصنع فيها خلال هذين العصرين ، يؤيد ذلك وتؤكد قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة كوفية بسيطة تقول « بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة » (٥٥٢) ولنا في ذلك أن نقدر الكيف الذي وصلت إليه هذه الصناعة في المركز الذي بين أيدينا ، لأن كسوة الكعبة كانت تعمل من أنفس المواد وأغلاها ، وبأحسن الأيادي المدربة وأمهرها (٥٥٣) .

وقد ظلت مصانع شطا (الخاصة والعامة) عامرة عاملة حتى عصر المماليك الذي أنتجت فيه بكثرة (بالإضافة الى المنسوجات القطنية والكتانية) المنسوجات الحريرية التي عرفت بالكمخة والتي كانت تصنع في كثير من المراكز التي عرفت في هذا العصر (٥٥٤) .

وأخيرا فإن لدينا من الأدلة المادية مما عمل في طراز شطا مما لا زالت تحتفظ به المتاحف المختلفة والمجموعات الخاصة ما يكفي للوقوف على

أهمية موقع هذا المركز على خريطة مراكز مصر الصناعية في العصر الإسلامي ، ومن هذه الأدلة ثلاث قطع كتابية يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة أولاها تبلغ (١٩ رم) طولا وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ بعمله في طراز الخاصة بشطا سنة سبع وثمانين وثلثمائة » (٥٥٥) أما ثانيها فهي باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي وطولها (٥٠ رم) وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ مما أمر بعمله في طراز الخاصة بشطا سنة أربع وتسعين وثلثمائة » (٥٥٦) . وتبلغ ثالثها (٣١ رم) طولا وتقول كتابتها « ٠٠٠ مما أمر بعمله في طراز العامة بشطا سنة سبع وتسعين وثلثمائة » (٥٥٧) .

وهناك مما نسج في شطا بالاضافة الى قطع متحف الفن الاسلامي ، قطعتان أخريان احدهما باسم الامام العباسي المطيع لله ويحتفظ بها متحف برلين ، وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ بعمله في طراز العامة بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين » (٥٥٨) والأخرى في متحف بناكى في أثينا ويبلغ طولها (٤٦ رم) وتقول كتابتها الكوفية بعد البسملة والديباجة « ٠٠ مما أمر بعمله في طراز العامة بشطا سنة سبع وثمانين وثلثمائة » (٥٥٩) .

أما مجموعة تانو (Tano) ففيها أربع قطع أخرى نسجت في شطا الأولى باسم الراضى بالله العباس ووزارة سليمان بن الحسن طولها (٦٦ رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة يقول بعد البسملة والديباجة « ٠٠ بعمله بشطا على يد بكير سنة خمس وعشرين وثلثمائة » (٥٦٠) والثانية باسم المطيع لله طولها (٤٧ رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة يقول بعد البسملة والديباجة « ٠٠ بعمله بشطا على يدى فائز سنة ثمان وثلثين وثلثمائة » (٥٦١) والثالثة طولها (٢٨ رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين ٠٠ سنة سبع وخمسين وثلثمائة » (٥٦٢) والرابعة طولها (١٠ رم) وعليها سطران من كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠٠ في طراز الخاصة بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين » (٥٦٣) .

٣ - بورة (كفر البطيخ)

أشار اليعقوبى الى بورة في القرن (٣ هـ / ٩ م) فقال انها « حصن على ساحل البحر من عمل دمياط » (٥٦٤) وأشار إليها الادريسي في القرن

(٦ هـ / ١٢ م) فقال « ومن فارسكور الى بورة وهى قرية جامعة ذات زراعات وغلات وجنات وبساتين وخيرات » (٥٦٥) كذلك فقد أشار اليها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقال انها « مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط شهدت واقعة للجلودى القائد سنة (٢١٤ هـ / ٧٢٩ م) » (٥٦٦) .

أما المقرئى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) فقد قال انها « بين تنيس ودهياط وينسب اليها بنو البورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية ، وقد هاجمها الروم سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) (٥٦٧) ، ثم أشار محمد رمزى الى أن بورة هو الاسم القديم لهذه القرية وأنها حصن على ساحل البحر من عمل دمياط يقال لها اليوم كفر البطيخ وتقابل منزلة العادلية التى بها السلطان (٥٦٨) ، (نسبة الى العادل محمد بن أبى بكر بن أيوب) .

هذا عن بورة من ناحية الموقع والتاريخ ، أما من الناحية الحرفية والصناعية فالواقع أن لدينا من المعلومات التاريخية والأدلة المادية ما يكفى - رغم قلته - الى القول فى ثقة واطمئنان أنها كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج والقراطيس فى مصر الاسلامية منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وما بعده ، يؤيد ذلك أولا ما أشار اليه اليعقوبى فى القرن المشار اليه من أنه « تعمل بها الثياب » (٥٦٩) ، ويؤيده ثانيا ما ذكره ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) من أنه « تنسب اليها العمائم البورية » (٥٧٠) ، ويؤكد ذلك فوق هذا وذالك قطعة من نسيج الكتان باسم الامام الحاكم بأمر الله الفاطمى لازالت محفوظة فى مجموعة أبيمايور (Abemayor) طواها (٦٥ ر م) وعليها كتابة كوفية بسيطة فى سطرين تقول بعد البسملة والديباجة الفاطمية المطولة بنسب الامام مع دعوات وتبريكات له ولآبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين « ٠٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة ببورة سنة سبع وأربعمائة لا اله الا الله » (٥٧١) .

أما عن صناعة القراطيس فى بورة فيؤيدها أولا ما ذكره اليعقوبى فى الفترة المشار اليها حين قال مكمل للحديث عن موقعها « وتعمل بها القراطيس » (٥٧٢) ويؤيدها ثانيا ما أشار اليه محمد رمزى حين قال « وبها مصنع للورق » (٥٧٣) ولو أن الأمر قد التبس عليه - على ما يبدو - فخلط بين القراطيس والورق ظنا منه بأن كلاهما واحد مع أن القراطيس - كما هو معروف - كانت تعمل من أوراق نبات البشنين (البردى) التى كانت تنمو بكثرة فى مستنقعات الدلتا والفيوم ، وقد ظلت مصر بواسطة صناعاتها من الأقباط تحتكر هذه الصناعة فى العالم القديم طوال عصر

الولاة عريباً وحتى القرن (٤ هـ / ١٠ م) عندما عطلتها كواغيد
سمرقند (٥٧٤) .

٤ - مراكز فرعية أخرى :

الواقع أن مراكز الصناعة في إقليم دمياط لم تنحصر في العصر
الاسلامي فقط فيما سبقت الإشارة إليه من مراكز هذا الإقليم ممثلة في
مدينة دمياط ذاتها ثم في شطا وبورة ، وإنما كانت هناك بعض المراكز
الفرعية الأخرى ممثلة في دميرة وأبوان ودقهلة ووسيمة .

(أ) دميرة :

دميرة هي قرية صغيرة على الحدود بين اقليمى الدقهلية ودمياط
غرب الخنيج ، ذكرها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله إنها « قرية
كبيرة بمصر قرب دمياط ينسب إليها أبو تراب عبد الوهاب بن خلف
الدميرى وهما دميرتان أحدهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق
من يريد دمياط » (٥٧٥) ومالدينا من معلومات تاريخية عنها يوضح رغم
قلته أنها كانت منذ العصر البيزنطى مركزاً من مراكز صناعة المنسوجات
الكتانية والحريرية ، وقد وردت اشارات كثيرة الى ذلك في كثير من
المراجع العربية (٥٧٦) ، والذي لاشك فيه أنها لم تحافظ على تقاليدها
الصناعية النسيجية هذه في العصر الاسلامى فقط بل ان هذه الصناعة
كانت تمارس فيها بأحسن مما كانت تمارس به في العصر السابق ،
وقد أيدت ذلك بعض المصادر العربية مثل ابن حوقل الذى أشار في
القرن (٤ هـ / ١٠ م) الى أنها كانت « احدى جزر تنيس وتعمل بها
الثياب الرقيقة مما كان يصنع في الجزيرة » (٥٧٧) ومثل الادريسي
الذى أشار في القرن (٦ هـ / ١٢ م) الى أنه « يعمل بها الرفيع من
أجناس الثياب وهى حسنة يتجهز بها الى كثير من البلاد وبها صناعات
كثيرة وتجار قاصدون وبيع وشراء » وفي موضع آخر يقول ان بها « طراز
للخاصة وطراز للعامة وترسم بها الثياب والشروب » (٥٧٨) كما أيدته
بعض المراجع العربية الحديثة أيضاً (٥٧٩) . ومع ذلك فالذى لاشك فيه
فيما يختص بهذا المركز من الناحية الحرفية والصناعية رغم ذلك كله ،
أنه لا المصادر التاريخية ولا المكتشفات الأثرية تعطى معلومات كاملة
وهوأكدة عنه في هذا المجال وهو أمر جعل معرفتنا عنه مبتورة وغير
متكاملة ، ومن ثم فإن معلومات تاريخية مؤكدة أو شواهد من مكتشفات
أثرية محققة لازالت منتظرة بالنسبة له في المستقبل .

(ب) أبوان :

الواقع أن معرفتنا عن هذا المركز تنحصر فقط فيما ذكره ياقوت الرومى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) حين قال ان « أبوان مدينة كانت قرب دمياط من أرض مصر كان أهلها نصارى يعمل فيها الشرب الفائق فينسب اليها فيقال له بونى على غير لفظه ويضاف اليها عمل فيقال لجميعه الأبوانية » (٥٨٠) وقد تناول ياقوت (فيما ذكره عن هذه المدينة) موقعها وأهميتها الاقتصادية بالنسبة لصناعة النسيج وأشار الى أن سكانها كانوا من المتمرسين فى مجال هذه الصناعة ، ليس هذا فقط بل لقد قال ان التقسيم الإدارى المصرى فى عصره قد جعلها كورة بالاقليم . وتأكيد ياقوت فيما أشار اليه فى هذا الصدد على أن أهلها نصارى وأنهم كانوا من المتمرسين فى مجال هذه الصناعة يجعل من هذه المعلومة أمرا يصعب الشك فيه .

(ج) دقهلة :

الدقهلية محافظة بمصر فى شرق الدلتا عاصمتها الحالية المنصورة ، وقد عرفت بهذا الاسم نسبة الى عاصمتها القديمة دقهلة ثم عرفت بالمنصورة كما قيل فى عهد الدولة الفاطمية ، وقد نقلت عاصمتها الى أشمون الرمان سنة (١٥٢٧ م) ثم الى المنصورة سنة (١٨٢٦) ، ذكرها ياقوت بقوله انها « بلدة بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ (أى ما يعادل ثلاثة أميال) ذات سوق وعمارة وتضاف اليها كورة فيقال كورة دقهلة » (٥٨١) ، وقد نسبت اليها هذه التسمية منذ الفتح العربى لمصر ، ويعرف مكانها اليوم طبقا لما أشار اليه محمد رمزى باسم « عزبة الكاشف » (٥٨٢) ويفهم مما أورده ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) خاصا بكورة دقهلة أنها كانت مركزا من مراكز صناعة القراطيس والطوامير التى كانت تعمل - كما أشرنا - من نبات البردى وكانت « تحمل منها الى أقاصى بلاد الاسلام والكفر » (٥٨٣) ، مما يدل على أنها كانت ذات جودة عالية أهلتها لكى تكون من بين صادرات مصر الهامة فى هذا العصر .

(د) وسيمة :

إذا أردنا أن نتكلم عن وسيمة كموقع وتسمية ، فاننا يمكن أن نقول انها هى آخر ما نذكره من مراكز الصناعة فى اقليم دمياط ، وكانت

نفع كما أشار اليعقوبى في القرن (٣ هـ / ٩ م) « على ساحل البحر قريبا من بورة وتعمل بها القراطيس » (٥٨٤) أما بعض المراجع الحديثة فقد أشارت الى أنها كانت تسمى « أخينو » وتقع على ساحل البحر غربى فرع رشيد ثم قيل وسيمة (٥٨٥) ، أما اذا أردنا أن نتكلم عنها كمركز صناعى فأننا يمكن أن نقول انها كانت خلال العصر الاسلامى مركزا من مراكز صناعة القراطيس ، يدل على ذلك ماورد فى كل من المصادر والمراجع المشار اليها ، والواقع أننا لو وضعنا فى اعتبارنا أهمية ما أشار اليه اليعقوبى كواحد من المصادر العربية الموثوق بها ، وأضفنا اليه أن هذا النوع من الصناعة كان واحدا مما أنتجته بورة المجاورة لها ، علاوة على شهرة مصر الواسعة أصلا فى صناعة القراطيس والطوامير منذ العصور القديمة وحتى عصر احلال الورق محل البردى ، فانه يمكن تصديق ما ذكره اليعقوبى والأخذ به ، كذلك يبدو أن وسيمة كانت قد عرفت أيضا بصناعة الحلوى ، وربما يدل على ذلك أنه لا زال يصنع فى دهياط فى الوقت الحاضر نوع من تلك الحلوى يطلق عليه لفظ « بسيمة » وقد يكون أصل تسميته مشتقا من اسم المركز الذى بين أيدينا « وسيمة » جريا على ما كان متبعاً فى النسيج ثم تحولت التسمية بمرور الزمن من « وسيمة » الى « بسيمة » فبقى الاسم بذلك قائما دون كثير من فرق بين التسميتين يذكر .

١ - حواشي وتعليقات الفصل الثاني

من الباب الثاني

وسط الدلتا

- ٤٠٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٩ - ١٦٠ .
- ٤٠٣ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ١ ص : ٣٠٠ .
- ٤٠٤ - علي باشا مبارك : المرجع : ج ٣ ص : ٧ .
- ٤٠٥ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ص ١٥٧ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للأنظر المصرى : ص ٩٠ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٣ .
- ٤٠٦ - رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ .
- ٤٠٧ - أوراق البردى العربية (تأليف : أدولف جروهمان وترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون) : ج ٢ ص ٣٦ وانظر أيضا : سعاد ماهر : النسيج الإسلامى : ص ٤٢ ، الفن القبطى : ص ٤٥ .
- ٤٠٨ - الكندى : المصدر السابق : ص : ٦٦ .
- ٤٠٩ - قاموس جغرافى للمقطر المصرى : ص : ٧٦٣ .
- ٤١٠ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٣٣ .
- ٤١١ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٨ .
- ٤١٢ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٥ ص : ٢١٦ .
- ٤١٣ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٣ .
- ٤١٤ - نفس المرجع : ج ١ ص : ٢١٢ ، ج ٤ ص : ٢١٤ .
- ٤١٥ - نفس المرجع : ج ٤ ص : ١٩٣ .
- ٤١٦ - نفس المرجع : ج ٤ ص : ٢١٨ .
- ٤١٧ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .
- ٤١٨ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٣٥ .
- ٤١٩ - ابن مغازي : المصدر السابق : ص : ١٢٧ .
- ٤٢٠ - ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٤٣ .
- ٤٢١ - السخاوى : الضوء اللامع : ج ٧ ص : ١٧٣ .
- ٤٢٢ - الجبرتي : عجائب الآثار : ج ٢ ص : ٧٧ .
- ٤٢٣ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٣ ص ص : ٤٥ - ٥١ .

- ٤٢٥ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ص ١٠٢ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٢٥٣ .
- ٤٢٥ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- ٤٢٦ - قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ١٢٦ .
- ٤٢٧ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .
- ٤٢٨ - المسبجى : خلاصة الأثر : ج ١ ص : ٣١ .
- ٤٢٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ص : ٣٤ - ٣٥ .
- ٤٣٠ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٤ .
- ٤٣١ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٨ - ١٥٩ .
- ٤٣٢ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص : ٦٣ .
- ٤٣٣ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ق ٢ ص : ١٦ .
- ٤٣٤ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣١ .
- ٤٣٥ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٨٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ٦٥٥ ، وصف مصر : ج ٣ ص ص : ٩٣ - ٩٩ .
- ٤٣٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ص : ١٨ - ٢٥ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٥٧ .
- ٤٣٧ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٨٢ .
- ٤٣٨ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ .
- ٤٣٩ - س ، د ، جوتابن : المرجع السابق : ص : ١٨٠ .
- ٤٤٠ - وصف مصر : ج ١ ص : ٢٥١ ، ج ٣ ص ص : ٦١ - ١١٤ ، ج ٤ ص : ١٩٥ .
- ٤٤١ - نفس المرجع : ج ٤ ص ص : ٢٠٦ - ٢٠٧ وانظر أيضا : حسين الرفاعي : المرجع السابق : ص : ١٠ .
- ٤٤٢ - وصف مصر : ج ٣ ص : ٩٤ وانظر أيضا : حسين الرفاعي : المرجع السابق : ص : ١٠ .
- ٤٤٣ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٩ ، ١٥ .
- ٤٤٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٢٦٨ .
- ٤٤٥ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ٥٨ .
- ٤٤٦ - راند البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٤ .
- ٤٤٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٧٣٨ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ١١ .
- ٤٤٨ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ق ٢ ص : ٦٩ .
- ٤٤٩ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ .
- ٤٥٠ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ص : ٢٨ - ٣١ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ٤٨ .

- ٤٥١ - القزويني : المصدر السابق : ص : ٥٥ .
- ٤٥٢ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٨٥ .
- ٤٥٣ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣١ .
- ٤٥٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٩٩ .
- ٤٥٥ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٤ .
- ٤٥٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٢٩ .
- ٤٥٧ - قاموس جغرافى للمقطر المصرى : ص : ٣٥٨ .
- ٤٥٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٢٦١ وراجع أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
- ٤٥٩ - قاموس جغرافى للمقطر المصرى : ص : ٣٥٧ .
- ٤٦٠ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٣ - ١٤٥ .
- ٤٦١ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٢٦١ .
- ٤٦٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ٥٢ .
- ٤٦٣ - عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٥١ .
- ٤٦٤ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٥ - ١٥٦ .
- ٤٦٥ - سورة الشعراء : آية : ٣٦ .
- ٤٦٦ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ .
- ٤٦٧ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٥ .
- ٤٦٨ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٥٧ .
- ٤٦٩ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٣ .
- ٤٧٠ - المسعودى : المصدر السابق : ص : ٣٤٨ .
- ٤٧١ - المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٤٧٢ - القزويني : المصدر السابق : ص ص : ١٩٣ - ١٩٤ .
- ٤٧٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٧٢ - ٤٧٣ .
- ٤٧٤ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣٣ .
- ٤٧٥ - المقريزى : الخطط : ج ١ ص ص : ٣٩٩ - ٤٢٢ .
- ٤٧٦ - نفس المصدر : ج ١ ص ص : ٣٩٩ - ٤٢٢ .
- ٤٧٧ - القزويني : المصدر السابق : ص : ١٩٤ .

٤٧٨ - لمعلومات أكثر تفصيلا فى تاريخ دمياط وما وقع بين المسلمين والبيزنطيين فيها من معارك أدت فى النهاية الى تخريبها : راجع : المقريزى : السلوك : ج ١ ق ١ ص ٧٤ ، ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ص : ٨٠ - ٨٢ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥ - ٣٦ ، ٤٥ ، ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والعصور : ص : ٣٥ ح ٤ ، وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص ص : =

- ٣٦ - ٤٧ ، الفريد بنلر : المرجع السابق : ص : ٣٠٣ محمد رمزي : المرجع السابق .
 مجلد ١ ج ٢ ص ٨ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٨٠٣ .
- ٤٧٩ - انظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٤٨ .
- ٤٨٠ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٤٨١ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٤٨٢ - الكندي : المصدر السابق : ص ص : ٩ ، ٦٨ .
- ٤٨٣ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .
- ٤٨٤ - ناصر خسرو : المصدر السابق (تحقيق تراث الانسانية مجلد ١ ج ٨)
 ص : ٦٤٨ .
- ٤٨٥ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٧٢ - ٤٧٣ .
- ٤٨٦ - القزويني : المصدر السابق : ص ص : ١٩٣ - ١٩٤ .
- ٤٨٧ - ابن ممتي : المصدر السابق : ص : ٨١ .
- ٤٨٨ - ابن عبد الظاهر : المصدر السابق : ص ٣٥ ، ٤٢ .
- ٤٨٩ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٩٩ وما بعدها وانظر أيضا : على باشا
 مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٤٨ .
- ٤٩٠ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٨٢ .
- ٤٩١ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٢٩ .
- ٤٩٢ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣١ .
- ٤٩٣ - نفس المصدر : ص : ٥٤ .
- ٤٩٤ - سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .
- ٤٩٥ - زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، راشد البراوي : المرجع
 السابق : ص : ٣٨٢ ، آدم متر : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٥١ ، السيد الباز
 العريني : مصر في عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٩ - ٢٠٠ ، م . س . ديماند : المرجع
 السابق : ص : ٢٥٠ .
- ٤٩٦ - راجع في ذلك : ابن ممتي : المصدر السابق : ص : ٣٣٠ وانظر أيضا :
 محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق : ص ص : ١٣٥ -
 ١٣٦ ، حسين الرفاعي : المرجع السابق : ص : ١٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق :
 ص : ٤٩ .
- ٤٩٧ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٨ .
- ٤٩٨ - انظر أيضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص : ٤٢ ، زكي حسن :
 فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية
 ج ١ ص : ١٦٥ .
- ٤٩٩ - انظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن
 القبطي : ص : ٤٥ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص :
 ٢٠٠ ، راشد البراوي : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ، السيد الباز العريني : مصر في عصر
 الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ - ٢٠٠ ، م . س . ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٥٠٠ - محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ص : ٢٩٧ - ٢٩٦ ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق لنفس المؤلف : ص ص : ١٣٥ - ١٣٦ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٨٩ - ١٩١ .

٥٠١ - وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٩ .

٥٠٢ - انظر عنها أيضا :

Reper, Chrono d'épigraph-Arabe : Tome : 3, pp. 48-9, No. 883.

Ibid., Tom 6, pp. 126-7, No. 2223. ٥٠٣ - انظر عنها أيضا :

Ibid, Tome : 5, p. 77, No. 1782. ٥٠٤ - انظر عنها أيضا :

ليس هذا فقط بل ان هناك ثلاث قطع كتابية أخرى من صناعة دمياط ، اثنتان في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة أولاهما تحت رقم (١٣٠١٥) تقول كتابتها انها عملت « ٠٠ في طراز الخاصة بدمياط سنة سبع وثمانين وثلثمائة » وثانيتهما تحت رقم (١٠١٢٣) طولها (٣٣ ر م) تقول كتابتها انها عملت « ٠٠ في طراز العامة بدمياط سنة خمس عشر وأربعمائة ٠٠ » وواحدة أخرى في متحف بناكي في أثينا مقاسها (٥٠ × ٧ ر م) باسم المستنصر بالله تقول كتابتها انها عملت « ٠٠ في طراز الخاصة بدمياط سنة ثمان وسبعين وأربعمائة » راجع عن هذه القطعة أيضا :

Reper, Chrono, D'epigraph, Arabe : Tome : 6, p. 226, No. 2056 A, Tome, 6, pp. 182-3 No. 2338, Tome, 7, p. 231 No. 2753.

Ibid., Tome : 4, p. 71, No. 1349. ٥٠٥ - انظر عنها أيضا :

٥٠٦ - انظر أيضا : زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٥٣ - ٣٥٦ ، كنوز الفاطميين : ص ص : ١٢٩ - ١٣٠ .

٥٠٧ - انظر عنها أيضا :

Reper, Chrono, d'épigraph, Arab : Tome : 3, pp. 15-6, No. 825.

٥٠٨ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص ٣٣٨ .

٥٠٩ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ .

٥١٠ - ابن مباتي : المصدر السابق : ص : ٨١ .

٥١١ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٤٥ .

٥١٢ - انظر أيضا : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ٣٧٢ - ٣٧٦ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص : ٢٩٥ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٢٩٨ .

٥١٣ - انظر أيضا : عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٦ .

٥١٤ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ١٩٥ - ٢١١ ، علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٥٢ .

- ٥١٥ - زصف مصر : ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
- ٥١٦ - نفس المرجع : ج ٢ ص : ٢٠٨ .
- ٥١٧ - الكندى : ولاة مصر : ص : ٢٢٧ .
- ٥١٨ - ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٠٣٤ وانظر أيضا : راشد البراوى :
المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .
- ٥١٩ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ١٩٥ وانظر أيضا : سعاد ماهر :
المحرية فى مصر الاسلامية : ص : ٣١٨ .
- ٥٢٠ - جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص : ١٥٩ .
- ٥٢١ - انظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .
- ٥٢٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٨٨ - ٩٣ .
- ٥٢٣ - انظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٨ - ١٦٩ .
- ٥٢٤ - راجع : ابن عبد الظاهر : المصدر السابق : ص ٣٥ ح ٤ ، وانظر أيضا :
السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٤٦ - ٤٩ .
- Kubiak (W. B.) : op. cit., (Byzantion) vol. XI 1970, pp. 45-66.
- ٥٢٥ - المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٥٢٦ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٥٤ وانظر أيضا : خليل ضومط : المرجع
السابق : ص ص : ١٦٢ - ١٦٧ .
- ٥٢٧ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣٣ .
- ٥٢٨ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٨١ .
- ٥٢٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٥٢ .
- ٥٣٠ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٥٣١ - البلاذرى : المصدر السابق : قسم ٣ ص : ٧٤٠ .
- ٥٣٢ - المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٥٣٣ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .
- ٥٣٤ - القزوينى : المصدر السابق : ص : ٢٠٩ .
- ٥٣٥ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٣٤٢ - ٣٤٣ ، عبد العال
الشامى : المرجع السابق : ص : ٤٩ راجع أيضا : ابن ظهيرة : المصدر السابق :
ص ٥٦ ح ٤ .
- ٥٣٦ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٤٢٢ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع
السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢٩ - ١٣٠ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون
فى مصر : ص : ٢٩٥ ح ١ .
- ٥٣٧ - الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .
- ٥٣٨ - محمد رهزى : المرجع السابق : ج ١ ق ٢ ص : ٢٤٣ وانظر أيضا : راشد
البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .
- ٥٣٩ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

- ٤٥٠ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٥٤١ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .
- ٥٤٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .
- ٥٤٣ - القزويني : المصدر السابق : ص : ٢٠٩ .
- ٥٤٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٣٤٢ - ٣٤٣ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
- ٥٤٥ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٢٢٦ .
- ٥٤٦ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ ح ٤ .
- ٥٤٧ - راجع في ذلك : اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٢٢ ، المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .
- ٥٤٨ - انظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ ، محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ٣٧٢ - ٣٧٦ .
- ٥٤٩ - سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .
- ٥٥٠ - راجع في ذلك :
Reper. Chrono. d'epigraph. Arab. Tome : 1, p. 63, No. 80.
- المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٤٢٢ ، انظر أيضا : علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ١٣٠ .
- ٥٥١ - انظر أيضا : زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، فنون الاسلام (لنفس المؤلف) : ص : ٣٤٧ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق (لنفس المؤلف) : ص : ١٣٦ ، راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص : ٤٢ .
- ٥٥٢ - انظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص : ٢٩٥ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٢٨ ، ٤٩ .
- ٥٥٣ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١١٦٧٦) ، راجع عنها أيضا :
Reper. Chrono. d'epigraph. Arab. Tome 5, p. 25 No. 1648.
- ٥٥٤ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١١٢٤٥) ، راجع عنها أيضا :
Ibid : Tome : 6, p. 48, No. 2095.
- ٥٥٥ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٥٥٥) ، راجع عنها أيضا :
Ibid., Tome : 6, p. 61, No. 2116.
- ٥٥٦ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٥٥٥٩) ، راجع عنها أيضا :
Ibid., Tome : 5, p. 23, No. 1644.
- ٥٥٧ - راجع عنها أيضا :
Ibid : Tome : 5, p. 25, No. 1848.
- ٥٥٨ - راجع عنها أيضا :
Ibid : Tome : 4, p. 34, No. 1271.

- Ibid., Tome : 4, p. 118, No. 1442. ٥٥٩ - راجع عنها أيضا :
- Ibid., Tome 5, p., 20, No. 1639. ٥٦٠ - راجع عنها :
- وانظر أيضا : زكي محمد حسن : الاطلس : ص : ١٩٣ (شكل ٥٨٤) ، سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٨ .
- ٥٦١ - راجع عنها أيضا : Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome : 5, p. 25, No. 1648.
- ٥٦٢ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٥٦٣ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٧ .
- ٥٦٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٥٠٦ وانظر أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢٥ .
- ٥٦٥ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٩٩ .
- ٥٦٦ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ق ٢ ص : ٧٨ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ٤٨ .
- ٥٦٧ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٥٦٨ - عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
- ٥٦٩ - راجع عنها أيضا :
- Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome : 6, pp. 107-8, No. 2195.
- ٥٧٠ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٥٧١ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ٢ ق ٢ ص : ٧٨ .
- ٥٧٢ - انظر أيضا : محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص : ٣٧٥ .
- ٥٧٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٤٧٢ .
- ٥٧٤ - انظر مثلا : رؤوف حبيب : المرجع لسابق : ص : ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الحضارة المصرية : ج ٢ ص : ٣٧٢ .
- ٥٧٥ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .
- ٣٧٦ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ ، ١٥٩ .
- ٥٧٧ - مثل : سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ .
- ٥٧٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٨٠ وانظر أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢١ ، ٤٨ .
- ٥٧٩ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٥٨١ .
- ٥٨٠ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ١ ق ٢ ص : ٢٤٢ ، انظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٧٩٨ .
- المصدر السابق : ص : ٣٨٢ .
- ٥٨١ - راجع في ذلك : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ - ٥٧ .
- ٥٨٢ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٥٨٣ - محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص : ٣٧٥ .

الفصل الثالث

شرق الدلتا

انحصرت مراكز الصناعة في شرق الدلتا خلال العصور الاسلامية في ثلاث محافظات هي : القليوبية والشرقية والدقهلية .

أولا : محافظة القليوبية

القليوبية محافظة في جنوب الدلتا عاصمتها بنها ، استحدثت في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت عاصمتها قليوب حتى سنة (١٨٥٠ م) ، والواقع أن ما لدينا من معلومات أثرية وتاريخية عن مراكز الصناعة في محافظة القليوبية يحصر هذه المراكز في مدينتين اثنتين هما بنها وأتريب .

١ - مدينة بنها :

مدينة بشمال مصر على الجانب الشرقي لفرع دمياط وهي عاصمة محافظة القليوبية منذ سنة (١٨٥٠ م) قتل فيها عباس الأول خديو مصر سنة (١٨٥٤ م) وقد أشارت المصادر العربية الى هذه المدينة بتسميتين مختلفتين هما « بنها العسل » ، « منية بنة » ، من ذلك مثلا ما ورد تعليقا على ما ذكره المسبحي في القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) من أنها تعرف « ببنها العسل » وهي إحدى قرى مركز بنها بمحافظة القليوبية (٥٩٦) . ومنه ما أورده الادريسي في القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذي سماها « منية بنة » وقال « وهي منية جليلة كثيرة الأشجار والعمارات والفواكة » (٥٨٧) لذلك فقد ذكرها ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله انها على شعبة من النيل وضبط تسميتها بالكسر فقال بنها واعترض على تسميتها بالفتح (بنها) (٥٨٨) ، وأوردها ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥) بنفس التسمية وقال أن « عبرتها (١٤٠٠٠) دينار ومساحتها (١٠٨) فدان » ولم يزد (٥٨٩) . ثم جاءت أخيرا في القواميس الجغرافية على أنها محل مديرية القليوبية وعاصمة هذا الاقليم ومقره الادارى (٥٩٠) ويتطابق هذا مع ما ذكره على باشا مبارك في القرن

(١٣ هـ / ١٩ م) من أنها هي رأس مديرية القليوبية وتقع على الشاطئ الشرقي لبحر دمياط في غربى آثار مدينة أتريب (٥٩١) .

هذا عن مدينة بنها من الناحية التاريخية كموقع وتسمية طبقا لما جاء فى المصادر والمراجع العربية ، أما فيما يتعلق بها من الناحية الصناعية فالواقع أنه ليست لدينا معلومات كافية عنها حتى الآن من هذه الناحية . وكل ما أشير اليه فى هذا الصدد جاء بعضه فى قليل من المصادر العربية خاصة بالعصر الاسلامى ، وبعضه الآخر فيما ندر من المراجع العربية أيضا خاصة بالعصر البيزنطى ، ويبدو من ذلك أن المدينة كانت قد عرفت فى العصر البيزنطى بصناعة الأقمشة الشعبية ولا سيما المنسوجات التيلية الخشنة التى كانت تصنع من الكتان (٥٩٢) . وليس بجديد علينا القول أن صناعة النسيج فى العصر المشار اليه كانت قد أصبحت من الصناعات الشعبية التى انتشرت فى كثير من مدن مصر بالوجهين البحرى والقبلى ، ومن ثم فانه من الممكن أن تكون هذه الصناعة قد مورست فى المدينة التى بين أيدينا أبان تلك الفترة ، تمشيا مع ما قيل من أنها لم تحتفظ بتقاليدها الصناعية النسيجية القبطية طوال العصر الاسلامى فقط ، بل ان هذه التقاليد كانت لازالت قائمة فيها حتى وقت قريب (٥٩٣) ، ومع ذلك فاننا لازلنا نفتقر الى الأدلة الكافية لاثبات هذا الرأى من الناحيتين التاريخية والأثرية .

أما فى العصر الاسلامى فلدينا من المصادر العربية ما يوضح أنها كانت على ما يبدو مركزا هاما لصناعة العسل ، يؤيد ذلك ما أشار اليه كل من الكندى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) وياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) عندما اتفق ما ذكره كل منهما على أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل عن العسل الذى أرسل اليه ضمن هدية المقوقس ردا على رسالته التى كان قد بعث بها اليه يدعوها فيها الى الاسلام ، فقال من أين هذا فقيل له من قرية بمصر يقال لها بنها فقال (صلوات الله وسلامه عليه) « اللهم بارك فى بنها وفى عسلها » (٥٩٤) ولعل فى هذا ما يجلى لنا شيئين أولهما سبب تسميتها « ببنها العسل » وثانيهما أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة بدرجة من الجودة قبل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لأنه كان من الضرورى أن تتناسب الهدية التى أرسلها المقوقس مع قدر كل من المهدي والمهدي اليه ، ولولا جودتها وامتيازها لما كانت قد أهديت أصلا .

وقد أكد على باشا مبارك استمرارية هذه الصناعة بالمدينة خلال القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال « وهى الى الآن (أى الى عصره هو) فيها

بقايا من خلايا النحل وكذلك القرى القريبة مثل مرصفا وكفر
النصارى « (٥٩٥) الا أنه أضاف الى ذلك قوله « وبها أرحية تديرها
حيوانات (لطحن الغلال) ووابورات لحلج القطن ومعاصر للزيت ، وفيها
أرباب حرف كثيرة » (٥٩٦) وهو قول يثبت لنا أن طحن الغلال وحلج
القطن واستخراج الزيت كانت من بين أنشطة المدينة في العصر الاسلامي
المتأخر .

٢ - مدينة أتريب :

مدينة أتريب من المدن القديمة ، وقد جاء ذكرها في كثير من المصادر
العربية ، من ذلك مثلا ما ذكره الادريسي في القرن (٦ هـ / ١٢ م) حين
قال بأنها « قرية لها سوق عامرة وهي تجاور « منية بنة » (٥٩٧)
(بنها العسل) ومنه ما أشار اليه ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م)
حين قال انها « اسم كورة في شرقي مصر سميت بأتريب بن مصر بن
بيصر بن حام بن نوح عليه السلام » (٥٩٨) ومنه ما أورده المقرئ في
القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) حين قال « ان الذي بناها هو أتريب
بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام متفقاً في ذلك
مع ما أشار اليه ياقوت الا أنه أضاف أنها كانت تبلغ اثنى عشر ميلاً طولاً
وأنه كان لها اثنى عشر باباً وجعل في شارعها الأعظم ثلاث قباب عالية
على أعمدة بعضها فوق بعض ، كما كان في كل ناحية منها ملعب ومجالس
ومتنزعات وشق في غربها نهراً عقدت عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس
متصلة ، وأنها كانت من جملة كور أسفل الأرض (الوجه البحري) ،
ومن جملة المدائن التي جمع فرعون منها السحرة لموسى عليه السلام (٥٩٩)،
كذلك فقد أشار اليها ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) بقوله
« انها من المدن القديمة عبرتها (٣٠٠٠) دينار ومساحتها (٨٤٠)
فداناً » (٦٠٠) وذكرها على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله
« ان « أتريب - كورة بمصر . . كانت قديماً من المدائن العظيمة على الشاطئ
الشرقي للنيل بقرب مدينة بنها ويقال لها أيضاً أتريب . . وكانت قاعدة
اقليم به مائة قرية وثمانية ، وكان فيها كرسي أسقفية ودار لاقامة
الحاكم » (٦٠١) .

أما فيما يختص بمدينة أتريب كمركز صناعي فالواقع أنه ليست
لدينا معلومات كافية عنها في هذا الصدد ، وكل ما نعرفه في ذلك جاء
في بعض المراجع العربية التي تتحدث عن العصر الفاطمي ، وأشارت الى
أنه عشر على كثير من بقايا تحف زجاجية في كوم أتريب (٦٠٢) . ونحن
من جانبنا لا نستطيع أن ننفي هذا القول ، خاصة ونحن نعرف أن صناعة

الزجاج فى مصر كانت من الصناعات التى مورست منذ العصر الفرعونى وظلت مستمرة فى العصرين اليونانى والرومانى ومن ثم فى العصرين البيزنطى والاسلامى ، ولما كانت أتريب منذ القدم (طبقا لما أشارت اليه المصادر والمراجع السالفة الذكر) واحدة من كور الوجه البحرى ومدينة من مدائنه العظيمة فاننا لانستبعد قيام هذه الصناعة وغيرها من الصناعات التى عرفت عن مثيلاتها من المدائن فى العصر الاسلامى .

ثانيا : محافظة الشرقية

كانت كورة الشرقية فى العصر الاسلامى من أكثر كور مصر السفلى ازدهارا من الناحية الصناعية فقد مورست الصناعات فيها خلال هذا العصر فى أربعة مراكز هامة هى تنيس وتونه وبلبيس والفرما .

١ - تنيس :

لم تحظ مدينة اسلامية مما كتبه المؤرخون والرحالة مثلما حظيت تنيس ، فأفاض علينا هؤلاء وأولئك من المعلومات التاريخية والجغرافية والصناعية والحرفية ما جعل معرفتنا عن هذه المدينة أوفى المعرفة على الاطلاق ، وقد توالى هذه المعلومات منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وظلت تتوالى حتى بعد أن خربت المدينة بأمر من الملك الكامل محمد فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بل وإلى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده وقد أشارت معظم المصادر العربية الى موقع تنيس وفصلت فيه كثيرا ، من ذلك مثلا ما ذكره البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله انها « جزيرة قريبة من البحر فى مصر بين الفرما ودمياط فى بحيرة المنزلة » (٦٠٣) ومنه أيضا ما ذكره فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من الاصطخرى والمسعودى وابن حوقل فقال الأول فى سياق حديثه عن بحيرة تنيس ان فيها « مدنا مثل الجزائر تطيف البحيرة بها فلا طريق اليها الا فى السفن ، ومن مشاهير تلك المدن تنيس ودمياط وهما مدينتان لا زرع بهما ولا ضرع » (٦٠٤) وقال الثانى بنقيض ما ذكره الأول انها كانت « أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة .. وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع ، ولم يكن بمصر كورة يقال أنها تشبهها الا الفيوم » (٦٠٥) وقال الثالث مؤيدا الثانى « ومن الفرما الى تنيس فى البحيرة دون الثلاثة فراسخ (الفرسخ ثلاثة أرباع الميل) وهى مدينة كثيرة الرطب جيدة صالحة الفاكهة كثيرتها » (٦٠٦) ومنه ما أشار اليه المسبحى فى القرن (٥ هـ / ١١ م) من أنه فى مستهل جمادى الآخرة سنة (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) خلع على أبى الفرج بن مالك بن سعيد ثوبا وعمامة مذهبان ، وحمل على بغلة بسرجه ولجام ، وقلد قضاء تنيس وسار اليها « (٦٠٧) وأنه فى مستهل

المحرم سنة (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) قبض المنصور على وزيره الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري وسيره (منفيا) الى تنيس هو ونسائه وأولاده وحاشيته وظل معتقلا بها حتى الثاني والعشرين من صفر حيث أخرج ليلا وضربت رقبتة في سفل دار الامارة بها (٦٠٨) ، والواقع أن ما أشار اليه المسبحي مما كان لتنيس من قضاء ودار امارة يوضح لنا كثيرا الأهمية التي كانت عليها هذه المدينة على عهد الدولة الفاطمية في مصر ، وهو أمر لا غرابة فيه اذا ما قيس بدورها الصناعي الذي مارسته في مجال صناعة النسيج بالذات على عهد هذه الدولة .

أما ناصر خسرو الذي زار مصر في القرن (٥ هـ / ١١ م) أيضا فقد وصف تنيس من واقع مشاهدته الشخصية فقال في موضع من هذا الوصف انها « جزيرة مزدحمة ذات أسواق عديدة وفيها مسجدان وما يقرب من عشرة آلاف حانوت » (٦٠٩) وأشار في موضع آخر الى « أنه سمع أن أحد سلاطين رومية كان قد بعث رسولا الى سلطان مصر طالبا منه أن يعطيه مدينة تنيس مقابل مائة مدينة من مدن الروم ولكنه أبى ذلك ، وكان الذي أغرى سلطان رومية بهذا الطلب الغريب هو اعجابه بمنسوجات مدينة تنيس وخاصة نسيجها الطاووسي (٦١٠) ، ثم أضاف الى ذلك في موضع ثالث أن الخزانة السلطانية كانت ترسل كل تكاليف النسيج الخاص بالسلطان ولا تظلم أحدا حقه وأن ذلك بعكس ما رأى في أماكن أخرى من العسف والظلم والطغيان من قبل مأمير السلطنة (٦١١) .

كذلك فقد فصل ياقوت في القرنين (٦ - ٩ هـ / ١٢ - ١٣ م) من أمر تنيس كثيرا حيث قال بأنها جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط وزاد معرفتنا عن سورها وتسميتها بقوله أنه قرأ في بعض التواريخ أن سور تنيس ابتدئ في بنيانه في شهر ربيع الأول سنة « ٢٣٠ هـ / ديسمبر ٨٤٤ م) وكان والى مصر يومئذ عيسى بن منصور الخراساني في أيام الواثق بن المعتصم وفرغ منه في سنة (٢٣٩ هـ / ٩٠٥ م) في ولاية عنيسة بن اسحاق في أيام المتوكل وسميت تنيس باسم بنت دلوكة الملكة وهي العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر . وكانت ذات حدائق وبساتين . ولما فتحت مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) كانت تنيس حينئذ خصاصا من قصب (٦١٢) .

وجاء القزويني في القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) فقال انها جزيرة بين الفرما ودمياط في وسط بحيرة منفردة عن البحر الأعظم . بينها وبينه بر مستطيل أوله قرب الفرما . والبحيرة مقدار ابلاغ يوم في عرض نصف يوم ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء البحر اليه عند

عبوب الشمال ، فاذا انصرف النيل عند دخول الشتاء وهبوب الرياح الغربية خلت البحيرة وخلا سيف البحر الملح (٦١٣) .

أما المقریزی فقد أثنى معرفتنا عن تنيس في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) بقوله انها بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد أتریب بن قبطيم أحد ملوك القبط في القديم ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز بقوله « واضرب لهما مثلاً رجلين جعلنا لهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً » (٦١٤) ، كانت لأخرين من بيت الملك (قليمون) أقطعهما ذلك الموضع (٦١٥) .

وجاء ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) وأشار الى تنيس فقال انها مدينة قديمة سميت باسم تنيس بن حام بن نوح وقيل تنيس أخو دهياط وهي كورة الريف (٦١٦) ، وهنا نجد اختلافاً بين ما ذكره ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) وبين ما ذكره كل من المقریزی وابن دقماق في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) من جهة أخرى ، لأن الأول نسب تسميتها الى تنيس بنت دلوكة صاحبة حائط العجوز ، بينما نسبها الآخرون الى تنيس بن حام بن نوح ، إلا أن تردد كل منهما في الاستدراك على ما اتفقا عليه ممثلاً في استدراك الأول على تنيس بن حام بقليمون بن أتریب ، واستدراك الثاني عليه بتنيس أخو دهياط ، جعلنا في حيرة من القطع برأى في هذا الصدد ، وهو أمر لا يعنينا على كل حال في المقام الأول اذا ما قيس بالهدف الحقيقي لهذه الدراسة ، وفي حاشية على ما ذكره ابن تغرى بردى في نفس القرن المشار اليه قيل انها « مدينة قديمة كانت قائمة في جزيرة صغيرة شمال شرق بحيرة المنزلة » (٦١٧) وفي حاشية أخرى على ما ذكره ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) عرفت تنيس بأنها « بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي كورة الخليج » (٦١٨) وجزيرة في بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط والفرما في شرقيها (٦١٩) .

وظلت تنيس قائمة عامرة عاملة حتى توالى عليها هجمات متكررة من الفرنج استهدفت الاستيلاء عليها وتخريبها ، مثلما حدث سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) عندما أغاروا عليها بأربعين سفينة حربية من شوانى صقلية وحاصروها يومين واقلعوا ، وما حدث سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) عندما هاجموها بأربعين سفينة أخرى وقتلوا أهلها حتى دخلوها والقوا فيها النار ثم رحلوا عنها وقد امتلأت أيديهم - طبقاً لما ذكره المقریزی - بالغتائم والأسرى ، وما حدث سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) .

عندما طرّقوا ساحتها وأخذوا مركبا للتجارة منها (٦٢١) ، وكان من نتيجة هذه الهجمات أن كتب باخلاء تنيس سنة (٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) ونقل أهلها الى دمياط فاخليت في صفر من الذراري والأثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعتها ، وفي شوال سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) أمر الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بهدم مدينة تنيس فاستمرت (منذ ذلك التاريخ) خرابا ولم يبق منها الا رسومها في وسط البحيرة (٦٢٢) ، ثم هجم الماء من البحر بعد ذلك على بعض المواقع ببحيرة تنيس فأغرق ما كان في قرارها من القرى وأبقى ما كان منها على ارتفاع من الأرض مثل تونة وبورة وغير ذلك (٦٢٣) .

والى جانب الوفرة الهائلة من المعلومات المسجلة التي حظيت بها مدينة تنيس في المصادر العربية ، فانها قد حظيت بوفرة مماثلة في المراجع الحديثة حيث أسهبت هذه المراجع كثيرا في الحديث عن الجزيرة تاريخا وموقعا ، من ذلك مثلا ما ذكره صاحب القاموس الجغرافى بقوله انها « من المدن القديمة التي اندثرت ، وكانت جزيرة يحيط بها البحر من جميع الجهات ، ولا تزال آثارها موجودة الى اليوم ببحيرة المنزلة في الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد على بعد تسعة كيلو مترات منها » (٦٢٤) .

كذلك فقد فصل بتلر في تاريخ المدينة كثيرا وقال انها كانت على جزيرة فسيحة تصل اليها من الجنوب ترعة بحر الروم التي كانت على ما يبدو بقية فرع النيل التنيسى الذى كان يبلغ الصالحية ، وكان الاتصال عن طريق الماء بينها وبين الفرما أو على الأذل بينها وبين الطينة وهى ثغر الفرما على ساحل البحر سهلا وميسورا ، ثم أشار الى أن المدينة كانت تحتفظ حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ببعض الآثار القديمة سوى ما كان بها من المساجد ذات المآذن العالية وعدتها مائة وستون مسجدا ، وما كان بها من الكنائس وعدتها اثنتان وسبعون كنيسة (٦٢٥) .

أما كتاب وصف مصر فقد جاء فيه أن تنيس كانت مدينة بالغة الاتساع يحيط بها سبور تعلوه أبراج وحصون ، وبه آبار تمتلئ بالمياه ، وأنه لم يبق من هذه المدينة على عهد الحملة الفرنسية الا أنقاض حمامات وأطلال بعض القباب المبنية بحذق بالغ والمغطاة جدرانها بطبقة ملاطية صلبة ، بالإضافة الى أنقاض كهف مستطيل من الجرانيت الأحمر (٦٢٦) .

هذا عن موقع وتاريخ مدينة تنيس كما جاء في المصادر والمراجع العربية ، أما عن تنيس كمركز صناعى فالذى لا شك فيه أنها كانت من أبرز مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية شهرة على الإطلاق ، وقد

ساعدها على ذلك عوامل شتى منها أن المدينة كانت موطناً لكثير من الصناع المهرة من الأقباط ، وأنها كانت تقع بين حقول القطن والكتان الخصبة المنتشرة في الوجه البحرى مما مكنها من الحصول على المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة فى سهولة ويسر ، ومنها أن بحيرتها الشهيرة كانت عوناً لها ليس فقط فى الحصول السهل على المواد الخام بل أيضاً فى التسويق الأسهل لما كانت تنتجه من منسوجات فى الأقاليم الأخرى (٦٢٧) ، يضاف الى ذلك كله أن صناع النسيج فى تنيس لم يحصلوا على الأجور العالية لقاء ما كانوا ينتجون من منسوجات بالغة الجودة فى طراز الخاصة فقط ، بل كانوا يشجعون تشجيعاً كبيراً فى هذا الصدد ، يدل على ذلك ما ذكره ناصر خسرو حين قال « انه سمع أن واحداً من الصناع فى طراز الخاصة بتنيس صنع عمامة للسلطان كانت من الجودة لدرجة أنه أمر له بمبلغ خمسمائة دينار مكافأة له ، وأضاف أنه رأى هذه العمامة وقيل له ان ثمنها كان يوازى أربعمائة دينار » (٦٢٨) ورغم أننا لسنا فى حاجة الى تحقيق هذه القصة فإنه من الممكن القول انها تعكس على الأقل حقيقة أن صناع تنيس كانوا يكافأون على مهارتهم واجادتهم من السلاطين أنفسهم ، والواقع أنه قد مورست فى تنيس أنشطة حرفية وصناعية شتى انحصرت فى صناعات النسيج والزجاج والمعادن والفخار والخزف ، بالإضافة الى بعض الصناعات التى اعتمدت على الانتاج الزراعى مثل طحن الغلال والزيوت والفقاع والأدوية ونحو ذلك .

١ - صناعة النسيج :

سجلت لنا المصادر العربية كثيراً من المعلومات التاريخية عن صناعة النسيج فى تنيس منذ العصر العباسى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى العصر المملوكى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) ، فقد جاء فيما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) أنه تعمل بتنيس الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق من القصب والبرد والمخمل والوشى وأصناف الثياب (٦٢٩) ، وفيما ذكره فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من الاصطخرى وابن حوقل حيث قال الأول « وبها يتخذ المرتفع من ثياب مصر » (٦٣٠) وقال الثانى فى جزء من حديثه انه « يعمل بها رفيع الكتان وثياب الشرب والمصبغات من الحبل التنيسية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى القيمة والحسن والنعمة والترف والركة والدقة وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتى دينار اذا كان فيها ذهب وقد بلغ مالا ذهب فيه منها مائة دينار » (٦٣١) وقال فى جزء آخر ان الحمل من ثيابها المصدر الى العراق كان يبلغ على عهده من عشرين ألف الى ثلاثين ألف دينار الى أن انقطع ذلك التصدير بالمغاربة واختص بقطعه أبو الفرج بن كلس وزير العزيز الفاطمى الذى استأصله على حد

قول ابن حوقل بالنوائب والكلف والمغارم والسخر الدائمة للصناع ، حتى انه جعل جزية على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس (٦٣٢) ، كذلك فقد أشار الكندي في النصف الثاني من القرن (٤ هـ / ١٠ م) الى أنه « ليس في الدنيا طراز يبلغ الثوب الساذج منه (الذي لا ذهب فيه) مائة دينار الا ثوب تنيس ودمياط ويقال انه ليس في الدنيا منزل الا وفيه من ثوب تنيس ولو خرقة » (٦٣٣) ، وفي فترة معاصرة للكندي تقريبا قال المقدسي « ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة التي كانت تصدر لكثير من بلدان العالم في الشرق والغرب » (٦٣٤) .

أما ناصر خسرو الذي زار مصر في القرن (٥ هـ / ١١ م) فقد قال في موضع من حديثه انه رأى « في أسواق تنيس عمامة تنسج من القصب وعصائب كثيرة كانت النسوة تستعملنه على رؤوسهن وأنه لم يجد مثل هذه العمامة المقصبة ذات الألوان البهيجة في أى مكان غير تنيس » (٦٣٥) ، وأضاف الى ذلك أن « في المدينة دور للنسيج السلطاني لا يباع منها لأحد من الناس لأنها من جملة الخاصة السلطانية ، حتى أن أحد ملوك فارس أرسل عشرين ألف دينار لشراء واحدة من هذه الثياب (السلطانية) وظل رسله في تنيس يحاولون ذلك دون طائل » (٦٣٦) . ثم أشار في موضع ثالث الى أنهم « ينسجون في تنيس نسجا يعرف بالطاووسى (البوقلمون) وهو نسيج تتخلله خيوط ذهبية تتلون خلال النهار (في ضوء الشمس) بألوان مختلفة زاهية ، ويحمل هذا النسيج الطاووسى الذى لا نظير له من تنيس الى مختلف أنحاء المعمورة على أنه من أندر التحف » (٦٣٧) ، ليس هذا فقط بل انه أشار في موضع رابع الى أنه رأى في المناسج التابعة لخاصة السلطان « في تنيس مصانع متخصصة في نسيج أستار هودج الجمال ولهود سروج الخيل الخاصة بالسلطان ، وأن الغالب في ذلك النسيج هو الخيوط المستعملة في النسيج الطاووسى » (٦٣٨) ، ولم يكن غريبا على مصانع تنيس انتاج كل هذه الأنواع الفاخرة العالية الجودة وهى التى اشتهرت بحذاق النساجين الذين لا مثيل لهم في أى مكان في العالم طبقا لما ذكره ناصر خسرو فيما سبقت الإشارة اليه من أن صانعا بهذه المدينة نسيج عمامة للسلطان فأمر له بخمسمائة دينار ذهبى مغربى رغم أن قيمة هذه العمامة لم تكن تزيد في نظره عن ألفى دينار ذهبى مغربى (٦٣٩) .

أما الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فقد قال « وبمدينة تنيس ودمياط يتخذ رفيع الثياب من الدبىقى والشروب والمصبغات من الحلل التنيسية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة وربما بلغ الثوب من ثيابها اذا كان مذهبا ألف دينار

ونحو ذلك وما لم يكن فيه ذهب المائة والمائتين ونحوه وأصولها من الكتان » (٦٤٠) ، ثم جاء ياقوت وابن مناتى والقزوينى فيما بين القرنين (٦ - ٨ هـ / ١٢ - ١٤ م) فقال أولهم « أنه تعمل بها الثياب الملونة والفرش البوقلمون » (٦٤١) وأكد ثانيهم ما ذكره ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) من أنه « ليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب منه مائة دينار ولا ذهب فيه غير برد تنيس الذى يطرز بخيوط القصب » (٦٤٢) وأشار ثالثهم الى أنه « يجلب منها الثياب النفيسة الملونة والفرش الحسن وثياب البوقلمون » (٦٤٣) .

كذلك فقد ذكر المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) أن أهل تنيس مياسير أصحاب ثراء وأكثرهم حاكّة ، وبها تحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا ، وأكد ما ذكره ناصر خسرو من أنه يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداة ولحمة غير أوقيتين وينسج بإقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار ، وأنه ليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج (بغير ذهب) مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط » (٦٤٤) وأشار بعد ذلك كله نقلا عن الفاكهى الى أن الكعبة كسيت على عهد المهدي من طراز تنيس وكان نص ما كتب على هذه الكسوة بعد البسملة واسم الخليفة « . . مما أمر به اسماعيل ابن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحاكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة » (٦٤٥) .

كذلك فقد ذكر ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) نقلا عن الادريسي أنه « يتخذ بمدينتى تنيس ودمياط رفيع الثياب من الشرب والمقصبات التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة وربما بلغ الثوب الواحد من ثيابها اذا كان مذهبا ألف دينار ونحو ذلك وما لم يكن فيه ذهب يساوى المائة دينار والمائتين ونحوها وأصولها من الكتان » (٦٤٦) .

أما السيوطى وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) فقد أشار كل منهما أيضا الى منسوجات تنيس فقال الأول « ويجلب من مصر البر الأبيض من الديبقى وغيره الذى يعمل بدمياط وتنيس والاسكندرية » (٦٤٧)، وقال الثانى فى فصل كور مصر المشهورة أن منها تنيس « وبها ثياب الكتان الديبقى والمقصور والشفاف والاردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة للإبدان والأرجل والمخاد والفرش القلمونى والمطرز ويبلغ الثوب

المقصود منها خمسمائة دينار ولا يعلم في بلد ثوب يبلغ مئتي دينار فما فوقها وليس فيه ذهب الا بمصر » (٦٤٨) *

ومما أشارت اليه المصادر العربية عن منسوجات تنيس اعتبارا من القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) يتضح لنا أن دور الطراز بالمدينة انتجت القصب وهو نسيج رقيق جدا من الكتان كان يعمل للعمائم منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وأن هذا النوع من النسيج ظل يعمل فيها خلال القرن (٥ هـ / ١١ م) طبقا لما أشار اليه ناصر خسرو وحتى القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما أشار اليه ابن دقماق .

كما أنتجت هذه الدور ثياب الشرب وهى نوع رقيق من الحرير أو الكتان الفاخر اعتبارا من القرن (٤ هـ / ١٠ م) طبقا لما أشار اليه ابن حوقل ، وأن هذه المنسوجات ظلت تعمل فيها خلال القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) طبقا لما أشار اليه كل من المقرئى وابن دقماق ، وانتجت البدنة السلطانية التى أشار اليها كل من ناصر خسرو والمقرئى فيما سبق ذكره ، والتى كانت تعمل من خيوط الذهب ولا يدخل فيها من نسيج الكتان الا قدر أوقيتين *

بالإضافة الى القصب والشروب والبدنة انتجت دور الطراز فى تنيس البرد (وهى ثياب الكتان الرفيع) اعتبارا من القرن (٣ هـ / ٩ م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وظلت هذه البرد تنتج فيها خلال القرن (٤ هـ / ١٠ م) طبقا لما أشار اليه ابن حوقل وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار اليه ابن ظهيرة ، وكان من هذه البرد على ما يبدو المعلم والمطرز .

كذلك فقد انتجت هذه الدور نسيج المخمل من الفرش وهو نوع من الأقمشة الوبرية اعتبارا من القرن (٣ هـ / ٩ م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وأن هذه المنسوجات ذات الخمل أو ذات الوبر ظلت تنتج فى المدينة خلال القرن (٥ هـ / ١١ م) طبقا لما أشار اليه ناصر خسرو ، وخلال القرن (٨ هـ / ١٤ م) طبقا لما أشار اليه القزوينى ، وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار اليه ابن ظهيرة .

كذلك فقد أنتجت مصانع النسيج فى تنيس بالإضافة الى القصب والشرب والبدنة والبرد والمخمل والوشى ، الثياب المصبوغة اعتبارا من القرن (٤ هـ / ١٠ م) طبقا لما أشار اليه كل من ابن حوقل والمقدسى ، وأن هذه الثياب ظلت تعمل فى المدينة خلال القرن (٨ هـ / ١٤ م) طبقا

لما أشار إليه القزويني ، وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار إليه ابن ظهيرة الذي أوضح بأنه تعمل فيها المناديل والمناشف والمخاد ونحوها .

أما البز الأبيض فلم يشر الى انتاجه في تنيس غير السيوطي في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) رغم أن كل المصادر العربية قد اتفقت « على أنه ليس في دمياط ملون ولا في تنيس أبيض » وهذا معناه أن دمياط اقتصت دون تنيس بانتاج الأقمشة البيضاء كما اقتصت تنيس دون دمياط بانتاج الأقمشة الملونة التي بلغت القمة وامتياز الجودة وحسن الذوق حتى أن كسوة الكعبة كانت تصنع منها .

أما ما جاء عن منسوجات تنيس في المراجع العربية فهو كثير أيضا ومنه ما يتحدث عن هذه المنسوجات في العصر الاسلامي بصفة عامة ، ومنه ما يتحدث عنها في عصورها التاريخية المتعاقبة بدءا من العصر البيزنطي وحتى العصر المملوكي .

وقد أشارت المراجع التي تحدثت عن منسوجات تنيس في العصر الاسلامي بصفة عامة الى أن المدينة كانت واحدة من أبرز مراكز صناعة النسيج في مصر ، تحاك فيها المنسوجات الكتانية الرفيعة التي عرفت في المصادر العربية باسم الثياب الشروب (٦٤٩) ، وكذا المنسوجات الحريرية والقطنية والقصب الملون والبوبقلمون الذي قيل انه كان ينسج في بلاد اليونان ثم نقلت صناعته الى مصر فصار يعمل في تنيس وغيره (٦٥٠) ، وذكر بتلر أن ثوبا صنع للخليفة في تنيس من عرض واحد ثمنه ألف دينار من خيوط الذهب المخلوطة باليسير من دقيق الكتان (٦٥١) ، وهو يقصد بذلك بدنة الخليفة التي أشار اليها المقرئ وقال انه لم يكن يدخل في نسجها سداة ولحمه غير أوقيتين من الخيوط الكتانية وينسج باقيها بخيوط الذهب ، ولم يكن يسمح بعملها الا في تنيس رغم ما أخطأته بعض المراجع التي عرفت هذه البدنة على أنها « نوع من النسيج كانت تصنع منه كسوة السروج وأغطية المحاف الملكية (٦٥٢) » .

وأشار صاحب كتاب الكعبة والكسوة الى أن خلفاء بني العباس كانوا قد « بحثوا عن خير من يحسنون صناعة النسيج والحياكة فوجدوا تنيس المدينة المصرية التي اشتهرت في المنسوجات الثمينة الرائعة شهرة عظيمة فوق اختيارهم عليها وصنعوا بها الكسوة الفاخرة من الحرير الاسود على أيدي أمهر الحاكة والنساجين » (٦٥٣) ، وكذلك فقد أشارت بعض هذه المراجع الى ما ذكره ناصر خسرو من قبل من أن تنيس كانت تشتمل على خمسة آلاف نول (٦٥٤) ، وفي الدراسة التي أعدها مسيو أندريوس عن

المنزلة على عهد الحملة الفرنسية على مصر أشير الى أنه كان يوجد بالمنزلة مصانع للأقمشة الحريرية وأقمشة القلوع وبعض المصايغ (٦٥٥) ، وفي هذا ما يشير صراحة الى أن بعضا مما كان ينسج في تنيس خلال تاريخها المبكر كان لا يزال ينسج فيها حتى عهد الحملة الفرنسية .

أما المراجع التي تحدثت عن منسوجات تنيس بترتيب تاريخي فمنها ما أورد المدينة على أنها كانت مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية ذات الجودة العالية خلال العصر البيزنطي ، وأرجعت ذلك الى أن الفن القبطي بصفة عامة كان فنا شعبيا لا يخضع لرقابة الحكومة وقيودها ومن ثم فقد انتشرت مصانع نسجه في طول البلاد وعرضها وكانت تنيس إحدى هذه البلاد خاصة وأنها كانت من البلدان التي سكنها الأقباط (٦٥٦) ، يدل على ذلك ما ذكره آدم متز من أن أجرة النسيج اليومية في أوائل القرن (٣ هـ / ٩ م) كانت لا تتعدى نصف درهم وهو سبب شكاية أهل تنيس للبطريرك ديونيسيوس التلمخري عندما مر بببلدهم في ذلك العصر (٦٥٧) .

أما في العصر الاسلامي فقد أشارت بعض هذه المراجع الى أن القطن والكتان كانا ينسجان في تنيس خلال عصر الاخشيديين (٦٥٨) ، يؤيد ذلك ما ذكره م . س . ديمانده من أنه وجدت بسامرا قطعة نسيج كتانية ترجع الى القرن (٣ هـ / ٩ م) عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تقول إنها صنعت بمدينة تنيس (٦٥٩) ، وأوردت بعض المراجع الأخرى أن تنيس كانت في العصر الفاطمي أهم مراكز صناعة النسيج في مصر شهرة على الاطلاق ، يدل على ذلك ما كان يصنع فيها من البدنة السلطانية وكسوة الكعبة والقصب الملون ونحوه مما سبقت الإشارة اليه ، ويدل عليه أيضا ما ورد من أن الضرائب التي كانت تحصل منها خلال هذا العصر كانت تبلغ ألف دينار في اليوم الواحد ، وأن وظيفة صاحب الطراز خلاله كان لا يتولاها الا أحد كبار المقربين (٦٦٠) ، أما في العصورين الأيوبي والمملوكي فقد ذكرت بعض المراجع الأخرى أن المنسوجات الحريرية والكتانية الملونة كانت تصنع في تنيس خلال عصر الأيوبيين ، وأن هذه المنسوجات كانت تصدر الى أوروبا وآسيا ولا سيما المنسوجات الحريرية الموشاة بخيوط الذهب (٦٦١) ، ويبدو أن انتاج هذه الأنواع من المنسوجات كان قد استمر في تنيس وما جاورها من المدن خلال العصر المملوكي فصنعت فيها المنسوجات الحريرية التي كانت تتمتع بخصائص فنية عالية حتى أنها عرفت بالحرير التنيسي (٦٦٢) .

وبعد هذا العرض لما لدينا من معلومات عن مدينة تنيس من الناحيتين التاريخية والصناعية النسيجية ، وهي المعلومات التي استقيناهما من

كثير من المصادر والمراجع العربية فان ما بين أيدينا من أدلة مادية ثابتة مما أنتجته دور الطراز في تنيس ممثلة في قطع النسيج التي لا زالت محفوظة في كثير من المتاحف المحلية والخارجية ، وكذا في كثير من المجموعات الأثرية الخاصة ، يجعل مما ورد في المصادر والمراجع عن صناعة النسيج في تنيس أمر لا ريب فيه ولا خلاف عليه .

ويأتى فى مقدمة هذه المتاحف بطبيعة الحال متحف الفن الاسلامى بالقاهرة الذى يحتفظ بخمس قطع كتابية من منسوجات تنيس تنحصر تواريخها بين سنتى (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) ، (٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) وعلى هذه القطع الخمس كتابات كوفية بسيطة فى سطر أو سطرين تثبت أنها صنعت فى هذه المدينة ، أولاها وثانيتهما قطعتان باسم المعتمد على الله العباسى وامارة خمارويه بن أحمد بن طولون تقول كتابات الأولى انها صنعت فى « طراز تنيس (ولم تحدد) على يد محمد بن خلف سنة ثمان وسبعين ومائتين » (٦٦٣) وتقول كتابات الثانية انها صنعت فى « طراز العامة بتنيس على يد ٠٠٠٠ (ولم تكمل) (٦٦٤) وثالثتها باسم المعتضد بالله العباسى وامارة أبى موسى هارون بن خمارويه وتقول كتاباتها انها عملت فى « طراز تنيس (ولم تحدد) على يد محمد بن خلف سنة سبعة وثمانين ومائتين (٦٦٥) (sic) (انظر شكل : ٨١) ورابعتها باسم المكتفى بالله العباسى وامارة العباس بن الحسن وتقول كتاباتها انها « عملت فى طراز العامة بتنيس سنة ثلث وتسعين ومائتين (انظر شكل ٨٢) » (٦٦٦) ، وخامستها باسم الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى وتقول كتابتها انها « عملت فى طراز العامة بتنيس سنة اثنى عشر وأربعمائة » (٦٦٧) .

وفى متحف بناكى فى أثينا قطعتان أخريان من منسوجات تنيس باسم المقتدر بالله العباسى أولاها بامارة على بن عيسى وتقول كتاباتها انها « صنعت فى طراز الخاصة بتنيس على يد شفيع مولى أمير المؤمنين سنة أربعة وثلثمائة » (٦٦٨) ، وثانيتهما بوزارة حامد بن العباس وتقول كتاباتها انها « صنعت فى طراز العامة بتنيس سنة ثمان وثلثمائة » (٦٦٩) . وفى متحف برلين قطعة أخرى من نسيج تنيس باسم المعتمد على الله العباسى وتقول كتاباتها « مما عمل بتنيس (ولم تحدد) على يد بدر مولى أمير المؤمنين » (٦٧٠) .

أما بقايا منسوجات تنيس فى المجموعات الخاصة فمنها قطعتان فى مجموعة أبيمايور (Abemayor) أولاها باسم المعتضد بالله العباسى وامارة هارون بن خمارويه تقول كتاباتها انها « صنعت فى طراز تنيس (ولم تحدد) على يد عبيد الله بن سليمان سنة ثمانية وثمانين

ومائتين « (٦٧١) (Sic) وثانيتها قطعتان باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي تقول كتاباتها انها عملت في طراز العمامة بتنيس سنة عشر وأربعمائة (٦٧٢) .

ومنها أيضا قطعتان في مجموعة تانو (Tono) أولاهما باسم المعتضد بالله العباسي وامارة هارون بن خسارويه تقول كتاباتها أنها « عملت في طراز تنيس (ولم تحدد) على يدى عمر بن شاهين سنة خمس وثمانين ومائتين « (٦٧٣) وثانيتها باسم العزيز بالله الفاطمي وتقول كتاباتها انها « عملت في طراز الخاصة بتنيس سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة « (٦٧٤) .

ومنها كذلك قطعتان غير محددتي المكان باسم المهدي تقول كتابات الأولى انها « صنعت في طراز تنيس (ولم تحدد) كسوة الكعبة على يدى الخطاب بن مسلمة سنة تسع وخمسين ومائة « (٦٧٥) ، وتقول كتابات الثانية أنها « عملت في طراز تنيس على يدى الحكم بين عبدة سنة اثنين وستين ومائة « (٦٧٦) .

والواقع أنه رغم كثرة عدد القطع المنسوبة الى المركز الواحد الا أنه يمكن الاستفادة منها في جوانب عدة ، منها معرفة أسماء الخلفاء والسلاطين الذين عملت لهم هذه المراكز ، ومعرفة أسماء المشرفين على دور الطراز من الأمراء والوزراء ، وأسماء النساج الذين قاموا بعمل هذه القطع الفاخرة من النسيج ، وفوق هذا وذاك معرفة تواريخ استمرارية العمل في هذه المراكز الصناعية أو على الأقل تواريخ ازدهارها ومرحلة الغزارة في انتاجها .

٢ - صناعات أخرى غير النسيج في تنيس :

قلنا ان صناعات تنيس لم تقتصر على صناعة النسيج فقط ، وانما شملت بعضا من الصناعات الأخرى مثل صناعات الزجاج والمعادن والفخار ، بالإضافة الى بعض الصناعات التي كانت تعتمد على المنتجات الزراعية ، ومع أنه ليست لدينا معلومات وافرة عن هذه الصناعات بالقدر الذي كانت عليه معلوماتنا عن صناعة النسيج ، فاننا سنحاول فيما يلي أن نضئ الطريق بقدر ما أتاحته لنا هذه المعلومات في مجال كل صناعة من تلك الصناعات .

« ١) صناعة الزجاج :

ان ما لدينا من معلومات عن صناعة الزجاج في تنيس جاء في واحد من المصادر العربية وفي مرجعين من المراجع الحديثة ، فيقول المقرئ في

القرن (٩ هـ / ١٥ م) فى معرض حديثه عن قرية من قرى تنيس يقال لها سمناي « أن قوما كشفوا فيها سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) عن غضارات كثيرة من الزجاج مكتوب على بعضها اسم المعز وعلى بعضها اسم العزيز وعلى بعضها اسم الحاكم والظاهر والمستنصر وهو أكثرها » (٦٧٧) .

أما عن المرجعين فأولهما ما تركه علماء الحملة الفرنسية فى وصف تنيس بما معناه « أن أطلال المدينة يميزها المرء وسط أنقاض واسعة من الطوب الأحمر والخزف والفخار والقطع الزجاجية من كل لون » (٦٧٨) وثانيهما ما أشار اليه على باشا مبارك من أنه لا يوجد بتنيس (على عهده) فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الا تلؤلؤها كثير من الطوب والزجاج الملون بكل لون » (٦٧٩) ، وعلى ذلك فاننا لا نستطيع من جانبنا رغم أننا لا نملك أدلة مادية أن نشكك فيما أورده المقرئ وأيده على باشا مبارك وأكدته علماء الحملة الفرنسية من واقع المشاهدة العينية للقطعات المدينة السطحية .

(ب) صناعات المعادن :

كما انحصرت معلوماتنا عن صناعة الزجاج فى تنيس فى مصدر واحد ومرجعين حديثين انحصرت معلوماتنا عن صناعة المعادن فيها فى مصدر واحد ومرجعين حديثين أيضا ، فيقول ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) فى إحدى الترجمتين الحديثتين لرحلته « وفى المدينة حرف حديدية كثيرة كالمقصات والسكاكين والآلات الزراعية المختلفة » (٦٨٠) ، ويقول فى العرض والتحليل الذى كتب عن هذه الرحلة فى تراث الانسانية انه « رأى مقراضا فى مصر صنع فى تنيس ثمنه خمسة دنائير مغربية يفتح اذا رفع مسماره ويقص اذا أنزل » (٦٨١) .

هذا عن المصدر الذى أورد الحديث عن صناعة المعادن فى تنيس أما عن المرجعين فقد جاء فى أولهما أن صناعة السلاح المتخذ من الصلب كانت من الصناعات التى كادت تبلغ فى تنيس مبلغ منسوجاتها (٦٨٢) ، وورد فى ثانيهما أن مصر اشتهرت دائما بأنها اقليم زراعى ، لذلك اتخذت صناعات ماداتها الخام من الزراعة ، ومن قبيل ذلك صناعة المنسوجات والزيوت والعمود . . أما الصناعات التى تقوم على مواد مستوردة من الخارج فكانت قليلة كالمصنوعات الحديدية التى تنتجها تنيس ودلاص (٦٨٣) .

(ج) صناعة الفخار والخزف :

من الغريب أن أحدا ممن تكلموا عن تنيس وصناعاتها في العصر الاسلامي رغم كثرتهم - كما رأينا - من القدامى والمحدثين لم يشير الى شيء عن صناعة الفخار والخزف في المدينة خلال هذا العصر ولا حتى قبله ، ونحن نعرف أن هذه الصناعة على وجه الخصوص كانت من الصناعات التي لا زمت الانسان منذ بواكير عهود استقراره على سطح الأرض ، فكانت لذلك مصدرا من أهم مصادر علماء الآثار في التعرف على حضارة هذا الانسان ، بل كانت من أهم مقاييسهم التي قاسوا بها ماهية هذه الحضارة .

وكل ما وصلنا عن هذه الصناعة في تنيس جاء في مرجعين اثنين أولهما الدراسة التي أجراها علماء الحملة الفرنسية عن الجزيرة والتي ورد فيها أن « أطلال المدينة » تتميز وسط أنقاض واسعة من الطوب الأحمر والفخار والخزف « (٦٨٤) ، وثانيهما ما سجله على باشا مبارك في خطه بقوله « ولا يوجد بها (أي تنيس) الا تلؤل بها كثير من الطوب وشقاف من الصينى والفخار » (٦٨٥) ووجود هذه الكسر الفخارية والخزفية على سطح أطلال المدينة انما يعنى في المصطلح الأثرى أنها كانت من بين ملتقطاتها السطحية ، ومثل هذه الملتقطات لا تترك شكاً في أنها كانت من بين صناعات تنيس خلال الفترة التي نتحدث عنها .

(د) صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات تنيس التي اعتمدت على منتجات زراعية في صناعة السكر وعصر الزيوت وطحن الغلال وعمل الفقاع وربما تركيب بعض العقاقير أو العطور ، وقد جاء ذكر معظم هذه الصناعات في المراجع العربية الحديثة ، ولم يأت عنها في المصادر العربية الا ما ذكره ناصر خسرو عن الفقاع والعقاقير أو العطور .

وعن صناعات السكر وعصر الزيوت وطحن الغلال تقول المراجع العربية انه كان بتنيس « مائة معصرة للزيت والشيرج والقصب » ومائة وستة وستون طاحونا « (٦٨٦) ووجود هذا العدد الهائل من المعاصر والطواحين في تنيس لا يعنى الا أن هاتين الصناعتين كانتا من بين أنشطتها الصناعية في العصر الاسلامي ، أما عن صناعة الفخار وتركيب العقاقير أو العطور فقد أشار اليهما ناصر خسرو في القرن (٥ هـ / ١١ م) حيث قال عن الأولى « ويكثر في أسواقها (أي أسواق تنيس) شراب الشعير

المطبوع في الصيف حيث أن الجو شديد الحرارة « (٦٨٧) وأشار الى الثانية ضمنا فيما ذكره عن المدينة بقوله « ورأيت مائة دكان لا تبيع سوى العقاقير الطبية » (٦٨٨) والغالب على الظن في هذه الحالة اذا صدقنا هذه الرواية أنها كانت عقاقير تتركب من مواد طبيعية من أوراق وبذور وجذور بعض النباتات والأعشاب ، الا أن العرض والتحليل الذي قدم لهذه الرحلة في تراث الانسانية يختلف في ترجمته لهذه الفقرة مع ما أثبت هنا ، فبدلا من أن يجعلها « مائة دكان لا تبيع سوى العقاقير الطبية » جعلها « مائة حانوت خصصت لبيع العطور » (٦٨٩) ، ونحن ازاء هاتين الترجمتين المختلفتين لا نملك ما يساعدنا على نفي أو اثبات أى منهما ، وما يمكن قوله في كلتا الحالتين انه من غير المعقول وجود هذا العدد الهائل من الحوانيت لبيع عقاقير أو عطور تأتيها من خارجها ، وانما المقبول عقلا ومنطقا أن تكون هذه أو تلك من صناعة المدينة ذاتها ، وأنها كانت تنتج بكميات وافرة اقتضت تواجد هذا العدد من الحوانيت لبيعها .

٣ - تونة :

تكلت المصادر التاريخية عن موقع جزيرة تونة وعن صناعتها النسيجية كثيرا ، فقال البلاذري في القرن (٣ هـ / ٩ م) انها جزيرة قرب تنيس ودمياط بمصر كانت في الجنوب الشرقي من جزيرة تنيس « (٦٩٠) وأشار اليها الادريسي في القرن (٦ هـ / ١٢ م) بقوله « وبالشرق من تنيس ومع الجنوب قليلا جزيرة تونة وهي في بحيرة تنيس » (٦٩١) فام يفتاف في ذلك عما أشار اليه البلاذري قبله ، الا أنه في موضع آخر يقول « وتطيف (بحيرة تنيس) بمدن مثل الجزائر هي نبلى وتونة وسمناة ولا طريق الى واحدة منها الا بالسفن » (٦٩٢) والغريب في الأمر أن نبلى وسمناة هاتين لم يرد لهما ذكر فيما يختص بالصناعات والحرف على الاطلاق رغم ما كان لبقاى المدن والقرى والجزر التي جاورت تنيس من شأن في هذا الصدد .

أما ياقوت في القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقد أشار الى أنها « جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية من فتوح عمرو بن وهب » (٦٩٣) وزاد على باشا مبارك على ذلك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) قوله انه ينسب اليها عمر بن أحمد التونى وأنها قد غرقت ضمن ما أغرقه البحر من تنيس عندما فاض عليها (٦٩٤) ، أما القاموس الجغرافى ووصف مصر فقد ورد فيهما أنها كانت من أعمال تنيس وأن اسمها كان قد تغير الى الشيخ عبد الله نسبة الى ولى أقيم له ضريح فيها (٦٩٥) .

هذا فيما يتعلق بتونة كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمرکز صناعی فان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فی بعض المصادر وكثیر من المراجع العربية بالاضافة الى بعض الأدلة الثابتة تؤكد كلها بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الجزيرة كانت مركزا من بین أهم مراكز صناعة النسيج فی مصر الاسلامية منذ القرن (۲ هـ / ۸ م) وحتى القرن (۵ هـ / ۱۱ م) وربما بعد ذلك أيضا ، يدل على ذلك مما ورد عن تونة فی المصادر العربية ما أشار اليه ياقوت فی القرنين (۶ - ۷ هـ / ۱۲ - ۱۳ م) حين قال ويضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها ، وحين قال نقلا عن محمد بن عمر المطرز البغدادي :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أشراك ليل في أديم نهار
يتصيدون قلوبنا بلحظهم كتصيد البازات للأطيار
يا أهل تنيس وتونة قارنوا ما بين طرزكم وطرز الباري (۶۹۶)

أما المقریزی فی القرنين (۸ - ۹ هـ / ۱۴ - ۱۵ م) فقد أشار الى أنه من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحيانا وأورد فی هذا الصدد ما ذكره الفاكهي عن الكسوة التي عملت فيها سنة (۱۹۰ هـ / ۸۰۵ م) على عهد هارون الرشيد (۶۹۷) . ويدل عليه أيضا مما جاء عنها فی المراجع العربية ما ذكره صاحب الكعبة والكسوة نقلا عن المقریزی بقوله « وكانت قرية تونة من أعمال مدينة تنيس مشهورة بما اشتهرت بين مدينة تنيس فكانت الكسوة تصنع بها أيضا » (۶۹۸) وقد يقول قائل أتصنع كسوة الكعبة فی تونة وهي ضاحية تنيس ذات الشهرة التي طبقت الاتفاق فی هذا المجال ، والرد على ذلك ينحصر فی أن تجاور المركزين الذي يصل الى حد التلاصق حتى أن الأولى كانت ضاحية للثانية لا بد أنه كان قد أثر الى حد كبير فی مركز الضاحية الصناعي ، كما أن انعزالية الاثنين داخل الجزيرة كانت تجعل من الصعب على أهل الضاحية ممارسة أنشطة تخالف ما كان يمارس فی تنيس ، ومن المعروف أن الكعبة كانت تكسى فی العصر الجاهلي من قباطي مصر ، وكذلك كان الحال فی العصر الاسلامي عندما تولى عمر بن الخطاب وأمر أن تحاك الكسوة فی مصر فاستأثرت مصر بهذا الشرف منذ ذلك الحين حتى ألغى ذلك منذ سنوات قليلة مضت .

وأخيرا يؤكد ما جاء فی المصادر والمراجع عن صناعة النسيج فی جزيرة تونة كثير من الأدلة المادية ممثلة فی كثير من قطع النسيج التي لا زالت محفوظة فی بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ، وتنحصر هذه الأدلة المادية فی قطعة واحدة باسم هارون الرشيد (۱۹۰ هـ / ۸۰۵ م)

(لم يحدد مكان حفظها) عليها كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والدعاء للخليفة « ٠٠ ٠٠ » مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة سنة تسعين ومائة « (٦٩٩) وفي ست قطع فاطمية لا زالت محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، ثلاثتها الأولى باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاهما (٣٨٧هـ / ٩٩٧ م) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة الفاطمية المطولة « مما أمر به في طراز الخاصة بتونة سنة سبع وثمانين وثلثمائة (٧٠٠) ، وتاريخ ثانيتهما (٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله في طراز العامة بتونة سنة تسع وثمانين وثلثمائة « (٧٠١) ، وثالثتها بغير تاريخ وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « بتونة سنة ٠٠ ٠٠ (ولم تحدد (٧٠٢) ، ورابعتها وخامستها بغير أسماء ، تاريخ أولاهما (٣٩٥هـ / ١٠٠٤ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله في طراز العامة بتونة (سنة) خمس وتسعين وثلثمائة « (٧٠٣) ، وتاريخ ثانيتهما (٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) وتقول كتابتها « ٠٠ » مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتونة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة « (٧٠٤) وسادستها باسم صفى أمير المؤمنين وخالسته أبو القاسم على بن أحمد وتاريخها (٤٢٧ هـ / ١٠٣٤ م) وتقول كتابتها « ٠٠٠ » في طراز العامة بتونة سنة سبع وعشرين وأربعمائة « (٧٠٥) .

كذلك يحتفظ متحف بناكى في أثينا من منسوجات تونة بقطعتين فاطميتين باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاهما (٣٨٨هـ / ٩٩٨ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله في طراز العامة بتونا سنة ثمان وثمانين وثلثمائة « (٧٠٦) ، وتاريخ ثانيتهما (٣٩٠هـ / ٩٩٩ م) وتقول كتابتها « ٠٠ » مما أمر بعمله في طراز العامة بتونة سنة تسعين وثلثمائة « (٧٠٧) .

والى جانب ما يحتفظ به متحف القاهرة ومتحف بناكى من منسوجات تونة فان هناك قطعا أخرى من منسوجات هذا المركز لازالت محفوظة في بعض المجموعات الأثرية الخاصة ، من ذلك مثلا مجموعة تانو (Tano) وبها أربع قطع فاطمية أولاهما بغير اسم خليفة تاريخها (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) وتقول كتابتها « ٠٠ » مما أمر بعمله في طراز العامة بتونة سنة خمس وخمسين وثلثمائة « (٧٠٨) ، وثانيتهما باسم العزيز بالله وتاريخها (٣٨٦هـ / ٩٩٦ م) وتقول كتابتها « ٠٠ » مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتونة سنة ست وثمانين وثلثمائة « (٧٠٩) وثالثتها ورابعتها باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاهما هو نفس تاريخ القطعة الثانية وتقول كتابتها « ٠٠ » بعمله في طراز العامة بتونة سنة ست وثمانين وثلثمائة « (٧١٠) وثانيتهما بغير تاريخ وتقول كتابتها « ٠٠ » مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتونة « (٧١١) .

وأخيرا فان هناك ثلاث قطع أخرى من منسوجات تونة أولاها فى مجموعة بارتكيولير (Particuliere) وهى باسم المطيع لله وتاريخها (٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) وتقول كتابتها « ٠٠ بعمله فى طراز الخاصة بتونة سنة سبع وخمسين وثلاثمئة » (٧١٢) وثانيتهما فى مجموعة أبيمايور (Abernayor) وهى باسم العزيز بالله وتاريخها (٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونة سنة ست وتسعين وثلاثمئة » (٧١٣) وثالثتها فى مجموعة ماتوسيان (Matossian) وهى باسم الحاكم بأمر الله وتاريخها (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بتونة سنة سبع وتسعين وثلاثمئة » (٧١٤) .

ومن هذه القطع جميعا يتضح لنا بعض الحقائق الهامة منها أولا أن تونة كانت تشتمل على مصانع الطرازين النسيجين معا ، وأعنى بذلك طراز الخاصة السلطانية وطراز العامة من الناس . ومنها ثانيا أن هذه المصانع رغم أنها كانت قائمة فى المدينة منذ العصر العباسى سنة (١٩٠ هـ / ٨٠٥ م) الا أنها كانت أكثر نشاطا وأغزر انتاجا فى العصر الفاطمى ، ومنها ثالثا أن منسوجاتها كانت على درجة عالية من الجودة والكفاءة أهلتها لكى تنال جزءا من شرف صناعة الكسوة للكعبة الشريفة ، وهو أمر يقتضى أيضا أن يكون صناعتها على نفس القدر من الجودة والكفاءة ، لأنه كان من الضرورى أن يتناسب المنتج مع قدر المنتج له ، وهو الكعبة التى تتبوأ اسمى المراتب فى نفوس المسلمين جميعا .

وأخيرا فاننا لا نستطيع أن نختم حديثنا عن تونة بغير اشارة الى ما ورد فى وصف مصر من أنه كان قد عثر فيها على سنطح الأرض على رأس تمثال من العقيق المجزع يبلغ طوله (٣٦) مم وعرضه (٢٨) مم ويمثل رأس انسان من منظور جانبي ينطق بتعابير كثيرة منها عين ثاقبة وملح شجاع وشفاه لا مبالية ، وقد حمل كل هذا أعضاء البعثة الفرنسية التى عثرت عليه على الظن بأنه ربما يمثل رأس أغسطس الذى استطاع أن يقاوم سحر وجمال كيلوباترا وأن يتغلب على كل الصعاب التى كانت تحول بينه وبين السلطة (٧١٥) . ونحن ازاء هذا لا نستطيع أن نجعل وجود هذا التمثال فى المدينة دليلا على أنه صنع فيها كما أننا لا نستطيع فى نفس الوقت اثبات العكس .

٣ - الفرما :

لقد ترك لنا المؤرخون العرب معلومات تاريخية وافرة عن الفرما كموقع وتاريخ ، من ذلك مثلا ما ذكره ابن عبد الحكيم فى القرنين

(٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) حين قال ان قبض الفرما كانوا أعوانا لعمر و بن العاص يوم الفتح (٧١٦) ، وما ذكره البلاذري في القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال بأنها «مدينة قديمة بمصر آثارها باقية» (٧١٧) وما ذكره الكندي في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) حين قال ان فيها أكثر العجائب وأقدم الآثار وأنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر فغلب عليه البحر ، وأن هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام كانت من قرية نحو الفرما يقال لها أم العرب (٧١٨) .

كذلك فقد ذكرها كل من ابن حوقل والاصمطخري في القرن (٤ هـ / ١٠ م) بمعلومات تكاد تكون واحدة فيما عدا الاختلاف على أصل جالينوس المدفون بها فقال الأول انها « مدينة صالحة على بحر الروم في شط بحيرة تنيس وبها قبر جالينوس الروماني » (٧١٩) وقال الثاني « والفرما على شط البحيرة (يقصد بحيرة تنيس) وهي مدينة صغيرة خصبة وبها قبر جالينوس اليوناني » (٧٢٠) وأشار اليها تعليقا على ما ذكره المسيحي في القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) فقل « هي حد مصر من الشمال الشرقي ، وهي من أقدم الرباطات المصرية ، وكانت على عهد قدماء المصريين حصن مصر من جهة الشرق ، وقد اندثرت هذه المدينة الا أن آثارها لا زالت تعرف حتى اليوم بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط » (٧٢١) ، وقد وردت هذه المعلومات بالنص أيضا فيما قيل تعليقا على ما ذكره ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ، كذلك فقد ذكرها ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) وقال ان « الفرما مدينة قديمة قرب شرقى تنيس على ساحل بحر الروم على يمين القاصد لمصر واسمها أعجمي أحسبه يونانيا » (٧٢٣) .

أما المقرئ فقد أشار اليها في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) حين قال انها مدينة تلقاء مصر سميت باسم آخر أبناء الاسكندر ، وهي قرية أم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ، كان المتوكل على الله العباسي قد بنى فيها حصنا على البحر فولى بناءه عنيسة بن اسحاق أمير مصر سنة (٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م) عندما بنى حصنى دمياط وثنيس وأنفق فيهما مالا عظيما ، ثم ذكر أنها كانت من فتوح أبرهة بن الصباح حين أنفذه عمرو بن العاص اليها بعد ما تم له فتح عين شمس ، وأوضح بأن الفرنج كانوا نزلوها في رجب سنة (٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م) وأحرقوها ونهبوا أهلها حتى خربها شاور في أواخر العصر الفاطمي ، واستمرت المدينة خرابا بعد ذلك لم تعمّر (٧٢٤) . وقد وردت هذه المعلومات التي ذكرها المقرئ عن الفرما بالنص مملئة الى جانب ما ذكره كل من البلاذري وابن حوقل والكندي فيما سجله عنها على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) (٧٢٥) .

كذلك فقد ذكر ابن دقماق في القرن (٩هـ/١٥م) أنها « بلدة قديمة بالرمل بالقرب من قطيا والطينة » (٧٢٦) ، ونحن نعرف أن الطينة كانت الميناء الذي أبحر منه ناصر خسرو في رحلته الى تنيس .

أما صاحب القاموس الجغرافي فقد ذكر أن اسمها المصرى القديم « بر آمن » أى مدينة الاله آمون ومنها نقل اسمها القبطى « برما » ومن هذا أتى الاسم العربى « فرما » الذى أضيفت اليه بعد ذلك أداة التعريف فقليل الفرما » (٧٢٧) ، والواقع أن المدينة قد تلاشت من الوجود تماما ، ولكن موقعها لا يزال يعرف فى مكانه حتى اليوم بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات من شاطئ البحر المتوسط .

هذا عن الفرما كموقع وتاريخ أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بمعلومات كافية فى هذا الصدد تثبت أن المدينة كانت فى العصر الإسلامى مركزا لصناعات النسيج والتمور والحصير والقفف والحبال وربما أيضا استخراج زيت الحيتان وسنتحدث فيما يلى بالتفصيل عن كل واحدة من هذه الصناعات .

١ - صناعة النسيج :

لا شك أن مالدينا من مادة تاريخية أوردتها بعض المصادر العربية عن صناعة النسيج فى الفرما يثبت أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة منذ العصر البيزنطى ، وأنها ظلت تمارس فيها بعد ذلك فى العصر الإسلامى منذ بواكيره حتى نهاية العصر الفاطمى ، يدل على ذلك ما ذكره المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « ومن الفرما القباطى والخمر والفرش والستور وغزل الصوف والكتان والخيش » (٧٢٨) وفى هذا ما يتفق وما ذكره ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) فيما سبقت الإشارة اليه من أن قبسط الفرما كانوا عوناً لعمر بن العاص يوم الفتح ، لأن معنى ما ذكره ابن عبد الحكم أن هذه المدينة كانت مقراً للأقباط ، ونحن نعرف ما كان لهؤلاء من فضل على صناعة النسيج المصرية ولا سيما فى العصور الإسلامية المبكرة ، لأننا لو استرجعنا من التاريخ أن « القباطى » كانت منسوجات ابتكرها الأقباط فنسبت اليهم ، وأضفنا اليه أن اسم المدينة ذاتها كان قد تحول فى العصر الإسلامى الى « فرما » من القبطية « برما » أو « بر آمن » ، وأن الفرما كانت واحدة من المدن التى جاورت كثيرا من مراكز الصناعة العريقة فى ذات المجال كتنيس وشطا ، وأن المواد الخام اللازمة لها كانت سهلة المنال لكثرة مزارع الكتان فى الاقليم ، أمكننا القول أن ما ذكره المقدسى كان حقيقة لا جدال فيها .

ويبدو أن صناعة النسيج كانت قد ظلت تمارس في المدينة حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) بدليل ما ذكره ابن ظهيرة ضمن صناعاتها وحرفها بقوله « ومن الفرما الكتان » (٧٢٩) وهو ما يعنى ضمنا أن منسوجات كتانية كانت تصنع في المدينة حتى عصره ، يدل على ذلك أيضا ما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة من أن القطن والكتان كانا ينسجان خلال عصرى الاخشيديين والفاطميين في كثير من مراكز صناعة النسيج ، ولا سيما بالمدلتا في تنيس وشطا ودبيق ودهياط فضلا عن الفرما (٧٣٠) .

٢ - صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات الفرما التي اعتمدت على منتجات زراعية كما قلنا في صناعة التمور والحصير والقفف والحبال وربما استخراج زيت الحيتان أيضا ، ويفهم مما أشار اليه المؤرخون العرب فيما يتعلق بصناعة التمور في الفرما أن هذه الصناعة كانت تمارس في المدينة منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) ، وظلت تمارس فيها حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) تقريبا ، يدل على ذلك ما ذكره الكندي في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) بقوله « وبالفرما نخلها العجيب الذي يشمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا » (٧٣١) ، ويدل عليه أيضا ما ذكره ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) من أن « الفرما كثيرة النخل والرطب » (٧٣٢) ، وما ذكره ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) من أن « بها البسر » وهو التمر قبل أن يرطب (الفرماوى والرطب والتمر » (٧٣٣) .

أما صناعة الحصير فقد جاء ذكرها فيما رواه المقدسى في القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « ومن الفرما الحصر العبادانى » (٧٣٤) ، وما ذكره ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال « وبها الحصر السامانى والعبدانى » (٧٣٥) ، وهذا معناه أن الصناعة التي بين أيدينا - رغم اختلاف المصنوعين في تسمية نوعى إنتاجها - كانت تمارس في المدينة منذ القرن (٤ هـ / ١٠ م) وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) .

وأخيرا فقد ذكر المقدسى في القرن (٤ هـ / ١٠ م) أن « من الفرما القفاف والحبال من الليف في غاية الجودة ومنها الحيتان والقند والاشنان والهريسة والثيدة » (٧٣٦) ، وفي هذا ما يعنى أن استخراج زيت الحوت وعمل أنواع الحلوى المشار إليها كان من بين حرف المدينة خلال هذه الفترة .

ثالثا : محافظة الدقهلية

ان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت في كثير من المصادر والمراجع العربية ، وما بين أيدينا من أدلة مادية ممثلة في بقايا أثرية لا زالت محفوظة

فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ، يتضح أن مراكز الصناعة فى هذا الاقليم كانت تنحصر فى دبيق وبرمبال ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذين المركزين بقدر ما تمكننا من ذلك المعلومات المتوفرة عنه .

١ - دبيق :

لقد نالت دبيق من اهتمامات المؤرخين العرب حظا وافرا مثل تنيس ودمياط وتونة وغيرها من مراكز الصناعة الهامة فى مصر الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن حفظت لنا المصادر العربية كثيرا من المعلومات التاريخية عنها سواء فيما يختص بالمدينة كموقع وتاريخ ، أو فيما يختص بها كمركز من أهم مراكز صناعة النسيج الاسلامى المصرى ، وقد أيدت المراجع العربية الكثيرة هذه المعلومات ، وأكدتها بعض القطع النسيجية التى عملت فى دبيق ولا زالت محفوظة حتى الآن فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة .

فقد أشارت المصادر العربية بكثير من التفصيل الى دبيق كموقع وتاريخ ، من ذلك مثلا ما قيل تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) من أنها « بلدة من أعمال دمياط واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وقد اندثرت وصار مكانها يعرف بتل دبقو بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية (٧٣٧) » ومنه ما أورده ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله « دبقا » فى موضع ودبقا فى موضع آخر « قرية من قرى مصر قرب تنيس سألت المصريين عنها فقالوا دبيق » (٧٣٨) ومنه أيضا ما ذكره المقرئى وابن دقماق فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) فقال الأول انها « قرية من قرى دمياط » (٧٣٩) وقال الثانى ان عبرتها (١٦٠٠) دينار ومساحتها (٣٢٣) فدان (٧٤٠) ، أما صاحب القاموس الجغرافى فقد ذكر نقلا عما قيل تعليقا على ما أشار اليه المسبحى أنها اندثرت « ومكانها يعرف بتل دبقو أو دبقو بالقرب من شاطئ بحيرة المنزلة (تنيس قديما) فى الشمال الشرقى لناحية صان الحجر بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية (٧٤١) » .

هذا عن دبيق كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى ، فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع ، وما بين أيدينا من أدلة مادية تحصر نشاطها فى صناعة النسيج فقط ، وهى صناعة أفاضت المصادر التاريخية فى الحديث عنها كثيرا ، ومن ذلك مثلا ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله « وتعمل

بدمياط الثياب الصفاق الدبيقية (٧٤٣) ، وهنا لا بد من الإشارة الى شيئين : أولهما أن النسبة كما هو واضح من التسمية كان لا بد أن ترجع الى دبيق لا الى دمياط ولكنه أرجعها الى دمياط بحكم التبعية الادارية فقط ، وثانيهما أن وصفها بالصفاق يعنى أنها كانت رقيقة وذات جودة عالية ، ومنه أيضا ما ورد تعقيبا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) من أن « الاقمشة الدبيقية التى تنسب الى دبيق كانت توشى بخيوط الحرير والذهب » (٧٤٣) ومنه ما ذكره الادريسى فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) من أنه « يعمل بدبيق الرفيع من أجناس الثياب » (٧٤٤) ، ووصف الادريسى لمنسوجات هذه المدينة بالرفيع من الثياب تغنيانا لفظته التى انتقاها عن الحديث عن جودتها وعلو مكانتها ، كذلك فقد أشار ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) الى منسوجات دبيق وسماها بالدبيقية (٧٤٥) ، مما يعنى أنها كانت ذات مميزات خاصة ميزتها عن غيرها ، وذكرها ابن مماتى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله « وبمصر الطراز الدبيقى الذى يبلغ ثمن الثوب منه مائة دينار » (٧٤٦)

أما المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) فقد فصل فى ذلك أكثر مما ذكره غيره من المؤرخين فقال « وتنسب الى دبيق الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والدبيقى المعلم المذهب ، وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع ، وفيها رقعات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل ، وحدثت هذه العمائم فى أيام العزيز بالله سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) الى أن مات فى شعبان سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) » (٧٤٧) ومع ذلك فقد خلط السيوطى على ما يبدو فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال « ويجلب من مصر البز الأبيض من الدبيقى » (٧٤٨) ونحن نعرف مما سبق الحديث عنه فى دمياط أن البز الأبيض كان من أهم منتجات دمياط لأنه لم يكن يصنع فيها مصبوغ كما أنه لم يكن يصنع بتنيس أبيض ، ومهما يكن من أمر فقد استمرت صناعة النسيج فى دبيق حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما ذكره ابن ظهيرة الذى قال « ومنها ما يعمل بمصر من الاثواب الدبيقى الذى تبلغ العمامة منه مائة دينار » (٧٤٩) .

هذا عما ورد عن صناعة النسيج فى دبيق فى المصادر العربية أما ما ورد عنها فى المراجع الحديثة فهو كثير ، ومنه ما جاء دالا على أنها كانت مركزا من مراكز هذه الصناعة منذ العصر البيزنطى ، حيث كانت تصنع فيها خلال هذا العصر المنسوجات الكتانية بصفة خاصة (٧٥٠) ، وعلى الرغم من أنه ليست لدينا الادلة المادية ولا التاريخية الكافية فى

هذا الصدد الا أن ترجيح هذا الرأي ليس بمستبعد ، أولا لأن المدينة كانت تعيش في تلك الفترة نفس الظواهر التي عاشتها المراكز الصناعية المجاورة ، وثانيا لأن نشاطات دبيق في مجال صناعة النسيج الاسلامي تذهب في عمق التاريخ الى بواكير هذا العصر ، وشهرة كهذه في تلك الفترة لا بد أن أساسا لها كان قد وضع قبل بدء الحكم العربي لمصر على الأقل .

وعلى ذلك فالذي لاشك فيه أن تقاليد المدينة فيما يتعلق بصناعة النسيج كانت قد ظلت قائمة خلال العصر الاسلامي وأضيفت الى منسوجاتها الكتانية طبقا لما ورد في كثير من المراجع العربية الحديثة المنسوجات القطنية والحريرية أيضا (٧٥١) ، وقد أيدت بعض هذه المراجع ان القطن والكتان كانا ينسجان فيها منذ عصر الاخشيديين (٧٥٢) ، وأيد بعضها الآخر أن القطن والكتان بالإضافة الى القماش الدبيقى الثقيل جيد النسيج كان يصنع فيها في عصر الفاطميين وكان هذا الأخير يستخدم في رسم الخرائط حيث كانت تعمل عليه بالاصصباغ المشبعة (٧٥٣) ، وكذلك كان الحال في العصر المملوكى حيث كانت تعمل فيها منسوجات الكتان الدبيقى الثقيل الذى بلغ ثمن الثوب منه مائة دينار ولا ذهب فيه ، الى جانب الأقمشة الحريرية المزركشة والمنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب (٧٥٤) .

وبالإضافة الى ما ورد فى المصادر والمراجع العربية عن صناعة النسيج فى دبيق ، فإن لدينا من الادلة المادية الثابتة من قطع النسيج التى لا زالت محفوظة فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ما يؤكد صدق ما ذهبت اليه هذه المصادر وتلك المراجع ، من ذلك مثلا قطعتان بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة أولاهما مؤرخة بسنة (٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) (انظر شكل : ٨٣) وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ٠٠ ٠٠ مما عمل بدبيق سنة ثمان ومائتين » (٧٥٥) ، وثانيتهما مؤرخة بسنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) وهى باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة بدبقو سنة احدى وتسعين وثلاثمئة » (٧٥٦) .

وبالإضافة الى قطعتى متحف الفن الاسلامي هناك قطعتان أخريان من منسوجات دبيق تاريخهما (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) لازالتا محفوظتان فى مجموعة تانسو (Tano) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي تقول كتابتهما بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة

بدبر سنة ثلث وأربعمائة « (٧٥٧) ، وفي هذا ما يؤيد صدق ما ذهبنا إليه بالنسبة للتسمية في القطعة الثانية بمتحف الفن الاسلامي ، ومن هذه القطع يتضح لنا أن مصانع النسيج بالمدينة كانت تعمل منذ سنة (٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م) خلال العصر العباسي وظلت قائمة حتى العصر الفاطمي خلال القرنين (٤ - ٦ هـ / ١٠ - ١٢ م) وأنها كانت تشتمل - على ما يبدو - على مصانع الطراز العامة فقط .

٢ - برنبال :

وآخر ما نذكره من مراكز الصناعة في هذا الفصل هو برنبال ، وقد ورد اسم هذه القرية بصور مختلفة أهمها برنبال بالنون ، فقد ذكرها علي باشا مبارك على هذه الصيغة وقال ان « من هذا الاسم ثلاث قرى كلها في الوجه البحري احدها من مديرية الغربية بمركز دسوق (فوه حاليا) على الشاطئ الشرقي لبحر رشيد شمال قرية مطوبس ، وبرنبال الثانية والثالثة كلاهما من مديرية الدقهلية بمركز محلة دمنة (دكرنس حاليا) واقعتان على البحر الصغير احدهما يقال لها برنبال القديمة وهي البحرية والأخرى برنبال الجديدة (٧٥٨) .

وقد بحثنا عن هذه البلدة في المصادر العربية - التي أتيج لنا الاطلاع عليها - فلم نجد لها الا ما ذكره الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) باسم « برنبلين » حيث قال « ومن وبيدة الى برنبلين . . ثم الى سبسة ثم الى بحيرة تنيس » (٧٥٩) ، وما ذكره ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) باسم « بارنبار » حين قال « بارنبار هكذا يتلفظ به عوام مصر وتكتب في الدواوين بيورنبارة وهي بليدة قرب دمياط على خليج أشموم والبسراط (٧٦٠) » ومعنى ذلك أن هذه القرية كانت تتبع كورة دمياط على عهد ياقوت بينما كانت تتبع مديرية الشرقية على عهد علي باشا مبارك .

ومن ذلك يتضح أن برنبال كموقع وتاريخ كانت إحدى قرى مركز دكرنس بمديرية الشرقية ، أما فيما يخصها كمركز صناعي فإن ما لدينا من معلومات في هذا الصدد يعد غير كاف الى حد كبير لأننا لم نجد ما يؤيده الا ما أورده عن برنبال (بالميم) ياقوت بقوله انه كان « يعمل فيها الشرب الفائق الجيد العريض (٧٦١) » وما ذكره علي باشا مبارك عن برنبال (بالنون) حين قال أن برنبال الجديدة هي مسقط رأسه الذي ولد فيه سنة (١٢٣٩ هـ / ١٨٢٣ م) وفيها مسجد ومنزل مشيد لوالده بالإضافة الى معملين للدجاج ومصبغتين وأربعة أنيوال لنسيج الصوف وعشر طواحين (٧٦٢) .

ومما ذكره ياقوت في القرن (٧هـ / ١٣م) يمكن القول ان برمبال القديمة كانت في العصر الاسلامي مركزا لصناعة النسيج الجيسد لأن وصفه له « بالفائق الجيد العريض » يغني عن الحديث عن جودته وعلو مكانته بحيث لا نستطيع أن نغفل ذكرها في هذا المجال ، كما أنه يمكن القول أيضا مما ذكره علي باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) ان برنبال الجديدة (والتي كانت بغير شك امتدادا طبيعيا لبرمبال القديمة) كانت مركزا لصناعة النسيج وصباغته بالإضافة الى طحن الغلال .

٣ - حواشي وتعليقات الفصل الثالث

من الباب الثاني

شرق الدنيا

- ٥٨٤ - المسيحي : المصدر السابق : ج ٠ ص : ٥٨ ح ١ .
- ٥٨٥ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٢ .
- ٥٨٦ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠١ .
- ٥٨٧ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٨ .
- ٥٨٨ - محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ١ ج ٢ ص ٢٠ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ١٤١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ٤١٤ .
- ٥٨٩ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ٨٨ .
- ٥٩٠ - باهور ليبب : لمحات من الفنون والصناعات : ص ١٢ .
- ٥٩١ - نفس المرجع : ص ١٢ .
- ٥٩٢ - الكندي : المصدر السابق : ص ٢٨ ، ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠١ .
- ٥٩٣ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ٨٨ .
- ٥٩٤ - نفس المرجع : ج ٩ ص ٨٨ .
- ٥٩٥ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٢ .
- ٥٩٦ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٨٧ .
- ٥٩٧ - هذه المدائن هي أرمنت وبنا وبوصير وأنصنا وضان واتزيب وصا . راجع أيضا : المقرئزي : المصدر السابق : ج ١ ص ٣٢٨ .
- ٥٩٨ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥١ .
- ٥٩٩ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٣١ .
- ٦٠٠ - زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ .
- ٦٠١ - البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٧٠١ .
- ٦٠٢ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٢ .
- ٦٠٣ - المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص : ٣٤٨ وانظر أيضا : علي باشا مبارك المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٥ .
- ٦٠٤ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ .
- ٦٠٥ - المسيحي : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٢٢ .

- ٦٠٦ - نفس المصدر : ج ٢ ص ٨ .
- ٦٠٧ - ناصر خسرو : سفرنامه (تحقيق تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨) ص : ٦٤٨ وما بعدها .
- ٦٠٨ - نفس المصدر : (ترجمة أحمد خالد البدي) : ص ٨٤ .
- ٦٠٩ - نفس المصدر : ص ٨٥ .
- ٦١٠ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٥٦ - ٥٤ .
- ٦١١ - القزويني : المصدر السابق : ص ص : ١٧٦ - ١٧٩ .
- ٦١٢ - سورة الكهف : آية : ٣٢ .
- ٦١٣ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٢٩ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٥ .
- ٦١٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٧٨ - ٧٩ وراجع أيضا : ادولف جروهمان : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٧ .
- ٦١٥ - ابن تفرى بردى : المنهل الصافي : ج ٢ ص ٧٠ ح ٣ .
- ٦١٦ - الكورة هي الصبغ أو البقعة التي تقع فيها عدة قرى وهي تقابل المركز في النظام الادارى الحالى .
- ٦١٧ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ ج ١ ، ٤ .
- ٦١٨ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٣٧ .
- ٦١٩ - المقرئزي : السلوك : ج ١ ق ١ ص : ٧٢ .
- ٦٢٠ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص ٣٣٨ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٦ ح ٤ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٩ ، عبد الرحمن زكى : الفسقاط وضاحتها العسكر والقطائع : ص ص : ٤٧ - ٤٨ .
- ٦٢١ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٥١ .
- ٦٢٢ - محمد رمزي : المرجع السابق : ق ١ ص ١٩٧ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٥٣ .
- ٦٢٣ - الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٥ - ٣٠٧ .
- ٦٢٤ - وصف مصر : ج ٣ ص ص : ٤٠ - ٤١ وانظر أيضا : حسين الرفاعى : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٦ .
- ٦٢٥ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨١ .
- ٦٢٦ - ناصر خسرو : سفر نامه (تحقيق تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨) ص : ٦٤٨ .
- ٦٢٧ - اليعقوبى : كتاب البلدان : ص ص : ٣٣٧ - ٣٣٨ .
- ٦٢٨ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٢ .
- ٦٢٩ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٣ .
- ٦٣٠ - نفس المصدر : ص : ١٤٢ وانظر أيضا : على باشا : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٤٦ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٥٣ .

- ٦٣١ - الكندي : المصدر السابق : ص ص : ٥٣ ، ٦٧ - ٦٨ .
- ٦٣٢ - المقدسي : أحسن التقاسيم : ص : ٢٠٣ .
- ٦٣٣ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٣ وانظر أيضا : آدم متز : المراجع السابق : ج ٢ ص ٣٥٣ .
- ٦٣٤ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٣ .
- ٦٣٥ - يبدو من تسمية هذا النوع من النسيج التي وردت في بعض المصادر باسم « الطاوسي » وفي بعضها الآخر باسم « القلموني » ، والتي وردت أيضا في بعض المراجع باسم « البوقلمون » وفي بعضها الآخر باسم « الأبوقلمون » ، أنه كان ذا أصل اغريقي ، ولكننا لا نعرف على وجه اليقين متى قلده أو متى نقلت صناعته الى مصر فمورست في طراز المركز الذي بين أيدينا وفي غيره من المراكز . راجع أيضا : ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٤ . وانظر أيضا تحقيق نفس المصدر في (تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨) ص ص : ٦٤٨ - ٦٤٩ ، محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص : ١٣٦ .
- ٦٣٦ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٥ وانظر أيضا تحقيق نفس المصدر في (تراث الانسانية : مجلد ١ : ج ٨) ص : ٦٤٩ .
- ٦٣٧ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٤ وانظر أيضا تحقيق نفس المصدر في تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨ ص ٦٤٨ .
- ٦٣٨ - الادريسي المصدر السابق : ص : ١٥٦ .
- ٦٣٩ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٥١ - ٥٤ .
- ٦٤٠ - ابن مياتي : المصدر السابق : ص : ٨١ .
- ٦٤١ - القزويني : المصدر السابق : ص : ١٧٧ .
- ٦٤٢ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٣١ .
- ٦٤٣ - نفس المصدر : ج ١ ص ٣٣٨ وانظر أيضا : علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٩ ، أحمد عبد الغفور عطا : الكعبة والكسوة : ص ١٤٦ .
- ٦٤٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٧٩ .
- ٦٤٥ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٢٩ .
- ٦٤٦ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٦٤٧ - زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٤٧ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية : ج ١ ص : ١٦٥ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق : ص : ١٣٦ ، م . س . ديمانند المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .
- ٦٤٨ - زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٤٥ ح ٢ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص : ١٣٦ ح ٥ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٥٤ .

٦٤٩ - الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ٣٠٤ وانظر أيضا : محمد عبد العزيز
هرروفي : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٧٢ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص :
٣٠٦ . علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٦ .

٦٥٠ - عمر رضا كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ .

٦٥١ - أحمد عبد الغفور عطا : الكعبة والكسوة : ص : ١٤٥ ، ويؤيد ذلك بما
لا يدع مجالا للشك قطعة من الكتان باسم المقتدر بالله طولها (٣٢ ر م) يحتفظ بها متحف
الفن الاسلامي بالقاهرة تحت رقم (١٠٠٩٦) تقول كتابتها « مما أمر الوزير علي بن عيسى
بعمله في طراز ٠٠٠٠ بتنيس على يد شفيح مولى أمير المؤمنين سنة ست عشرة مئة كسوة » .
راجع عن هذه القطعة :

Reper .: 'Tome. 3, p. 171, No. 1108.

٦٥٢ - عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها : ص ٤٧ ، عمر كحالة : المرجع
السابق : ص ٢٥٣ ، م . س . ديمانند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٦٥٣ - وصف مصر : ج ٣ ص ص : ١٥ - ٤٦ .

٦٥٤ - سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ وانظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع
السابق : ص : ٥٣ .

٦٥٥ - آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥٣ - ٣٥٤ .

٦٥٦ - سيدة اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .

٦٥٧ - م . س . ديمانند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٦٥٨ - زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١١٤ - ١١٦ ، م . س .
ديمانند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ٣٨١ ،
أنور الرفاعي : المرجع السابق : ص : ١٦٢ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في
عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ .

٦٥٩ - السيد الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ - ٢٠٠ ،
الأيوبيون لنفس المؤلف : ص ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .

٦٦٠ - عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، وانظر أيضا : محمد جمال
الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص : ٢٩٥ ، خليل ضومط : المرجع السابق :
ص ص : ١٥٦ - ١٥٧ .

٦٦١ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٢٩) وطولها (٣٣ ر م) راجع عنها
أيضا :

Rep. Chrono. D'epigraph. Arab. Tome : 2, pp. 248-9, No. 757.

٦٦٢ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٦١٣) وطولها (٢٨ ر م) راجع عنها
أيضا :

Rep. Chrono. D'epigraph. Arab. Tome : 2, p.p. 253-4, No. 767.

٦٦٣ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٩٢) وطولها (٢٨ ر م) راجع عنها
أيضا :

Rep. Chrono. D'epigraph. Arab. Tome : 3, p. 9, No. 815.

٦٦٤ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٤٧٤) وطولها (١٢ رم) راجع عنها أيضا :

Reper Chrono, d'epigraph Arab Tome . 3, p. 38, No. 863.

٦٦٥ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٧٩٦) وطولها (٢٩ رم) راجع عنها أيضا :

Reper. Chrono, d'ep graph Arab, Tome : 6, p. 173 No. 2324.

ومع ذلك فما تجب الاشارة اليه أن متحف الفن الاسلامى بالقاهرة لا يحتفظ من منسوجات تنيس بما سبق ذكره من قطع نسيجية فقط وانما يحتفظ بثلاث عشرة قطعة أخرى منها قطعة باسم المعتضد بالله طولها (٢٧ رم) تحت رقم (١٠١٩٠) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس على يد محمد بن علقمة سنة (٢٨٠ هـ) وقطعة باسم المقتدر بالله طولها (٣٢ رم) تحت رقم (٩٥٤٩) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس على يد شفيح سنة (٣٠٦ هـ) وقطعة ثالثة (لم تحدد أسماء) تحت رقم (١٠١٢٩) تقول كتابتها انها عملت فى طراز العامة بتنيس سنة (٣٩١ هـ) . راجع عن هذه القطع جميعا :

Reper . Tome : 2, p. 258, No. 774., Tome : 2, p. 266. No. 788,
3, p. 8, No. 813, Tome : 3, pp. 105-6. No. 982, Tome : 3, p. 112.
No. 788, Tome : 3, p. 8, No. 813., Tome : 3, pp. 105-6, No. 982,
T.me : 3, p. 112, No. 994, Tome : 3, p. 22, No. 1009 A., Tome : 3,
p. 134, No 1035, Tome : 3, pp. 138-9, No. 1045., Tome : 175, No. 1116,
Tome : 3, p. 186 No. 1135., Tome : 6, p. 39, No. 2081, Tome, 3, p. 149
No. 1067, Tome : 3, p. 159, No. 1086.

٦٦٦ - هذه القطعة طولها (٥١ رم) راجع عنها أيضا :

Reper. Chrono. d'epigraph, Arab. Tome : 3, p. 102, No. 976.

٦٦٧ - هذه القطعة طولها (٤٣ رم) راجع عنها أيضا :

Reper. Chrono d'epigraph Arab, Tome : 3, p. 128, No. 1023.

ومع ذلك فبالإضافة الى هاتين القطعتين اللتين يحتفظ بهما متحف بناكى فى أثينا هناك قطعتان أخريان بنفس المتحف أولاهما باسم المقتدر بالله العباسى طولها (٤٠ رم) تقول كتابتها « .. بعمله فى طراز تنيس على يدى شفيح .. سنة تسع وثلثمائة » وثانيتهما باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى طولها (١٧ رم) تقول كتابتها « .. بعمله فى طراز الخاصة بتنيس سنة سبع .. » راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Reper : Tome. 3, p. 135. No. 1037. Tome : 5, p. 192. No. 1919 A.

٦٦٨ - راجع عنها أيضا :

Reper : chrono. d'epigraph Arab Tome : 2, pp. 254-5, No. 769.

٦٦٩ - هذه القطعة طولها (٢٣ رم) راجع عنها أيضا :

Reper : chrono. d'epigraph, Arab : Tome : 3, u. 11, No. 818.

٦٧٠ - هاتان القطعتان طول احدهما (٣٠ رم) وطول الأخرى (١ م) راجع عنهما أيضا :

Reper : chrono, d'epigraph, Arab. Tome : b, p. 118, No. 2212 .

يضاف الى ذلك قطعتان أخريان من صناعة تنيس فى مجموعة نهمان أولاهما باسم المقتدر بالله العباسى وامارة على بن عيسى طولها (٢٩ رم) تقول كتابتها انها عملت فى طراز العامة بتنيس على يدى شفيح (ولم تذكر سنة) وثانيتهما باسم الحاكم بأمر الله

الفطمي طولها (١٥٥ ر) تقول كتابتها انها عملت في طراز العامة بتنيس سنة (٤٠٨ هـ) . راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Ibid., Tome : 3, p. 177 No. 1129, Tome : 6, p. 112, No. 220. :

كذلك هناك قطعة واحدة من منسوجات تنيس في مجموعة بارتكيولير (Particulier).
(لم تذكر اسما ولا تاريخا) تقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتنيس ٠٠ » راجع عن هذه القطعة ٠٠

Ibid., Tome : 6, p. 18, No. 2045.

٦٧١ - هذه القطعة طولها (٢٩ ر) راجع عنها أيضا :

Reper : chrono d'epigraph, Arab. Tome : 3, p. 4 no. 805.

٦٧٢ - راجع عنها أيضا :

Ibid., Tome : 5, p. 154., No. 1924.

وهناك أيضا في مجموعة تانو بالإضافة الى ما أشير اليه فيها من قطع تنيس ثلاث قطع أخرى أولاهما باسم المعتضد بالله وامارة خمارويه بن أحمد طولها (٣٢ ر) تقول كتابتها انها عملت في طراز تنيس سنة (٢٨٢ هـ) وثانيتهما باسم المقتدر بالله وامارة حامد بن العباس طولها (٣٠ ر) تقول كتابتها انها عملت في طراز تنيس على يدى شفيع سنة (٣٠٦ هـ) . وثالثتها باسم المقتدر أيضا وامارة على بن عيسى طولها (٤٣ ر) تقول كتابتها انها عملت في طراز تنيس على يد شفيع سنة نيف وثلاثمائة . راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid., Tome : p. 264, No. 785, Tome : 3, p. 118, No. 1007.

Tome : 3, p. 177, No. 1121.

Ibid : Tome : 1, p. 34, No. 44. ٦٧٣ راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 1 p. 35., No. 45. ٦٧٤ - راجع عنها أيضا :

ويضاف الى هاتين القطعتين غير محددي المكان من صناعة تنيس قطعة ثالثة باسم المعتضد على الله العباسي وامارة خمارويه بن أحمد طولها (٢٩ ر) تقول كتابتها انها عملت في طراز تنيس سنة ٢٧٢ هـ راجع عن هذه القطعة أيضا :

Ibid : Tome : 2, p. 232, no. 731.

٦٧٥ - المقریزی : الخطط : ج ١ ص ١٨١ .

٦٧٦ - وصف مصر : ج ٣ ص ٤٠ : ٤١ .

٦٧٧ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٥٠ .

٦٧٨ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٥٨ .

٦٧٩ - ناصر خسرو : تحقيق نفس المصدر في تراث الانسانية : مجلد ١ : ج ٨

ص ٦٤٩ .

٦٨٠ - الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٦٨١ - السيد الباز العريني : الأيوبيون : ص ١٩٨ .

٦٨٢ - وصف مصر : ج ٣ : ص ٤٠ : ٤١ .

٦٨٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٥٠ .

- ٦٨٤ - عبد الرحمن زكي : الفسظاظ وضاحتها : ص : ٤٧ ، على باشا مبارك :
المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٥٠ .
- ٦٨٥ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٣ .
- ٦٨٦ - نفس المصدر : ص : ٨٣ .
- ٦٨٧ - ناصر خسرو : (تحقيق نفس المصدر فى تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨)
ص : ٦٤٨ .
- ٦٨٨ - البلاذرى : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٧٠١ .
- ٦٨٩ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٤ .
- ٦٩٠ - نفس المصدر : ص : ١٥٦ .
- ٦٩١ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٦٢ - ٦٣ .
- ٦٩٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٥١ .
- ٦٩٣ - وصف مصر : ج ٣ ص : ٢٢ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع
السابق : ق ١ ص ١٩٧ .
- ٦٩٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٦٢ - ٦٣ .
- ٦٩٥ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٣٩٩ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع
السابق : ج ١٠ ص ٥١ ، أحمد عبد الغفور عطا : المرجع السابق : ص : ١٤٦ ، سعاد
ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق :
ج ٢ ص : ٣٧٢ .
- ٦٩٦ - أحمد عبد الغفور عطا : المرجع السابق : ص ١٤٥ وانظر أيضا : راشد
البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٨٩ ،
م . س . ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص
: ٤٧ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ .
- ٦٩٧ - راجع عنها أيضا :
- Reper, chrono d'epigraph, Arab, Tome : 1, pp. 61-2, No. 78.
- ٦٩٨ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٣١٤) وطولها (٣٢ ر) وكتابتها من سطرين
مزدوجين بالكوفى البسيط . راجع عنها أيضا :
- Reper, chrono, d'epigraph Arab Tome : 5, p. 38.
- ٦٩٩ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٩٠) وطولها (٣٨ ر) راجع عنها
ايضا :
- Ibid : Tome : 6, p. 33, No. 2072.
- ٧٠٠ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٧٩٢) وطولها (٤٢ ر) راجع عنها
ايضا :
- Ibid: Tome : 6, p. 129, No. 2228.
- ٧٠١ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٢٣٤١) وطولها (٢٩ ر) راجع عنها
ايضا :
- Ibid . Tome : 6, pp. 53-4, No. 2103.

وهناك قطعة أخرى بنفس المتحف تحت رقم (١٢٢٧٠) تقول كتابتها أنها عملت
» ٠٠ في طراز العامة بتونة سنة ستة وتسعين وثلاثمائة « راجع عنها أيضا :
Ibid . Tome . 6, pp. 60-1, No. 2113.

٧٠٢ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠١٥٦) وطولها (٣٥ ر م) راجع عنها أيضا :
Ibid Tome : 7, pp. 64, No. 2121.

٧٠٣ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٢٨٥٤) وطولها (٣٥ ر م) راجع عنها أيضا :
Ibid Tome : 7, pp. 12-3, No. 2418.

ليس هذا فقط بل ان هناك ثلاث قطع كتابية أخرى من صناعة تونة بنفس المتحف
المشار اليه أولاها تحت رقم (١١٤٧٢) طولها (٥٤ ر م) وتقول كتابتها أنها عملت
في طراز العامة بتونة سنة سبع وعشرين وأربعمائة « وثانيتهما تحت رقم (١٢٣٧٣)
وتقول كتابتها أنها عملت » ٠٠ في طراز العامة بتونة سنة أربعين وأربعمائة « وثالثتهما
تحت رقم (١٠١٤) وتقول كتابتها التي لا تحمل تاريخها أنها عملت » ٠٠ في طراز
العامة بتونة ٠٠ « .

راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid . : Tome : 7, p. 12, No. 2417, Tome : p. 85, No. 2536, Tome. 5,
p. 179, No. 1977

٧٠٤ - راجع أيضا :

Ibid Tome : 5, p. 30.

٧٠٥ - هذه القطعة طولها (٤٣ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 6, pp. 35-6, No. 2076.

وهناك قطعة أخرى من صناعة تونة في متحف المتروبوليتان بنيويورك لم نشر
اليها في انص لانها لا تشتمل على تاريخ ولو أنها باسم المستنصر بالله الفاطمي تقول
كتابتها أنها عملت » ٠٠ في طراز العامة بتونة ٠٠٠ « .
راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 6, p. 670, No. 2507.

٧٠٦ - هذه القطعة طولها (٣١ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome 5 ,p. 10, No. 1621.

٧٠٧ - هذه القطعة طولها (٣٢ ر م) وكتابتها من سطرين بالخط الكوفي البسيط
راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome 5, p. 172, No. 1957.

٧٠٨ - هذه القطعة طولها (٦٠ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 6, p. 20, No. 2048.

٧٠٩ - هذه القطعة طولها (٤٣ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 6, p. 160, No. 2300.

٧١٠ - هذه القطعة طولها (٣٨ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 5, p. 20, No. 1640.

٧١١ - هذه القطعة طولها (٢٧ ر م) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome. 6. p. 60, No. 2114.

- ٧١٢ - راجع عنها أيضا :
Ib d: Tome 6, pp. 61-2, No. 2117.
- ٧١٣ - وصف مصر : ج ٣ ص : ٤١ .
- ٧١٤ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص : ٥٤ .
- ٧١٥ - البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٧٥٦ - ٧٥٧ .
- ٧١٦ - الكندي : المصدر السابق : ص : ٢٦ .
- ٧١٧ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ص : ١٣٦ ، ١٤٩ .
- ٧١٨ - الاصطخري : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٧١٩ - المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص ٧٦ ح ١ .
- ٧٢٠ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ .
- ٧٢١ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ص : ٢٥٥ - ٢٥٦ . وراجع أيضا :
- عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٤٧ .
- ٧٢٢ - المقرئزي : الخطط : ج ٢ ص ص : ٣٩٦ - ٣٩٨ وانظر أيضا : محمود
عكوش : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ - ٣٢ .
- ٧٢٣ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ص : ٧٣ - ٧٥ .
- ٧٢٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٣ .
- ٧٢٥ - محمد رمزي : المرجع السابق : ق ١ ص ٩١ وانظر أيضا : الفريد بتلر :
المرجع السابق : ص ص : ١٨٥ - ١٨٦ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٢٩١ .
- ٧٢٦ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ .
- ٧٢٧ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ .
- ٧٢٨ - سيدة كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ وانظر أيضا : زكي محمد
حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، فنون الاسلام (لنفس المؤلف) ص : ٣٤٧ .
- ٧٢٩ - الكندي : المصدر السابق : ص ص : ٥٢ - ٥٣ .
- ٧٣٠ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٦ .
- ٧٣١ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ .
- ٧٣٢ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ .
- ٧٣٣ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ .
- ٧٣٤ - المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ .
- ٧٣٥ - المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص ٦ ح ٢ وراجع نفس المعلومات أيضا
في : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ ح ٥ .
- ٧٣٦ - راجع عن التشكيل الأول : ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٤٣٧ وعن
التشكيل الثاني : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ١٨ .
- ٧٣٧ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٤٢٣ .
- ٧٣٨ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٨٩ .
- ٧٣٩ - محمد رهزي : المرجع السابق : ق ١ ص ٢٤٣ وانظر أيضا : الموسوعة
العربية الميسرة : ص ٧٨٤ .

- ٧٤٠ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .
- ٧٤١ - المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص ٦ ح ٢ .
- ٧٤٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .
- ٧٤٣ - عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ص : ١٨ ، ٢٢ ، ٤٣ وانظر أيضا : س . د . جوتالين : المرجع السابق : ص : ١٧٢ .
- ٧٤٤ - ابن ممتي : المصدر السابق : ص : ٨١ .
- ٧٤٥ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٤٢٣ .
- ٧٤٦ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٢٩ .
- ٧٤٧ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .
- ٧٤٨ - سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ وانظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ .
- ٧٤٩ - انظر مثلا : زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص : ٤٢ ، م . س . ديمان : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٩ - ٥٠ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ .
- ٧٥٠ - سيدة اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .
- ٧٥١ - انظر في ذلك : آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ١١٦ ، راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ .
- ٧٥٢ - محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ص : ٢٩٥ - ٢٩٦ ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق (لنفس المؤلف) : ص ص : ١٣٥ - ١٣٦ .
- ٧٥٣ - هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٧٠) طولها (٣٧سم) راجع عنها أيضا : Reper. chrono. d'épigraph ; Arab. Tome : 3, p. 60.
- ٧٥٤ - هذه التظية مسجلة تحت رقم (١٠٦٩٥) وطولها (٦٧سم) وقد قرئ اسمها فيما نشر من الكتابات العربية المرتبة تاريخيا « دمعو » ونحن نعرف مما سبقنا الاشارة اليه عن المدينة وتاريخها أن موقعها لا يزال يعرف حتى اليوم « بتل دبةو » . وهنا يتضح أنه لا فرق يذكر بين الكلمتين الا لمن يعرف العربية ، وغنى عن التعريف أن أصحاب المرجع الذي بين أيدينا ليسوا من أبناء العربية وانما هم من أوائل المستشرقين الفرنسيين . راجع أيضا :
- Reper. chrono. d'épigraph, Arab. Tome 6, p. 40.
- ٧٥٥ - هاتان القطعتان بطول (٤٠سم) ، (٢٩سم) راجع عنهما أيضا :
- Ib'id : Tome 6, p. 59.
- ٧٥٦ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ٣٦ ، وقد تأكدت هذه المعلومات التي ذكرها علي باشا مبارك فيما ورد في : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ١٢٦ .
- ٧٥٧ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .
- ٧٥٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٣٢٠ .
- ٧٥٩ - عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢١ .
- ٧٦٠ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ٣٦ .

الباب الثالث

مراكز الصناعة بالوجه القبلي

الوجه القبلى كما عرف تعليقا على ما ذكره البلاذرى فى القرن
٣هـ / ٦م) هو الصعيد ، وقد وصف بانه بلاد واسعة فى مصر تطلق
على كل ما كان فى جنوب القاهرة اليوم (الفسطاط قديما) حتى
أسوان (٧٦٣) . وقد قسمه ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٢م)
الى ثلاثة أقسام هى ، الصعيد الاعلى وحدوده من أسوان جنوبا الى اخميم
شمالا ، ثم الصعيد الاوسط وحدوده من اخميم الى البهنسا ، وأخيرا
الصعيد الأدنى وحدوده من البهنسا الى قرب الفسطاط (٧٦٤) ، وتمشيا
قدر المستطاع مع ما ذكره ياقوت فان حديثنا عن مراكز الصناعة بالوجه
القبلى سينقسم الى ثلاثة فصول يختص الاول بمراكز الصعيد الأدنى
مشمثلا على محافظات الجيزة وبنى سويف والفيوم ، ويختص الثانى
بمراكز الصعيد الأوسط مشمثلا على محافظتى المنيا وأسيوط ، ويختص
الثالث بمراكز الصعيد الأعلى مشمثلا على محافظتى قنا وأسوان .

ولسنا فى هذا الصدد بحاجة الى تكرار القول بأن مراكز الصناعة
هذه التى انتشرت فى كثير من بلدان الوجه القبلى كانت قد ساهمت -
الى جانب مراكز الصناعة بالوجه البحرى - بدور كبير فى تشكيل البنية
الاجتماعية لمراكز مصر الحضارية فى عصورها الاسلامية المختلفة ولاسيما
فى محيط أقاليمها المحلية ، لأنها كانت رؤوسا صناعية واقتصادية ومن
ثم حضارية لهذه الأقاليم حيث مورست فيها صناعات عديدة تلبية لحاجات
سكانها المحلية من ناحية ، وللد الأسواق الوطنية الأخرى بما تحتاج اليه
من ناحية ثانية ، ولتصدير ما يفيض عن حاجة هذه الأسواق من الانتاج
ذى الجودة العالية من ناحية ثالثة ، وأكثر من ذلك أن هذه المراكز بما
أنتجته من سلع حرفية وصناعية كانت تكمل مع ما أنتجته مراكز الوجه
البحرى وحدة صناعية مصرية متكاملة تبوأ مصر بسنيتها - كما قلنا -
مركز الصدارة فى العالم المعاصر ، فكانت بذلك محط أنظار هذا العالم
وملاذه الذى يلجأ اليه فى استيفاء كثير من متطلباته السلعية الحرفية
والصناعية وهو أمر ساعد بغير شك - الى جانب التشكيل الحضري لهذه
المراكز - فى تدعيم خزانة الدولة بكثير من الأموال .

الفصل الأول الصعيد الأدنى

ان ما لدينا من معلومات تاريخية عن مراكز الصناعة بالصعيد الأدنى يحصر هذه المراكز - كما قلنا - فى محافظات الجيزة وبني سويف والفيوم .

أولا : محافظة الجيزة

الجيزة مدينة بمصر على الضفة الغربية للنيل تجاه القاهرة ، وهى عاصمة المحافظة المسماة بذات الاسم ومقرها الإدارى ، والواقع أننا لم نجد فيما أتىح لنا معرفته خاصا بمحافظة الجيزة الا بعض المعلومات غير الكافية عن مركزين فقط هما الصالحية والبدرشين : وقبل أن نتحدث عن هذين المركزين يجب أن نشير أولا الى أن الجيزة هذه كما عرفها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) هى بليدة فى غربى فسطاط مصر لها كورة كبيرة واسعة من أفضل كورها ، ليس هذا فقط بل لقد أشار الى أنه لما ملك عمرو بن العاص الاسكندرية ورجع الى الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل بها آل ذى أصبع من حمير وهمدان وآل رعين وطائفة من الازد وطائفة من الحبشة ، فلما استقر بالفسطاط أمرهم بالانضمام اليه فكروا ذلك فكتب يخبرهم الى عمر بن الخطاب فأمره أن يبنى لهم حصنا ، فكروا بنيان الحصن أيضا وقالوا حصوننا سيوفنا (٧٦٥) .

١ - الصالحية :

الصالحية كما وردت فى القاموس الجغرافى هى ناحية بمركز الصف باقليم الجيزة ، (٧٦٦) أشار اليها ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) بقوله « حتى وصلنا الى مدينة تسمى الصالحية وهى ريف كثير النعمة ذو وفرة فى المواد الغذائية فيه أحواض كثيرة لبناء السفن » (٧٦٧) .

ورغم أن هذه الإشارة التي أوردها ناصر خسرو عن صناعة السفن في الصالحية خلال العصر الفاطمي تفتقر إلى أدلة تاريخية أخرى لتدعيمها وتعزيزها ، فإن هذا لا يعنى عدم التصديق من جانبنا بما جاءت به لاسيما ونحن نعرف أن كتابات الرحالة عموما لا تأتي إلا بمشاهدة عين وهو أمر يصعب الشك فيه كثيرا .

٢ - البدرشين :

البدرشين كما أوردها ابن دقماق في القرن (٩هـ / ١٥م) كموقع وتاريخ هي مدينة منف أو مصر القديمة ، وقد سماها « البدرشين أم عيسى » وقال « ان عمرو بن العاص خربها عندما فتح مصر وبنى مدينة الفسطاط » (٧٦٨) كذلك فقد أشار إليها علي باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩م) بهذه الصفة وقال انها « من البلاد المشهورة بمديرية الجيزة بالجانب الغربى للنيل ، وأضاف الى ذلك أنه كان بها قصر لزليخا امرأة العزيز التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله عز من قائل « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين » (٧٦٩) فلما وضع يوسف يده على خزائن الأرض خرج يوما في موكب للنزهة على البحر فقابلته زليخا هذه وقالت سبحان من أذل الملوك وأعز العبيد فقال لها من أنت قالت زليخا وقال أصبح البدرشين فسميت المدينة من يومها بالبدرشين وظلت تحمل هذا الاسم الى اليوم (٧٧٠) .

ومن البدرشين كموقع وتاريخ نأتى الى الحديث عنها كمركز صناعى ، والواقع أن معلوماتنا في هذا الصدد ليست كافية بالقدر اللازم حتى الآن ، اذ لم نعثر فيما يخصها من هذا المجال الا على القليل من المعلومات ممثلة في مرجعين اثنين تكلم صاحب أولهما عنها في العصر البيزنطى وعندها من بين المدن التي عرفت منذ العهود القديمة بصناعة الأقمشة الكتانية الشعبية بل واعتبرها من المراكز التي لازالت تحتفظ بشهرتها في هذا المجال حتى اليوم (٧٧١) ، وعلى الرغم من أنه ليست لدينا معلومات تاريخية مؤكدة تثبت ترجيح هذا الرأى حتى الآن الا أننا لا نستطيع استبعادها كلية ، خاصة وأن الصناعات النسيجية الشعبية كانت كما نعلم تصنع في كثير من بلدان مصر بالوجهين البحرى والقبلى بغير اشراف من الدولة ، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن تكون المدينة التي بين أيدينا واحدة من المدن التي مورست فيها هذه الصناعة خلال الفترة المشار إليها .

أما في العصر الاسلامي فليس لدينا عن البدرشين في هذا الصدد الا ما ذكره علي باشا مبارك حين قال « وبها تسع عشرة مصبغة وثمان طواحين ومعصرة زيت وأنوال لنسج مقاطع الكتان وغيره . وفي جهتها البحرية معمل بارود وبها فابريقة لصناعة السكر » (٧٧٢) ومعنى هذا أن المدينة كانت تمارس في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) صناعة المنسوجات الكتانية وصباغتها ، بالإضافة الى بعض الأنشطة الصناعية التي اعتمدت على منتجات زراعية مثل طحن الغلال واستخراج الزيت وصناعة السكر ، وربما كان فيما لازالت تمارسه المدينة حتى اليوم من صناعة الاكلمة الممتازة مما يرجح بعضا مما ذهب اليه علي باشا مبارك .

ثانيا : محافظة بنى سويف

بنى سويف محافظة في مصر بالنوجه القبلي بين محافظتي لجيزة والمنيا عاصمتها بنى سويف وهي من الاقسام الادارية الحديثة التي تكونت لأول مرة سنة (١٨٣٢ م) وقد ضمت الى مديرية الفيوم أكثر من مرة حتى أصبحت مديرية قائمة بذاتها سنة (١٨٧٠ م) وقد ذكرها علي باشا مبارك بقوله هي « مدينة كبيرة بالصعيد الأدنى ورأس المديرية المسماة بذات الاسم تقع قبلي بوش على الشاطئ الغربي من النيل » (٧٧٣) ويبدو أنها كانت خلال العصر الاسلامي من المحافظات النشطة في مجال الحرف والصناعات ، يدل على ذلك ما اشتملت عليه خلال هذا العصر من المراكز الصناعية العديدة مثل اهناسيا ونويرة وبوش وطحا ودلاص وسمسطا .

١ - اهناسيا :

تحدثت المصادر العربية كثيرا عن موقع وتاريخ مدينة اهناسيا وأفاضت في ذلك الى حد بعيد ، فتوالت علينا المعلومات التاريخية عنها بدءا من القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده ، من ذلك ما ذكره الكندي في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) حين قال « وبها (أى مصر) النخلة التي ولدت مريم عيسى تحتها بسدمنت من كورة اهناس » (٧٧٤) ، وحول نفس المعنى جاءت إشارة ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « وبها ولد عيسى عليه السلام بكورة اهناس ولم تزل نخلة مريم تعرف باهناس الى آخر أيام بنى أمية » (٧٧٥) ، أما ما ورد تعليقا على إشارة المسيحي إليها في القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) فقد ذكرت فيه باسم اهناسية (بالتاء المربوطة) وقيل بأنها « إحدى القرى الكبيرة في مركز بنى سويف بكورة البهنسا » (٧٧٦) وقد اختلف

هذا التعليق مع ما ذكرته معظم المصادر العربية في أمرين أولهما أنه جعلها من كورة البهنسا وهي عند الكندي وابن حوقل - كما رأينا - كورة بذاتها ، وثانيهما أنه جعلها قرية وهي كما ذكرها الإدريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) « مدينة صغيرة متحضرة الأهل واسعة الخيرات جامعة للبركات نامية الزراعات وكل شيء من المأكول بها رخيص » (٧٧٧) .

أما ياقوت فقد ذكرها في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بتفصيل أكبر حين قال ان « اهناس اسم لموضعين بمصر أولهما اهناس الصغرى وهي قرية كبيرة في كورة البهنسا وثانيهما اهناس المدينة وهي كورة في الصعيد الأدنى أضيفت نواحيها (فيما بعد) الى كورة البهنسا ومدينتها قديمة أزلية خرب أكثرها وهي على غربى النيل ليست بعيدة عن القسطنطينية ، وذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام كان قد ولد في اهناس ، وأن النخلة المذكورة في القرآن المجيد كانت موجودة هناك وأن مريم عليها السلام كانت قد أقامت بها الى أن كبر المسيح وسافر الى الشام » (٧٧٨) ثم جاء المقرئ في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وكرر ما أشارت اليه المصادر العربية قبله ولا سيما ما ذكره ابن حوقل حين قال انها « كورة من كور الصعيد يقال أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها ، وأن نخلة مريم التي ذكرت في قوله تعالى « وهزى اليك بجذع النخلة » لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية » (٧٧٩) . وبنفس المعنى أشار اليها ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) الا أنه زاد عليه أن « عبرتها (١٨٠٠٠) دينار ومساحتها (٣٦٥٠) فدانا » (٧٨٠) .

كذلك فقد ذكرها ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) . باقتضاب كبير حين قال « ومنها (أى من مصر) مدينة اهناس وأبنيتها وعجائبها » (٧٨١) وفي تعليق على ذلك عرف محقق الكتاب اهناسيا بقوله « اهناس أو اهناس المدينة : قرية كبيرة بكورة البهنسى بمصر عرفت بالمدينة لتمييزها عن اهناس الصغرى التي تعرف الآن باهناسية الخضراء ، ولا تزال أطلال مدينة اهناس القديمة ظاهرة بالقرب من مساكن القرية الحالية بمركز بنى سويف » (٧٨٣) .

ومع أن ياقوت - كما رأينا - كان قد جعل اهناس اسم لموضعين بمصر أحدهما الكورة التى بين أيدينا من الصعيد الأدنى والأخرى اهناس الصغرى من كورة البهنسا ، الا أن على باشا مبارك قد جعل « اهناس اسم لثلاث قرى متجاورة ببنى سويف فى جنوب اللاهون

كبراهن واقعة على جسر النويرة في المحل المعروف بالباطن ثم قال « وكانت اهناس أو اهناسية قاعدة اقليم يشتمل على خمس وتسعين قرية والظاهر أنها هي المدينة التي سماها اليونان هرقليوبوليس ، وكانت قديما ذات أسقفية على الشاطئ الغربي لبحر يوسف » (٧٨٤) وكانت اهناسيا عاصمة الاقليم العشرين من أقاليم الصعيد وفيها عبد المصريون الههم « جريشاف » الذي صوروه على هيئة الكباش وهو الذي سماه الاغريق بمعبودهم « هرقل » ومن هنا أطلقوا على المدينة اسم « هرقليوبوليس ماجنا » .

هذا عن مدينة اهناسيا كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعي فان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت بشأنها في بعض المصادر والمراجع العربية يؤكد أنها كانت مركزا لصناعة المنسوجات (٧٨٤) ، وكذا لبعض الصناعات والحرف التي اعتمدت على المنتجات الزراعية وربما كانت مركزا لصناعة الزجاج أيضا .

(أ) صناعة التسيج :

يغلب على الظن أن اهناسيا كانت كما ورد في بعض المراجع العربية مركزا لصناعة المنسوجات الكتانية والصوفية بصفة خاصة منذ العصر البيزنطي ، ورغم أننا لا نملك أدلة كافية لتأكيد هذا الرأي حتى الآن ، إلا أن رجاحة استنتاجه تقوم أولا على أن الاقليم كان ولا يزال اقليما زراعيا خصبا تكثر فيه زراعة الكتان ، وتقوم ثانيا على أن هذه الصناعة كانت قد تطورت في المدينة كثيرا خلال العصر الاسلامي المبكر مما يؤكد أن أساسا لها لا بد أنه كان قد بنى خلال الفترة المشار إليها .

وقد احتفظت المدينة بتقاليدها الصناعية في العصر الاسلامي ، يؤكد ذلك مما أشارت اليه بعض المصادر العربية ما ذكره في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) كل من اليعقوبي والكندي حيث قال الأول « مدينة اهناس وبها تعمل الأكسية » (٧٨٥) ، ولعله يقصد بذلك الأكسية الصوف المرعز التي أشار اليها الثاني بقوله « وذكر بعض أهل مصر أن معاوية لما كبر كان لا يدفأ ، فأجمعوا أنه لا يدفئه الا الأكسية تعمل في مصر من صوفها المرعز الغسلي غير المصبوغ فعمل له منها عددا فما احتاج منها الا واحد » (٧٨٦) ويؤكدده أيضا مما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة أن المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية كانت تعمل خلال العصر الاسلامي في كثير من بلاد مصر العليا ولا سيما اهناسيا (٧٨٧) .

ب - صناعات وحرف تعتمد على منتجات زراعية :

رغم شهرة اهناسيا الأساسية في مجال صناعة النسيج كما رأينا إلا أنها - كانت على ما يبدو - مركزا لبعض الصناعات والحرف التي اعتمدت على المنتجات الزراعية ولاسيما عصر الزيوت وعمل النيدة ، يؤيد ذلك ما أشار اليه ابن ظهيرة في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال « وأول ما صنعت النيدة (٧٨٨) بها للمسيح عليه السلام أمرت أمه (بعملها) بوحى من الله تعالى عندما احتاج الى الأكل ، ثم أضاف فى نفس الموضع أن « بها ثمار الزيتون » .

وربما كن ذلك يعنى أن عصر الزيوت كان من بين أنشطة المدينة خلال هذه الفترة ، كذلك فقد أشارت بعض المراجع العربية التي تحدثت عن العصر الفاطمى الى أنه قد عثر على بقايا تحف زجاجية فى البهنسا واهناسيا المدينة ، وان صح ذلك فانه يعنى أن المدينة كانت علاوة على ما ذكر من صناعاتها وحرفها مركزا لصناعة التحف الزجاجية خلال العصر المشار اليه (٧٨٩) .

٣ - بوش :

لقد سجلت لنا المصادر العربية بعض المعلومات الكافية الى حد كبير عن مدينة بوش سواء بالنسبة لموقعها وتاريخها أو بالنسبة لصناعة النسيج فيها .

فقد جاء فيما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) أنها « كورة ومدينة بمصر من نواحي الصعيد الأدنى فى غربى النيل بعيدة عن الشاطئ ينسب اليها أبو الحسن على بن ابراهيم البوشى » (٨٩٠) والواقع أن ياقوت كان قد أعطى صفة المدينة لبلدان كثيرة فى مصر غير قواعد الكور مثل اسنا وقنا وبوش ودلاص وغيرها ، وكلها كانت على ما يبدو قواعد فى فترة الكور الصغرى ، ولعله وصفها بصفة الحضرية اما قياسا على سابق وظيفتها الادارية أو باعتبارها الصفة الحضرية لها حتى عصره (٧٩١) .

كذلك فقد جاء ذكر بوش فيما قيل تعليقا على ما ذكره ابن تغرى بردى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بأنها كانت « مدينة من نواحي الصعيد الأدنى فى غربى النيل ثم صارت قرية من قرى بنى سويف » (٧٩٢) .

هذا فيما يتعلق ببوش كموقع وتاريخ أما فيما يختص بها كمركز صناعى فقد جاء ذكره فى مصدرين أساسيين من المصادر العربية أولهما

ما أشار إليه ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بقوله «ومنها المناديل البوشية نسبة الى بوش » (٧٩٣) وهو قول يوضح أن المدينة كانت مركزا لصناعة النسيج خلال هذه الفترة وقبلها ، وثانيهما ما ذكره ابن بطوطة في القرن (٨ هـ / ١٤ م) حين قال « ثم سرت منها (يقصد من منية القائد) الى مدينة بوش وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كثانا ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقية » (٧٩٤) ومن هذا النص الهم الذي ذكره ابن بطوطة من واقع زيارته الشخصية للمدينة ومشاهدته لما كان يصنع فيها بعيني رأسه تتضح لنا حقيقتان هامتان: أولاهما أن هذا النص جاء ليؤكد ما أشار إليه ياقوت قبله بقرنين من الزمان تقريبا بما يدل على أن المدينة فعلا كانت مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية منذ القرن (٦ هـ / ١٢ م) وحتى القرن (٨ هـ / ١٤ م) إلى أقل تقدير ، وثانيهما أن هذه المنسوجات الكتانية التي كانت تصنع في مدينة بوش كانت على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة والا لما جلبت الى سائر الديار المصرية من ناحية ولما صدرت الى البلدان الافريقية من ناحية أخرى .

٢ - طحا :

لقد تركت لنا المصادر العربية معلومات تكاد تكون وافية عن مدينة طحا سواء في ذلك ما يتعلق بها كموقع وتاريخ أو ما يخصها كمركز صناعي .

فقد أشار إليها في القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من ابن حوقل والمقدسي فوصفها الأول بالمدينة وقال ان « منها أبو جعفر الطحاوي الفقيه العراقي » (٧٩٥) ، وجعلها الثاني قرية دون بقية المؤرخين حين قال « وهي قرية بالصعيد » (ولم يزد) (٧٩٦) ثم جاء الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فأوضح ما لم يوضحه المقدسي حين قال « وهي مدينة مشهورة أسفل من مدينة الاشمونيين » (٧٩٧) .

أما ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) فقد أثنى معرفتهما عن هذه المدينة كثيرا بما لم يذكره غيره من المؤرخين حين قال أن طحا من الطحو وهو الماء أو البسيط ومنه قوله تعالى : (والأرض وما طحاها) وهي كورة بمصر شمال الصعيد في غربى النيل ، ثم كرر ما ذكره ابن حوقل عنها فيما يختص بأبى جعفر الطحاوي الا أنه جعله فقيها حنفيا مصرياً لا عراقياً مات سنة (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) (٧٩٨) .

كذلك يتضح مما أشار إليه على باشا مبارك فى القرن (١٢ هـ / ١٩ م) أن هناك ثلاث جهات بهذا الاسم فى الصعيد الأدنى أولاها طحسا بوش وهى قرية من مديرية بنى سويف فى الجنوب الغربى لقسم بوش بها جامع ونخيل قليل ، وثانيها طحا البيشان وهى من مديرية بنى سويف أيضا لم يذكر فيما يخصها شيئا صناعيا أو حرفيا ، وثالثها طحا انعمودين ويقال لها طحا الأعمدة وهى بلدة متوسطة بين البحرين الأعظم واليوسفى سماها القبط كليوت أحيانا وطوحو أحيانا أخرى ، وقد جعلت هذه البلدة فى أحد دفاتر التعداد من توابع البهنسا وفى دفتر آخر من توابع الأشمونين ، ثم قال ان سكان طحا فى صدر الاسلام كانوا خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى (٧٩٩) ، ومما ذكره على باشا مبارك يمكن القول ان طحا المركز الصناعى الذى أشارت إليه المصادر العربية بطحا غير منسوبة هى « طحا الأعمدة » التى كان كل سكانها نصارى لأننا نعرف ما كان لهؤلاء من دور فى مجال صناعة النسيج فى مصر فى العصر الإسلامى بشكل عام وفى بداية هذا العصر بشكل خاص .

ومن طحا كموقع وتاريخ نأتى الى الحديث عن طحا كمركز صناعى ، والذي لا شك فيه أن اشارات هامة فى هذا الخصوص وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية مؤكدة أن هذه المدينة كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج فى مصر الإسلامية منذ القرن (٤ هـ / ١٠ م) وحتى القرن (٦ هـ / ١٢ م) على أقل تقدير ، كما اشتهرت أيضا بممارسة بعض الصناعات المعدنية منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) .

(أ) صناعة النسيج

أشار ابن حوقل الى مدينة طحا فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « طحا مدينة أيضا فيها غير طراز » (٨٠٠) ويعنى ذلك صراحة أن المدينة كانت تشتمل على أكثر من مصنع للنسيج ، وربما اشتملت هذه المصانع على نوعى الطراز المعروفين العام والخاص ، ويؤيده أيضا ما أورده المقدسى فى نفس القرن المشار إليه بقوله « وطحا قرية بالصعيد تعمل بها الثياب الصوف الرفيعة (٨٠١) وقد أغنانا المقدسى بوصفه لهذه الثياب الصوف بالرفيعة عن التعليق على جودتها ومكانتها وحسن ذوقها ، ويؤكدده فوق هذا وذاك ما أشار إليه الادريسى فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « ومنها مدينة طحا » وهى مدينة مشهورة تعمل بها وفى طبرزها ستور صوف وأكسية صوف منسوبة اليها » (٨٠٢) .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة النسيج بطحا خلال العصر الإسلامى على ما أشير إليه من مصادر عربية مؤكدة ، بل لقد ورد ذلك أيضا فى كثير من المراجع الحديثة ، ويتضح مما أجمعت عليه هذه المراجع أن

مصانع الطراز بالمدينة كانت قد تخصصت خلال العصر المشار اليه في انتاج الأقمشة الصوفية الرفيعة بأنواعها (٨٠٣) ٠٠ واجماع هذه المراجع تمشيا مع ما جاء في المصادر على وصف تلك الأقمشة بالرفيعة انما يعنى حقيقة أنها كانت كما قلنا على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة وجمال النوق .

(ب) صناعة المعادن :

الواقع أننا لا نملك فيما يتعلق بصناعة المعادن في طحا مما أتيح لنا معرفته والاطلاع عليه الا ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال ان من مدينة طحا « القمح الموصوف والكيزان ويسميتها أهل مصر البواقيل » (٨٠٤) وأيا كان الأمر فان معنى ذلك أن صناعة هذه الكيزان التى سميت بالبواقيل (والتى كانت فى غالب الظن معيارا للكيل) كانت تصنع فى المدينة خلال العصر الذى عاش فيه اليعقوبى وقبله على أقل تقدير وربما بعده أيضا .

٤ - دلاص :

دلاص كما ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) « كورة بصعيد مصر على غربى النيل أخذت من البر ، تشتمل على قرى وولاية واسعة ، ودلاص مدينتها معدودة فى كورة البهنسا منها أبو القاسم حسان بن غالب الدلاصى يروى أنه توفى بدلاص سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) » (٨٠٥) وقد سبقت الإشارة عند الحديث عن بوش أن ياقوت كان قد أعطى صفة المدينة لبعض البلدان المصرية من غير قواعد المدن مثل اسنا وقنا وبوش ودلاص وغيرها ، ويغلب على الظن أنه أعطى كلا من هذه البلدان صفة المدينة - كما قلنا - اما قياسا على سابق وظيفتها الادارية لأن كلا منها كانت كورة فى فترة الكور الصغرى ، واما باعتبارها الصفة الحضرية التى كانت لكل منها حتى عصره (٨٠٦) ، أما ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) فلم يذكر سوى أن « عبرتها (٢٢٠٠٠) دينار ومساحتها (٥٨٧٨ فدان) » (٨٠٧) ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) وفصل كثيرا فى تاريخ هذه المدينة فقال نقلا عن كاترمير - انها ذكرت فى مواضع كثيرة من كتب القبط فقال نقلا عن كاترمير - انها ذكرت فى مواضع كثيرة من كتب القبط التى أسماها العرب « دلاص » ، ثم أشار الى أنها وردت فى دفاتر التعداد من توابع البهنسا ، وقال انها واقعة بين منف والفيوم على ثمانية فراسخ من الأولى وعشرين فرسخا من الثانية (الفرسخ ثلاثة أرباع الميل) ، وأن منها والد العلامة شريف الدين محمد البوصيرى صاحب

الهمزة والبردة ، نسب الى بوصير لأن أمه كانت منها ولكونه نشأ بها ، وقد يقال له الدلاصيرى نسبة الى البلدين من باب النحت (٨٠٨) .

هذا عن دلاص كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فإن ما لدينا من معلومات تاريخية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذه المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات الهامة ولا سيما صناعات النسيج والجلود والآلات الحديدية .

(أ) صناعة النسيج :

ورد فيما يختص بصناعة النسيج أن دلاص كانت منذ العصر البيزنطى طبقا لما جاء فى بعض من المراجع العربية مركزا لصناعة المنسوجات الكتانية بشكل خاص ، ونحن رغم افتقارنا لما يؤكد هذه المعلومات من المصادر العربية الا أننا لا نستطيع استبعادها لعدة أسباب منها : أن صناعة النسيج فى مصر القبطية كانت - كما نعلم - صناعة شعبية انتشرت مصانعها فى كثير من البلاد المصرية بالوجهين البحرى والقبلى لأنها لم تكن حينئذ خاضعة لاشراف الدولة ، ومنها أن المنسوجات الكتانية بصفة خاصة كانت من أكثر الأنواع النسيجية انتاجا خلال الفترة المشار اليها ، ومنها أن هذه المنطقة وكثير غيرها كانت موطنًا لتجمعات سكانية قبطية تطلبت حياتها نوعا من الانتاج النسيجي وفاء لما كانت تحتاج اليه بصفة عادية ومستمرة (٨٠٩) .

أما فى العصر الاسلامى فقد أشار ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) الى منسوجات دلاص بقوله « ثم سافرت منها (يقصد من بوش) فوصلت مدينة دلاص ، وهذه المدينة كثيرة الكتان أيضا كمثل التى ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها الى ديار مصر وافريقية » (٨١٠) ومن هذا النص الذى أورده ابن بطوطة بعد مشاهدة عين تتضح لنا عدة حقائق هامة منها أنه أعطى دلاص صفة المدينة متفقا فى ذلك مع ما أشار اليه ياقوت قبله بقرنين من الزمان ، وفى هذا ما يعنى أنها كانت على درجة كافية من المدنية والتطور الحضرى ، ومنه أنه جعل منسوجاتها الكتانية سلعة تحمل ليس فقط الى باقى الديار المصرية وإنما الى كثير من البلدان الإفريقية ، وفى هذا ما يعنى أيضا أن تلك المنسوجات كانت على درجة من الجودة وحسن الصنعة جعلتها أهلا لهذه المكانة التى تبوأتها فى الأسواق المحلية والخارجية على حد سواء ، ولم يقتصر ما ورد عن منسوجات دلاص على ما ذكره ابن بطوطة كمصدر من المصادر العربية التى لا يرقى اليها شك ، وإنما جاء ذكرها أيضا فى بعض المراجع الحديثة التى أشارت الى أن هذه المنسوجات الدلاصية

كانت مرتفعة الأثمان (٨١١) ، ونحن نعرف أن ارتفاع الثمن لا يأتي إلا إذا استدعى المثلث غالبا ذلك الارتفاع .

(ب) صناعة الجلود :

تثبت المعلومات التي لدينا من المصادر العربية بما لا يدع مجالا للشك أن دلاص الى جانب المنسوجات الكتانية كانت قد مارست صناعة الجلود لا سيما اللجم اعتبارا من القرن (٣ هـ / ٩ م) حتى القرن (٦ هـ / ١٢ م) وما بعده ، يؤيد ذلك أولا ما أشار اليه اليعقوبي في القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال « واليه تنسب اللجم الدلاصية » (٨١٢) ويؤيده ثانيا ما ذكره الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « وبمدينة دلاص هذه تصنع اللجم الدلاصية المنسوبة صنعتها اليها » (٨١٣) ويؤيده ثالثا ما اوردته على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله « انه كان فيها ثلاثمائة صانع يشتغلون الالجمة التي كانت مشهورة بالدلاصية » (٨١٤) وعلى ذلك فانه يمكن القول في ثقة واطمئنان أن صناعة اللجم في دلاص لم تكن على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة فقط وانما كانت على ما يبدو - ذات خصائص مميزة حتى أنها نسبت في تسميتها الى المدينة التي صنعتها .

(ج) صناعة المعادن :

على الرغم من أن المعلومات التي لدينا عن صناعة المعادن في دلاص ليست بالكثرة التي رأيناها فيما يختص بصناعات النسيج والجلود ، الا أننا لا نستطيع أن نغفل هذه الصناعة كنشاط من أنشطة المدينة الصناعية في العصر الاسلامي ، يؤيد ذلك ما أشار اليه الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) حين قال « وصناعة الحديد بها قائمة الذات كثيرة المصنوعات » (٨١٥) وهو قول تتضح منه حقيقتان هامتان : اولاهما أن هذه الصناعة كانت صناعة مستقلة قائمة بذاتها ولا يخفى ما تنطوي عليه استقلالية صنعة ما في مركز ما من مدلولات ، وثانيتهما أنها كانت كثيرة المصنوعات وفي هذا ما يعنى صراحة تعدد انتاجها وتنوعه ، ومع ذلك لم يقتصر ذكر الصناعات المعدنية في دلاص على ما أورده الادريسي فقط وانما جاء ذكرها أيضا في بعض المراجع العربية التي أشارت الى أن تنيس ودلاص مارستا بعض الصناعات التي اعتمدت على مواد استوردت من الخارج ولاسيما الصناعات المعدنية (٨١٦) .

سمسطا هي آخر مراكز الصناعة التي نتحدث عنها في محافظة بنى سويف ، وقد حددها ابن حوقل في الرسم الذي وضعه خلال القرن (٤هـ / ١٠م) لصورة مصر على جانب النيل الأعلى من اليسار بين القيس ودلاص (٨١٧) ، وذكرها الادريسي في القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) فقال « فأما ترفة وسمسطا فضياع وقصور بعيدة من معظم النيل وهما عادرتان بالناس » (٨١٨) أما ياقوت فقد أشار إليها في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) بقوله « سمسطة (بالتاء المربوطة) من عمل البهنسية ومنهم من يقول سمسطا قرية بالصعيد الأدنى على غربى النيل » (٨١٩) .

أما فيما يتعلق بسمسطا كمركز صناعى فإنه يمكن القول ان هذه المدينة - طبقا لما أشارت إليه بعض المصادر العربية - كانت مركزا لصناعة الحبال الجيدة من الليف ونحوه ، وكذا لبعض الصناعات التي اعتمدت على المنتجات الزراعية ولا سيما السكر والفانيد ، يؤيد ذلك ما أشار إليه ياقوت في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) خاصا بصناعة الحبال بقوله « وتنسب اليها الحرم السمسطية وهي حزم من الحبل لا يفضل عليها شيء من جنسها » (٨٢٠) ، ويؤيده أيضا ما ذكره الادريسي في القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) خاصا بصناعات السكر والفانيد حين قال « وفيها مزارع للقصب السكرى ويعمل بها من السكر والفانيد ما يقوم بأكثر ديار مصر ويستغنى بها عن غيره » (٨٢١) وفي هذا ما يدل صراحة على أن انتاجها من السكر والفانيد كان بالوفرة التي جعلت الادريسي يضعه في مرتبة القيام بأكثر ديار مصر .

ثالثا : محافظة الفيوم

الفيوم محافظة بمصر تحتل منخفضا من الصحراء الغربية في محافظة بنى سويف ، وقد ضمت الى مديرية بنى سويف أكثر من مرة ثم انفصلت عنها وأصبحت مديرية قائمة بذاتها سنة (١٨٧٠م) ، وقد أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية كثيرا من المعلومات الهامة عن مدينة الفيوم ، سواء من حيث الموقع والتاريخ أو من حيث الأنشطة الصناعية والحرفية ، والواقع أنه من خلال هذه المعلومات يمكن القول أن مراكز الصناعة فى كورة الفيوم إبان العصر الاسلامى كانت تنحصر فى مدينة الفيوم ذاتها وفى بعض المدن الصغيرة الأخرى التابعة للاقليم ولاسيما بوصير ومطمور وسنهور .

فصلت المصادر العربية كثيرا في الحديث عن مدينة الفيوم تاريخا وموقعا وتسمية ، ومن ذلك ما أشار اليه ابن الحكم في القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) بقوله ان الفيوم في وسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي الآن من صحراء أو مفازة ، ثم تكلم بالتفصيل عن كيد وزراء فرعون ليوسف عليه السلام وطلبهم من فرعون أن يمتحنه في عقله وخدمته ، فاستجاب لهم وطلب منه أن يصلح له أرض الجوبة (أرض الفيوم القديمة) وكانت أرضا مالحة ومستنقعا لا حياة فيه فقال له يوسف : ابعث الى أيها الملك متى أردت ذلك فاني ان شاء الله فاعل ، فأوحى الى يوسف بحفر ثلاثة خلجان أولهما من أتلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا ، وثانيهما من انشرق من موضع كذا الى موضع كذا ، وثالثهما من الغرب من موضع كذا الى موضع كذا ، فرتب يوسف العمال وحفر خليج المنهى من أتلى أشمون الى اللاهون ، ثم خليج الفيوم وهو الخليج الشرقي ثم خليج تيهمت وهو الخليج الغربي فخرج ماؤها من الخليج الشرقي فصب في النيل ، وخرج من الخليج الغربي فصب في صحراء تيهمت ، فلم يبق في الجوبة ماء وصارت أرضا ريفية تربة ، وكان هذا كله في سبعين يوما فلما خرج اليها الملك ووزرائه نظروا اليها وقال : هذا عمل ألف يوم فسميت الفيوم وأقامت تزرع كما تزرع غواظ مصر (٨٢٢) .

وقد أشار اليها البلاذري في القرن (٣ هـ / ٩ م) باقتضاب شديد حين قال انها بلد « مشهورة في مصر » (ولم يزد) (٨٢٣) ثم جاء الكندي في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) وقال انها « كورة تشتمل على ثلاثمائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة وليس في الدنيا بلد بنى بالوحي غير هذه الكورة (٨٢٤) » .

وذكرها في القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من الاصطخرى والمسعودي وابن حوقل فقال الأول « وليس بأرض مصر مدينة يجري فيها الماء دائما غير الفيوم ، والفيوم هذه مدينة وسطية يقال أن يوسف النبي (عم) اتخذ لهم مجرى يدوم لهم الماء ، وقوم بحجارة وسماهم اللاهون » (٨٢٥) ، وأشار الثاني الى أنها جزيرة أحاط الماء بأكثر أجزائها وكرر ما ذكره ابن عبد الحكم خاصا بتسميتها « فيوما » وأن ذلك ألف يوم (٨٢٦) « وأعاد الثالث ما ذكره سابقوه ولاسيما جريان الماء فيها بغير حاجة الى زيادة النيل ، وكذا وسطيتها وخلق يوسف لها ، ومجرى اللاهون فيها الا انه زاد عليهم قوله « وعلى الفيوم سور يشتمل على جميع أعمالها

ويحيط بسائر مدنها وبقاعها ورأيت أكثره من جانب البرية مبنية أبراجه
وهذا السور يعرف بحائط العجوز » (٨٢٧) .

وفيما قيل تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) ورد أن الفيوم هى احدى محافظات الوجه القبلى بمصر وتقع فى منخفض غربى النيل فى الصحراء الغربية (٨٢٨) ، كذلك فقد أشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) وقال ان مدينة الفيوم فى ذاتها طيبة كثيرة الفواكه والغلات ، ثم حكى بعد ذلك قصة يوسف وخلق الفيوم على عهد فرعون (٨٢٩) ، وذكرها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بقوله « والفيوم ولاية غربية بينها وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء فيها مسيرة يومين » ثم حكى قصة يوسف مع فرعون وشق الانهار لاصلاحها (٨٣٠) .

ثم جاء القزوينى فى القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) فقال ان الفيوم ناحية فى غربى مصر فى منخفض من الأرض يشرف عليها النيل وكرر بالنص تقريبا ما ذكره ابن عبد الحكم خاصا بالخلجان الثلاثة وحكاية فرعون والألف يوم (٨٣١) ، وجاء بعده المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) فقال « اعلم أن موضع الفيوم كان مفيض ماء النيل فلما ولي يوسف الصديق تدبير أهور مصر عموما خلقها ، فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل الى القرى التى حولها فأقامت فى الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها » (٨٣٢) . وأخيرا جاء ابن ظهيرة بعد المقرئى فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) فقال « ومن أعمال مصر مدينة الفيوم من بناء يوسف عليه السلام » (ولم يزد) (٨٣٣) .

ولم يقتصر ما ورد عن مدينة الفيوم من معلومات تاريخية على ما سجلته المصادر المشار اليها ، وانما كان منه أيضا ما جاء فى بعض المراجع العربية معيدا بعض هذه المعلومات أحيانا ، ومفسرا لبعضها الآخر فى أحيان أخرى وزائدا عليها فى أحيان ثالثة ، من ذلك مثلا ما زاد به دلينا على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال نقلا عن هيرودوت ان مدينة الفيوم كانت تسمى فى العصر الفرعونى مدينة التماسيح (٨٣٤) نظرا لأنها كانت مقرا لعبادة التماسيح ، ومنه أيضا ما ذكره بتلر بقوله « ان عمرا قضى فى غزوته للفيوم بضعة أسابيع أضاعها الروم ضياعا بل خسروا فيها خسارة كبرى وغنم فيها العرب غنما عظيما » (٨٣٥) ويستشتم مما ذكره بتلر حسرته على اضاعة الروم لفرصة هذه الأسابيع التى كان بإمكانهم خلالها - فى نظره - أن يحسنوا الاستعداد لملاقاة

عمرو أو ملاقاته تجريدته ظنا منه أنهم لو أحسنوا الاستعداد لأوقفوا
الفتح ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

هذا عن الفيوم كموقع وتاريخ وتسمية ، أما فيما يتعلق بها كمركز
صناعى فإن ما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يوضح أن المدينة كانت
مركزا من أهم المراكز الصناعية والحرفية منذ العصور اليونانية
والرومانية والبيزنطية ، يؤيد ذلك كثير من المخلقات الأثرية التى عثر
عليها فى مواقع مختلفة من الاقليم ، والتى تثبت أن مدينة الفيوم كانت
مركزا لعدة صناعات منها صناعة النسيج وصناعة الزجاج وصناعة الفخار
والخزف ، بالإضافة الى بعض الصناعات التى كانت تعتمد على منتجات
زراعية ولا سيما السكر والنبيد والزيت والعطور وتبييض الأرز والحصير .

(أ) صناعة النسيج :

يغلب على الظن أن مدينة الفيوم - طبقا لما جاء فى بعض المراجع
العربية - كانت منذ العصر البيزنطى مركزا لصناعة المنسوجات ولاسيما
الاقمشة الصوفية ذات الزخارف المنسوجة (٨٣٦) ، ورغم افتقارنا الى
الأدلة المادية الكافية فى هذا الصدد ، إلا أننا لا نستبعد ذلك لما كان
للفيوم من أهمية تاريخية وصناعية على مر العصور من ناحية ، ولأن هذه
الصناعة كانت من أكثر الصناعات انتشارا فى العصر البيزنطى ، وقد
سبق ترجيح قيامها فى مراكز أخرى أقل أهمية من الفيوم من ناحية
أخرى .

أما فى العصر الإسلامى فلدينا فى المصادر والمراجع من المعلومات
ما يكفى لتأكيد أن المدينة كانت خلال هذا العصر مركزا من مراكز هذه
الصناعة ، يدل على ذلك مما ورد فى المصادر العربية ما ذكره المقدسى
فى القرن (٤هـ / ١٠ م) بقوله « ومن الفيوم الأرز وكتان دون » (٨٣٧)
وهو نص وإن كان يعنى أولا أن منسوجات الفيوم الكتانية لم تكن على
قدر كاف من الجودة وحسن الصنعة ، وإن كان يعنى ثانيا أن ممارسة
هذه الصناعة فى المدينة كان حقيقة قائمة ، إلا أن المقدسى قد أصاب به
كبد الحقيقة ، لأن ما لدينا من أمثلة مادية مما يحتفظ به متحف الفن
الإسلامى بالقاهرة مما نسيج فى الفيوم ومما سنشير اليه بعد قليل يؤكد
صدق ما ذكره المقدسى فى هذا الشأن وإن اختلف ذلك مع ما أوردته
بعض المراجع العربية الحديثة (انظر شكل : ٨٤) .

والواقع أن ما ورد في المراجع العربية عن صناعة النسيج بالفيوم خلال العصر الاسلامي كثير ، ومنه ما أورد ذلك بشكل عام ، ومنه ما أوردته مرتبا بترتيب تاريخي ، ويفهم مما أوردته هذه المراجع عن منسوجات الفيوم الاسلامية بشكل عام أن المدينة كانت مركزا لصناعة الأقمشة الكتانية والستور الثمينة التي بلغ طول السمتر منها ثلاثين ذراعا بالإضافة الى أنها كانت مركزا لصناعة المنسوجات الصوفية وأقمشة الجوت وربما المنسوجات القطنية أيضا (٨٣٨) ، ويبدو في نظر بعض أصحاب هذه المراجع أن بعض هذه المنسوجات ولاسيما الكتان كان على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة حتى قيل أنه كان يصدر الى كثير من النواحي وربما وصل الى بلاد فارس (٨٣٩) . كذلك يبدو أن الفيوم كانت قد تخصصت خلال العصر الاسلامي في انتاج عبوات خاصة لتصدير السلع المحلية الى الخارج (٨٤٠) .

أما المراجع التي تكلمت عن صناعة النسيج في الفيوم بترتيب تاريخي فأقدمها ما يتعلق بالقرن (٤هـ / ١٠م) خلال العصر الفاطمي . حيث ورد أن المدينة كانت خلال هذا العصر مركزا لصناعة الكتان الذي كانت تعمل منه الأقمشة والستور الثمينة المشار اليها والتي بلغ طول السمتر منها ثلاثون ذراعا وبلغت قيمته ثلاثمائة دينار (٨٤١) ، أما علماء الحملة الفرنسية فقد أشاروا في « وصف مصر » الى أن المدينة كانت قد استخدمت كل المواد التي يمكن نسجها ، ومن ذلك القطن والكتان والصوف وأن عدد الأنوال التي كانت تعمل في حقول المنسوجات القطنية بمدينة الفيوم وحدها كان قد بلغ ما بين ثمانين الى مائة نول ، وأنه كان للنساجين في هذه المدينة - كما لطوائف الحرف الأخرى - شيخ خاص وكل اليه تحصيل الضريبة المفروضة على الطائفة ، ليس هذا فقط بل لقد ورد في هذا المرجع أن صناعة الشيلان البيضاء التي انتجتها ولاية الفيوم كادت تتركز في مدينة الفيوم ذاتها ، وقد بلغ انتشار هذه الصناعة هناك الى درجة أن القوافل التي كانت تسافر كل اسبوع الى القاهرة كانت تنقل معها قبل مجيء الحملة الفرنسية الى القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ما يبلغ في بعض الأحيان ألفين من هذه الشيلان (٨٤٢) أما على باشا مبارك فقد أشار في القرن (١٣هـ / ١٩م) الى أن مبيضة لأقمشة الكتان كانت قد عملت في المدينة على عهد محمد علي (٨٤٣) .

(ب) صناعة الزجاج :

لقد عثر في كرايس (وهي إحدى ضواحي مدينة الفيوم على ساحل بحيرة قارون) على كثير من القطع الزجاجية التي تثبت أن المدينة كانت

مركزا من مراكز هذه الصناعة خلال العصر الرومانى (٨٤٤) . أما فى
العصر الاسلامى فان ما لدينا من معلومات عن صناعة الزجاج فى الفيوم
يعد غير كاف الى حد كبير لأننا لم نجد من هذه المعلومات الا ما أوردته
بعض المراجع العربية الحديثة دون المصادر ، من ذلك مثلا ما ذكره
زكى حسن حين عد الفيوم من بين مراكز صناعة الزجاج الاسلامى حتى
العصر الفاطمى (٨٤٥) ومنه ما ذكره باحثون آخرون حين مدوا هذه
الصناعة بالمدينة حتى العصر المملوكى (٨٤٦) ورغم أننا لا نملك الأدلة
المادية أو التاريخية لاثبات هذا القول ، الا أننا لا نستطيع استبعاد
ما أشارت اليه كل هذه المراجع ، ومن ثم فان معلومات أخرى أكثر تحديدا
ولا سيما من المعثورات الأثرية لا زالت أمرا واردا عن هذه الصناعة بالفيوم
فى المستقبل .

(ج) صناعة الفخار والخزف

كانت صناعة الفخار والخزف من أهم الصناعات التى مورست فى
مدينة الفيوم منذ العصرين اليونانى والرومانى ، يدل على ذلك مما لا يزال
محفوظا فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية مجموعة من التراكوتا
والأواني والأطباق ذات الأشكال المختلفة عثر عليها فى بطن أهرى (٨٤٧)
أما فى العصر الاسلامى فقد تطورت هذه الصناعة فى المدينة كثيرا حتى
أصبح لها طراز خاصا سماه مؤرخو الفنون الاسلامية بطراز الفيوم (٨٤٨)
وهو طراز كان قد سجل فى المدينة لأول مرة قبل غيرها من المدن ، بدليل
العثور على بعض قطع من توالف أفرانه هناك ، وإن كان ذلك لا يمنع
من ممارسة انتاج هذا النوع من الفخار فى مراكز صناعية أخرى ولاسيما
الفيسطاط ، يؤكد ذلك مما لا يزال محفوظا فى متحف الفن الاسلامى
بالقاهرة مجموعة صحون وقدر من الخزف المعروف باسم خزف الفيوم
ذى الألوان المتعددة المرشوشة (٨٤٩) تؤرخ فيما بين القرنين (٣ - ٦ هـ /
٩ - ١٢ م) ومن هذا النوع صحن كبير (٨٥٠) يؤرخ بالقرن (٥ هـ / ١١ م)
عليه خطوط بالألوان الأبيض والأخضر والأصفر والمنجنيز (انظر شكل
٨٥) ويلاحظ على أطراف خطوطه سيولة حدثت نتيجة للوضع المائل
الذى كان عليه الصحن فى الفرن أثناء تثبيت الألوان على الطلاء
الزجاجى (٨٥١) .

صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

مما لا شك فيه أن اقليما زراعيا خصبا كالفيوم لا بد أنه كان
قد شهد قيام صناعات أخرى من تلك التى اعتمدت على الانتاج الزراعى
مثل صناعات السكر تبخير الأرز والنبيد والزيت والحصير ونحو

ذلك ، والغريب أنه لم يرد ذكر لهذه الصناعات فى المصادر العربية التى لم تكن تعنى - على ما يبدو - إلا بصناعة النسيج فى المقام الاول ، وكل ما وصلنا بشأنها إنما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة .

وقد ورد فيما يتعلق بصناعة السكر تببيض الأرز أن مدينة الفيوم كانت واحدة من المدن التى انتشرت فيها مطابخ السكر فى العصر الاسلامى مثل الفسطاط والمينا وغيرها ، نظراً لأنها كانت من بين البلدان التى كثرت فيها زراعة القصب (٨٥٢) ، كذلك فقد أشار المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) الى صناعة تببيض الأرز بالمدينة عندما قال - كما سبق القول - « ومن الفيوم الأرز وكتان دون » (٨٥٣) .

أما فيما يختص بصناعة النبيذ فقد ورد أن ولاية الفيوم كانت أكبر الولايات التى يصنع فيها النبيذ فى مصر ، نظراً لأنها اشتهرت على الدوام بزراعة الكروم ، ونظراً لأنها كانت موطناً لكثير من الأديرة المسيحية التى ذكرها أبو صالح الأرمنى بالاسم بما يؤكد أن هذا الأقليم كان يشتمل على ثلاثة وثلاثين ديراً (٨٥٤) ، ونحن نعرف أن صناعة النبيذ كانت من أبرز خصائص الأديرة المسيحية فى مصر بشكل عام ، يؤكد ذلك أن حديقة المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية تضم قطعاً من معصرة خشبية عثر عليها فى بطن أهرى لتقوم شاهداً ودليلاً على تلك الحقيقة الصناعية (٨٥٥) ، أما فى العصر الاسلامى فقد أفاض كتاب « وصف مصر » فى ذلك كثيراً وصفوة ما ذكر فى هذا الصدد أن حبات العنب كانت تهرس فى أوان فخارية اسطوانية الشكل ، بعد ذلك يوضع العنب المهروس فى أجولة من الصوف السميك ، ثم تعصر هذه الأجولة بشدة ويستقبل العصير الناتج منها فى أوان فخارية تترك من (٨ - ١٥) يوماً لتتخمر ، ثم يصب السائل المتخمر فى أنفورات كبيرة تدفن فى الأرض حتى رقبته وتغلق فتحتها بسدادة خشبية يحكم اقفالها بالجبس حتى يأتى دور استخدامها ، وقد أوضح الكتاب المشار اليه أنه لم يكن يستهلك نبيذ الفيوم عادة سوى الأقباط (٨٥٦) .

كذلك فقد جاء فى بعض المصادر والمراجع العربية أن الفيوم كانت تشتمل على عدة معاصر لاستخراج الزيت ، وبعض المحلات الخاصة بصناعة العطور ، يؤيد ذلك ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بشكل غير صريح عندما أشار الى المدينة وما كانت تتميز به من حرف وصناعات (٨٥٧) ، ويؤيده أيضاً ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال ان المدينة كانت تشتمل على عهد محمد على على بعض المحلات الخاصة باستخراج ماء الورد الذى لم يكن يباع منه

للناس الا الزائد ، بالاضافة الى بعض المعاصر الخاصة باستخراج زيت الزيتون (٨٥٨) .

أما صناعة الحصير في الفيوم فقد انحصرت معلوماتنا عنها بشكل أساسي فيما جاء في كتاب « وصف مصر » حيث قيل ان أغلى أنواع الحصير التي شاع استعمالها في المدن المصرية الكبرى خلال القرنين (١٨ - ١٩ م) كانت تصنع في قرية يقال لها طامية تقع بالقرب من بحيرة قارون عند بداية شعب يصل بينها وبين أهرام الجيزة ، ليس هذا فقط وإنما قيل أن القرية سالفة الذكر كانت تضم ما يقرب من الذي كانوا يحتاجون اليه كان يؤتى به من قرية لصق والبحيرة المشار الذي كانوا يحتاجون اليه كان يؤتى به من قرية لصق البحيرة المشار إليها تسمى الروضة (٨٥٩) .

٢ - بوصير :

البوصير لغة هي جنس من نباتات عشبية برية من فصيلة الخنازيريات يسمى أيضا آذان الدب ، وقد توالى الاشارات التاريخية الى بوصير كموقع وتاريخ في كثير من المصادر العربية اعتبارا من القرن (٣هـ / ٩م) ، وظلت هذه الاشارات تتوالى حتى القرن (١٠هـ / ١٦م) ، من ذلك ما ذكره ابن قتيبة في القرن (٣هـ / ٩م) حين قال « وخرج صالح بن علي بن عبد الله بن العباس في طلب مروان حتى لحقه في قرية من قرى الفيوم من أرض مصر يقال لها بوصير فقتله في ذي الحجة سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م » (٨٦٠) .

أما الاصطخري والمسعودي وابن حوقل فقد أشار كل منهم الى بوصير في القرن (٤هـ / ١٠م) حيث قال الاول « وبهذا الشامونين من شمال النيل مدينة صغيرة يقال لها بوصير بها قتل مروان بن محمد ، ويقال ان سمرة فرعون الذين حشرهم في يوم موسى من بوصير » (٨٦١) وكرر الثاني ما ذكره ابن قتيبة قبل ذلك فيما يتعلق بقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، الا أنه جعل مقتله على يد عبد الله بن علي بن العباس عم السفاح مختلفا في ذلك مع ابن قتيبة الذي جعله صالح بن علي ابن عبد الله (٨٦٢) ، كما كرر الثالث بالنص ما ذكره الاصطخري بالنسبة لموقع المدينة ومقتل مروان وسمرة فرعون (٨٦٣) .

كذلك فقد ذكرها ياقوت في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) وقال ان « بوصير اسم لأربع قرى بمصر منها بوصير قوريدس وهي التي قتل بها مروان بن محمد لسبع بقين من ذي الحجة سنة (١٣٢هـ) » (٨٦٤) .

ودكرها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) باسم « أبو صير قوريدس »
 بزيارة ألف على ما ذكرته المصادر السابقة وقال انها من المدن القديمة
 فى رأس الجبل المنسوب الى حاجر بنى سليمان وعبرتها ثلاثون ألف
 دينار وكانت على عهده جارية فى الديوان الشريف السلطاني (٨٦٥) ،
 وفيما ورد تعليقا على ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) نجد
 نفسيرا لما ذكره ياقوت من أن بوصير اسم لأربع قرى بمصر هى بوصير
 قوريدس ، وبوصير السدر (النبق) وهما من كورة الجيزة ، وبوصير
 دفلنو (دفنو) من كورة السمنودية (٨٦٦) .

هذا عن بوصير كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى
 فان ما لدينا من مادة تاريخية يحصر نشاطها فى صناعة النسيج فقط ،
 والواقع أنه يمكن القول مما أشارت اليه المصادر التاريخية أن صناعة
 النسيج فى بوصير كانت قد استمرت خلال العصر الاسلامى منذ القرن
 (٤ هـ / ١٠ م) حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ، يؤيد ذلك ما ذكره المقدسى
 فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « ومن بوصير الكتان الرفيع » (٨٦٧)
 والواقع أن وصف المقدسى لهذا الكتان بلفظة الرفيع انما يعنى أن
 منسوجاتها الكتانية كانت على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة ،
 ويؤيده أيضا ما أشار اليه ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) بقوله
 « ومنها بوصير قوريدس التى قتل بها مروان الحمار ويزرع بها الكتان
 الذى لا يخلو منه بلد من بلاد الاسلام والكفر (٨٦٨) » ويفهم مما أشار
 اليه ابن ظهيرة أن منسوجات بوصير الكتانية كانت تصدر الى كثير من
 بلدان العالم الاسلامية وغير الاسلامية ، وطبيعيا أن تكون جودتها وحسن
 صنعتها سببا مباشرا فى اكتسابها لهذه الاسواق (٨٦٩) .

وقد عثر أثناء بعض الحفائر الأثرية فى بوصير على مقبرة يقال انها
 كانت مدفن الخليفة الاموى مروان بن محمد وجد فيها ابريقا من المعدن
 يعد تحفة اسلامية رائعة حقا ، وهو ابريق لايزال محفوظا فى متحف
 الفن الاسلامى بالقاهرة ، وقد ذكرناه هنا من باب الذكر وليس من باب
 الصناعة لأنه من غير المعقول أن يكون هذا ابريق قد صنع فى
 بوصير (٨٧٠) (انظر شكل : ٨٦) .

٣ - مظهر :

نسب مؤرخو الفنون الاسلامية الى اقليم الفيوم مجموعة من
 المنسوجات الاسلامية التى ترجع الى عصر الانتقال فى القرنين (٣ - ٤ هـ /
 ٩ - ١٠ م) وقالوا ان هذه المجموعة النسيجية تتصف بعدم الدقة فى
 الزخرفة والبعد عن الذوق وجمال الصنعة ، لأن صناع هذا الاقليم كانوا

ينسجون فى الأقمشة أشرطة ليس فى زخارفها شىء اسلامى الطراز ،
فكانوا بذلك أقرب الصناعات فى مصر الاسلامية الى الاساليب القبطية
القديمة .

وهذا النوع من الأقمشة كان يصنع من الصوف أو من الصوف
والكتان معا وتعمل زخارفه فى حالة الأقمشة الكتانية بخيوط صوفية
منسوجة ، واشتملت هذه الزخارف على رسوم آدمية وأشكال حيوانيات
وطيور ذات طابع بدائى محور عن الطبيعة الى حد كبير ، وقد استلَب
هؤلاء المؤرخون ذلك النوع من النسيج الى اقليم الفيوم بسبب وجود
قطعة أثرية فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة عليها شريط أحمر فيه
رسوم ابل (جمال) محورة باللونين الأخضر والأبيض وتحت أشكال
هذه الابل نجد كتابة تقرأ منها « مما عمل فى طراز الخاصة بمطمر من
كورة الفيوم » (٨٧٦) (انظر شكل : ٨٧) .

والواقع أننى رغم ذلك النص الذى أجمعت عليه كل المراجع المشار
اليها لم أجد فيما أتيج لى الاطلاع عليه من كتب البلدان شيئا عن مطمر
هذه ، وكل ما وجد هو « مطمر » وهى ناحية بمركز البدارى مديرية
أسيوط (٨٧٢) وعلى ذلك فان تحقيقات مستقبلية عن هذا المركز لا زالت
متوقعة بالنفى أو الايجاب .

٤ - سنهور :

يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بقطعة من النسيج عبارة عن
شريط من جامات تضم رسوم طيور محورة عن الطبيعة وشريط آخر
يضم كتابة كوفية نصها : « هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت فى
شهر رجب الفرد بسنهور بالفيوم فى سنة ثمان وثمانين » (٨٧٣) (انظر
شكل : ٨٨) .

وقد بحثت فى كتب البلدان عن سنهور هذه فوجدت أن ابن حوقل
وقعها فى الرسم الذى وضعه لصورة مصر فى القرن (٤٠٠ هـ / ١٠ م) فى
الجزيرة التى بين شعبتى صا ومحلة ببيج فى اقليم الريف ، والمعروف
أنه قسم الوجه البحرى (أو أسفل الأرض) الى قسمين سمي أعلاهما
الحوف وسمى أسفلهما الريف (٨٧٤) ، وذكرها الادريسي فى القرنين
(٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) سنهور (بالسين) وصنهور (بالصاد) وقال
أنها قريبة من المحلة على بعد (٤٥) ميلا منها فى البرية (٨٧٥) ، أما
ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) فقد أشار اليها بقوله أنها
« بليدة قرب اسكندرية بينها وبين دمياط » (٨٧٦) وفى بند التنبيه

على 'أوجه التشابه والاختلاف في رسم أسماء المدن والقرى المصرية التي ذكرها ياقوت ، جاء في الطبعة المحققة لهذا المعجم أن « سنهور » موضعان بالغربية والبحيرة ، وبالصعيد قرية يقال لها سنهور فلا تغلطن فيها (٨٧٧) .

ومن هذا كله يتضح أن الموقف بالنسبة لهذه القطعة الأثرية ينحصر في أحد أمرين أولهما أن يكون اسم المركز سنهور وبذلك تكون تبعيته الإقليمية للوجه البحري أو أن يكون اسمه سنهور وتكون تبعيته بذلك للوجه القبلي ، ونحن في هذا لا نستطيع أن نرجح كفة أحد الاحتمالين على الآخر ، خاصة ونحن نعرف أن عملية التنقيط على حروف الكلمات العربية بما فيها أسماء المدن لم تكن قد اتخذت بعد ، ومن هنا يمكن القول بجواز أن يكون المركز سنهور أو سنهور .

١ - حواشي وتعليقات الفصل الأول

من الباب الثالث

الصعيد الأدنى

- ٧٦١ - البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٧٤٣ .
- ٧٦٢ - عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ١٧ .
- ٧٦٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٠٠ .
- ٧٦٤ - محمد رمزي : المرجع السابق : ج ١ ص : ٢٤ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٦٧٨ .
- ٧٦٥ - ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٦ .
- ٧٦٦ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ١ ص : ١٣٠ .
- ٧٦٧ - سورة يوسف : آية : ٣٠ .
- ٧٦٨ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ١٤ وانظر أيضا : محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ٣ ، قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ١٢٠ .
- ٧٦٩ - باهور لبیب : المرجع السابق : ص : ١٢ .
- ٧٧٠ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ١٤ .
- ٧٧١ - نفس المرجع : ج ٩ ص : ٩٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ١٤٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٤١٧ .
- ٧٧٢ - الكندي : المصدر السابق : ص : ٦٦ .
- ٧٧٣ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤١ .
- ٧٧٤ - المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص : ٥٦ ح ٤ .
- ٧٧٥ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٥١ .
- ٧٧٦ - ياقوت : المصدر السابق : ص ٨٤ وانظر أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ص : ١٩ ، ٢٤ .
- ٧٧٧ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص ٤٤٣ .
- ٧٧٨ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٥ .
- ٧٧٩ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦١ .
- ٧٨٠ - نفس المصدر : ص ٦١ ح ٢ .
- ٧٨١ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ١٠٢ وانظر أيضا : محمد

- رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ١٥٣ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٠٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٢٥٢ .
- ٧٨٢ - سعاد ماهر : الفن القبطى : ص ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ .
- ٧٨٣ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣١ .
- ٧٨٤ - الكندى : المصدر السابق : ص : ٦٨ .
- ٧٨٥ - محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٧٣ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ .
- ٧٨٦ - النيدة هى نوع من الفطائر كان يصنع بمنقلوط وغيرها من مدن الصعيد من القمح بعد تركه اياما فى الماء ثم يجفف ويطحن ثم يوضع تدريجيا فى اناء به ماء ساخن لينضج . راجع أيضا : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦١ ح ٣ .
- ٧٨٧ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ .
- ٧٨٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠٩ .
- ٧٨٩ - راجع فى ذلك أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٥٠ .
- ٧٩٠ - ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : ج ١ ص ٢٣٣ ح ٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ١٤٩ .
- ٧٩١ - عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
- ٧٩٢ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٧ .
- ٧٩٣ - ابن حوقل - المصدر السابق : ص ١٤٩ .
- ٧٩٤ - المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٢ .
- ٧٩٥ - الادريسي : المصدر السابق : ص ٤٦ .
- ٧٩٦ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ٢٢ .
- ٧٩٧ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٣ ص ص : ٢٩ - ٣٠ ، وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ١٦١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٣٤ .
- ٧٩٨ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ .
- ٧٩٩ - المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٢ .
- ٨٠٠ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٦ وراجع أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٣ ص ص : ٢٩ - ٣٠ .
- ٨٠١ - انظر فى ذلك : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٥٠ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٦ ، آدم متر : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٥١ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- ٨٠٢ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص ٣٣١ .
- ٨٠٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٥٩ .
- ٨٠٤ - عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٥٠ .
- ٨٠٥ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٨ .

- ٨٠٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص ٧٣ وانظر أيضا : محمد رمزي المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ٢٥٩ . قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٢٨٥ .
- ٨٠٧ - أنظر مثلا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى ص : ٤٥ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٢٨ .
- ٨٠٨ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٧ .
- ٨٠٩ - أنظر أيضا : سعاد ماهر : التنسيخ الاسلامى : ص : ٤٢ . خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٥٧ .
- ٨١٠ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص ص : ٣٣٠ - ٣٣١ .
- ٨١١ - الادريسي : المصدر السابق : ص ٥١ .
- ٨١٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص ٧٣ .
- ٨١٣ - الادريس : المصدر السابق : ص ٥١ .
- ٨١٤ - السيد الباز العرينى : الأيوبون : ص ص : ١٩٨ - ١٩٩ .
- ٨١٥ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٢٧ .
- ٨١٦ - الادريسي : نزهة المشتاق : ص : ٥١ .
- ٨١٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٢٥٠ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٣٥٦ .
- ٨١٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٢٥٠ وراجع أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
- ٨١٩ - الادريس : المصدر السابق : ص ص : ٥١ - ٥٢ .
- ٨٢٠ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ص : ١٢ - ٢٤ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة ص : ١٣٥٧ .
- ٨٢١ - البلاذرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٧٥٨ .
- ٨٢٢ - الكندى : المصدر السابق : ص : ٥١ .
- ٨٢٣ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٠ .
- ٨٢٤ - المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص : ٣٤٦ .
- ٨٢٥ - ابن حوقل : المصدر السابق ص ص : ١٣٨ ، ١٤٩ .
- ٨٢٦ - المسبحى : المصدر السابق : ج ١ ص ١٧ ح ٢ .
- ٨٢٧ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٤٦ - ١٤٨ .
- ٨٢٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ٢٨٦ .
- ٨٢٩ - القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .
- ٨٣٠ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٤٥١ .
- ٨٣١ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٠ .
- ٨٣٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ص : ٨٤ - ٩٤ ، وانظر أيضا محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٣ ص ٩٦٢ ، قاموس جغرافى للقطر

الصرى : ص : ٥٧٤ ، سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى :
ص ص : ٣٢٣ - ٣٤٩ .

٨٣٣ - الفريد بتلر : المرجع السابق : ص : ١٩٩ .

٨٣٤ - انظر أيضا : سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع
السابق : ص : ٥٣ .

٨٣٥ - المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ .

٨٣٦ - انظر فى ذلك أيضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، سعيد
عاشور : المرجع السابق : ص : ٣٤٤ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية
فى الشرق : ص ص : ١٣٥ - ١٣٦ .

٨٣٧ - انظر فى ذلك : أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٦ .

٨٣٨ - مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٥٠ .

٨٣٩ - انظر فى ذلك : آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥١ - ٣٥٢ .
محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ .

٨٤٠ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ١٩٩ - ٢٠٢ .

٨٤١ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ٩٠ .

٨٤٢ - C. F. B. : Harden : Roman glass from Karanis, An Arbor -
1936, Passin.

٨٤٣ - زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ - ٥٨٧ ، كنوز الفاطميين :
لنفس المؤلف ص : ١٨١ .

٨٤٤ - انظر : محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ص :
٣٠٨ - ٣٠٩ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (لنفس المؤلف) ص : ١٤٣ ، توفيق
عبد الجواد : المرجع السابق : ج ٣ ص : ٢٢٤ .

٨٤٥ - لازالت هذه التحف محفوظة فى الخزانين (A ؛ D) بالقاعة المخصصة
لهذه التحف .

انظر أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص : ٧٧ .

٨٤٦ - انظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٣٦٢ - ٣٨٠ ،
محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٤ .

٨٤٧ - هذه الصحن والقدر معروضة على الرفين الأوسط والأسفل بالخزانة رقم
(٦) فى القاعة رقم (١٣) من المتحف المشار اليه .

٨٤٨ - هذا الصحن مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٠٣٨) .

٨٤٩ - انظر أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق ص ص : ٧١ - ٧٢ .

٨٥٠ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٧٨ ، سعيد عاشور : المرجع السابق
ص ٣٤٤ .

٨٥١ - المقدسى : المصدر السابق ص ٢٠٣ .

٨٥٢ - أبو صالح الارمنى : كنائس وأديرة مصر (نشر : B.T.A. Evettes :
Fol. 18 a FF, 69 B. FF.

- ٨٥٣ - انظر أيضا هنري رياض : المرجع السابق ص ١٨٨ .
- ٨٥٤ - وصف مصر : ج ٣ ص ص : ٢٢٠ - ٢٢١ وانظر أيضا راشد الجراوى :
المرجع السابق : ص : ٣٨٣ .
- ٨٥٥ - ياقوت : المصدر السابق ج ٣ ص ٩٣٦ .
- ٨٥٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص : ٩٠ وانظر أيضا : سعيد
عاشور : المرجع السابق : ص : ٣٤٤ .
- ٨٥٧ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ٢١٢ - ٢١٥ .
- ٨٥٨ - ابن قتيبة : المعارف : ص : ٣٧٢ .
- ٨٥٩ - الاضطخري : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٨٦٠ - المسعودى : التنبيه والاشراف : ص : ٢٨٣ .
- ٨٦١ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٤٨ .
- ٨٦٢ - ياقوت : المصدر السابق ج ١ ص ٥٠٩ وانظر أيضا عبد العال الشامى :
المرجع السابق : ص ٢٤ .
- ٨٦٣ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ١ ص ١٣١ .
- ٨٦٤ - ابن ظهيرة : المصدر السابق ص : ٦١ ح ١ وانظر أيضا : محمد رمزى :
المرجع السابق مجلد ٣ ج ٢ ص ٣ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٠ ،
ص : ٢٥٥ .
- ٨٦٥ - المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٣ .
- ٨٦٦ - ابن ظهيرة : المصدر السابق ص : ٦١ .
- ٨٦٧ - انظر أيضا محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٧٣ .
- ٨٦٨ - هذا الابريق محفوظ فى الخزانة رقم (٢) بالقاعة رقم (٢) وانظر عنه
أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٩١ ، م . س . ديماند : المرجع السابق :
ص : ١٤٢ .
- ٨٦٩ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٩٠٦١) ومقاسها
(٢٧×٢٣سم) وانظر عن هذه القطعة بنفس النص المشار اليه : زكى محمد حسن :
فنون الاسلام : ص ٣٤٩ ولنفس المؤلف : كنوز الفاطميين : ص : ٣٨ ، اطلس الفنون
الزخرفية : شكل ٥٦٦ ص ١٨٦ ، حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٠ وانظر اشارة
أخرى الى نفس القطعة فى : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٨٢ ، م . س .
ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .
- ٨٧٠ - قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٧٤٣ .
- ٨٧١ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٨٤٦) ومصورة فى
زكى محمد حسن : الاطلس : ص : ١٨٤ (شكل ٥٥٩) .
- ٨٧٢ - ابن حوقل : المصدر السابق ص : ١٢٨ .
- ٨٧٣ - الادريس : المصدر السابق ص ١٥٨ .
- ٨٧٤ - ياقوت : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٩ .
- ٨٧٥ - عبد العال الشامى : المرجع السابق ص ١٤ .

الفصل الثاني

الصعيد الأوسط

ينحصر ما سنتحدث عنه في هذا الفصل من مراكز الصعيد الأوسط في محافظتين هما المنيا وأسيوط ، والواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية في هذا الصدد يوضح أن مراكز الصناعة بالمنيا كانت أكثر عددا وأوفر نشاطا من مثيلاتها في أسيوط وسنحاول فيما يلي توضيح موقف كل من المحافظتين فيما يتعلق بمراكزها وصناعاتها .

أولا : محافظة المنيا

لقد برزت في محافظة المنيا عدة مراكز صناعية هامة تمثلت في مدن الأشمونين والقيس والبهنسا وأنصنا وملوى ، وإن دلت كثرة هذه المراكز على شيء فأنما تدل على أن اقليم المنيا كان من أكثر أقاليم الصعيد نشاطا خلال العصر الاسلامي في مصر .

وعاصمة هذا الاقليم كما هو معروف هي مدينة المنيا ، وقد ذكرت في المصادر العربية كلها باسم « منية ابن خصيب » يدل على ذلك ما أشار اليه الادريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « ومن مدينة القيس الى منية ابن الخصيب وهي قرية عامرة حولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة وهي في الضفة الشرقية من النيل » (٨٧٨) وعلى الرغم من اشارة الادريسي اليها بصفة القرية إلا أن ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) قد ذكرها بصفة المدينة فقال « منية ابن الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى وفي قبلتها مقام ابراهيم عليه السلام » (٨٧٩) .

والواقع أن اختلاف الوصفين ولا سيما فيما يتعلق بالصفة الحضرية التي كانت عليها المنيا على عهد كل المؤرخين أمر ليس بمستغرب خاصة ونحن نعلم أن طبيعة التطور ليست ثابتة على مر الأيام ، فكم من بلاد تحضرت ثم تلاشت حضارتها ، وليس ببعيد أنها كانت قرية على عهد

الادريسي ثم تطورت وصارت مدينة على عهد ياقوت ، وهنا لا بد من الإشارة الى أن ياقوت كان قد جعلها فى الصعيد الأدنى ، وقد خالفناه فى ذلك احطارارا وجعلناها فى الصعيد الأوسط حتى لا يكون هناك تباين فى الكم بين الأبواب والفصول بعضها مع بعض ، وحتى نحدث قدر المستطاع نوعا من التوازن بين هذه الأبواب وتلك الفصول .

كذلك فقد أوردها المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ٤١ - ١٥ م) بصفة المدينة وبنفس التسمية المشار اليها ، وفسر ذلك بقوله « هذه المدينة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد (٨٨٠) » ، ثم كررت الموسوعة العربية ما ذكره المقرئى فيما يختص بتفسير التسمية الا أنها زادت عليه القول بأنها « مدينة بمصر الوسطى على الضفة الغربية للنيل اسمها القديم ثمونى ثم صارت عاصمة لمحافظة المنيا منذ سنة (١٨٣٣ م) (٨٨١) ، وقد ازدهرت باقليم المنيا عدة مراكز صناعية هامة هى الأشمونيين والقيس والبهنينا وأنصنا وملوى ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذه المراكز .

١ - الأشمونيين :

رغم اختلاف المؤرخين حول تسمية هذه المدينة ، فإنها قد نالت من اهتماماتهم حظا وافرا أثرى معرفتنا عنها بالكثير من المعلومات التى تواترت علينا فيما سجلوه عنها منذ القرن (٤ هـ / ١٠ م) وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده ، يدل على ذلك أنها وردت باسم الأشمونيين فيما ذكره كل من الأصبخري والمسبحى حيث أشار اليها الأول فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « وأما الأشمونيين فإنها مدينة صغيرة عامرة ذات نخيل وزروع » (٨٨٢) وحيث وردت فيما قيل تعليقا على إشارة المسبحى اليها بنفس التسمية فى القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) بأنها « من المدن المصرية القديمة وهى احدى بلاد مركز ملوى بمحافظة أسيوط (المنيا حاليا) غربى النيل » (٨٨٣) ، أما الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) فقد ذكرها باسم الأشمونى وقال « وهى مدينة صغيرة حسنة عامرة بها جنات وبساتين ونخيل وزروع » وأمامها من شمال النيل بوصير « (٨٨٤) وأوردها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) باسم « أشمون » وقال « وأهل مصر يقولون الأشمونيين وهى مدينة قديمة أزلية عامرة أهلة وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين ونخل كثير سميت باسم عامرها وهو أشمون ابن مصر بن بيسر بن حام بن نوح » (٨٨٥) وذكرها ابن بطوطة فى القرن

(٨ هـ / ١٤ م) باسم منية القائد حين قال « ومن دير الطين (دار السلام حاليا في الطريق الى حلوان) عبر النيل الى منية القائد وكانت مشهورة بالكتان شهرة عظيمة » (٨٨٦) وهنا تجب الإشارة الى أن ما ذكره ابن بطوطة في هذا النص لا يعنى بالضرورة مدينة المنيا ذاتها وانما يعنى ما اشتهر به الاقليم بصفة عامة من منسوجات نعرف أنها كانت تصنع في مدن عديدة منه ولا سيما الأشمونين .

ثم جاء المقرئى وابن دقماق في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وذكرها كل منهما بنفس التسمية التي أوردها كل من الاصطخرى والمسبحى فقال الأول ان « مدينة الأشمونين من أعظم مدن الصعيد يقال أنها من بناء أشمون بن مصر بن بئصر بن حام بن نوح عليه السلام . . . وكان ينزل بأرض الأشمونين عدة بطون من بني جعفر بن على بن أبى طالب رضى الله عنه » (٨٨٧) وقال الثانى ان « عبرة الأشمونيين (٢٥٠٠٠) ديناراً ومساحتها (٣١٢٦) قدانا ونهى من المدن القديمة التي غمرها أشموم ابن مصر » (٨٨٨) .

كذلك فقد جاء فيما قيل تعليقا على ما ذكره ابن ظهيرة عنها في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) باسم الأشمونين أنها كانت مركزا لعبادة الاله توت وأنها سميت قديما باسم « شمون » وكانت تقع على النيل تجاه مدينة أنصنا ورغم أنها قد اندثرت منذ زمن إلا أن مكانها لا يزال ظاهرة في التل الواقع بجوار بلدة الأشمونين الحالية بمركز ملوى بمحافظة المنيا (٨٨٩) .

ثم جاء على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩) وأفاض علينا ببعض المعلومات التاريخية عن هذه المدينة حين قال « انها اسم لمدينة كبيرة كثيرة الذكر في مؤلفات سير أخبار القبط ، وأنها كانت قاعدة للوجه القبلى تقع بين البحر اليوسفى والنيل يقال انها من بناء الملكة كليوباترا ، وكانت تسمى هرموبوليس أو مدينة ادريس عليه السلام (٨٩٠) ، ومن ذلك يتضح أنه اختلف في أصل بنائها مع ما ذكرته المصادر العربية فيما سبقت الإشارة اليه في هذا الصدد ولا سيما ما أورده كل من ياقوت والمقرئى وابن دقماق الذين جعلوا نسبة بنائها الى أشمون ابن مصر بن بئصر بن حام بن نوح ، أما في الموسوعة العربية فقد وردت المدينة بنفس التسمية وقيل انها « كانت عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم الصعيد ، عرفت في العصور القديمة باسم « شمون » ومعناه ثمانية العناصر الطبيعية التي قامت منها الحياة ، ثم سماها الاغريق هرموبوليس ماجنا نسبة الى معبودهم « توت » ولا زالت بها أطلال معابد من عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وكذا من عهد البطالة والرومان (٨٩١) » .

هذا عن الأشمونيين كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمرکز صناعی ، فإن ما لدينا من معلومات عنها فی هذا الصدد یثبت أنها كانت مرکزاً للعديد من الصناعات ولا سيما صناعات النسيج والزجاج والخزف والبردي .

(أ) صناعة النسيج :

يمكن القول فی ثقة واطمئنان أن مدينة الأشمونيين كانت خلال العصر الاسلامی مرکزاً لعمل المنسوجات الكتانية بشكل خاص ، یؤید ذلك مما ورد فی المصادر العربية ما أشار الیه فی القرن (٤هـ / ١٠م) كل من الاصطخری وابن حوقل حين قال الاول مقتضبا « . . . ويرتفع من الأشمونيين ثياب كثيرة » (٨٩٢) . وحين قال الثاني مفسرا « ويرتفع منها الكتان وثياب منه یجهز كثيرا الى مصر وغيرها » (٨٩٣) وفي هذا ما یعنی صراحة أن منسوجات الأشمونيين الكتانية كانت تفيض عن حاجة أسواقها المحلية حتی أنها لم تكن تحمل الى باقى الأسواق المصرية فقط وانما الى غيرها من الأسواق الخارجية ایضا .

كذلك فقد أشار الادريسی فی القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) الى ما كان يعمل فی مدينة الأشمونيين من منسوجات عندما قال « وهى مدينة صغيرة حسنة . . . تعمل بها ثياب معروفة » (٨٩٤) وربما یغنینا وصفه لهذه الثياب بلفظة « المعروفة » عن التعليق على شهرتها وسعة انتشارها وهو ما أكده ابن ظهيرة فی القرن (١٠ هـ / ١٦ م) بقوله « وما يعمل فيها من الأرز والكتان یحمل الى سائر الآفاق » (٨٩٥) وإذا كان ذلك یعنی صراحة أنها كانت تصدر الى الأسواق الخارجية فانه یعنی ضمنا أنها كانت حسنة الصنعة رفيعة الذوق ، ليس هذا فقط بل لقد أشار على باشا مبارك الى هذه المنسوجات ایضا عندما قال نقلا عن المقریزی « أنه كان يعمل فیها فرش القرمزى الذى يشبه الأرمنى ، وأنه كان یجلب منها للبلاد الأخرى (داخل وخارج مصر) مقدار كثير من هذه الثياب » (٨٩٦) .

ولم یقتصر ما ورد عن صناعة النسيج فی الأشمونيين على ما تسبقت الإشارة الیه من المصادر ذات الثقة وانما وصلتنا معلومات عنه ایضا فی كثير من المراجع العربية التى أجمعت على أن المدينة لم تكن مرکزاً لهذه الصناعة فی العصر البيزنطی فقط وانما احتفظت بتقاليدها الصناعية فی هذا المجال خلال العصور الاسلامية منذ عصر الاخشيديين وحتى عصرى

الأيوبيين والمماليك ، بدليل ما قيل في بعض هذه المراجع من أن المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية بما فيها الفرش الموشاة والبسط والستور كانت تصنع فيها خلال هذه العصور (٨٩٧) .

(ب) صناعة الزجاج :

رغم أن المصادر العربية لم تشر بشيء عن صناعة الزجاج في الأشمونين خلال العصور الإسلامية ، إلا أن كثيرا من المراجع العربية قد أجمعت على أن هذه المدينة كانت خلال العصور المشار إليها مركزا من مراكز هذه الصناعة في مصر ، يدل على ذلك ما ورد في بعض هذه المراجع من أن مراكز صناعة الزجاج المصري الإسلامي كانت تنحصر في القسطنطينية والفيوم والأشمونين والاسكندرية (٨٩٨) . وإذا كانت المراجع المشار إليها قد أوردت هذه الصناعة بين صناعات الأشمونين في العصر الإسلامي بصفة عامة دون تحديد ، إلا أنها قد وردت في بعض المراجع الأخرى بين أنشطة المدينة الصناعية فيما بين العصرين الفاطمي والمملوكي مروراً بطبيعة الحال بالعصر الأيوبي (٨٩٩) ، ومهما يكن من أمر فقد نسبت كل هذه المراجع تقدم الصناعة المشار إليها في الأشمونين إلى اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة بالعمل على تقدم الصناعة الإسلامية بصفة عامة ، وإنها كانت تمثل موردا هاما من موارد الدولة المالية .

(ج) صناعات الخزف والبردي والعملات :

الواقع أننا لا نملك أيضا فيما يتعلق بهذا الصناعات إلا ما جاء في بعض المراجع العربية الحديثة خاصة بها ، من ذلك مثلا ما ورد في أحد هذه المراجع من أن صناعة الخزف كانت من الصناعات التي شاعت في كثير من البلدان المصرية خلال العصر الإسلامي « ولا سيما في القسطنطينية والفيوم والأشمونين » (٩٠٠) ، وما جاء في بعضها الآخر من أنه قد عثر في خرائب الأشمونين وأكوامها على بعض قراطيس البردي وكثير من العملة (٩٠١) . وإذا جاز لنا التصديق بما ورد في هذه المراجع عن صناعات الخزف والبردي لما كان لهاتين الصناعتين من صفة الشيوع والذيع ، فإننا لا نستطيع التصديق بما ذهب إليه أحدهما خاصة بالعملات ، لأن وجود كثير من هذه المسكوكات في أطلال المدينة لا يعني أنها كانت تضرب فيها ، ونحن نعرف أولا أن العملة هي أسهل ما يمكن للإنسان حمله من مكان إلى مكان ، ونعرف ثانيا أنها من الأشياء التي لا يمكن لهذا الإنسان أن يستغنى عنها لأنها كانت ولا تزال أهم وسائله في الحصول على حاجاته ، يضاف إلى ذلك أن ما لدينا من معلومات تاريخية

ليس فيه ما يثبت أن المدينة كانت تشتمل خلال العصور المشار إليها على دار للضرب .

٣ - القيس :

القيس كما ورد تعليقا على اشارة المسيحي اليها في القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) هي « قرية بضعيد مصر تقع غربى النيل بمركز بنى مزار محافظة المنيا » (٩٠٣) ومع ذلك فقد ذكرها الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بصفة المدينة حين قال « وأما مدينة القيس التى على ضفة النيل وبغريه فهى مدينة قديمة حسنة البناء جميلة الجهات فيها قصب السكر الكثير وأنواع التمور والخيرات » (٤٩٠) وأشار اليها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بقوله « القيس مصدر قاس يقيس قيسا ، والقيس كورة كانت بمصر وقد خربت الآن قالوا سميت قيسا لأن فتحها كان على يد قيس بن الحارث المرادى فسميت به ، وكانت فى غربى النيل بعد الجيزة ، ثم أشار نقلا عن المدائنى الى أن دخل السلطان فيها قد قدر سنة (٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م) بخمسة عشر ألف دينار » (٩٠٤) .

كذلك فقد أشار اليها فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ٤١ - ١٥ م) كل من المقرئى وابن دقماق فقال الأول « اعلم ان القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيسن والبهنسا » ثم أشار نقلا عن ابن عبد الحكم مؤكدا بذلك ما ذكره ياقوت أيضا من أن عمرو بن العاص كان قد بعث قيسا بن الحارث الى الضعيد فسار حتى أتى القيس فبذل بها وبه سميت وقال « وآثارها الى الآن باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والواردة » (٩٠٥) ، وقال الثانى أن عبرتها وكفورها (١٥٠ ر ١٥٠) دينارا ومساحتها (١٤٨٢) فدانا وكرر ما ذكره كل من ابن عبد الحكم وياقوت والمقرئى فيما يختص بموضوع تسميتها (٩٠٦) .

أما القسم المنشور من أوراق البردى العربية فقد ورد فيه أن القيس كانت جاضرة الكورة المسماة بهذا الاسم فى صعيد مصر جنوب غربى مدينة بنى مزار (٩٠٧) ، ورغم ذلك فقد ذكرها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بصفة القرية وقال انها « قرية من مديرية المنية بمركز بنى مزار ، وكان لها ولاهناش فى الازمان القديمة حاكم واحد ، وكانت البلد القديمة تسمى قابيس ، وكانت ذات أسقفية وحفظت لها العرب اسمها القديم بتحزيف قليل » (٩٠٨) ثم عاد صاحب القاموس الجغرافى وذكرها بصفة المدينة وقال انها « مدينة فى مصر الوسطى وردت فى كتب

القبط باسم (Kies) ومنه اسمها العربى « القيس » التى بمركز
بنى مزار (٩٠٩) . ولا تعليق لدينا على ذلك سوى أن عملية التطور من
البدواة الى الحضارة أو التدهور من الحضارة الى البدواة هى عملية تتوقف
على كثير من الأسباب التى ربما كانت واردة فى عهد كل من هؤلاء .

وإذا ما انتقلنا من القيس كموقع وتاريخ وتسمية الى القيس كمركز
صناعى، فإن ما لدينا من أدلة مادية ثابتة ومعلومات تاريخية مؤكدة وردت
بشأنها فى كثير من المصادر والمراجع العربية يحصر نشاطها الصناعى
فى مجال النسيج فقط ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن
(٣ هـ / ٩ م) بقوله « وبها تعمل الثياب القيسية والأكسية الصوف
الجيد » (٩١٠) ومعنى ذلك أن منسوجاتها الكتانية والصوفية كانت على
درجة عالية من الجودة ، ويدل عليه أيضا . ما أشار اليه المقرئى فى
القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) بقوله فى موضع أنها « بلد تنسب اليها
الثياب القيسية » (٩١١) وفى موضع آخر بتفصيل أكثر يقول « ولهم
ثياب الصوف والأكسية المرعز ، وليس هى بالدنيا الا بمصر ، وذكر
بعض أهلها أن معاوية بن أبى سفيان لما كبر كان لا يدفأ ، فاجتمعوا على
أنه لا يدفيه الا الأكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلى غير
المصبوغ ، فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ، ولهم طراز
القيس والبهنسا فى الستور والمضارب ، يعرفون به ومنه طراز أهل
الدنيا » (٩١٢) ، ومن هذا النص الهام الذى ذكره المقرئى يمكن القول ان
القيس كانت تشتهر حتى عصره بعمل المنسوجات الصوفية التى سميت
بالمرعز العسلى غير المصبوغ بصفة خاصة ، الى جانب ما اشتهرت به أيضا
من الستور والمضارب التى كانت تعمل فى غالب الظن - من المنسوجات
الكتانية الرفيعة .

وحول الأنواع المشار اليها من منسوجات القيس وردت اشارة أخرى
فى الجزء المنشور من أوراق البردى العربية فقيلى ان القيس كانت تشتهر
بصناعة الثياب القيسية والأكسية الصوف (٩١٣) ، أما على باشا مبارك
فقد أشار فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الى القصة التى رواها المقرئى
فيما يتعلق بالأكسية الصوفية التى صنعت فى القيس لمعاوية بن أبى
سفيان الا أنه فسر الستور التى كانت تعمل فيها بالأبسطة وفسر
المضارب بالخيم (٩١٤) .

وقد تأكدت هذه المادة التاريخية التى وردت عن صناعة النسيج فى
القيس بقطعة أثرية لازالت محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة

عليها شريط من كتابة كوفية بسيطة في سطر واحد تقول انها صنعت في مدينة القيس سنة (١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) ، وينحصر هذا الشريط الكتابي بين أشرطة أخرى ذات زخارف نباتية وهندسية ، بالإضافة الى رسوم أسماك وطيور (٩١٥) ، والذي لا شك فيه أن هذه الزخارف ولا سيما أشكال الطيور والأسماك كانت ولا تزال من أهم العناصر الزخرفية القبطية ، وفي هذا ما يؤكد أن صناعة النسيج كانت قد تأسست في المدينة خلال العصر المسيحي .

ومع ذلك لم يقتصر ما ورد عن منسوجات القيس على ما جاء في المصادر العربية المشار اليها وما أكدته القطعة الأثرية السالفة التي لا زالت محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، وانما وردت عنها معلومات أخرى كثيرة في المراجع العربية الحديثة ، وقد أجمعت هذه المراجع على أن منسوجات القيس كانت تنحصر في الأقمشة الصوفية بشكل خاص وربما أضيفت اليها المنسوجات القطنية والكتانية بشكل عام (٩١٦) ، ويبدو - مما جاء في بعض هذه المراجع أيضا - أن صناعة النسيج ظلت قائمة في المدينة فيما بين العصرين الفاطمي والمملوكي (٩١٧) .

٣ - البهنسا :

لقنت البهنسا حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين العرب مثلها في ذلك مثل باقى المراكز الصناعية الهامة في مصر الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن أفاضت علينا هذه المصادر كثيرا من المعلومات فيما يتعلق بهذه المدينة كموقع وتاريخ أو فيما يتعلق بها كمركز من أهم مراكز صناعة النسيج المصرى الاسلامى .

ويأتى ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) على رأس من ذكروها كموقع وتاريخ حين قال « وبالفرفرون والبهنسا قصران لآل عبدون يليهما مساكن القلمون » . وبالبهنسة وببيخيط وبيريس قرى ظاهرة وباطنة « (٩١٨) وفي هذا ما يشير الى ما كان بالمدينة في القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى من أبنية وقصور ، كذلك فقد ذكرت فيما قيل تعليقا على ما أشار اليه المسبحى في القرنين (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) بأنها تقع الى الغرب من قرية القيس « (٩١٩) ، وفي هذا ما يشير الى تأثير كل مركز من هذين المركزين المتجاورين على الآخر في مجال الصناعة التي اشتهر بها كل منهما .

وقد زارها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) وقال « ثم سافرت
دنها (يقصد من ببا) الى مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة وبساتينها
كثيرة » (٩٢٠) ، وفى تلك الاشارة العابرة نجد أنه لم يعط البهنسا
صفة المدينة فقط وانما وصفها بالكبيرة ذات البساتين الكثيرة فاختلف
بذلك مع ما ذكره المسبحى قبله واتفق فيه مع ما ذكره المقرئى بعده فى
القرن (٩ هـ / ١٥ م) حيث وصفها الأخير بالمدينة وجعلها فى جهة الغرب
من النيل (٩٣١) .

أما ما قيل تعليقا على اشارة ابن ظهيرة اليها فى القرن (١٠ هـ /
١٦ م) فمؤداه أنها - كما قال المقرئى - فى جهة الغرب من النيل
بالصعيد الأدنى يضاف اليها كورة فيقال « كورة البهنسا » وفى سنة
(١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م) ضمت بلاد مركزى المنيا وأبو قرقاص تحت
اسم « مأوزية الأقاليم الوسطى » فأصبحت البهنسا بذلك قرية من قرى
مصر تابعة لمركز بنى مزار بمحافظة المنيا (٩٢٢) .

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) فزاد معرفتنا عن
هذه المدينة حين قال « انها بلدة مشهورة بالصعيد الأوسط بين منية
ابن خصيب وبنى سويف الى جهة الغرب (من النيل) كان يقال لها بجمج
أو بجمجة وهى كلمة قبطية تستعمل مفردة ومضافة الى كلمة اكسيرانيكوس ،
وقد خلفتها القرية الموجودة الآن باسمها على الشاطئ الغربى من بحر
يوسف من بلاد مديرية المنية بقسم الجرنوس » (٩٢٣) وفى تفسير آخر
لما ذكره على باشا مبارك يقول صاحب القاموس الجغرافى ان اسمها القبطى
(Pemze) وأن حرفا (dj) فى اللغة القبطية ينطقان بالعربية سينا
أو صادا فيقال « بمسية » ومنه اسمها العربى بهنسة الذى أضيفت اليه
بعد ذلك أداة التعريف فصارت البهنسة أو البهنسا ، وفى دفتر تعداد
(تاريخ) سنة ١٩٣٦ هـ « سميت بالبهنسا الغربية لوقوعها على الجانب
الغربى لبحر يوسف تجاء صندفا وأصبحت الفشن قاعدة لولاية
البهنسا » (٩٢٤) .

كذلك فقد ذكرت البهنسا فى الموسوعة العربية باضافات أخرى
مؤداه أنها بلدة بمركز بنى مزار بمحافظة المنيا كانت قديما عاصمة
للاقليم التاسع عشر من أقاليم الصعيد ومركزا لعبادة الاله « ست »
أسمها الاغريق سيرتكوس نسبة الى نوع من السمك المقدس وقد أوى
اليها (أى الى البهنسا) كثير من الرهبان أول أيام المسيحية وبلغ عددهم
فى ديورها عشرة آلاف وعدد الراهبات اثنى عشر ، التفت اليها التاريخ
فى أيام الاسلام وبخاصة زمن المماليك ، وقد عثر فى خرائبها على كثير

من قراطيس البردى منها المكتوب بالأرامية والاعريقية والعربية (٩٢٥) ،
ثم زاد على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) على كل ذلك بقوله
ان المدينة وقت فتح المسلمين بلاد مصر « كانت عالية الجدران حصينة
الأسوار وكان بها أبواب أربعة الى الجهات الأربعة » (٩٢٦) .

هذا عن البهنسا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى
فالواقع أن ما لدينا من المعلومات التاريخية التى وردت فى كثير من المصادر
والمراجع العربية وما تحتفظ به المتاحف من أدلة مادية تثبت بما لا يدع
مجالا للشك أن البهنسا كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى
مصر منذ العصر المسيحى طبقا لما ورد فى بعض المراجع العربية
الحديثة (٩٢٧) ، وخلال العصر الإسلامى منذ ما قبل القرن (٣ هـ / ٩ م)
وحتى ما بعد القرن (١٠ هـ / ١٦ م) تقريبا ، يدل على ذلك ما ذكره
اليقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال « وبها تعمل الستور
البهنسية » (٩٢٨) وما زاد به الكندى فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م)
يقوله « ولهم طراز البهنسا من الستور والمضارب ما يفوقون به طراز
أهل الدنيا » (٩٢٩) .

أما ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقد فصل كثيرا فى الحديث
عن منسوجات البهنسا حين قال « وتعمل بها الستور والاستبرقات » (٩٣٠)
والشرع (أشعة المراكب) والخيام والستائر والبسط والمضارب (٩٣١) ،
والفساطيط (الخيام) العظام بالصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل
(لا تتغير) وألوان تثبت فيها من صورة البقة الى الفيل (٩٣٢) ، ولم يزل
لأصحاب الطراز من خدم السلطان بها الخدم والأمناء ، وللتجار من أقطار
الأرض فى استعمال أغراضهم بها من الستور الطوال الثمينة التى طول
الستر من ثلاثين ذراعا الى ما زاد أو نقص مما قيمة الزوج منها ثلاثمائة
دينار » (٩٣٣) ولنا فى هذا النص البالغ الأهمية ما يكفى للوقوف على
كثير من جوانب صناعة النسيج الإسلامى فى البهنسا خلال القرن الرابع
الهجرى ، يستوى فى ذلك ما يختص بالأنواع المختلفة للمنسوجات التى
كانت تصنع فى المدينة من الصوف والكتان ، أو ما يتعلق بعملية صبغها
وتلوينها بألوان ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، أو ما يتصل بأشكال الزخرفة
التي كانت تنزين بها من رسوم الطيور والحيوانات ، وقد أوجز المقدسى
(وهو أحد معاصرى ابن حوقل) ذلك كله فقال « وتصنع ببهنسة الستور
والأنماط والكتان الرفيع » (٩٣٤) الذى كان يؤتى بخاماته من مزارع
بوصير .

ثم جاء الإدريسى فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) وفصل
فى الحديث عن منسوجات البهنسا كما فصل ابن حوقل ، الا أنه زاد عليه

فقال « وبهذه المدينة كانت والى الآن طرز ينسج بها للخاصة الستور المعروفة بالبهنسية والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبرة (الملونة) ، وبها طرز كثيرة للعامة يقيم بها التجار الستور الثمينة ، طول الستر منها ثلاثون ذراعا ، مما قيمة الزوج منها مائتا مثقال ولا يصنع فيها شيء من الستور والأكسية وسائر الثياب المتخذة من الصوف والقطن الا وفيها اسم الطرز المتخذة بها ، كانت من طرز الخاصة أو من طرز العامة ، سمة مكتوبة فعلها الجيل المتقدم وتبعهم على ذلك من خلفهم من الصناع الى حين وقتنا هذا ، وهذه الستور والفرش والأكسية مشهورة فى جميع الأرض » (٩٣٥) ومن هذا النص الذى يساوى فى الأهمية ما ذكره ابن حوقل ان لم يزد عليه يمكن التعرف فيما يتعلق بصناعة النسيج فى البهنسا ليس فقط على الأنواع المختلفة لهذه المنسوجات كما ذكرها ابن حوقل ، وانما التعرف أيضا على أن المدينة كانت تشتمل الى جانب مصانع طراز الخاصة على الكثير من مصانع طراز العامة ، وأن القطن كان يستخدم الى جانب ما ذكره ابن حوقل من الصوف والكتان كمادة لهذه المنسوجات ، وأن طرزا مكتوبة كانت تنقش بصيغتها المعروفة على كل ما يخرج من مصانع المدينة العامة والخاصة .

أما ابن ممتى وابن بطوطة فقد أشار كل منهما باقتضاب شديد الى طراز البهنسا حين ذكر الأول (ولم يزد) أن « بمصر طراز البهنسا » (٩٣٦) وحين قال الثانى فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) (ولم يفسر) أنه « تصنع بمدينة البهنسا ثياب الصوف الجيدة » (٩٣٧) ثم جاء المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وقال أن « بها تعمل الستور البهنسية ، وينسج المطرز والمقاطع السلطانية ، والمضارب الكبار والثياب المحبرة ، وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا ، وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب ، واذا صنع بها شيء من الستور والأكسية والثياب من الصوف أو القطن فلا بد أن يكون اسم المتخذ له مكتوبا . . على ذلك مضوا جيلا بعد جيل » (٩٣٨) وهو بهذا لا يختلف كثيرا عما ذكره ابن حوقل والادريسي ، بل لعله يكاد يكون تكرارا لما سبق لهذين المؤرخين قوله .

كذلك فقد أشار السيوطى وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) الى منسوجات البهنسا فقال الأول « وبالبهنسا الستور والبسط والمضارب والبراقع وستور النسوان والأكسية والطيالسة » (٩٣٩) وقال الثانى وبها (أى بالبهنسا) طراز الستور الذى يحمل الى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا رئيس » (٩٤٠) ومعنى ذلك أن هذه الستور أو الستائر كانت على قدر بالغ من جودة الصنعة وجمال الذوق حتى أنها كانت تتخذ سبائرا لمجالس الملوك والرؤساء .

أما على باشا مبارك فقد نقل في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) أثناء حديثه عن منسوجات البهنسا ما ذكره المقرئى بالنص سواء ما يتعلق بمسميات الأقمشة التى كانت تنسج فى المدينة وخاماتها ، أو ما يختص بأطوال ستورها وأثمانها ، أو ما يشير الى ما كان ينقش عليها من طرز كتابية (٩٤١) .

ولم يقتصر ما جاء عن صناعة النسيج فى البهنسا على ما سبقته الإشارة اليه من المصادر العربية ، وإنما ورد الحديث عن هذه المنسوجات أيضا فى كثير من المراجع العربية الحديثة . وكان من تلك المراجع ما أشار إليها كمنسوجات اسلامية بصفة عامة ، ومنها ما أوردها بترتيب تاريخى ، وصفوة ما ذكرته المراجع العربية فى هذا الصدد بصفة عامة أن مدينة البهنسا كانت قد اشتهرت فى العصر الاسلامى كمركز لصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية ، وأنه كانت تعمل من هذه الخامات الفرش الموشاة والبسط والستور ونحوها (٩٤٢) . كذلك كانت تعمل منها ملابس القضاة ورجال الدين التى سميت فى المصادر العربية باسم « الطيلسان » وهو ضرب من الأوشحة شبيها بالشال كان يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة (٩٤٣) ، وقد أخطأته بعض المراجع المشار إليها وسمته الأطلس (٩٤٤) .

أما المراجع العربية التى تكلمت عن منسوجات البهنسا بترتيب تاريخى فقد جعلت المدينة مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر منذ العصر البيزنطى وحتى العصر المملوكى مرورا - بطبيعة الحال - بالعصور الاخشيدية والفاطمية والأيوبية ، وخلاصة ما أورده هـذه المراجع لا يختلف كثيرا عما جاء فى مجموعة المراجع التى تكلمت عن هذه المنسوجات بصفة عامة ، سواء من حيث المواد الخام ممثلة فى القطن والصوف والكتان والحريير ، أو من حيث النوعيات النسيجية ممثلة فى المقاطع السلطانية والمطرزات والمشارب والشباب المحبرة والستور مما كان لا يخرج من مصانع العامة أو الخاصة الا وعليه طرازه المكتوب (٩٤٥) .

ورغم هذا الفيض الهائل من المعلومات التاريخية التى وردت فى المصادر والمراجع العربية عن منسوجات البهنسا ، فإن لدينا مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة قطعة من النسيج الطولونى عليها فى النصف العلوى جثامات تضم رسوم أرائب تتوسطها جامعة رئيسية نجد فيها رسما لرأس آدمى ، أما النصف السفلى فعليه شريط من كتابة كوفية بسيطة فى سطر واحد نقرأ فيها « مما عمل فى طراز الخاصة بمدينة البهنسى » (٩٤٦) (انظر شكل : ٨٩) ، وأخيرا فقد أشار زكى حسن الى

أنه عثر في البهنسا على كثير من التحف الزجاجية (٩٤٧) ، وان صمغ ذلك فانه يعنى أن المدينة كانت الى جانب صناعة النسيج مركزا لصناعة الزجاج الاسلامى ولا سيما فى العصر الفاطمى .

٤ - أنصنا :

الواقع أن أنصنا رغم تواضع مركزها الصناعى حتى اذا ما قيست بمراكز الصناعة الأخرى بذات الاقليم مثل الأشمونين والقيس والبهنسا ، إلا أنها لاقت من اهتمامات المؤرخين العرب حظا ان لم يزد فهو يتساوى مع ما لاقته المراكز الهامة المشار اليها ، وربما كان ذلك ليس لأنها كانت مركزا صناعيا ذا شأن مורست فيه حرف وصناعات شتى أكثر من أنها كانت إحدى المدائن التى جمع منها فرعون السحرة يوم لقاء موسى .

وقد توالى اشارات المؤرخين الى هذه المدينة اعتبارا من القرن (٤ هـ / ١٠ م) حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده ، حيث أوردها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فى الرسم الذى وضعه لصورة مصر على جانب النيل الأعلى من اليمين ، وجعلها بالتحديد بين أخميم وأتفيح من اقليم الصعيد (٩٤٨) . وذكرها الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « وهى مدينة قديمة البناء حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار ، وهى المشهورة بمدينة السحرة ، ومنها جلبهم فرعون فى يوم الموعد للقاء موسى النبى عم » (٩٤٩) .

كذلك فقد أشار اليها كل من ياقوت والقزوينى فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) فقال الأول أنها « مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقى النيل ، فيها برابى وآثار كثيرة » (٥٩٠) وقال الثانى أنها « مدينة قديمة على شرقى النيل بأرض مصر ثم قال (نقلا عن ابن الفقيه) أن أهلها مسخوا حجرا على أعمالهم فالرجل نائم مع زوجته والقصاب يقطع لحمه والمرأة تخمر عجينةا والصبى فى المهد والرغفان فى التنور » (٩٥١) ولا شك أن وصف ياقوت لهذه المدينة بالأزلية يدل بوضوح على أنها تضرب كثيرا فى عمق التاريخ ، وهو أمر لا غرابة فيه وقد كانت إحدى مدائن سحرة فرعون الذين جمعهم يوم لقاء موسى ، ولعله هو نفس السبب الذى جعل أهلها - ان صمغ ما ذكره القزوينى - مسوخا على حالهم .

أما المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) فقال أن مدينة أنصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة فى شرقى النيل يقال أن الذى بناها هو أشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح ، وأنها كانت

حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكة فيها عدة عجائب منها الملعب الذى يقال أنه كان مقياس النيل ، وأنه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر ثم أشار (نقلا عن البكرى) أن سحرة فرعون كانوا منها ، وأنها كانت كورة من كور مصر وأن مارية سرية النبى (ص) وأم ابنه ابراهيم كانت من قرية تابعة لهذه الكورة يقال لها جفن وأضاف على ذلك أنه كان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٩٥٢) . ثم قيل فيما ذكر تعليقا على اشارة ابن ظهيرة الى هذه المدينة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ، أنها كانت إحدى مدائن مصر القديمة وكورة من كورها بها قرية جفن التى منها مارية القبطية أم ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيد زمامها فى أوائل القرن (١٣ هـ / ١٩ م) باسم الشيخ عبادة ، ومكانها اليوم لأطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة (ربما تحريفا عن أنصنا) شرقى النيل بمركز ملوى بمحافظة المنيا (٩٥٣) . وزاد على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) على ما سبقت الاشارة اليه من معلومات عن مدينة أنصنا أنها كانت قاعدة الوجه القبلى الى أن بنى قيصر الروم تجاهها على النيل مدينة عظيمة سميت آنتنويه وهى أنصنا فكانت سببا فى انحطاطها (٩٥٤) .

هذا عن أنصنا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية ينحصر فيما وصلنا عنها فى هذا الصدد فى المصادر العربية فقط ، وهذه المعلومات رغم قلتها ورغم ما يبدو أنها فى حاجة الى مزيد من الأدلة الأخرى ، إلا أنها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن مدينة أنصنا كانت مركزا لفرعين من الصناعة هما أعواد السفن وطراز البردى أو النسيج .

يدل على ذلك فيما يختص بأعواد السفن ما ذكره ياقوت والقزوينى فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) من تفرد بها بصناعة شجر اللبخ ذى الأهمية فى مجال بناء السفن حين قال الأول « ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا ، وهو عود تنشر منه الألواح للسفن ، ويباع العود منها بخمسين دينارا أو نحوها (٩٥٥) . » وحين قال الثانى « وبأنصنا شجر اللبخ وهو عود ينشر لألواح السفينة . . . ولشجرته ثمرة تشبه البليح فى لونه وشكله وطعمه » (٩٥٦) ثم جاء المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وأكد بالنص ما ذكره من قبل كل من ياقوت والقزوينى رغم الخطأ غير المقصود الذى يبدو أنه وقع فيه فيما يختص بتسمية شجر أعواد هذه السفن حين قال « ولا ينبت النبق الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح للسفن ويباع اللوح منه بخمسين دينارا ونحوها (٩٥٧) . » وبنفس النص الذى أورده كل من ياقوت والقزوينى والمقرئى جاء ما ذكره على باشا

مبارك خاصا بهذه الأعواد فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الا أنه زاد علميه -
قوله « واذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الماء سنة التأمأ وصارا لوحا
واحدا » (٩٥٨) .

أما فيما يتعلق بطرازى البردى أو النسيج فى أنصنا ، فإننا لا نملك
دليلا على ذلك سوى ما جاء فى الجزء المنشور من أوراق البردى العربية -
خاصا بقطعة من البردى الجيد ترجع الى القرنين (٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م) .
مقاسها (١٠ر٥ × ٨ر١) سم ربما تكون قد اكتشفت كما قال المحقق .
فى الأشمونين ، على وجهها كتابة تتألف من أربعة أسطر نصها ١ - بسم
الله الرحمن الرحيم ٢ - قبض حسين بن يحنس من رماح بن يوسف
٣ - المتوكل بطراز أشمون وأنصنى ٤ - (٠٠) أرابى العباس أعزه
الله (٩٥٩) . ومن هذا النص الهام يتضح أنه كان هناك طرازا خاصا
بأشمون وأنصنى ، وأنه كان لهذين الطرازين فى القرنين (٢ - ٣ هـ /
٨ - ٩ م) متوكل واحد هو رماح بن يوسف ، ونظرا الى أن هذه البردية
لم تحدد نوعا للطراز المشار اليه ، فانه يمكن القول أن هذا الطراز اما أنه
كاو طرازا برديا واما أنه كان طرازا نسيجيا ، لا سيما وأن المصطلح -
كما نعرف - كان يطلق على كلتا الحالتين ، ولو أن الراجع فى ذلك أنه
أنه كان طراز بردى لا طراز نسيج لأنه لو كان طراز نسيج لوجدنا له
ولو اشارة فى أى من المصادر العربية الكثيرة التى سبقت الاشارة اليها .

٥ - ملوى :

ملوى أو منلوى كما وردت فى بعض المصادر العربية هى آخر مراكز
الصناعة التى نتحدث عنها فى محافظة المنيا وقد ذكرها ابن بطوطة فى
القرن (٨ هـ / ١٤ م) كموقع وتاريخ بقوله « وسافرت من منية ابن
خصيب الى مدينة منلوى وهى صغيرة مبنية على مسافة ميلين
من النيل (٩٦٠) وأشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩هـ/١٥م) حين
قال أن « مساحتها (٤٨٧٦) فدانا وهى جارية فى اقطاع الجناح السيفى .
أبو بكر بن سنقر الجمالى » (٩٦١) ، ثم أورها على باشا مبارك فى القرن .
(١٣ هـ / ١٩ م) بقوله أنها « مدينة قديمة بالصعيد الأوسط فى غربى
النيل قبلى مدينة أنصنا ، ذكر بعض المؤرخين أنها كانت تسمى صول ،
وفى خطط الفرنساوية أنها فى محل مدينة كانت تسمى قديما هرمبوليتا
فيلاس ، ثم سميت ملوى العريش ، وفى سنة (١٧٢٠ م) كانت هى .
مركز المديرية (٩٦٢) .

هذا فيما يتعلق بملوى كهو وقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى فان ما ورد بشأنها من معلومات فى هذا الصدد ليس بالكثير وينحصر أساسا فى صناعتى السكر والفخار والخزف ، وقد جاءت اشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) حين قال « وبهذه المدينة (ملوى) احدى عشرة معصرة للسكر ، ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها ، فيأتى الفقير بالخبزة الحارة وي طرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرًا فينصرف » (٩٦٣) ليس هذا فقط بل ان ما ذكره المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) من أن صناعة السكر كانت منتشرة فى أقاليم عديدة من مصر ومن بينها المنيا كان المقصود به فى شالب الظن مدينة ملوى (٩٦٤) . كذلك فقد وردت اشارات أخرى الى صناعة السكر فى ملوى منها ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال « وصار يزرع فيها قصب السكر كثيرا » (٩٦٥) ، ومنها ما أورده راشد البراوى بقوله « وكانت مراكز صناعة السكر منتشرة فى أنحاء البلاد ومنها القسوط والمنيا » (٩٦٦) وقد سبقنا الاشارة الى أنه أحيانا ما يلجأ المؤرخون ومن تبعهم من الكتاب الى ذكر الصنعة منسوبة الى عاصمة الاقليم وليس الى مركز صناعتها كما فى الحالة التى بين أيدينا ، وكما ورد مثلا فيما يختص بمنسوجات دبيق التى نسبت الى دمياط فقييل ومن دمياط الدبيقى ، والمعروف أن صناعة السكر كانت تمارس ولا سيما فى العصر المملوكى فى العديد من مدن الوجه القبلى الذى كان ولا يزال مليئا بمزارع قصب السكر ، خاصة وأن هذا العصر كان من أكثر العصور الإسلامية استعمالا للحلوى فى مناسباته العديدة ، الأمر الذى كان يعنى ضرورة توفر كميات كبيرة لهذه الاستخدمات التى كانت سببا فى أنه خصص لهذه الحلوى خلال الفترة المشار اليها سوقا سمي « بسوق الحلويين » كانت تباع فيه جميع أصناف الحلوى ، وقد أخبرنا المقرئى بكثير من التفاصيل عن هذا السوق وغيره من الأسواق فى الفصل الذى عقده لذلك من خطظه (٩٦٧) . فلا عجب إذن أن تكون ملوى واحدة من هذه البلاد التى مورست فيها صناعة السكر وفاء للحاجات الكثيرة التى تطلبتها مناسبات العصر المشار اليه .

أما عن صناعة الفخار والخزف ، فالواقع أنه ليست لدينا من المعلومات الدالة على ذلك سوى ما ورد فى كتاب « وصف مصر » حيث قيل فيه « ويوجد فى ملوى مصانع للجرار الكبيرة والآنية ، تشبه تلك التى تصنع فى ادفو ، والتى تستخدم فى تجهيز صبغة النيل والسكر ، والتى يستخدمها الصباغون والدباغون » (٩٦٨) .

ثانيا : محافظة أسيوط

رغم الأهمية التاريخية المعروفة لاقليم أسيوط ، الا أنه لم يكن فى العصر الاسلامى - على ما يبدو - على نفس القدر من الأهمية الحرفية والصناعية ، يؤيد ذلك أنه لم يشتمل من مراكز الصناعة الا على ثلاثة مراكز فقط تمثلت فى مدينة أسيوط ذاتها ثم فى مدينتى أخميم ومنفلوط .

١ - مدينة أسيوط :

لا شك أن ما نالته أسيوط من اهتمامات المؤرخين والباحثين كان سببا رئيسيا فيما وصلنا من معلومات تاريخية وافرة عن هذه المدينة سواء فيما يتعلق بها كموقع وتاريخ أو فيما يتعلق بها كمركز صناعى ، فقد ذكرها الكندى فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) بقوله انه « لما صورت الدنيا كلها للرشيد لم يستحسن الا كورة أسيوط . . ويزرع فيها الكتان والقمح والقرط وسائر أصناف الغلات » (٩٦٩) ووصفها الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « مدينة أسيوط على الضفة الغربية من النيل ، وهى مدينة كبيرة عامرة أهلة جامعة لضروب المحاسن ، كثيرة الجنات والبساتين » (٩٧٠) وأشار اليها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) حين قال مدينة فى غربى النيل من نواحي صعيد مصر وهى مدينة جليلة كبيرة كانت أحد متنزهات أبو الجيش خماروية بن أحمد بن طولون « (٩٧١) .

ثم كرر القزوينى فى القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) ما ذكره الادريسي وياقوت خاصا بموقع أسيوط فى غربى النيل ، وما ذكره الكندى خاصا باستحسان الرشيد لهذه الكورة دون سائر كور الأرض لكثرة ما بها من الحيرات والمتنزهات ، الا أنه زاد عليه أن فيها سبع وخمسون كنيسة للنصارى « (٩٧٢) وزارها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) وقال عنها باقتضاب شهيد « وسافرت الى أسيوط وهى مدينة رفيعة أسواقها بديعة » (٩٧٣) وهو وصف جميع مع اقتضابه فأوعى ، لأن قوله « وهى مدينة رفيعة » يدل على الرفعة والعظمة ، وفى هذا ما فيه من معان ، وقوله « أسواقها بديعة » يؤكد ليس فقط كفاية ما كان فى هذه الأسواق من سلع ومنتجات ، وانما جمال هذه السلع وتلك المنتجات أيضا .

كذلك فقد ذكرها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بقوله أنها مدينة الاقليم ، وبها سكن نائب الوجه القبلى ، وبها قاض مستقل ، وهى بين بحر النيل والجبل ، وبها عدة مدارس وجامع قديم (٩٧٤) ، ومعنى

ذلك انها كانت حاضرة اقليم أسيوط الذى اشتمل على قاض ونائب كان ينوب عن حاكم الصعيد الذى كان مقره قوص ، ونقل ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ما ذكره الكندى والقزوينى بالنص فيما يتعلق باستحسان الرشيد لكورة أسيوط دون سائر كور الأرض (٩٧٥) .

أما على باشا مبارك فقد زاد على كل ما ذكر فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال بأنها « مدينة مشهورة بالصعيد الأوسط غربى النيل ، واقعة فى آخر المزارع على طرف حاجر الجبل الغربى ، وكانت تسميها اليونان ليكوبوليس (أى مدينة الذئب) لأن أهلها كانوا يحترمون الذئب ويقدمونه ، وهى رأس مديرية تنسب اليها ، ومحل إقامة الحاكم ، ومركز من ينزل من مصر الى الصعيد من الأمراء » (٩٧٦) ثم جاء فى الموسوعة العربية أنها كانت فى أوائل القرن (١٣ هـ / ١٩ م) ولاية باسم الأشمونين ، وكانت عاصمتها ملوى (ثم) سميت مديرية أسيوط وأصبحت عاصمتها أسيوط (سنة) (١٨٢٦ م) « (٩٧٧) . هذا فيما يتعلق بأسيوط كموقع وتاريخ أما فيما يختص بها كمركز صناعى فإن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت بهذا الصدد فى كثير من المصادر والمراجع العربية يؤيد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه المدينة كانت مركزا للعديد من الحرف والصناعات ولا سيما صناعات النسيج والسجاد والصباغة والفخار والجلود والعاج والزجاج ، بالإضافة الى بعض الصناعات التى اعتمدت على المنتجات الزراعية مثل صناعة السكر والزيت والأفيون .

(أ) صناعة النسيج والصباغة :

يثبت ما لدينا من معلومات تاريخية أن مدينة أسيوط كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج فى مصر خلال العصر المسيحي ، يدل على ذلك أولا مكتشفات أثرية عثر عليها فى بعض المواقع بالاقليم ولا زالت محفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية ، ونعنى بذلك مجموعة النسيج القبطى ذات الألوان والتصميمات الزخرفية المختلفة التى عثر عليها (Al-Gayet) فى قرية الشيوخ عبادة ، والمنسوجة بطريقة التبطين من اللحمة التى أرجعت الى القرنين (٢ - ٣ م) (٩٧٨) ، ويدل عليه ثانيا ما ورد فى المراجع المشار اليها من أنها وأخميم كثيرا ما صدرتا الى بيزنطة والى روما نفائس المنسوجات الصوفية التى كانت تستعمل فى الكنائس والأديرة « (٩٧٩) .

أما فى العصر الإسلامى فإن لدينا من الأدلة التاريخية التى وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية ما يثبت أن هذه الصناعة كانت قد

تطورت فى المدينة خلال هذا العصر منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) الى أن وصلت الى درجة عالية من الجودة وحسن الذوق ، يدل على ذلك مما جاء فى المصادر العربية ما ذكره الكندى فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) من أنه كان « يزرع فيها الكتان والقمح وسائر أصناف الغلات » (٩٨٠) انما يعنى أن مادة منسوجاتها الكتانية الخام كانت متوفرة لديها مما كان يزرع فيها .

وبالإضافة الى ما ذكره الكندى خاصا بالمنسوجات الكتانية فى أسسيوط ، فقد ذكر ناصر خسرو فى القرن (١١ هـ / ١١ م) أنهم « ينسجون بأسسيوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لها فى العالم ، والصوف والدقيق الذى يصدر الى بلاد العجم والمسمى بالصوف المصرى كله من الصعيد الأعلى ، وقد رأيت فى أسسيوط فوطة صوف غنم كانت من الرقة بحيث تحسبها حريرا » (٩٨١) ، ونحن هنا ازاء نص بالغ الأهمية لأحد الذين شاهدوا منسوجات أسسيوط الصوفية ووصفوها من واقع رؤية عين ، نستنتج منه عدة حقائق هامة : أولا أنه لم يكن لهذه المنسوجات نظير فى العالم ، فكانت من ثم أحسن ما يعمل فى هذا الصدد وقتذاك ، وثانيها أنها كانت تصدر الى كافة أسواق بلاد العجم فشكلت بذلك أحد المصادر الهامة للدخل القومى ، وثالثها أن وصفه لركة المنشقة الصوفية حتى أنه حسنها حريرا فيه ما فيه من كل معانى الرقة والدقة والجودة والجمال .

ثم جاء ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) ولم يؤكد ما ذكره اليعقوبى قبله بثلاثة قرون من الزمان خاصا بالفرش الأرمينية فقط ، بل زاد عليه عندما قال « وبها مناسج الأرمنى والدبيقى والمثلث » (٩٨٢) ، وبحول نفس المعنى جاء ما ذكره القزوينى فى القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) بقوله « وبها مناسج الدبيقى والثياب اللطيفة التى لا يوجد مثلها فى شيء من البلاد » (٩٨٣) ، وما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) من أن « بها مناسج الأرمنى والدبيقى والمثلث وسائر أنواع الملبوس لا يخلو منه ملك اسلامى ولا جاهلى » (٩٨٤) ليس هذا فقط بل لقد ذكر على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) أن أغلب تجارة أسسيوط على عهده كانت « ثياب الكتان والنطرون » (٩٨٥) .

ومع ذلك فلم يقتصر ما جاء عن صناعة النسيج فى أسسيوط على كل ما سبقت الإشارة اليه من المصادر ، بل لقد وردت معلومات أخرى بشأنها فى كثير من المراجع العربية أيضا ، ومن هذه المراجع ما تكلم عن صناعة النسيج فى أسسيوط بصفة عامة ، ومنه ما تكلم عنها بترتيب تاريخى ،

ويفهم مما جاء في المراجع التي تكلمت عن هذه الصناعة في المدينة بصفة عامة أن أسيوط كانت خلال العصر الاسلامي مركزا لصناعة المنسوجات ولا سيما الصوفية والكتانية ، وأنه كانت تعمل من هذه المنسوجات الفرش المرشاة التي كانت تشبه الأرمينية والستور والبسط (٩٨٦) .

أما المراجع التي تكلمت عن صناعة النسيج في أسيوط بترتيب تاريخي فيفهم منها أن هذه الصناعة كانت تمارس في المدينة فيما بين العصرين الاخشيدى والمملوكى مرورا - بطبيعة الحال - بالعصرين الفاطمى والأيوبي ، وقد ورد في هذه المراجع أن أسيوط كانت خلال هذه العصور تشتهر بصناعة كافة أنواع المنسوجات (الكتانية والقطنية والصوفية والحريرية) ولكنها قد قصرت النوعين الأولين على العصر الاخشيدى وأضافت النوعين التاليين الى منسوجات المدينة في العصرين الفاطمى والمملوكى (٩٨٧) .

أما عن الصباغة وهى أهم الصناعات المرتبطة بصناعة النسيج في المدينة ، فانه لا يمكن اغفالها في هذا الصدد استنتاجا من النص الذى أشار فيه اليعقوبى في القرن (٣ هـ / ٩ م) صراحة الى أن منسوجات قرمزية كانت تصنع في أسيوط (٩٨٨) . ويزيدنا اقتناعا بما ذكره اليعقوبى ما وصلنا من معلومات أخرى عن هذه الصناعة في بعض المراجع العربية الحديثة ومنه يتضح أن المدينة كانت تشتهر منذ العصر الفاطمى وحتى العصر الاسلامى المتأخر بصباغة الأقمشة الكتانية والقطنية باللون الأزرق عن طريق استخدام صبغة النيل ، ويبدو أن سهولة الحصول على الشب والنيلة من الواحات المجاورة لمنطقة أسيوط كان قد ساعدها في ذلك كثيرا (٩٨٩) .

(ب) صناعة السجاد :

رغم كثرة ما ورد في المصادر العربية عن صناعة النسيج في أسيوط خلال العصر الاسلامى ، الا أن معلومات كافية لم ترد في هذه المصادر عن صناعة السجاد في المدينة خلال العصر المشار اليه ، وكل ما جاءنا في هذا الصدد ينحصر فيما ذكره اليعقوبى في القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله « وهى من عظام مدن الصعيد بها تعمل الفرش القرمز الذى يشبه الأرمنى » (٩٩٠) ، ووصف اليعقوبى لهذه الفرش بأنها تشبه الأرمينية انما يعنى أنها كانت - على ما يبدو - على قدر كبير من الرقة وحسن الصنعة .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة السجاد في أسيوط على ما ذكره

اليقوبى ، وانما وصلتنا معلومات أخرى عن هذه الصناعة فى المدينة إبان العصر الاسلامى من خلال ما سجلته بعض المراجع العربية الحديثة ، ومؤداه أن صناعة السجاد فى أسيوط كانت من الصناعات التى ازدهرت فى المدينة خلال العصر الفاطمى بشكل خاص (٩٩١) .

(ج) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات أسيوط التى اعتمدت على منتجات زراعية - كما قلنا - فى صناعات السكر والزيت والأفيون . وقد وردت الإشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره القزوينى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله فى « موضع » وكانت مراكز صناعة السكر منتشرة فى مختلف أنحاء البلاد ومنها القسوط والفيوم وترنوط وأسيوط (٩٩٣) وفيما أشار اليه فى موضع آخر أن بها (أى بأسيوط) سائر أنواع السكر ومنها يحمل الى جميع الدنيا (٩٩٣) ومن اشارته الأخيرة هذه يتضح أن سكر أسيوط كان يصدر الى جميع البلدان الداخلية والخارجية وهو ما يعنى أن هذه الصناعة لم تكن جيدة الانتاج فقط ، وانما كانت وافرة أيضا ، ثم نقلت بعض المراجع العربية الحديثة إشارة القزوينى عن صناعة السكر فى أسيوط بالنص مستدله بها على أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة خلال العصر الفاطمى (٩٩٤) . ومع أن هذا العصر كان قد انتهى كما نعلم تماما سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) ، أى خلال القرن (٦ هـ / ١٢ م) ، وإشارة القزوينى هذه ترجع الى القرن (٧ هـ / ١٣ م) ، إلا أن ذلك لا يمنع من أن الصناعة التى كانت قائمة فى المدينة خلال القرن السادس قد ظلت مستمرة فيها إبان القرن السابع أيضا .

أما عن صناعة الزيوت فى أسيوط فإن أقدم استدلال يخصها فى المصادر العربية هو ذلك الذى أورده ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال « وبها (أى أسيوط) الحس والسفرجل الذى يزيد على كل بلد فى كثرته وبهائه ، والليمون الذى يحمل الى سائر الديار ، والقرطم وسائر أنواع الغلات » (٩٩٥) ونحن نعلم أن صناعة الزيوت فى العصر الاسلامى كانت تشتمل من هذه الزيوت على زيت الحس وزيت القرطم وغيرها ، وهو استدلال أيده ما ذكره على باشا مبارك بعد ذلك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله « وبها (أى أسيوط) شتى معاصر الزيت » (٩٩٦) كما أيده ما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة عن صناعة الزيوت فى أسيوط خلال العصر المملوكى ، ومؤداه أن الخراب الذى عم المعاصر فى العصر المشار اليه لم يقتصر على المعاصر التى كانت تنتج السكر فقط ،

وانما شمل معاصر الزيوت أيضا ولا سيما « زيت اللفت والسمنسم اللذين كانا يزرعان في جرجا وأسيوط » (٩٩٧) .

وقد فصلت المادة التي وردت في كتاب « وصف مصر » عن هذه الصناعة كثيرا ، ويفهم مما جاء فيها أن الزيوت كانت تصنع في مصر حينذاك من بذور الخس والقرطم واللفت (السلجم) والكتان (السمنسم) وأن هذه الزيوت كانت تستخدم اما في تتبيل بعض المأكولات ، واما في انارة البيوت أو الشوارع وأن الناس في المنطقة الموازية لمصر (مصر العليا) كانوا لا يستخدمون في حياتهم سوى زيوت الخس والقرطم ، أما في مصر الوسطى والسفلى فانهم كانوا يستخدمون زيوت اللفت والسمنسم ، ليس هذا فقط بل لقد ورد في هذه المادة أن أردبا من بذور الخس كان ينتج (بلاصين) زنة كل منهما (٣٥) رطلا ، وأردبا من بذور القرطم كان ينتج (بلاصا ونصف) ، وأردبا من بذور اللفت (السلجم) كان ينتج (بلاصين) مثل الخس ، وأردبا من بذور الكتان كان ينتج (بلاصا) وثلاثة أرباع .

أما عن كيفية استخراج الزيت من بذور هذه النباتات فقد أوردت المادة المشار اليها أن هذه البذور كانت تجرش في البداية بين رحوين عاديين حتى تتحول الى برغل ، ثم ينقل هذا البرغل في مرحلة ثانية الى رحوين آخرين من الجرانيت يدوران عليه حول جذع شجرة عمودي حتى يتحول الى عجينة تبسط في مرحلة ثالثة بين حصر من سعف النخيل تسمى « أبراش » توضع بعضها فوق بعض حتى يصل عددها من (٨٠ - ٨٥ « برشا ») ترتفع الى حوالى مترين ، وبضغط مستمر على هذه الأبراش في مرحلة رابعة بواسطة رافعة معينة تتحرك حول نقطة ارتكاز قوية في أحد جدران المصنع وتحمل من طرفها الثانى حلزونا ثابتا يمر من خلاله لولب رأسى ينتهى بكتلة من الحجر تعلق به وتستخدم بمثابة مقاومة ترفع وتخفض حسب الحاجة بواسطة هذا اللولب فيسبيل الزيت المعصور بهذه الطريقة حول العمود لينتهى الى حفرة في أسفله ينزح منها بعد ذلك ويحفظ في جرار فخارية كبيرة ، وكانت معصرة الزيت بهذا الشكل هي أكثر الماكينات شيوعا في كافة أنحاء مصر ومنها عشرة في أسيوط (٩٩٨) .

أما عن صناعة الأفيون فان ما لدينا من معلومات تاريخية لم ترد عنها الا في مصدرين اثنين أولهما ما أشار اليه ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) حين قال أن « أسيوط من عمل مصر وبها يعمل الأفيون (حيث) يعتصر من ورق الخشخاش الاسود والخس ويحمل.

الى سائر الدنيا » (٩٩٩) وثانيهما ما ذكره القزويني في القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م) بقوله « وبها (أى أسيوط) الأفيون المصرى الذى يحمل الى سائر البلاد ، وهو عبارة عن عصارة ورق الخشخاش الاسود والخس » (١٠٠٠) ويتفق المصدران جملة وتفصيلا ليس فقط على كيفية عمل هذا الأفيون من عصارة ورق الخشخاش الأسود والخس ، وانما على أنه كان يحمل الى سائر بلاد الأرض أيضا ، وفى هذا ما يعنى أن انتاجه كان من الوفرة بحيث أنه كان يكفى للتصدير لكل هذه البلدان .

(د) صناعات أخرى متفرقة :

وآخر ما يمكن الاشارة اليه من صناعات أسيوط مما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة أن هذه المدينة كانت تنتج بالاضافة الى كل ما سبقته الاشارة اليه من حرفها وصناعاتها : من الفخار الأوعية الفخارية (ولا سيما حجارة الدخان وحجارة الحمام) ، ومن الجلود أطقم الخيل والزمزم وقرب الماء وأجربة السلاح ، ومن العاج الكاويات والضامات والفناجين ، ومن الزجاج مختلف التحف التى عشر على بقاياها فى المدينة (١٠٠١) .

٢ - أخميم :

نالت أخميم كغيرها من المراكز الصناعية الهامة فى مصر الاسلامية حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين والباحثين جعل ما وصلنا من معلومات تاريخية عن هذه المركز الهام يمتد من القرن (٣ هـ / ٩ م) حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده ، يستوى فى ذلك أيضا ما يتعلق بأخميم كموقع وتاريخ أو ما يتعلق بها كمركز صناعى .

فقد ذكرها البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله « بلد بصعيد مصر شمالي أسيوط » (١٠٠٢) وأشار اليها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « والبلينا وأخميم مدينتان متقاربتان فى العمارة صغيرتان عامرتان بالنخل والزروع وذو النون المصرى من أهل أخميم » (١٠٠٣) ووصفها الادريسي فى القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بقوله « ومدينة أخميم فى شرقى النيل وتبعد عنه نحو ميلين بها نخل كثير وقصب سكن ، وبمدينة أخميم البناء المسمى بربا وهو بيت بناء هرمس الأكبر قبيل الطوفان » (١٠٠٤) .

كذلك فقد ذكرها كل من القزويني وياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) فقال الأول أنها « بلدة صغيرة عامرة بالنخل والزروع على

النيل الشرقى . ينسب اليها أبو الفيض ذو النون المصرى .
الأخميمى « (١٠٠٥) وقال الثانى أنها بلد بالصعيد فى الاقليم الثانى .
وهو بلد قديم على شاطئ النيل ، وفى غربيه جبل صغير من أصغى اليه
بأذنه سمع خرير الماء . وبأخميم عجائب كثيرة ومنها البرابى وغيرها
والأكثر أنها بنيت فى أيام الملكة دلوكة صاحبة حائط العجوز ، وينسب
اليها ذو النون بن ابراهيم الأخميمى المصرى الزاهد « (١٠٠٦) .

أما ابن بطوطة والمقريزى وابن دقماق فقد أشار كل منهم الى أخميم
فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) حيث قال الأول « وسافرت منها
(أى من أسىوط) الى مدينة أخميم وهى مدينة عظيمة أصيلة البنيان
عجيبة الشأن « (١٠٠٧) وقال الثانى أنها « فى الجانب الشرقى من النيل
والذى بناها منافىوس أحد ملوك القبط الأول . وما زالت بربتها قائمة
الى سنة (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) فخر بها رجل من أهل أخميم . يقال
أنه كان بها اثنى عشر ألف عريف على السحرة « (١٠٠٨) وقال الثالث
أنها « بلدة فى شرقى النيل قديمة ، وهى مدينة الاقليم ، وكان مقام الوالى
بها لأنها كانت مفردة بالولاية ، والآن يسكنها نائب الوجه القبلى .
وجامع قديم وعدة مدارس وأسواق وقياسر وفنادق وغير ذلك « (١٠٠٩) .

ثم جاء السيوطى وابن ظهيرة فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م) .
فقال الأول نقلاً عن ابن عبد الحكم - أن أول من قاس النيل بمصر يوسف
عليه السلام ووضع مقياساً بمنف ، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبأ .
مقياساً بأنصنا ومقياساً بأخميم (١٠١٠) . وقال الثانى أنها « بلد عظيم
وفيه من العجائب والآثار والبرابى والطلسمات ما لا يعرف « (١٠١١) .

ومما ورد فى كل المصادر المشار اليها عن مدينة أخميم كموقع وتاريخ
يتضح أن صفوة ما ذكرته هذه المصادر ينحصر فى ثلاث نقاط : أولاها
أنها بلد بالصعيد شرقى النيل وقد اتفق فى ذلك كل المؤرخون الذين
تحدثوا عنها ، وثانيها بنسبة ذى النون الزاهد المصرى المعروف اليها
وقد اتفق فيها ما ذكره كل من ابن حوقل والقزوينى وياقوت ، وثالثها
نسبة هذه المدينة الى بانيها وهو أمر اختلف فيه كثيراً ، فبينما يفهم مما
ذكره كل من ياقوت والسيوطى على أنها من بناء دلوكة ابنة الزبأ صاحبة
حائط العجوز ، نجد أن ما ذكره الادريسى يشير الى أنها من بناء هرمس
الأكبر قبل الطوفان ، أما ما ذكره المقريزى فانه يوضح صراحة أنها من
بناء مناقىوس أحد ملوك القبط الأول .

ولم يقتصر ما ورد عن أخميم كموقع وتاريخ على ما ذكرته المصادر
السالفة الذكر ، وانما وصلتنا معلومات أخرى عن ذلك فى بعض المراجع .

العربية الحديثة التي يأتي على رأسها ما أورده على باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال « أخميم (بكسر الهمزة) بلد كبير من الصعيد الأوسط من أعلاه ، وهي من أسيوط على نحو مرحلتين ، وبها البرابا المشهورة وذو النون المصري كان من أخميم . . وكان اليونان يسمونها بانوبوليس وتعنى مدينة المقدس بان وهو اسم من أسماء الشمس على ما ذهب استرابون ، وبان هو شمس أوشيم المصري » (١٠١٢) ثم أضافت الموسوعة العربية الى معرفتنا هذه عن أخميم كموقع وتاريخ أن هذه المدينة تجاه سوهاج وهي مركز بمحافظة جرجا ، اسمها منحوت من اللغظين (حم - مين) أى معبد الاله مين ، كانت عاصمة للأقليم التاسع من أقاليم الصعيد واشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكبيرة . . وكانت في أول الفتح العربي عاصمة كورة منفصلة كما كانت من عهد الفاطميين الى زمن المماليك عاصمة إقليم الاخميمية » (١٠١٣) .

هذا عن أخميم كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعي فان ما لدينا من معلومات تاريخية في هذا الصدد يحصر صناعاتها في صناعة النسيج والسكر والجلود والزجاج .

(أ) صناعة النسيج :

مما لا شك فيه أن صناعة النسيج في أخميم كانت واحدة من بين أكثر صناعات النسيج في مصر شهرة الاطلاق ، تتساوى في ذلك مع مثيلاتها في تنيس وديبق ودمياط بالوجه البحري ، والقيس والبهنسا بالوجه القبلي ، وكان من نتائج هذه الشهرة أن نالت المدينة حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين والباحثين ، فوصل اليها معين زاخر من المعلومات الدالة على ما كانت عليه هذه الصناعة في المدينة خلال العصر الاسلامي .

ومما لدينا من معلومات في هذا الصدد يمكن القول في ثقة واطمئنان أن مدينة اخميم كانت مركزا لصناعة النسيج في مصر منذ العصر المسيحي ، يدل على ذلك أولا مكتشفات أثرية عشر عليها في المدينة أهمها مجموعة النسيج ذات الزخارف والألوان المختلفة التي لا زالت محفوظة في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية (١٠١٤) . ويدل عليه ثانيا ما ورد في كثير من المراجع العربية الحديثة دالا أولا على أنها اختصت خلال هذا العصر بانتاج الأقمشة الكتانية والصوفية على وجه الخصوص ، ومشيرا ثانيا الى أن هذه الأقمشة كانت تصدر الى روما وبيزنطة حيث كانت تحفظ كنفائس قيمة في الكنائس والأديرة (١٠١٥) . ليس هذا فقط بل لقد أشارت بعض هذه المراجع الى أن الحفائر التي قام بها فيرور (Ferror)

الفرنسي في بلدة اخميم قد دلت على أن الأقباط كانوا على علم باستعمال القوالب الخشبية المختلفة الأحجام في طباعة المنسوجات الكتانية ، ويرجع تاريخ بعض هذه القطع الى القرنين (٤ - ٥ م) ويحتوى بعضها على زخارف ذات أشكال هندسية ورموز وصور دينية كالصليب وصور القديسين (١٠١٦) .

أما في العصر الاسلامي فلدينا مما ورد في كثير من المصادر والمراجع العربية ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الصناعة كانت قد تطورت في المدينة حتى وصلت خلال هذا العصر الى درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة وجمال الذوق . يؤيد ذلك مما جاء في المصادر العربية ما ذكره في القرن (٣ هـ / ٩ م) كل من البلاذري واليعقوبى حين قال الأول « أنها مشهورة بعمل الملاءات القطنية والحريرية » (١٠١٧) وحين قال الثانى « وبها تعمل الفرش القطوع الأخممية » (١٠١٨) ، ويؤيده أيضا ما ذكره ابن حوقل في القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « وبها جهاز من الكتان المعمول شقة ومناديل الى الحجاز ومصر » (١٠١٩) ثم جاء المقرئى بعد ذلك بكثير في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) وقال « وكانت الأنطاع تجلب من أخميم وبها تعمل » (١٠٢٠) ، ومسع أن المقرئى قد اتفق مع ما ذكره اليعقوبى قبله فيما يختص بهذه الصناعة الا أنهما اختلفا في تسمية نوع النسيج الذى أشار كل منهما اليه ، فعلى حين سماه اليعقوبى « بالفرش القطوع » بالقاف نجد المقرئى يشير اليه باسم (الأنطاع جمع نطوع) بالنون ، وهى تسمية شاركة فيها أو نقلها عنه السيوطى في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال « وكان يعمل باخميم الفرش التى تسمى نطوع الحز » (١٠٢١) ، ويغلب على الظن أن ما أشار اليه اليعقوبى هو الصحيح لأن كلمة « قطوع » بالقاف جمع « مقطع » وهو لفظ يعبر عن طول معين لرداء واحد يقاس بالذراع ، وهو وحدة القياس التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت، أكثر من ذلك أن كلمة «مقطع» كانت ولا تزال مصطلحا يستعمل فى ريف مصر بهذا المعنى حتى يومنا هذا (١٠٢٢) .

أما ابن ظهيرة وهو أحد معاصرى السيوطى فقد فصل فى أمر منسوجات اخميم كثيرا حين قال « وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف ، والمطارف (١٠٢٣) ، والمطرز ، والمعلم الأبيض والملون ، تحمل منه الى أقصى البلاد ، يبلغ الثوب منه عشرين دينارا وكذلك المطرف » (١٩٢٤) ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) ونقل ما أشار اليه ابن ظهيرة عن منسوجات اخميم بالنص الا أنه زاد عليه قوله « وينسج بها اليوم (أى على عهده) الملاءات القطن وربما وضعوا فى جانبها الحرير بعرض

عشرة أصابع ٠٠ ومعاملها القديمة التي كان يصنع فيها أقمشة الكتان استبدلت بمعامل يصنع فيها أقمشة القطن » (١٠٢٥) .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة النسيج في أخميم على ما ذكرته المصادر المشار إليها ، وإنما وصلتنا معلومات أخرى عنها في كثير من المراجع العربية الحديثة التي انقسمت بشأنها قسمين تكلم الأول عنها في العصر الاسلامي بشكل عام وذكرها الثاني بترتيب تاريخي ، ويفهم من المراجع التي تكلمت عن صناعة النسيج في أخميم خلال العصر الاسلامي بشكل عام أن مصانع المدينة كانت تنتج خلال هذا العصر كل أنواع الأقمشة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، وأنه قد عثر في اطلال المدينة على بعض قطع من هذه المنسوجات (١٠٢٦) .

أما المراجع التي تكلمت عن صناعة النسيج في أخميم بترتيب تاريخي فإن صفوة ما أشارت إليه هذه المراجع يعنى أن صناعة النسيج كانت تمارس في المدينة منذ العصر المسيحي وحتى العصر المملوكي مروراً بالعصور الأموية والاختشيدية والفاطمية والأيوبية يؤيد ذلك ما ورد في بعض هذه المراجع خاصة بصناعة المنسوجات الحريرية ولا سيما القبطية المبطنة من اللحمة التي قيل أنه قد عثر على مجموعة كبيرة منها في المدينة رغم الاختلاف بين هذه المراجع على أصلها، وما ورد في بعضها الثاني أيضاً خاصة بالأقمشة الحريرية الاسلامية التي قيل أنها كانت توشى بالأسلاك الذهبية والفضية (١٠٢٧) ، ويؤيده كذلك ما ورد في بعضها الثالث خاصة بالأقمشة الكتانية والصوفية التي قيل بأنها كانت من بين انتاج مدينة أخميم منذ عصر الأخشيدين وحتى عصر المماليك (١٠٢٨) .

(ب) صناعة السكر :

الواقع أننا لم نجد في المصادر العربية التي أشارت الى صناعة النسيج في أخميم رغم كثرتها شيئاً عن هذه الصناعة ، وبذلك فقد انحصرت معلوماتنا عنها فيما ورد في بعض المراجع العربية الحديثة فقط ، وأعنى بذلك كتابين أولهما كتاب يتحدث عن حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين وثانيهما كتاب « وصف مصر » الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي . وقد ورد في الكتاب الأول أن صناعة السكر كانت من بين صناعات المدينة على عهد الفاطميين (١٠٢٩) ، أما الكتاب الثاني فقد فصل كثيراً في كيفية عمل هذه الصناعة ، وصفوة ما ذكر فيه أن مصنع السكر كان عادة ما يبنى على هيئة فناء مستطيل أبعاده (٤٠ x ٢٠) متر ، في طرف منه باب

يؤدى الى فناء صغير ، وفى نهايته مخزن لأعواد القصب تجرد فيه من أوراقها بمعرفة النساء والأطفال ، ثم تنقل بعد جردها الى مبنى آخر ينقسم الى قسمين بواسطة حاجز (قطوع) فى منتصفه يضم كل قسم منها معصرة عبارة عن اسطوانتين من الخشب مثبتتين بشكل أفقى تدوران فى اتجاهين متضادين بواسطة ترس يحركه مدار يعلق به ثور ، فتدخل أعواد القصب فيما بين الاسطوانتين ويستقبل العصير الناتج من هذه العملية فى آنية كبيرة من الفخار مدفونة أسفل المعصرة .

وينتقل العصير بعد ذلك الى قسم آخر من أقسام المصنع حيث يصب هناك فى جرار فخارية أخرى ، ثم يمضى الى مرآجل من نحاس مبنية فوق مرآجل أخرى من الطوب يغلى فيها العصير غليته الأولى لمدة ساعة تقريبا ، وبعد أن يزال زبد العصير ينقل الى جرار أخرى وهكذا حتى يصب العصير المصفى آخر الأمر فى قوالب مخروطية الشكل «أقماع» توضع فى ممر مسقوف وقمتها الى أسفل حتى يتم تصفيتها لبعض الوقت ثم تمضى بعد ذلك الى مكمر أو محمى لتكتسب درجة الصلابة اللازمة ، وكان من المعتاد حينئذ أن يوضع فوق قاعدة هذه القوالب المخروطية بعض من الصلصال أو الطمى الرطب فتمر المياه التى يحتويها الصلصال أو الطمى خلال السكر فتنقيه (١٠٣٠) .

(ج) صناعتا الجلود والزجاج :

لم يصلنا من المعلومات التاريخية خاصا بهاتين الصناعتين فى أخميم إلا ما ورد عن أولاهما فيما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣هـ / ٩م) بقوله « وبها تعمل الجلود الأخميمية » (١٠٣١) وهذه وإن كانت اشارة من مصدر من المصادر العربية التى لا نستطيع استبعادها أو تجاهلها خاصة وأن تسمية اليعقوبى لها « بالجلود الأخميمية » قياسا على ما سبقته الاشارة اليه من « اللجم الدلاصية » انما يعنى أنها كانت على درجة عالية من الجودة وذات مواصفات خاصة بحيث أنها عرفت فى المصادر العربية باسم المركز الذى أنتجها ، الا أنه لم يوضح لنا نوع هذه الجلود الاخميمية ، ومع ذلك فانه اذا جاز لنا القول أنها كانت فى غالب الظن شبيهة بتلك التى كانت تعمل فى دلاص ، فإن ذلك معناه أن انتاج هذه الصناعة كان عبارة عن اللجم والسروج والأحزمة والزمائم وأجربة السلاح وما شابه ذلك ، أما ثابتيهما فلم يرد لها ذكر الا فيما سجله زكى حسن من أنه قد عثر فى المدينة على بقايا تحف زجاجية (١٠٣٢) ، وهو أمر يعنى ان صبح أن هذه الصناعة كانت من بين أنشطة اخميم خلال العصر الفاطمى بشكل خاص .

٣ - مراكز أخرى متفرقة بالاقليم :

ينحصر آخر ما سنشير اليه فى هذا الفصل من مراكز الصناعة فى اقليم أسيوط فى بعض المراكز الصغيرة المتفرقة ولا سيما منفلوط والعزم وسنبو ، والحقيقة أن ما وصلنا من معلومات تاريخية عن هذه المراكز ليس بالكثير ، وأهمه ما ورد عن منفلوط كموقع وتاريخ فى بعض المصادر والمراجع العربية ، ومنه ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) بقوله أنها « بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد » (١٠٣٣) وما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) بقوله « وسافرت من منلوى المذكورة الى مدينة منفلوط وهى مدينة حسنة رواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة » (١٠٣٤) وما جاء فى الموسوعة العربية من القول بأن الكاتب العربى المشهور مصطفى لطفى المنفلوطى (١٨٧٦ - ١٩٢٤ م) ولد بمنفلوط بصعيد مصر (١٠٣٥) .

أما ما جاء عن منفلوط كمركز صناعى فانه ينحصر أيضا فى قليل من المعلومات التى وصلتنا فى بعض المصادر والمراجع العربية مشيرة الى أن هذه المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات الصغيرة ولا سيما صناعات النيدة والفخار ، يدل على ذلك ما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) بقوله « ويصنع بهذه المدينة (منفلوط) شبه العسل يستخرجونه من القمح ويسمونه النيدا ويبيع بأسواق مصر » (١٠٣٦) ويدل عليه أيضا ما جاء فى كتاب وصف مصر من أنه « يوجد فى ملوى ومنفلوط مصانع للجرار الكبيرة والآنية تشبه تلك التى تصنع فى ادفو والتى تستخدم فى تجهيز صبغة النيل والسكر والتى يستخدمها الصباغون والديباغون » (١٠٣٧) وربما يلتقى ما ورد فى الموسوعة العربية من أن منفلوط « تشتهر بالرمان فى غرب النيل » (١٠٣٨) مع ما جاء فى وصف مصر من حيث الجوهر ، ونحن نعرف أن قشر الرمان كان من بين الخامات التى تستخرج منها مواد الصباغة فى العصور الوسطى ، واشتهار المدينة بالرمان كما ذكر فى الموسوعة العربية من ناحية ، وبصناعة الجرار الكبيرة التى كانت تستخدم فى تجهيز الصبغة كما جاء فى وصف مصر من ناحية أخرى ، هما معنيان قد يلتقيان فى اثبات أن كلتا الصنعتين كانتا تمارسان فى المدينة خلال العصور الاسلامية المتأخرة على الأقل .

أما فيما يختص ببلدة العزم القريبة من أسيوط فليس بين أيدينا من المعلومات التاريخية عنها فى هذا الصدد الا ما أشير اليه فى بعض المراجع العربية الحديثة من أنه قد عثر فيها على قطع كثيرة من المنسوجات المصرية الاسلامية ، وأن شهرتها فى هذا المجال كانت قد انحصرت -

على ما يبدو - فى نسيج الأقمشة الصوفية والكتانية (١٠٣٩) ، ومع ذلك فإن معلومات أخرى أكثر وضوحا وتحديدًا لا زالت منتظرة عن هذا المركز فى المستقبل لأن ما ورد بصمدده فى المراجع المشار إليها يحتاج حتما الى ما يؤكده من المصادر العربية أو من الأدلة الأثرية المادية .

ثم هناك أخيرا بلدة سنبلو وهى كما ذكرها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بلدة من قسم منفلوط بمديرية أسيوط غربى الترعة الإبراهيمية ، وهى واقعة فوق تلّول قديمة بحرى القوصية وقبلى دروط الشريف . وبها معاصر لزيت البذر وزيت السلجم (اللفت) وفاخورة وأسقف وقلاية « (١٠٤٠) وقد سبقنا الإشارة عند الحديث عن مراكز الوجه القبلى الى مركز صغير آخر بنفس التسمية فى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، ومع ذلك فأننا لم نستطع تجاهل هذه الإشارة التى أوردها على باشا مبارك والتى توضح أن هذه البلدة كانت مركزا لصناعة الزيوت والفخار ، فقد تساعد الظروف باحثا آخر فى الحصول على أكثر من المعلومات الواردة هنا عن هذا المركز فتعم بها حينئذ الفائدة ويزيد النفع .

٢ - حواشي وتعليقات الفصل الثاني

من الباب الثالث

الصعيد الأوسط

- ٨٧٦ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ .
- ٨٧٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ٢١٨ .
- ٨٧٨ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٨٥ .
- ٨٧٩ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٣ وأنظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري ص : ٧٦٣ .
- ٨٨٠ - الاصطخري : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٨٨١ - المسبجى : المصدر السابق : ج ١ ص ٨٢ ح ٦ .
- ٨٨٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ .
- ٨٨٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٠ .
- ٨٨٤ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٤ .
- ٨٨٥ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص ٤٤٦ .
- ٨٨٦ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم : ٢ ص : ١٥ .
- ٨٨٧ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ ح ١ .
- ٨٨٨ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٧٤ - ٧٥ .
- ٨٨٩ - الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٦٧ وأنظر أيضا : محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٤ ج ٢ ص ٥٩ ، قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ٩٠ .
- ٨٩٠ - الاصطخري : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٨٩١ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ .
- ٨٩٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ .
- ٨٩٣ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ .
- ٨٩٤ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ٧٤ .
- ٨٩٥ - من هذه المراجع مثلا : سعاد ماهر : الفن القبطي : ص ٤٥ ، النسيج الاسلامي (لنفس المؤلف) ص ٤٢ ، سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين : ص : ١٩٧ - ٢٠٠ ، م . س . ديماند : المرجع السابق ص : ٢٥٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٧٣ .

- مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ص :
٢٥٣ - ٢٥٤ .
- ٨٩٦ - أنظر مثلا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ - ٥٨٧ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٤ .
- ٨٩٧ - أنظر مثلا : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .
- ٨٩٨ - محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٤ .
- ٨٩٩ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٧ .
- ٩٠٠ - المسبحى : المصدر السابق ج ١ ص ٥٦ ح ٢ .
- ٩٠١ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ .
- ٩٠٢ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ٤٢٢ .
- ٩٠٣ - المقرئى : الخطط ج ١ ص ص : ٣٣٩ ، ٣٨٣ .
- ٩٠٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٤ .
- ٩٠٥ - أدولف جروهمان : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٥١ .
- ٩٠٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص : ١٤٢ .
- ٩٠٧ - محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ٢١٤ وأنظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٥٩٤ .
- ٩٠٨ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص ٣٣١ .
- ٩٠٩ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٣٩ .
- ٩١٠ - نفس المصدر : ج ١ ص : ٣٨٣ .
- ٩١١ - أدولف جروهمان : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٥١ .
- ٩١٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ١٤٢ .
- ٩١٣ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٤٤٧٣) وموجودة على الجانب الأيمن من اللوحة رقم (٤) بالقاعة رقم (١٧) .
- ٩١٤ - انظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٧٣ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٧ .
- ٩١٥ - انظر فى ذلك : محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص ١٩٨ ، دولة بنى قلاوون فى مصر (لنفس المؤلف) ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٣٧ .
- ٩١٦ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٥ .
- ٩١٧ - المسبحى : المصدر السابق ج ١ ص ٥٦ ح ٣ .
- ٩١٨ - ابن بطوطه : المصدر السابق ص ٤٧ .
- ٩١٩ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٤٤٣ .
- ٩٢٠ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦١ .
- ٩٢١ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٢ .

- ٩٢٢ - محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ١١١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٤٧ وانظر أيضا عن المعنى اللغوى لكلمة « بهنسة » (بهنس بهنسه فى مشيه أي تبختر) لاروس : ص ٢٥٤ .
- ٩٢٣ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٤١٩ .
- ٩٢٤ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٢ .
- ٩٢٥ - رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ .
- ٩٢٦ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٥٣ .
- ٩٢٧ - الكندى : المصدر السابق ص ص ٢٤ ، ٦٨ .
- ٩٢٨ - الاستبرق : فارسى معرب وهو الديباج الغليظ أو النسيج من الحرير يعمل بخيوط الذهب ، وهو أيضا الثوب الضيق من الحرير . راجع : لاروس : ص ٧٦ .
- ٩٢٩ - المضارب : اذا كانت جمع مضرب فهي من البسط ونحوها الممتنة بكثرة التخييط واذا كانت جمع مضربة فهي كساء ذو طاقين بينهما قطن . راجع لاروس : ص : ١١٢٥ .
- ٩٣٠ - البقة : نوع من بقر الوحش كبير جدا والبقة واحدة البق . راجع : لاروس : ص : ١١٢٥ .
- ٩٣١ - بن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ .
- ٩٣٢ - المقدسى : المصدر السابق ص : ٢٠٢ .
- ٩٣٣ - الادريسي : المصدر السابق ص ص : ٥٠ - ٥١ .
- ٩٣٤ - ابن دقماق : المصدر السابق ص : ٨١ .
- ٩٣٥ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٧ .
- ٩٣٦ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٤٤٣ .
- ٩٣٧ - جمع طيلسان وهو زى رجال القضاء وسيرد ذكره بعد قليل . راجع للسيوطى المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٣٠ .
- ٩٣٨ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦١ .
- ٩٣٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٢ .
- ٩٤٠ - أنظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، م. س. ديماند : المرجع لسابق ص : ٢٥٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ص : ٣٧٣ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٩ - ٥٠ .
- ٩٤١ - راجع : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٢ ح ٤ .
- ٩٤٢ - أنظر مثلا عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ .
- ٩٤٣ - أنظر من هذه المراجع : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ١٩٧ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٢٩٩ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص ١٨٩ - ١٩١ .

- ٩٤٤ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٧١٢٠) ومقاسها (٦٠ ر × ٢٥ م) ومحفوظة على الجانب الأيمن من اللوحة رقم (٤) بالقاعة رقم (١٧) . راجع عنها أيضا :
- Reper chrono, d'epigraph, Arab : Tome : 3, pp 81, No. 939.
- محمد مصطفى : المرجع السابق ص ٨١ ، حسن الباشا : المرجع السابق : ص : ٣٤٩ ، زكي محمد حسن : الاطللس : شكل ٥٦٥ ص : ١٨٦ .
- ٩٤٥ - زكي محمد حسن : كتوز الفاطميين : ص ١٨١ .
- ٩٤٦ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٢٦ .
- ٩٤٧ - الادريسي : المصدر السابق ص : ٤٥ .
- ٩٤٨ - ياقوت المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٥ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ٤٨ .
- ٩٤٩ - القزويني : المصدر لسابق : ص : ١٤٩ .
- ٩٥٠ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص ص : ٣٢٨ - ٣٢٩ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ .
- ٩٥١ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٦ ج ٦ .
- ٩٥٢ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٧٤ .
- ٩٥٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٦ وراجع أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٤٨ .
- ٩٥٤ - القزويني : المصدر السابق : ص : ١٤٩ .
- ٩٥٥ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٨٣ .
- ٩٥٦ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٣ ص ٨٩ .
- ٩٥٧ - أدولف جروهمان : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ١٥٣ - ١٥٤ تحقيق رقم (٩٦) .
- ٩٥٨ - ابن بطوطة : المصدر السابق ص : ٤٩ .
- ٩٥٩ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص : ٢١ .
- ٩٦٠ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٧٠ ، ج ٨ ص : ٧٤ .
- ٩٦١ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ٤٩ وراجع أيضا ، حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته : ص : ٤٤ .
- ٩٦٢ - المقرئزي : الخطط : ج ١ ص : ٢٠٣ وأنظر أيضا : راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ١٨٧ .
- ٩٦٣ - علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ٧٠ .
- ٩٦٤ - راشد البراوي : المرجع السابق : ص ١٧٨ .
- ٩٦٥ - المقرئزي : الخطط : ج ٢ ص : ٤٨٦ وأنظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٢١٩ .
- ٩٦٦ - وصف مصر : ج ٤ ص : ١٩٢ .
- ٩٦٧ - الكندي : المصدر السابق ص : ٨ .

- ٩٦٨ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ٤٨ - ٤٩ .
- ٩٦٩ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ص : ١٩٣ - ١٩٤ .
- ٩٧٠ - القزويني : المصدر السابق : ص ١٤٧ .
- ٩٧١ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ .
- ٩٧٢ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٢٢ .
- ٩٧٣ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٢ .
- ٩٧٤ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ٩٨ - ١١١ .
- ٩٧٥ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٤ وانظر ايضا : محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥ ، قاموس جغرافي للقطر المصري : ص : ٨٩ .
- ٩٧٦ - هذه المجموعة محفوظة في القاعة رقم (٤) ، انظر ايضا : هنري رياض ، المرجع السابق : ص ١٩٩ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ . ياهور لبيب : المرجع السابق : ص : ١٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٣٠ .
- ٩٧٧ - انظر في ذلك : زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٣٤٧ ، سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق ص : ٥٣ .
- ٩٧٨ - الكندي : المصدر السابق ص : ٥٨ .
- ٩٧٩ - ناصر خسرو : تحقيق سفرنامه في تراث الانسانية : مجلد ١ ج ٨ : ص ص : ٥٦١ - ٥٦٣ .
- ٩٨٠ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٩٣ .
- ٩٨١ - القزويني : المصدر السابق : ص ١٤٧ .
- ٩٨٢ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ .
- ٩٨٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ٩٩ .
- ٩٨٤ - انظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ص : ١٦٤ .
- ٩٨٥ - من هذه المراجع : سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١١٦ - ١٧٠ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٥٦ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق : ص : ١٣٧ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٣٧ - ١٣٨ .
- ٩٨٦ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣١ .
- ٩٨٧ - انظر في ذلك : راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ، وصف مصر : ج ٤ ص : ١٩٨ .
- ٩٨٨ - اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣١ .
- ٩٨٩ - من هذه المراجع مثلا : زكي محمد حسن : الفن الاسلامي : ص : ٢٩٨ ، فنون الاسلام : ص : ٣٩٧ ، محمد صدقي النجيباتي : المرجع السابق : ص : ١٩٠ ، أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص : ٣٠٩ .

- ٩٩٠ - القزويني : المصدر السابق : ص : ٩٩ .
- ٩٩١ - نفس المصدر : ص : ١٤٧ .
- ٩٩٢ - راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ١٨٧ .
- ٩٩٣ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٢ .
- ٩٩٤ - على باشا مبارك : المرجع السابق ج ١٢ ص : ٩٩ .
- ٩٩٥ - خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٧ - ١٦٨ .
- ٩٩٦ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ٢١٥ - ٢١٩ .
- ٩٩٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ص : ١٩٣ - ١٩٤ .
- ٩٩٨ - القزويني : المصدر السابق : ص : ١٤٧ .
- ٩٩٩ - انظر في ذلك : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ٩٩ .
- الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٤ ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص : ١٨١ .
- ١٠٠٠ - البلاذري : المصدر السابق : قسم ٢ ص : ٦٨١ .
- ١٠٠١ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ .
- ١٠٠٢ - الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ٣٦ - ٣٧ .
- ١٠٠٣ - القزويني : المصدر السابق : ص ص : ١٣٩ - ١٤٠ .
- ١٠٠٤ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٢٣ .
- ١٠٠٥ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ .
- ١٠٠٦ - المقرئزي : المصدر السابق : ج ١ ص ص : ١٤٧ - ٤٤٩ .
- ١٠٠٧ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ص : ٢٥ - ٢٦ .
- ١٠٠٨ - السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٣٧٤ .
- ١٠٠٩ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٣ .
- ١٠١٠ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ٣٥ .
- ١٠١١ - الموسوعة العربية الميسرة : ص ٦٦ ، محمد رمزي : المرجع السابق : المجلد ٤ ج ٢ ص ٨٩ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٧٤ .
- ١٠١٢ - هذه المجموعة محفوظة فى القاعة رقم (٤) ، أنظر أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص ص : ١٩٩ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، باهور لبیب : المرجع السابق : ص : ١٢ .
- ١٠١٣ - أنظر من هذه المرجع : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، باهور لبیب : المرجع السابق : ص : ١٢ .
- ١٠١٤ - مصطفى حسين : المرجع السابق ص : ٢٣ .
- ١٠١٥ - البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٦٨١ - ٦٨٢ .
- ١٠١٦ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٢ .

- ١٠١٧ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ .
- ١٠١٨ - المقرئى المصدر السابق : ج ١ ص : ٤٤٨ .
- ١٠١٩ - السيوطى : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٢٣٠ .
- ١٠٢٠ - أنظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٥٠ .
- ١٠٢١ - المطارف جمع مطرف وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام . راجع فى ذلك : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٣ ح ٥ .
- ١٠٢٢ - المطرف من الخليل ونحوها الأبيض الرأس أو الذنب وسائرته مخالف لذلك . راجع أيضا : ابن ظهيرة : نفس المصدر : ص ٦٣ : ح ٦ .
- ١٠٢٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٣٥ .
- ١٠٢٤ - أنظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : التسييح الاسلامى : ص : ٤٢ ، أبو صالح الألفى : الفن الاسلامى ص : ٢٩٤ ، م-س- ديماند المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٧٣ عمر كحالة ، المرجع السابق : ص ٢٥٤ .
- ١٠٢٥ - أنظر فى ذلك : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٠ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عهد الأيوبيين : ص : ١٩٧ ، حسين الرقاعى المرجع السابق : ص ١٠ .
- ١٠٢٦ - أنظر فى ذلك : سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ ، السيد الباز العرينى : المرجع السابق : ص : ١٩٧ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٨٩ .
- ١٠٢٧ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٤ .
- ١٠٢٨ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ٢٢٤ - ٢٢٧ .
- ١٠٢٩ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٢٣٢ .
- ١٠٣٠ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ .
- ١٠٣١ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص : ٢١٤ .
- ١٠٣٢ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ .
- ١٠٣٣ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٢ .
- ١٠٣٤ - ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ .
- ١٠٣٥ - وصف مصر : ج ٤ ص : ١٩٢ .
- ١٠٣٦ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٤٦ .
- ١٠٣٧ - أنظر ما ورد عن هذه المدينة فى : م-س- ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٥١ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٨٩ .
- ١٠٣٨ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ٥٤ .

الفصل الثالث

الصعيد الأعلى

ينحصر ما سنتحدث عنه من مراكز الصناعة في آخر فصول هذه الدراسة فيما كان منها بالصعيد الأعلى ممثلاً في محافظتي قنا وأسوان بالإضافة إلى محافظة سيناء تجاوزاً ، ولا شك أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن هذه المراكز الأخيرة لا يمكن مقارنته بما سبق الحديث عنه من مراكز أخرى ، لأن مثل هذه المقارنة توضح ضعف موقف هذا الفصل باستثناء مدينة أسوان ، ومع ذلك فإننا لم نستطع إغفال أي منها أملاً في اعتبار هذه المعلومات المتواضعة عنها لبنة تأسيس لمن تهين له الظروف فرصة أفضل للإضافة عليها .

أولاً : قنا

إن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت في الكثير من المصادر والمراجع العربية عن حرف وصناعات هذا الإقليم يحصر ما كان فيه من مراكز الصناعة في مدينة قنا ذاتها ثم في بعض المراكز الفرعية الصغيرة مثل سمهود وقفت وقوص والأقصر .

١ - مدينة قنا :

قنا كما ذكرها ياقوت في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) « كلمة قبطية ومدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد وربما كتب بعضهم أقنا (بآلف قبل القاف) وتنسب إليها كورة » (١٠٤١) ، ولم يشر ابن دقماق فيما يخصها في القرن (٩هـ / ١٥م) إلا إلى أن عبرتها (٦٥٠٠) دينار ومساحتها (٨٩٥٢) فدانا (١٠٤٣) ، أما الموسوعة العربية فقد ورد فيها أن « قنا مدينة بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل وهي عاصمة محافظة باسمها بين محافظتي سوهاج وأسوان ، كانت مأمورية سنة (١٨٣٣م) ثم أصبحت مديرية في سنة (١٨٥١م) (١٠٤٣) » .

هذا فيما يختص بقنا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعي فالذي لاشك فيه أنها لم تكن على قدر يذكر في هذا الصدد ، لأن كل ما وصلنا عنها خاصا بالصناعة ينحصر فقط فيما جاء في بعض المراجع العربية الحديثة ، ومنه يتضح أن المدينة كانت خلال العصر الاسلامي مركزا لقليل من الصناعات الرئيسية ولا سيما النسيج والفخار بالإضافة الى بعض الصناعات الفرعية التي كانت تعتمد على منتجات زراعية مثل السكر والزيت والصابون .

وقد وردت الإشارة الى الصناعة الأولى في القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) في كتاب « وصف مصر » ، ويفهم مما أشير اليه في هذا الصدد أن مدينة قنا كانت مركزا لصناعة الأقمشة الصوفية حيث كانت تعمل منها شيلان العمائم الضاربة الى البياض ، وكذا لصناعه الاقمشة القطنية حيث كانت تعمل منها شيلان أخرى من نسيج خيوطه مضمومة على نحو أكبر من الشيلان السابقة مخططة بالأحمر والأزرق تغطي بها النساء من أفدامهن حتى رؤوسهن ، لأنها كانت الرداء الوحيد الظاهر منهن ، كما ان هذه الشيلان كانت تشكل في الوقت نفسه نوعا من الزينة لشيوخ القرى الميسورين فيغطون بها أكتافهم وصدورهم ، وقد اشتملت المدينة - كما قيل - من أنوال النسيج على أكثر من سبعين نولا ، جلبت بعض الأقطان اللازمة لتشغيلها من الدلتا وبعضها الآخر من سورية لأن القطن الذي تنتجه هذه المنطقة لم يكن يكفي بطبيعة الحال لعمل هذه الأنوال (١٠٤٤) ، ولا شك أن ما جاء في هذا المرجع من معلومات تخص هذه الصناعة هو في الواقع ذكر لحقائق كانت قائمة بالفعل في المدينة خلال رحلات علماء الحملة الفرنسية الذين خلفوا لنا هذه المادة التاريخية وهو أمر لا نستطيع الشك فيه .

كذلك فقد جاءت الإشارة الى الصناعة الثانية ، في نفس الكتاب. المشار اليه ، حيث ورد أنه يستخرج من قاع إحدى الترع الواقعة الى الشمال الشرقي لمدينة قنا عند الحد الفاصل بين الصحراء والأرض القابلة للزراعة في بداية شعب ضيق يصل بين وادي النيل والبحر الأحمر نوع من الصلصال يضرب لونه الى البياض تصنع منه آنية بسمونها « بردق » (قلة) كانت ذات مسام تساعد كثيرا على تبريد ما يوضع فيها من ماء بمجرد أن ترطب جدرانها ويتبخر ما عليها من مياه. راشحة ، وهي خاصية جعلت هذه « البرادق » (القال) مطلوبة في كل مكان من مصر لأنها كانت وسيلة التبريد الوحيدة المتاحة في هذا الوقت (١٠٤٥) ، ثم أيدت الموسوعة العربية ما جاء عن هذه الصناعة في « وصف مصر » حين ورد فيها أن هذه المدينة « تشتهر بصناعة

الفخار (١٠٤٦) » ، ولعل فيما لزال لهذه المدينة من شهرة فى مجال الصناعة التى بين أيدينا حتى اليوم ما يؤكد صدق ما ذهب إليه كل من المرجعين المشار إليهما .

أما الصناعات التى اعتمدت على منتجات زراعية مثل السكر والزيت والصابون ، فقد جاءت الإشارة إليها فى بعض المراجع العربية الخاصة بالعصر الأيوبي ، ومنها يتضح أن صناعة السكر كانت من أهم الصناعات فى المدينة خلال هذا العصر وما بعده بدليل ما قيل من أنه جرى تصدير هذا السكر الى الخارج ، وفى هذا ما يعنى أن انتاج المدينة منه كان يزيد عن حاجة الاسواق المحلية فصدر ما زاد منه عن هذه الحاجة الى الأسواق الخارجية ، ليس هذا فقط بل لقد قيل أن الحكومة الأيوبية كانت تلزم زراع قصب السكر بعصر أقصابهم فى معاصرهما التى انتشرت بسائر الأقاليم (١٠٤٧) .

٣ - سمهود :

لقد وردت اشارات كثيرة فى المصادر العربية عن سمهود كموقع وتاريخ ، فقد ذكرها المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) بقوله أنها « مدينة بالجانب الغربى من النيل قريبة من فرشوط بمركز نجع حمادى بمديرية قنا » (١٠٤٨) ، وأشار إليها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بقوله أنها « بلدة بالبر الغربى عبرتها (١٧٠٠٠ ر) دينار ومساحتها (١٩١٧٠) فدانا » (١٠٤٩) ، أما ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) فقد قال « ومن مدنها » (أى من مدن مصر) سمهود بالجانب الغربى من النيل (يقال أن الفأر لا يأكل قصبها وذلك مشهور بين أهلها » (١٠٥٠) .

كذلك فقد وردت اشارات أخرى عن سمهود كموقع وتاريخ فى بعض المراجع العربية الحديثة التى يأتى على رأسها ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله أنها « بلدة من قسم فرشوط بمديرية قنا واقعة بقرب الجبل الغربى » (١٠٥١) ، وفى القاموس الجغرافى أن « سمهود ناحية بمركز نجع حمادى فى مديرية قنا » (١٠٥٣) .

هذا عن سمهود كموقع وتاريخ أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فإن ما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يحصر نشاطها الصناعى فى مجال صناعة السكر فقط ، والواقع أن ما جاء فى المصادر والمراجع العربية خاصا بهذه الصناعة يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المدينة كانت مركزا لصناعتها منذ القرن (٨ هـ / ١٤ م) وما قبله ، يدل على ذلك

ما ذكره المقرئى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) بقوله ان مراكز صناعة السكر كانت منتشرة فى كل أنحاء البلاد ولاسيما القسطنطينية والمنياء وسمهود ، وأنه « كان بهذه المدينة (سمهود) سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر » (١٠٥٣) ، ثم جاء ابن دقماق فى القرن (٩هـ / ١٥م) وابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ / ١٦م) وكرز كل منهما قول المقرئى والادفوى فيما يتعلق بمعاصرهما السبع عشرة ، فقال كل منهما أنها « بلدة كثيرة المعاصر لقصب السكر يقال أنه كان بها سبعة عشر حجرا » (١٠٥٤) ، وحول هذا المعنى أيضا جاءت اشارة على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) حيث قال أن « فيها عصارات ويزرع فيها قصب السكر » (١٠٥٥) .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة السكر فى سمهود على ما جاء فى المصادر المشار اليها وانما وردت اليينا معلومات أخرى بشأنها فى المراجع العربية توضح أن هذه الصناعة كانت رائجة فى المدينة فيما بين العصرين الفاطمى والمملوكى ، ويلتقى هذا مع ما ذكره فى هذا الصدد كل من المقرئى وابن دقماق وابن ظهيرة والادفوى ، ومما جاء فى هذه المراجع يتضح أن صناعة السكر كانت من الصناعات الهامة فى مصر الاسلامية ، ولم تزل هذه الصناعة تتقدم فيها حتى أصبح لها شأن كبير فى عهد المماليك حيث كانت مطابخ السكر تنتج خلال هذا العهد كميات هائلة منه لتسد ما كانت الدولة فى حاجة اليه من هذا السكر على نحو ما ذكرنا (١٠٥٦) .

٣ - قفط :

لقد أفاضت المصادر العربية كثيرا فى الحديث عن قفط كموقع وتاريخ ، فتوالت علينا المعلومات التاريخية عنها فى هذه المصادر اعتبارا من القرن (٤هـ / ١٠م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) وما بعده ، من ذلك مثلا ما ذكره المسعودى فى القرن (٤هـ / ١٠م) بقوله أنها « من صعيد مصر بينها وبين النيل نحو ميلين لها أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الأقباط » (١٠٥٧) ، ومنه ما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) حين قال « قفط كلمة أعجمية لا أعرف فى العربية لها أصلا ، وهى مسماة بقفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام » ، وهى الآن (أى على عهده) وقف على العلوية من أيام على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها . . . وحولها مزارع وبساتين كثيرة وفيها النخل واللاترج والليمون (١٠٥٨) .

كذلك فقد ذكرها القزويني في القرن (٧هـ / ١٣م) متفقا في جزء مما ذكره مع ما أشار اليه ياقوت قبله حين قال أنها « مدينة بأرض مصر بالصعيد الأعلى كثيرة البساتين والمزارع وبها النخل والأترج والليمون » (١٠٥٩) ، أما المقرئزي وابن دقماق في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) فقد فصل أولهما في أمر قفط كموقع وتاريخ أكثر ممن سبقه من المؤرخين حيث قال أن « هذه المدينة تعرف بقفطريم بن قبطيم ابن مصرأيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكانت في الدهر الأول مدينة الاقليم وإنما بدأ خرابها بعد الأربعمئة من تاريخ الهجرة النبوية ٠٠٠٠ وفي سنة (٥٧٢هـ) (١١٧٦م) (أي خلال العصر الايوبي) كانت فتنة كبيرة بقفط سببها أن داعيا من بنى عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين أخاه العادل أبا بكر فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها . ظاهر قفط بعمائم طيلسانهم » (١٠٦٠) ولم يشر الثاني فيما يخصها الا الى أن « عبرتها (٣٢٣٠) ديناراً ومساحتها (١٤٢٣) فدانا » (١٠٦١) .

يضاف الى ذلك كله ما ورد في الموسوعة العربية عن مدينة قفط ومنه يتضح أنها مدينة معروفة بمحافظة قنا على الشاطئ الشرقي للنيل شرقي الاقصر ، وأن اسمها تصحيف للفظ الفرعوني لمدينة « قبطيو » التي كانت عاصمة الاقليم الخامس من اقاليم الصعيد وكعبة الاله « مين » منذ عهد الدولة القديمة (١٠٦٣) .

هذا فيما يتعلق بقفط كموقع وتاريخ ، أما فيما يخصها كمركز صناعي فإن المعلومات التاريخية التي لدينا تثبت أن المدينة خلال العصر الاسلامي كانت مركزا لبعض الصناعات الصغيرة التي اعتمدت على منتجات زراعية ولاسيما صناعات السكر والزيوت والصابون ، وقد وردت الاشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره المقرئزي وابن دقماق في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) حين قال الأول « وآخر ما كان بها (أي بقفط) بعد السبعمئة من سنن الهجرة أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب » (١٠٦٣) ، وحين قال الثاني - نقلا عن الادفوي - « أن خطيب قفط كان قد أخبره (أي أخبر الادفوي) أنه كان بها أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب » (١٠٦٤) ، وهنا نجد تطابقا كبيرا بين ما ذكره كل من المقرئزي وابن دقماق والادفوي ، وهذا يعني بما لا يدع مجالا للشك أن تبقى أربعين مسبكا للسكر في المدينة بعد سنة (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) يعني أيضا أن هذه المسابك كانت أكثر من ذلك قبل السبعمئة ووجود هذا العدد الهائل من المسابك كان يزيد على ما كان في الفسطاط نفسها من هذه المطابخ .

كذلك فقد وردت اشارات أخرى الى مطابخ السكر بقفط فى بعض المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين حيث أن المدينة التى بين أيدينا كانت من أهم مراكز هذه الصناعة خلال العصر المشار اليه (١٠٦٥) .

أما عن صناعتي الزيوت والصابون فى قفط فقد وردت الإشارة اليها فى بعض المصادر والمراجع العربية بما يؤكد أنها كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر الاسلامى منذ ما قبل القرن (٥هـ / ١١م) وحتى العصر الأيوبي فى القرن (٦هـ / ١٢م) على أقل تقدير ، يؤيد ذلك (فيما يتعلق بصناعة الصابون) ما ذكره الادريسي فى القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) بقوله « وبها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس وذلك لأنهم يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون ادهانها ويصنعون منها أنواعا من الصابون يتصرفون به فى جميع أرض مصر ومنها يتجهز به الى كل الجهات وصابونها معروف بالنظافة » (١٠٦٦) .

ويؤيده أيضا (فيما يتعلق بصناعة الزيوت) ما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن العصر الأيوبي والتى يفهم منها أن استخراج الزيوت من السمسم والخردل والقصب والخس كانت من بين أهم الصناعات المصرية فى العصر الاسلامى ، وجرت الافادة من هذه الزيوت فى مجالى الاضاءة وصناعة الصابون ، وأن قفط كانت من أهم مراكز هذه الصناعة (١٠٦٧) .

٤ - قوص :

حفظت لنا المصادر العربية الكثير من المعلومات التاريخية عن مدينة قوص اعتبارا من القرن (٤هـ / ١٠م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) وما بعده ، يؤيد ذلك ما ذكره المسعودى فى القرن (٤هـ / ١٠م) بقوله أن « قوص من صعيد مصر وهى راكبة للنيل ولها أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الاقباط » (١٠٦٨) ، ويؤيده أيضا ما ذكره الادريسي فى القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) حين قال أنها « مدينة كبيرة بالجهة الشرقية من النيل بها منبر وأسواق جامعة وتجارات رائجة » (١٠٦٩) .

أما ياقوت فى القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) فقد أشار الى أن « كلمة قوص هى كلمة قبطية ومدينتها كبيرة وعظيمة وواسعة وقصبة الصعيد كله بينها وبين القسطنطين اثني عشر يوما ، وبينها وبين عيذاب على بحر القلزم مسيرة أربعة أو خمسة أيام ، وكانت دارا للموالى ، وليس بالديار المصرية بعد القسطنطين والاسكندرية أعمر ولا أعظم منها » (١٠٧٠) .

كذلك ذكرها المقرئى وابن دقماق فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) فقال الأول « اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهى على النيل بنيت بعد قفط فى أيام ملك من ملوك القبط الأول يقال له سندان ابن عديم ابن البودسير بن قفطريم ، قيل سميت باسم قوص بن قفط ابن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر ٠٠٠٠ شرعت فى الخراب من سنة أربعمئة » (١٠٠٩م) (١٠٧١) ، وقال الثانى أنها « مدينة قديمة تعرف بقوص العالية ٠٠ وهى على ضفة النيل الشرقية ، وهى الآن مدينة الاقليم بعد أن كانت قفط مدينة الاقليم فخربت بعد سنة أربعمئة وبها الآن (أى على عهد ابن دقماق فى القرن ٩هـ / ١٥م) متولى الحرب الصعيد وقاضى قضاة » (١٠٧٢) ، وهنا نجد أن ما ذكره المقرئى من أنها من بناء أحد ملوك القبط الأول يتطابق مع ما سبق لياقوت قوله من أن كلمة قوص هى كلمة قبطية ، وفى هذا ما يعنى صدق ما ذهب اليه ياقوت .

أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣هـ / ١٩م) الى أنها « مدينة بالصعيد الأعلى ليس بأرض مصر بعد الفسطاط مدينة أعظم منها وهى على حافة النيل من البر الشرقى سماها سترابون أبولونوبوليس بارفا » (١٠٧٣) ، ثم جاء فى الموسوعة العربية أنها « بمحافظة قنا على الشاطئ الشرقى للنيل ، كانت ملتقى الحجاج بحكم موقعها على رأس الدرب الموصل الى ساحل البحر الأحمر ، وكان معبودها هو الاله حورس » (١٠٧٤) .

هذا عن قوص كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أنه ليس لدينا من المعلومات فى هذا الصدد الا ما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة ، وهو رغم قلته يفيد أن المدينة كانت مركزا للعديد من الحرف والصناعات مثل الأقمشة والصباغة والجلود والدباغة والفخار والزجاج والحدادة والحصير والورق والأدوية ، يؤيد ذلك ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) بقوله « وبها سوق كبير دائم تباع فيه الأقمشة وأصناف العقاقير » (١٠٧٥) ، ويؤيده أيضا ما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة خاصة بصناعة الصباغة ومؤاده أن صباغة المنسوجات كانت من بين صناعات المدينة فى العصر الإسلامى الى جانب صناعات الجلود والدباغة والفخار والخزف والحدادة والحصير ، وكان لكل صناعة من هذه الصناعات شيخها الذى يتولى شئونها (١٠٧٦) .

أما فيما يختص بصناعات الزجاج والورق فى قوص فقد وردت الإشارة الى أولاهما على أنها كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر

الفاطمى (١٠٧٧) ، وجاء ذكر ثانيتهما على انها كانت من بين صناعاتها خلال العصر المملوكى (١٠٧٨) ، ورغم هذه الاشارات الكثيرة للمراجع العربية الى ما مورس فى قوص من صناعات ، فانه لابد من القول فى هذا الصدد أنه لا المصادر التاريخية ولا الأدلة المادية تعطى معلومات واضحة أو محددة عن قوص فيما أشير اليه من أنشطة حرفية وصناعية، ومن هنا فان معلومات أخرى لازالت متوقعة عن هذه المدينة فى المستقبل ولا سيما من المكتشفات الأثرية .

٥ - الأقصر :

ذكرت مدينة الأقصر كموقع وتاريخ فى كثير من المصادر العربية اعتبارا من القرن (٦هـ / ١٢م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) وما بعده ، يدل على ذلك ما أورده ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) بقوله « الأقصر كأنه جمع قصر وجمع قلة ، اسم مدينة على شاطئ شرقى النيل بالصعيد الأعلى فوق قوص ، وهى أزلية قديمة ذات قصور ولذلك سميت الأقصر ويضاف اليها كورة » (١٠٧٦) ، ويدل عليه أيضا ما ذكره المقرئى وابن دقماق فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) حين قال الأول أن « هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال أن أهلها المريس ومنها الحمير المريسية » (١٠٨٠) ، وحين قال الثانى أن « عبرة الأقصرين وجزائرهما (٩٠٠٠) دينار ومساحتها (١٦٩٠٠) فدانا » (١٠٨١) .

أما الموسوعة العربية فقد جاء فيها أن الأقصر « مدينة بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل فى محافظة قنا ، من أشهر المدن السياحية بمصر تحتل جزءا من موقع مدينة طيبة القديمة ، وأكبر آثارها معبد الأقصر وقد تحول الى كنيسة فى عصور المسيحية الأولى ثم بنى فيه فيما بعد ضريح لولى الله أبى الحجاج » (١٠٨٢) .

هذا عن الأقصر كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أنه ليس لدينا فى هذا الصدد الا ما ورد فى القليل من المصادر والمراجع العربية خاصة بصناعة الفخار ، فقد وردت الإشارة الى هذه الصناعة فيما ذكره ابن دقماق فى القرن (٩هـ / ١٥م) حين قال « ويعمل فيها من الفخار الأبيض النقى الرفيع الذى ليس يعمل بديار مصر مثله ولا ما يقاربه » (١٠٨٣) ، ويفهم من هذا النص أن صناعة الفخار فى مدينة الأقصر كانت على قدر كبير من الاتقان وحسن الصنعة لأن وصف ابن دقماق فى هذا الصدد واضح وصريح ، وهو يعنى أن هذا الفخار كان أبيض اللون نقى الخامة رفيع الصنعة لا يعمل بمصر مثله ولا حتى ما يقاربه .

القصير مدينة قديمة بذات الاسم تتبع حاليا من الناحية الادارية محافظة البحر الاحمر ، أشار اليها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) كموقع وتاريخ فقال « موقع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبه الصعيد خمسة أيام وفيه مرفأ سفن اليمن » (١٠٨٤) .

وكانت المدينة خلال العصور الاسلاميه أهم محطات الحج والتجارة ، كما كانت - على ما يبدو - واحدة من المدن التى مورست فيها صناعة المنسوجات الصوفية رغم أننا نفتقر الى الأدلة التاريخية الكافية على ذلك ، وأيا كان الأمر فانه يمكن القول أن المدينة كانت فى الغالب مركزا لهذه الصناعة منذ العصر المسيحى ، لاسيما ونحن نعرف أن المنسوجات الصوفية والكتابية لم تكن تنسج فقط خلال العصر المشار اليه فى شتى أنحاء البلاد طولا وعرضا ، بل كانت أهم خصائصه بالنسبة للانتاج النسيجى .

أما فى العصر الاسلامى فليس لدينا من المعلومات فى هذا الصدد الا ما ورد فى بعض المراجع العربية التى تكلمت عن العصر الفاطمى وجاء فيها أن هذه المدينة كانت تشتهر خلال هذا العصر « بعمل الثياب والأنسجة من الصوف » (١٠٨٥) .

ثانيا : محافظة أسوان

يؤكد ما لدينا من معلومات تاريخية وأدلة أثرية فيما يتعلق بالحرف والصناعات فى أسوان أن هذه المدينة كانت واحدة من أهم مدن الصعيد نشاطا فى هذا المجال ، ومع ذلك لم تنل من الشهرة ما نالته باقى المراكز الصناعية المصرية الهامة مثل تنيس ودمياط ودبيق فى الوجه البحرى والقيس والبهنسا واهناسيا فى الوجه القبلى وغيرها ، ويبدو أن السبب فى ذلك لأن شهرتها كانت تعتمد خلال العصور الاسلاميه بصفة أساسية على التجارة ، وقد ساعد على ذلك أيضا أن المؤرخين العرب رغم اهتماماتهم بمدينة أسوان كموقع وتاريخ ، الا أن أحدا منهم لم يهتم بها كمركز صناعى ، ومن هنا جاء فقر المادة التاريخية الواردة عن هذه المدينة فى المصادر التى خلفها هؤلاء المؤرخين خلافا لما أثبتته الحفر الأثرية فى المدينة من العثور على كثير من الأدلة المادية الدالة على قيام كثير من الصناعات فى المدينة خلال العصور الاسلاميه ولا سيما العصر الفاطمى .

وقد وردت الإشارة الى مدينة أسوان كموقع وتاريخ في كثير من المصادر العربية منذ القرن (٤هـ / ١٠م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) وما بعده ، وصفوة ما أشير اليه في هذا الصدد أنها ثغر مصر من ناحية النوبة ، كثيرة النخيل والغلات ، كانت ولا تزال حلقة الوصل بين مصر وما يليها من البقاع الافريقية ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن حوقل في القرن (٤هـ / ١٠م) بقوله « ومدينة أسوان كثيرة النخيل ، غزيرة الغلات من التمور ، قليلة الزرع ، وهى أكبر مدن الصعيد » (١٠٨٦) ، ويؤيده أيضا ما ذكره كل من الاصطخرى والادريسي في القرنين (٥ - ٦هـ / ١١ - ١٢م) حين قال الأول « وأسوان هذه ثغر النوبة الا أنهم (يقصد أهلها) مهادنون » (١٠٨٧) وحين قال الثانى « أسوان مدينة صغيرة عامرة كثيرة الحنطة . . . بها تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد النوبة » (١٠٨٨) .

كذلك يؤيده ما أشار اليه ياقوت في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) بقوله أن « أسوان مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه » (١٠٨٩) ، وما ذكره المقرئى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) حين قال « أسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أسى اذا حزن ، ورجل أسيان وأسوان أى حزين ، وأسوان فى آخر بلاد الصعيد ، وهى ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر ، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل الثغر ثم تلاشى بعد ذلك أمره واستولى عليه أولاد الكنز بعد سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب » (١٠٩٠) .

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وقال : « أسوان (بالضم) بلد بالصعيد بمصر . . . ومدينة فى نهاية الصعيد الأقصى ما بعدها الا بلاد النوبة وكانت تسمى قديما سيوان أو سنون » (١٠٩١) ، ثم أضيف الى ذلك مما جاء فى الموسوعة العربية أن أسوان « مدينة قديمة فرعونية الاسم كانت سوقا للتجارة بين مصر وما يليها من بقاع افريقية وأشهر معبوداتها « خنوم » رب الشلال » (١٠٩٢) .

هذا عن أسوان كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فإن أهم ما يمكن ذكره فى هذا الصدد طبقا لما بين أيدينا من معلومات تاريخية وأدلة مادية أثرية ، انها كانت مركزا لصناعة الفخار والمعادن وأعمدة البناء وحجارة الطواحين والنسيج وشواهد القبور والكحل ، بالإضافة الى بعض الصناعات الأخرى التى اعتمدت على منتجات زراعية مثل الحصر والسلال والمراوح والتمور .

(أ) صناعة الفخار :

كانت هذه الصناعة - كما قلنا - من أقدم الصناعات التي لازمت حضارة الإنسان الأولى ، وكان لا بد لها من ثم أن تكون من بين أنشطة أهل أسوان الحرفية والصناعية وهو ما حدث بالفعل ، فقد وصلتنا معلومات عن هذه الصناعة بالمدينة خلال تلك العصور في بعض المصادر والمراجع العربية ، ويفهم من هذه المعلومات أن أهل أسوان كانوا قد برعوا في صناعة أنواع جيدة من الفخار الذي استخدم فيه الطين الأسواني المعروف الذي وجد بكثرة في جبل قريب منها أطلق عليه المؤرخون العرب اسم « جبل الطفل » (١٠٩٣) ، وقد صنع الأسوانيون من هذا الطين كثيرا من الأواني الفخارية ولا سيما « كيزان الفقاع » التي استخدمت في حساء هذا النوع من الشراب الذي كان يتخذ من الشعير .

كذلك فقد اشتهر أهل أسوان - طبقا لما ذكرته بعض المراجع العربية الأخرى بصناعة نوع من الأواني عرف « بالبرام » كان يتخذ من الحجر المسمى باسمه عن طريق تجويف هذا الحجر من الداخل بشكل دائري ، وتدويره من الخارج بطريقة تجعل لجدرانه سمكا يتراوح بين ثلاثة وأربعة سنتيمترات ، وفي أحيان أخرى كان يسحق قدر معين منه ويضاف إليه مثله من الطين الأسواني ، ثم تمزج المادتين وتعجننا مع بعضهما لمدة أربع ساعات تقريبا ثم تعمل الأواني المشار إليها من هذا المزيج ، ثم تجفف الأواني المعمولة من هذا المزيج في الشمس والهواء لمدة يومين ، ثم توضع على نار هادئة في حفرة مخصصة لذلك تتسع لما بين عشرة أبرمة الى اثني عشر براما دفعة واحدة (١٠٩٤) .

وقد أيدت المكتشفات الأثرية من خلال ما عثر عليه في المدينة من قطع فخارية ليس فقط صدق ما ذهب إليه المصادر والمراجع المشار إليها خاصا بصناعة الفخار في أسوان خلال العصر الإسلامي ، وإنما حقيقة أن هذه الصناعة كانت تمارس في المدينة - على ما يبدو - منذ العصور السابقة على الإسلام بدليل ما كشفت عنه حفائر الجبانة الفاطمية بالمدينة من العديد من الأواني الفخارية المختلفة مما يرجع معظمه في غالب الظن الى عصر الدولتين الفرعونييتين الوسطى والحديثة (١٠٩٥) .

(ب) صناعة المعادن :

أشار الإدريسي في القرنين (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) الى أن « بأسوان جبل العلاقي وبه معادن الذهب والفضة ، وعلى مقربة من أسوان

جنوباً من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة . ولا يوجد الزمرد في شيء من الأرض بأجمعها الا ما كان منه بذلك المعدن » (١٠٩٦) وحول نفس المعنى جاءت اشارة الاصطخري (وهو أحد معاصري الادريسي) حين قال « وبصعيد مصر معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة » (١٠٩٧) ورغم تسمية الاول لأحد معادن المدينة بالزمرد وتسمية الثاني بالزبرجد الا أن كلتا الاشارتين توحيان بأن هذه الصناعة كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر الاسلامي وهو ما أيده المقرئ في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) حين قال « وفي جنوبها (أي جنوب أسوان) معدن الزمرد ، وهو في برية منقطعة عن العمارة ، وعلى خمسة عشر يوماً من أسوان معدن الذهب » (١٠٩٨) ونحن ازاء كل هذه الاشارات المؤكدة عن وجود خامات هذه الصناعة بالمدينة لا نملك الا ترجيح قيامها كأحد أنشطتها الصناعية في العصر الاسلامي رغم أننا لازلنا نفتقر الى الأدلة المادية الثابتة أو التاريخية الصريحة على ذلك .

(ج) صناعة شواهد القبور وأعمدة البناء وحجارة الطواحين :

يثبت ما ورد في بعض المصادر العربية خاصة بهذه الصناعات أن مدينة أسوان كانت من أكثر مدن مصر ثروة في مجال محاجر الرخام وحجارة الطواحين ، فقد أشار ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) الى أن « في جبالها مقطع العمدة الرخام التي بالاسكندرية » (١٠٩٩) ولم يؤيد المقرئ ذلك في القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) حين قال « ومنها القواعد والرؤوس للعمد التي يسميها أهل مصر الأسوانية (فقط ، وإنما زاد عليه قوله) ومنها حجارة الطواحين » (١١٠٠) ثم أشير الى هذا أيضاً فيما ورد في الموسوعة العربية حين قيل أن « منها أغنى محاجر الجرانيت التي ارتادها المصريون في مختلف العصور » (١١٠١) ويشبت ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه المحاجر كانت قد سهلت للمصريين القدماء كثيراً عملية الحصول على ما كان يلزمهم من مادة لعمل العديد من الأعمدة والأساطين التي لا زالت قائمة في معابدهم بالاقليم حتى اليوم .

أما فيما يختص بشواهد القبور التي صنع معظمها من الأحجار الجيرية ، فإن ما أسفرت عنه حفائر الجبلانة الفاطمية المشار اليها من آلاف الشواهد الأثرية ذات الكتابات الكوفية المحفورة والبارزة ، والتي لا زالت محفوظة حتى اليوم بمتحف الآثار في المدينة هو خير الأدلة المادية المؤكدة لهذه الحقيقة الصناعية في أسوان (١١٠٣) .

(د) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

لقد سبقنا الإشارة الى أن صناعات اعتمدت على منتجات زراعية مثل الحصر والسلال والأطباق ومراوح السعف والتمور ، كانت تمارس في أسوان خلال العصر الاسلامى .

وقد مهر النوبيون في المدينة - طبقا لما سجلته بعض المصادر والمراجع العربية في عمل الحصر والسلال والأطباق والمراوح من سعف النخيل وشجر الدوم ، ويبدو أن هذه الحرف كانت من الحرف الوظيفية التي قامت بها الفتيات من سن السابعة حتى زواجهن ، حتى كانت كل منهن تمارسها بعد أن تتعلمها من أهلها وذويها من عجائز النساء (١١٠٣) . وقد روى أن الفقيه القاضى محمد بن سليمان بن فرج الكندى (ت : ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) كان قد اتخذ من عمل المراوح بيده في أسوان حرفة يتعيش منها حتى أنه عرف بالمازوحى (١١٠٤) .

أما فيما يتعلق بصناعة التمور فان استنتاجها يمكن أن يؤخذ مما أشار اليه ياقوت في القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) حين قال : « وبأسوان من التمور المختلفة وأنواع الأرتاب . . وليس في الدنيا بسر يصير تمرا ولا يرطب الا بأسوان » (١١٠٥) .

ومما يمكن الإشارة اليه من صناعات أسوان في العصر الاسلامى أيضا صناعة النسيج ، وقد عثر في حفائر الجبانة الفاطمية المشار اليها على بعض القطع النسيجية التي كانت تلف أجساد الموتى مما نسيج غالبية من الكتان وزخرف في بعض الحالات ببعض الزخارف المنسوجة بعناصر زخرفية نباتية وهندسية .

كذلك فقد برع أهل أسوان - على ما يبدو - في صناعة الكحل التي عرفت في العصور الوسطى باسم « صناعة اليد » وكان من بين الذين أجادوا هذه الحرفة ونبغوا فيها الطبيب هبة الله بن صدقة الأسوانى (ت : ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) وتوارث أبناؤه تلك الحرفة طبقا لما ذكره الادفوى - واشتهروا بها في القاهرة (١١٠٦) .

ثالثا : محافظة سيناء

رغم انعدام ما لدينا من أدلة مادية ، وقلة ما بين أيدينا من معلومات تاريخية عن صناعات سيناء والقصير ، الا أننا لا نستطيع تجاهل ذكرها

فى آخر ما نتحدث عنه من هذا الكتاب خاصة وأن بعض المعلومات المتعلقة
بصناعات كانت تمارس فيهما قد وصلتنا فى بعض المراجع العربية
الحديثة .

١ - سينا : .

سينا كما ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م)
كموقع وتاريخ « اسم لموضع بالشام يضاف اليه الطور فيقال طور سينا
وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام » (١١٠٧) .

وقد جاء فى وصف مصر أن صناعة عربان الطور خلال القرنين
(١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م) كانت تتناسب مع احتياجاتهم البالغة
البساطة ، فهم يصنعون ملابسهم وأقمشة خيامهم من الصوف ووبر الماعز
الذى يغزلونه دون ازالة الشحم منه ، وكانت خيوط السدى فى هذه
الأقمشة تعمل بواسطة عصوان أفقيتان كل منهما مثبتة بالأرض من طرفها
وتبعد عن الأخرى بمسافة تزيد أو تنقص حسب العرض المطلوب للمنسوج
مع وجود جزء مماثل من خيوط الصوف الممزول الملفوف حول عصا أخرى
طولها يقرب من قدم واحدة تستخدم ككورة - وتصنع لحمة القماش المشار
اليه بتمرير هذا المكوك باليد بالتبادل (خيط فوق وخيط تحت) ويكون
الصانع فى هذه الحالة راقدًا ، ثم يسحب المكوك ويمرر من جديد حتى
يبلغ الطرف الآخر من خيوط السدى ، وتضم خيوط اللحمة الى بعضها
بواسطة ضربها بمشط له من (١٠ - ١٢) من الأسنان ، وعندما يضم
الخيط بأكمله يعود المكوك الى الجانب الآخر بنفس الوسيلة وتقوم النسوة
بهذا العمل بينما يصنع أزواجهن الفحم ويحملونه الى القاهرة (١١٠٨) .

كذلك فقد ورد فى بعض المراجع العربية أن كلمة سينا تعد من أجود
أنواع الأكلمة على الإطلاق سواء من الناحية الصناعية أو من ناحية الخامات
أو الصباغة وتمتاز رسومها بصغر حجمها وتعقدتها (١١٠٩) .

خاتمة

بعد هذا العرض الشامل لأهم مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، وما عرف عن كل مركز من حيث التسمية والموقع والتاريخ والحرف والصناعات ، فإننا نرجو أن نكون قد ألقينا الضوء على دورها الحيوى الذى لعبته فى تشكيل البنية الاجتماعية للأقاليم الحضرية المصرية ، وأن نكون بالإضافة الى ذلك قد وضعنا اللبنة الأولى فى صرح معلم هام من معالم الحضارة الإسلامية فى مصر ألا وهو صرح حرفها وصناعاتها الذى تعد هذه الدراسة هى أولى المحاولات العلمية الجادة فى مجالها ، آملين أن تكون هذه اللبنة نبراسا يضيء الطريق لمن يمشى على هذا الدرب من بعدنا ، راجين فى نفس الوقت أن تساعد هذه الدراسة فى سد ما يتعلق بها من نقص فى المكتبة العربية ، سائلين أن يغفر لنا القارئ والباحث ما يجده بين سطورها من هنات هى سمة من سمات الخلق جميعا ، فما أردت إلا الرشدا ما استطعت وعلى الله القصد وهو الهادى الى سواء السبيل .

المؤلف

٣٣ - حواشي وتعليقات الفصل الثالث

من الباب الثالث

الصعيد الأعلى

- ١٠٣٩ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٣٩٩ .
- ١٠٤٠ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٣ .
- ١٠٤٠ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .
- ١٠٤٢ - وصف مصر : ج ٤ ص ص : ١٩٦ - ١٩٨ .
- ١٠٤٣ - نفس المرجع : ج ٤ ص ص : ١٨٩ - ١٩٠ .
- ١٠٤٤ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .
- ١٠٤٥ - السيد الباز العرينى : الأيوبىون : ص : ٢٠١ . وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .
- ١٠٤٦ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٨١ ، السلوك : ج ١ ق ١ ص : ٨٤٤ ح ٣ .
- ١٠٤٧ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٣٢ .
- ١٠٤٨ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٤ ح ١ .
- ١٠٤٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢ - ١٣ .
- ١٠٥٠ - محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٤ ج ٢ ص ١٩٧ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٣٥٧ .
- ١٠٥١ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ص : ٢٠٣ ، ٣٨١ .
- ١٠٥٢ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٢ ، ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٤ ح ١ .
- ١٠٥٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢ - ١٣ .
- ١٠٥٤ - أنظر فى ذلك : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ١٧٨ ، ٣٨٤ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٣١٩ .

- ١٠٥٥ - المسعودى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٦
- ١٠٥٦ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٨٣
- ١٠٥٧ - القزوينى : المصدر السابق : ص : ٢٤١
- ١٠٥٨ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ١ ص : ٤٣٤ - ٤٣٦
- ١٠٥٩ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ١ ص : ٣٢ - ٣٣
- ١٠٦٠ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٠ وأنظر أيضا : محمد رمزي :
- المرجع السابق : مجلد ٤ ق ٢ ص ١٧٧ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٥٨٧
- ١٠٦١ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ١ ص : ٣٢ - ٣٣
- ١٠٦٢ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ١ ص : ٣٢ - ٣٣
- ١٠٦٣ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص ١٧٨ - ٣٨٤
- ١٠٦٤ - الادريسي : المرجع السابق : ص ص ٤٨ - ٤٩
- ١٠٦٥ - أنظر أيضا : السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص : ٢٠٠ ،
- الأيوبيون (لنفس المؤلف) ص ص : ٢٠٠ - ٢٠١
- ١٠٦٦ - المسعودى : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٦
- ١٠٦٧ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٩
- ١٠٦٨ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٤١٣ ، عبد العال الشامى : المرجع :
- السابق : ص : ٥١
- ١٠٦٩ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٤٤١
- ١٠٧٠ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٨
- ١٠٧١ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ص ١٢٨ - ١٤٠
- ١٠٧٢ - الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٠٤٧ وأنظر أيضا قاموس جغرافى للقطر :
- المصرى : ص : ٥٩٣
- ١٠٧٣ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص : ١٤٣
- ١٠٧٤ - محمد عبده الحجاجى : قوص فى التاريخ الاسلامى : ص : ٦٥
- ١٠٧٥ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١
- ١٠٧٦ - خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٧٢
- ١٠٧٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ٢٣٧
- ١٠٧٨ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٨١
- ١٠٧٩ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٣٠ - ٣١
- ١٠٨٠ - الموسوعة العربية : ص ١٨٤ وأنظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى :
- ص : ٩٣
- ١٠٨١ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣١٠

- ١٠٨٢ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٣٦٧ وأنظر أيضا : محمد رمزي :
المرجع السابق : مجلد ٤ ج ٢ ص : ٢٧١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٥٨٥ .
- ١٠٨٣ - راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ .
- ١٠٨٤ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ .
- ١٠٨٥ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥١ .
- ١٠٨٦ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٢١ .
- ١٠٨٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ص : ١٩١ - ١٩٢ .
- ١٠٨٨ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٧٠ .
- ١٠٨٩ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٦٤ .
- ١٠٩٠ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٢ وأنظر أيضا قاموس جغرافى للقطر
المصرى : ص : ٩٠ .
- ١٠٩١ - ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٤ ، الادقوى : الطالع السعيد :
ص : ١٧ .
- ١٠٩٢ - أنظر أيضا على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٦٧ ، محمود
محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى : ص ص : ٩٠ - ٩١ ، وصف مصر :
ج ٤ ص : ١٨٨ .
- ١٠٩٣ - تمت هذه الحفائر التى لم تنشر بعد خلال المدة من سنة ١٩٦٠ الى سنة
١٩٦٤ م ، وقد أجريت بنفسى حفائر موسمها الرابع الذى امتد من مارس الى ابريل
عام ١٩٦٤ م .
- ١٠٩٤ - الادريسي : المصدر السابق : ص : ٢١ .
- ١٠٩٥ - الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥١ .
- ١٠٩٦ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٧٠ .
- ١٠٩٧ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٩١ .
- ١٠٩٨ - المقرئى : الخطط : ج ١ ص : ٣٧٠ .
- ١٠٩٩ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٢ .
- ١١٠٠ - نشر الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب جزأين من هذه الشواهد بالمعهد
العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .
- Stelae Islamiques de la Necropole d'Assouan. بعنوان :
صدر أولهما سنة ١٩٧٧ عن الشواهد من رقم (١) الى رقم (١٥٠) وصدر الثانى سنة
١٩٨٢ عن الشواهد من رقم (١٥١) الى رقم (٣٠٠) ، وقد راجعت بنفسى هذين
الجزئين وصححت ما ورد فيهما من أخطاء نشرت كملحق مستقل فى نهاية الجزء الثانى ،
وكان من المفروض أن تصدر باقى الاجزاء وعددها (٨) أجزاء تباعا لتكتمل السلسلة فى
عشرة أجزاء لولا أن خلافا فى ذلك يتعلق بحقوق أدبية لغير المؤلف أدى الى ايقاف نشر
باقى هذه الاجزاء مؤقتا .
- ١١٠١ - انظر : محمود الحويرى : المرجع السابق : ص : ٩١ ، سعد الحادم :
الصناعة الشعبية فى مصر : انظر ص ص ٣٥ ، ٩٣ .

- ١١٠٢ - راجع : الادفوى : المصدر السابق : ص : ٥٢٢ وأنظر أيضا : محمود الحويرى : المرجع السابق ص : ٩١ .
- ١١٠٣ - ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ص : ١٩١ - ١٩٢ .
- ١١٠٤ - الادفوى : المصدر السابق : ص ص : ٦٩٠ - ٦٩١ وأنظر أيضا : محمود الحويرى : المرجع السابق : ص : ٩١ .
- ١١٠٥ - ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٣٠٠ .
- ١١٠٦ - وصف مصر : ج ٢ ص ص : ١٢٣ - ١٢٤ وأنظر أيضا : ارنست كونل : الفن الاسلامى : ص : ١٢٣ .
- ١١٠٧ - سعاد ماهر : الكلم فى مجموعة متحف جاير اندرسون : ص : ١٥ .

مصادر ومراجع الكتاب

أولاً : المصادر العربية :

ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي : ٧٠٤ - ٧٧٩ هـ)
الرحلة : دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

ابن تغري بردى : (يوسف بن تغري بردى الأتابكي : ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)
المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
جزءان تحقيق د . محمد محمد أمين
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٤ - ١٩٨٥م

ابن دقماق : (إبراهيم بن محمد بن أبيهمر العلائي : ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)
الانتصار لواسطة عقد الأمصار : الجزءان ٤ ، ٥
المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت بدون تاريخ
عن طبعة بولاق ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م

ابن سعيد : (علي بن موسى المغربي : ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م)
المغرب في حلى المغرب
تحقيق زكي حسن وآخرين . القاهرة ١٩٥٣م

ابن عبد الحكم : (عبد الرحمن عبد الله بن أعين المصري : ١٥٠ / ٢١٤هـ)
(٧٦٧ - ٨٢٩ م)

فتوح مصر وأخبارها
جزءان في مجلد واحد . نشر هنري ماسيه . مطبعة مجلس
المعارف الفرنساوي الخاص بالعادات الشرقية ١٩١٤م .

ابن عبد الظاهر : (محيي الدين : ٦٢٠ / ٦٩٢ هـ)
تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (قلاوون)
تحقيق : محمد كامل . ط . أولى القاهرة ١٩٦١م .

ابن ظهيرة : (أبو اسحاق برهان الدين : ٨٢٥ - ٨٩١هـ / ٤٤٢ - ١٤٨٦م).
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة .
تحقيق : مصطفى السقا ، كامل المهندس . مطبعة دار الكتب
المصرية ١٩٦٩م .

ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم : ٢١٣ - ٢٧٦هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩م)
المعارف . تحقيق د . ثروت عكاشة . ط . رابعة . دار
المعارف بمصر ١٩٨١ م وأيضا النسخة المنشورة بدار احياء
التراث العربى بيروت . ط . ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ابن مماتي : (الأسعد بن الحظير : ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)
قوانين الدواوين .

تحقيق عزيز سوريال عطية . القاهرة ١٩٤٣م .

ابن منظور : (جمال الدين محمد بن أبى العز المصرى :

٦٣٠ - ٧١١هـ / ١٢٣٢ - ١٣١١م)

لسان العرب . ط . أولى . بولاق ١٣٠١هـ .

الادريسي : (الشريف محمد بن محمد بن عبد العزيز : ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ط . ليدن ١٨٦٦م .

الاصطخرى : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى : ت ٤هـ / ١٠م).
مسالك الممالك . ط . ليدن ١٩٢٧م

الحسن بن عمر :

آثار الاول فى ترتيب الدول .

كتاب هامشى فى تاريخ الخلفاء للسيوطى

تحقيق محمد قاسم . القاهرة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٥م .

الفيروزآبادي : (محمد بن يعقوب : ٧٢٩ - ٨١٧هـ)

القاموس المحيط . نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للطبعة
الأميرية ١٣٠١هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ /
١٩٧٧م .

البلاذرى : (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي : ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

فتوح البلدان . ط . أولى . القاهرة . مطبعة الموسوعات.
١٣١٩ / ١٩٠١م وأيضا النسخة التى حققها د . صلاح الدين
المنجد . مكتبة النهضة المصرية (بدون) .

الجوالقي : (موهوب بن أحمد بن محمد : ٤٦٥ - ٥٤٠ هـ)

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم
تحقيق أحمد شاكر • مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ •

الجوهري :

الصحاح • تصحيح : نصر أبو الوفا الهوريني • القاهرة
١٢٨٢ هـ •

الرازي : (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : ٥٤٣ - ٦٠٦ هـ
١١٤٨ - ١٢٠٩ م)

مختار الصحاح • دار الباز للطباعة والنشر • بيروت (بدون)

السيخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : ٨٣١ - ٩٠٢ هـ /
١٤٢٨ - ١٤٩٦ م)

الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء •

تحقيق د • جودة هلال ، محمد صبح ومراجعة علي علي البجاوي
الدار المصرية للتأليف والترجمة • القاهرة (بدون) •

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن :

(٨٤٩ - ٩١١ هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق أحمد أبو الفضل • دار احياء الكتب العربية (عيسى
البابى الحلبي • ط • أولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م •)

العمرى : ابن فضل الله أحمد بن يحيى الكرمانى ٧٠٠ - ٧٤٩ هـ /
١٣٠٠ - ١٣٤٨ م)

مسالك الابصار في ممالك الأمصار

تحقيق أحمد زكى باشا

الجزء الأول • مطبعة دار الكتب المصرية • القاهرة ١٣٤٢ هـ /
١٩٢٤ م •

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود

آثار البلاد وأخبار العباد •

دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م •

القلقشندي : (أحمد بن علي بن عبد الله : ٧٥٦ - ٨٢١ هـ /

١٣٥٥ - ١٤١٨ م)

صبح الأعشى فى صناعة الانشا • المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣١هـ/١٩١٣م •

الكندى : (محمد بن يوسف : ٢٨٣ - ٣٥٠هـ/٨٩٦ - ٩٦١م)
• ولاية مصر •

تحقيق د • حسين نصار • دار صادر بيروت (بدون)
الكندى : (عمر بن محمد بن يوسف)
• فضائل مصر •

تحقيق ابراهيم العدوى ، على عمر
مكتبة وهبة بالقاهرة • ط • أولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م
الحبى : محمد أمين بن فضل الله ١٠٦١ - ١١١١هـ/١٦٥٠ - ١٦٩٩م)
• خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر •
• أجزاء • المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ •

القدسى : (محمد بن أحمد بن أبى بكر : ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم • ط • لندن ١٩٠٩م
المسبحى : (محمد بن عبيد الله بن أحمد : ٣٦٦ - ٤٢٠ هـ / ٩٧٧ -
١٠٣٩ م)
• أخبار مصر •

تحقيق أيمن فؤاد ، تيارى بيانكى
مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة
١٩٧٨م

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين : (ت ٣٤٥ هـ)
- التنبيه والاشراف •
تصحيح ومراجعة : عبد الله الصاوى • مطبوعات المكتبة
العصرية ببغداد ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) •
- مروج الذهب ومعادن الجوهر •

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد • دار المعرفة بيروت
١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

المقرئ : (أحمد بن على التلمسانى : ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
المصباح المنير • ط • خامسة • المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٢٢م •

المقرئزى : (تقى الدين أحمد بن على : ت ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ /
(١٣٦٤ - ١٤٤٢ م)

- - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار • ٣ أجزاء •
- طبعة دار التحرير للطباعة والنشر عن مطبعة بولاق ١٢٧٠ هـ
- - السلوك لمعرفة دول الملوك : ٤ مجلدات فى ١٢ جزء تحقيق •
- د • محمد مصطفى زيادة ، د • سعيد عاشور • ط • أولى •
- القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٧٠ م •
- - نحل عبر النحل • تحقيق جمال الدين الشيال • القاهرة •
- ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م •

ناصر خسرو : أبو معين الدين ناصر القباديانى المروزى :
(ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)

- سفر نامه •
- ترجمة وتقديم د • أحمد خالد البدى • عمادة شئون المكتبات •
- جامعة الملك سعود • الرياض •
- ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م •
- وأيضا : سفر نامه عرض وتحليل د • يحيى الحشاش فى تراث
- الانسانية • مجلد ١ • ج ٨ • ص ص ٦٤١ - ٦٥٣ •
- **ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى :**
- ٥٧٥ - ٦٢٥ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٨ م
- معجم البلدان • ٥ أجزاء دار احياء التراث العربى • بيروت •
- ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

اليقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر : ت ٢٨٤ هـ / ٢٩٧ م)

- كتاب البلدان • ط • ليدن ١٨٩٢ م •
- تاريخ اليعقوبى • جزآن • دار بيروت للطباعة والنشر •
- ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م •

ثانيا - المراجع العربية :

أبو زيد شلبى : (دكتور)

- تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى
- مكتبة وهبه بالقاهرة • ط • ثالثة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م •

أبو صالح الألفى :

الفن الاسلامى (أصوله - فلسفته - مدارسها)
دار المعارف بمصر ط . أولى ١٩٦٩م . ط . ثانية ١٩٧٤م .

أحمد فكرى : (دكتور)

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الفاطمى)
دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

أحمد عبد الغفور عطا :

الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم .
ط . أولى . مكة المكرمة ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

إدارة التعداد بنظارة المالية المصرية :

قاموس جغرافى للقطر المصرى .
المطبعة الأميرية ببولاق ١٨٩٩م .

انطوان خليل ضومط : (دكتور)

الدولة المملوكية (التاريخ السياسى والاقتصادى والعسكرى)
١٢٩٠ - ١٤٢٢م)

دار الحداثة . بيروت . ط . أولى . ١٩٨٠م .

أنور الرفاعى :

تاريخ الفن عند العرب والمسلمين
دار الفكر . ط . ثانية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

ياهو لبيب : (دكتور)

- لمحات من الفنون والصناعات . ط . ثانية القاهرة ١٩٦٢م .
- الفن القبطى . سلسلة كتابك العدد ١١٨ . دار المعارف
١٩٧٨م .

توفيق عبد الجواد : (دكتور)

تاريخ الفنون والعمارة : ٤ مجلدات . القاهرة
١٩٦٨ - ١٩٧١م .

جلال مظهر :

حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى .
مكتبة الخانجى . القاهرة ١٩٧٤م .

جمال الدين الشيبال (دكتور)

- دراسات فى التاريخ الاسلامى
- دار الثقافة • بيروت ١٩٨١م

جورجى زيدان :

- تاريخ التمدن الاسلامى • جزآن • القاهرة ١٩٠٢م

حسن ابراهيم حسن : (دكتور)

- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
- الجزء الأول : الدولة العربية فى الشرق ومصر والمغرب
- والأندلس • ط • تاسعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥م

حسن الباشا : (دكتور)

مدخل الى الآثار الاسلامية

دار النهضة العربية : القاهرة ط ١٣٧٩ / ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب :

- تاريخ المساجد الأثرية : جزآن نص وكتالوج • القاهرة
- ١٩٤٦م

حسن محمد الهوارى :

• الفسطاط

• المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٧م

حسين مؤنس : (دكتور)

- ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل)
- دار المعارف بمصر ١٩٨٠م

حسين الرفاعى :

- تطور الصناعات فى مصر • القاهرة ١٩٣٣م

حورية عبد السلام : (دكتورة)

- النظم الحربية فى مصر زمن الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ /
- ٩٦٨ - ١١٧١م)

• دار الفكر العربى • بيروت ١٩٨٠م

خليل الجر وآخرين : (دكتور)

- المعجم العربى الحديث • لاروس • مكتبة لاروس باريس
- ١٩٧٣م

راشد البراوى : (دكتور)

حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين . ط . أولى القاهرة .
١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م .

رؤوف حبيب :

دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة بمصر القديمة .
القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

زكى محمد حسن : (دكتور)

— فنون الاسلام : دار الرائد العربى . بيروت ١٤٠١هـ /
١٩٨١م .

— الفن الاسلامى فى مصر من الفتح العربى الى نهاية العصر
الطولونى . دار الرائد العربى . بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
— كنوز الفاطميين . دار الرائد العربى . بيروت

١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

— أطلس الفنون الزخرفية والتصاير الاسلامية . بيروت .
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

سامح عبد الرحمن فهمى : (دكتور)

الوحدات النقدية المملوكية . ط . أولى . جـدة .
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ساويرس بن المقفع :

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير البيعة المقدسة ::
٧ أجزاء فى ٣ مجلدات . القاهرة ١٩٤٣م .

سعاد ماهر محمد : (دكتورة)

— القاهرة القديمة وأحيائها . المكتبة الثقافية : ٧٠ عدد .
أكتوبر ١٩٦٢م .

— النسيج الاسلامى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية القاهرة .
١٩٧٧ .

— الفن القبطى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية القاهرة .
١٩٧٧ .

— البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية . دار المجمع
العلمى بجدة : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور)

— الظاهر بيبرس • سلسلة أعلام العرب عدد : ١٤ -
القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م •

— العصر المماليكى فى مصر والشام • ط • أولى • القاهرة
١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م •

— بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى • مطبوعات
جامعة بيروت العربية ١٩٧٧م •

السيد الباز العرينى : (دكتور)

• مصر فى عصر الأيوبيين • سلسلة الألف كتاب العدد ٢٦٩
القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م •

الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (الأيوبيون) • دار
النهضة العربية • بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م •

السيد محمود عبد العزيز سالم : (دكتور)

• تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى •
الاسكندرية ١٩٨٢ م

سيده اسماعيل كاشف : (دكتورة)

• مصر فى عصر الأخشيدين : القاهرة ١٩٥٠م •

السيد محمود عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادى : (دكتوران)

• تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط
ج ١ • مؤسسة شباب الجامعة • الاسكندرية • ١٩٨١م •

الشيخ الأمين عوض الله :

• الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى •

دار المجمع العلمى بجدة : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

عبد الرحمن زكى : (دكتور)

— الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع • المكتبة الثقافية
عدد ١٥٨ القاهرة ١٩٦٦م •

— القاهرة : تاريخها وآثارها من جوهر القائد الى الجبرتنى
المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة • القاهرة
١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م •

عبد العال عبد المنعم الشامي : (دكتور)

مدن مصر وقراها عند ياقوت • ط • أولى الكويت : ١٤٠١هـ /
١٩٨١م •

عبد الله حسين :

الدولة الاسلامية : تاريخها وحضارتها : ٥ أجزاء • القاهرة
١٩٤٧ - ١٩٤٨م •

عفيف بهنسي :

جمالية الفن العربي • سلسلة عالم المعرفة • الكويت
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م •

علي باشا مبارك :

الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة :
عشرون جزءا في خمس مجلدات • طبعة بولاق ١٣٠٥هـ •

علي حسني الخربوطلي : (دكتور)

الحضارة العربية الاسلامية • مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥ م

عمر رضا كحالة :

الفنون الجميلة في العصور الاسلامية • المطبعة التعاونية
بدمشق • ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م •

فتحية النبراوي : (دكتورة)

تاريخ النظم والحضارة الاسلامية :
دار المعارف بمصر • ط • ثانية ١٩٨١م •

فريد محمود شافعي : (دكتور)

الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي •
مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (مجلد ١٤ ج ٢
ص ٦٨ - ٧٢)

محمد جمال الدين سرور : (دكتور)

— دولة بني قلاوون في مصر • القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م •
— تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق • ط • ثانية :
القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م •

— مصر فى عصر الدولة الفاطمية • مكتبة النهضة المصرية
• ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

محمد رمزى :

القاموس الجغرافى للبلاد العربية •
قسمان فى خمسة مجلدات • مطبعة دار الكتب المصرية •
١٩٥٣ - ١٩٣٦م

محمد صدقى الجباخنجى :

الموجز فى تاريخ الفن • دار نهضة مصر ١٩٨٠م

محمد عبد الله عنان :

مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية •
ط • أولى • مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م

محمد عبده الحجاجى :

قوص فى التاريخ الاسلامى • المكتبة الثقافية عدد ٣٦٣ •
الهيئة المصرية العامة للكتاب • القاهرة ١٩٨٢م

محمد عبد العزيز مرزوق : (دكتور)

— الناصر محمد بن قلاوون • سلسلة أعلام العرب ٢٨ •
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة • القاهرة
(بدون)

— تاريخ صناعة النسيج فى الاسكندرية على عهد البطالة •
الاسكندرية • (بدون)

محمود ابراهيم حسين : (دكتور)

الحزف الاسلامى فى مصر : مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة : ١٩٨٤م

محمود عكوش :

مصر فى عهد الاسلام (خواطر فى تاريخها ونبد عن آثارها)
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤١م

محمود محمد الخويرى : (دكتور)

أسوان فى العصور الوسطى •
دار المعارف بمصر • ط • أولى ١٩٨٠م

محمد مصطفى : (دكتور)

– شرف الابوانى صانع الفخار المصرى فى القرن الثامن الهجرى .

مؤتمر الآثار فى البلاد العربية . دمشق ١٩٤٧م .
(ص ص ٥٩ – ١٦٤)

– متحف الفن الاسلامى . دليل موجز . القاهرة ١٣٧٧هـ /
١٩٥٨م .

محمد مصطفى زيادة وآخرين : (دكتور)

تاريخ الاسلام ومصر الاسلامية . القاهرة ١٩٥٥م

مصطفى محمد حسين :

دراسات فى تطور فنون النسيج والطباعة .

دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة ١٩٦٩م .

الموسوعة العربية الميسرة :

ط . ثانية . القاهرة ١٩٧٢م .

نخبة من العلماء :

تاريخ الحضارة المصرية . المجلد الثانى . العصر اليونانى .
الرومانى والعصر الاسلامى (

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
القاهرة (بدون)

نعمت علام :

– فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية

دار المعارف بمصر . ط . ثانية ١٩٧٧م

– فنون الشرق الأوسط فى الفترات الهلنستية . دار
المعارف بمصر

نقولا زيادة :

مدن عربية . دار الطليعة . بيروت . ط . أولى ١٩٦٥م .

ثالثا – المراجع الأجنبية المعربة :

أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية :

نشر أدولف جوهمان وتعريب حسن ابراهيم حسن .
عبد الحميد حسن

الجزءان الأول والثاني . مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٤ - ١٩٣٦ م .

تراث الاسلام :

تأليف جمهرة مستشرقين بإشراف سيرتوماس أرنولد وترتيب
جرجس فتح الله . ط. ثالثة . دار الطليعة . بيروت ١٩٧٨ م .
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة
في الاسلام : جزءان

تأليف : آدم مئز .

تعريب : محمد عيد الهادى أبو ريده . دار الكتاب العربى .
بيروت (بدون)

دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظم الاسلامية .
تأليف : س . د جوتاين

تعريب وتحقيق : د . عطيه القوصى . وكالة المطبوعات .
الكويت ١٩٨٠ م .

سيرة القاهرة :

تأليف : ستانلى لين بول .

تعريب : د . حسن ابراهيم حسن ، د . على ابراهيم حسن ،
ادوارد حلیم :

مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٠ م .

فتح العرب لمصر :

تأليف : الفريد بتلر

تعريب : محمد فريد أبو حديد .

مطبعة دار الكتب المصرية . ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .

الفنون الاسلامية :

تأليف : م . س . ديماوند

تعريب : د . أحمد عيسى

دار المعارف بمصر . ط . ثالثة ١٩٨٢ م

المصريون المحدثون :

تأليف ادوارد وليم لين

تعريب : عدلى طاهر نور . ط . أولى القاهرة ١٩٥٠ م .

وصف مصر :

تأليف : علماء الحملة الفرنسية .

تعريب : زهير الشايب .

ط . ثانية . مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩ م .

رابعاً - المراجع الأجنبية :

— Cohen (M.) et Combe (E.T.) :

— Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe :

Fahmy (A. H.) :

Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century A.D.

1st ed. Cairo 1966.

Muslim Naval in the Eastern Mediterranean From the seventh to the tenth Century A.D.

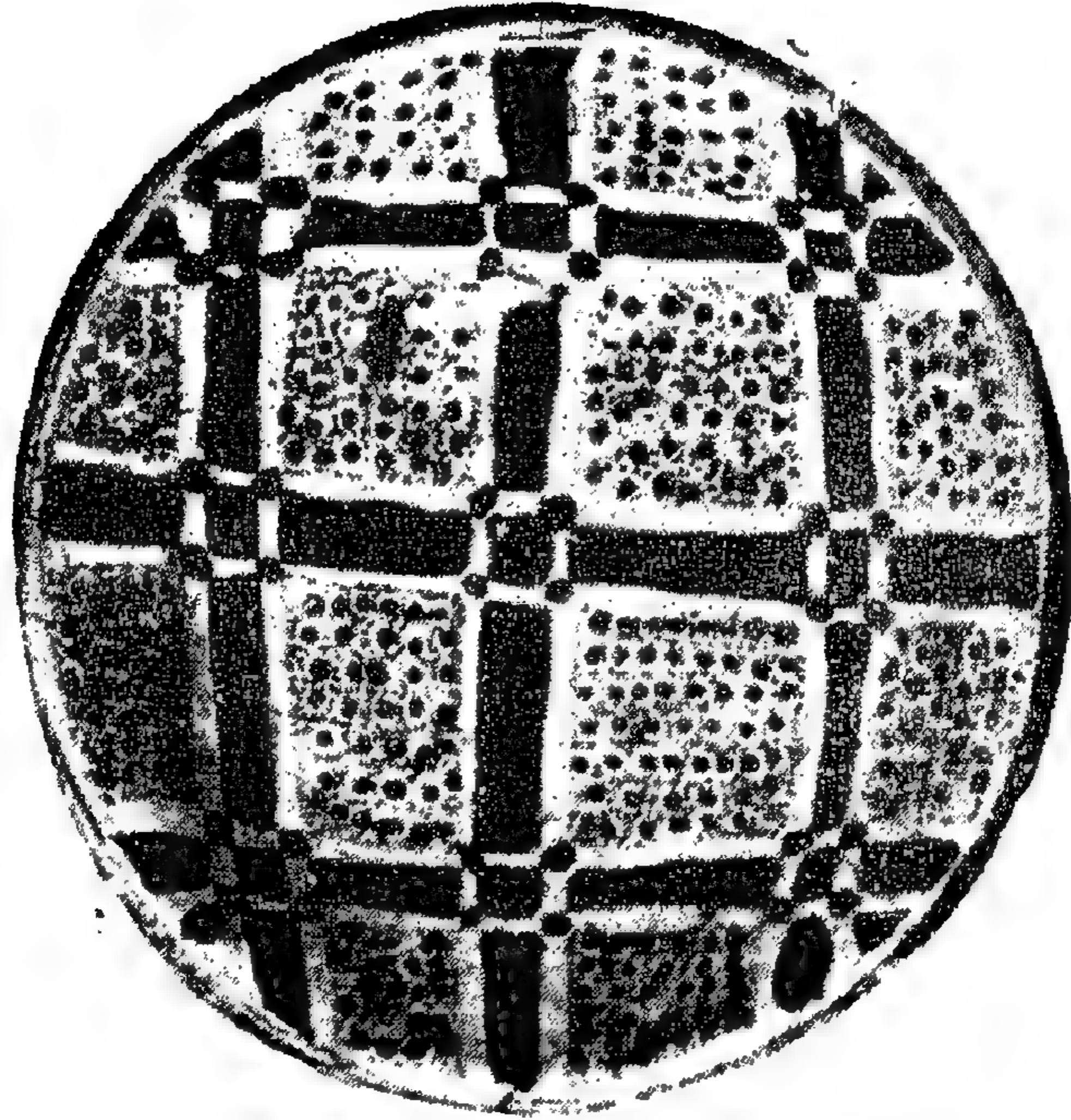
1st ed. Cairo 1966.

Kubiak (W. B.) :

Byzantine attack on Damietta in 853 A.D.

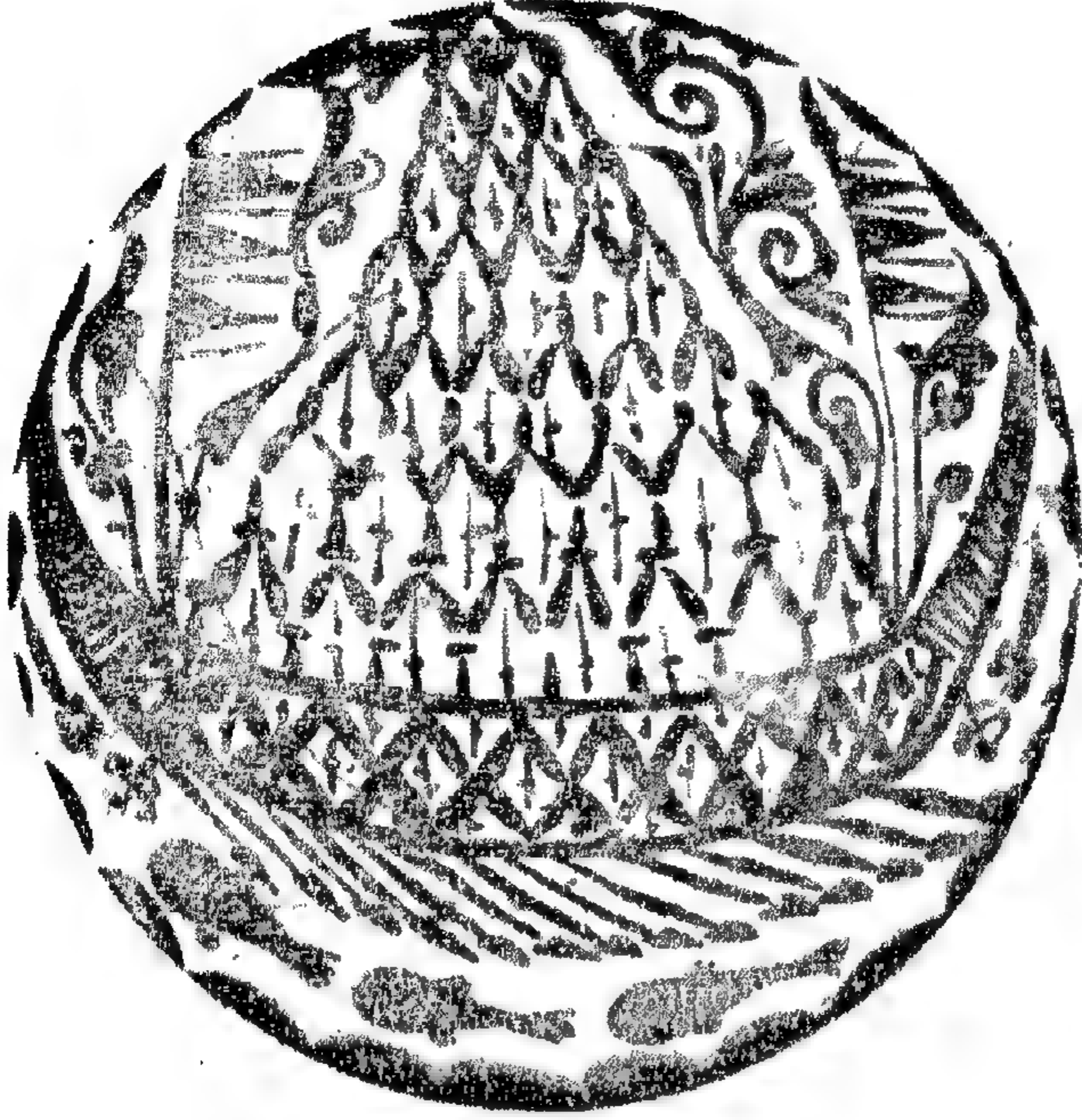
Byzantion, Vol. xl 1970, pp. 45-66.

الأشكال واللوحات



(شكل ١)

صحن من الخزف العباسي ذي البريق المعدني من صناعة مصر (الفيسطاط)
في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
(رقم سجل ٤١٧٦) راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ١٧ .



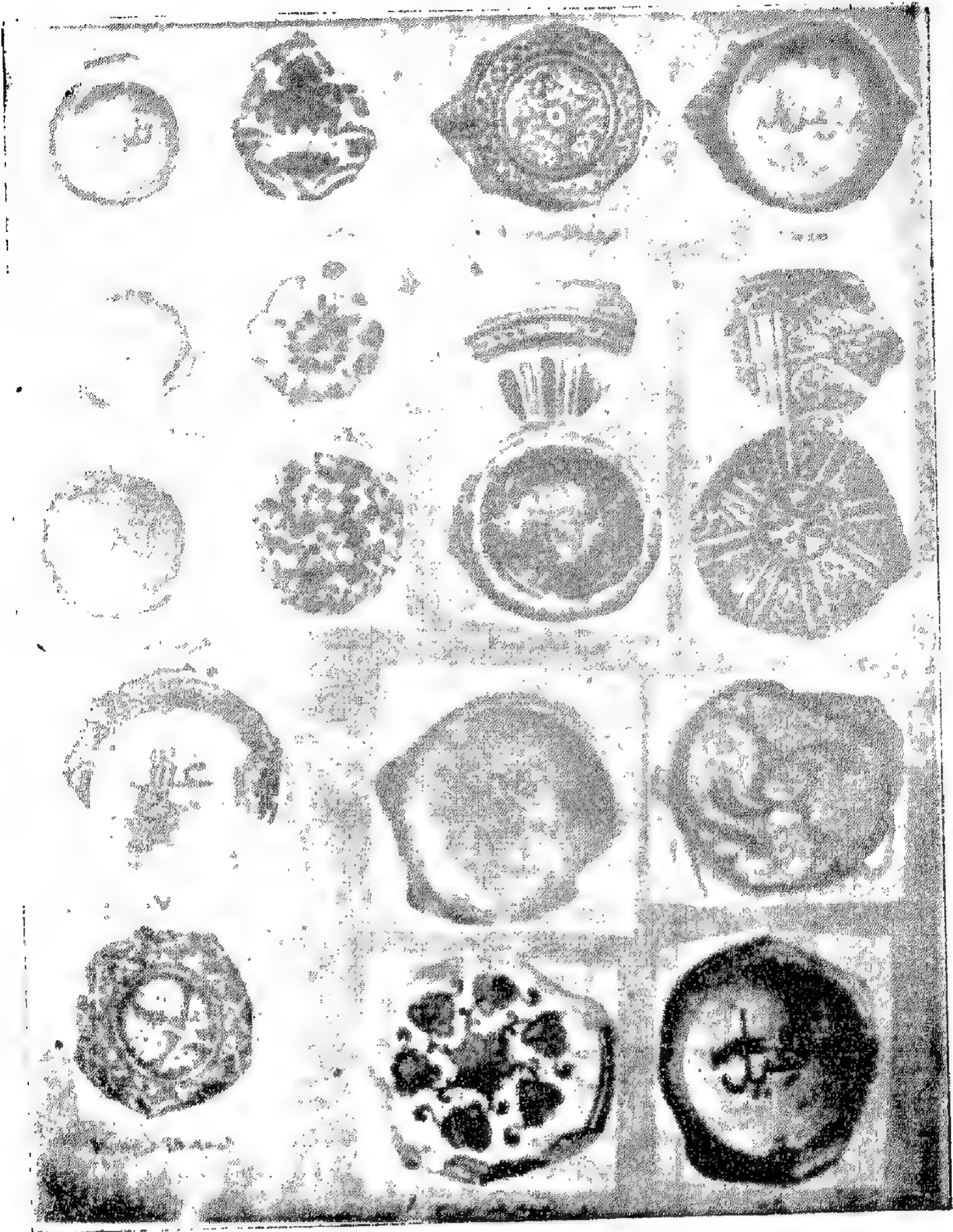
(شكل ٢)

صحن من الخزف العباسي ذي البريق المعدني من صناعة مصر في
القرنين (٣ - ٤هـ / ٩ - ١٠م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل
٧٩٠٠) راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ١٨ .



(شكل ٣)

صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني من صناعة مصر في القرنين
 (٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٥٨٦٧)
 راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٠ .



(شكل ٤)

قطع من الخزف المملوكي ذي الزخارف المرسومة تحت الدهان عليها
 أسماء صنّاع من صناعة مصر في القرنين (٨ - ١٤ / هـ - ١٥ م)
 بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٦٠٢٩ ، ٦٠٣٧ ، ١/٦٠٣٩ ،
 ٦٠٣٠ ، ١/٦٠٣٤ ، ١٠/٧٢٣٣ ، ٢/٥٨٥٩) . راجع ايضا :
 زكي حسن : اطلس : شكل ١٨٨ .



(شكل ٥)

قطعة من الفخار المظلي المملوكي من عمل الخزاف « شرف الأبواني »
من صناعة مصر في القرنين (٧ - ١٣ / هـ - ١٥ م) بمتحف الفن
الإسلامي (رقم سجل ٣٨٥٤) راجع أيضا : زكي حسن :
أطلس : شكل ١٩٨ .



(شكل ٦)

كاس من الفخار المظلم المملوكى عليه رنك البقرة من صناعة مصر فى
القرنين (٧ - ١٣/هـ - ١٥ م) فى متحف برلين راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس : شكل ١٨٩ .



(شكل ٧)

اجزاء من قدور من الفخار المطلق المملوكى عليها رنوك . من صناعة
مصر فى القرنين (٧ - ٩ هـ / ١٣ - ١٥ م) ولا سيما رنك عسوا
البولو . بمتحف الفن الاسلامى (ارقام ٧/٥١٥٨ ، ١/٥١٣٦ ،
٧/٥١٠١ ، ٥١٢٦ ، ٥/٥١٠٤) راجع ايضا : زكى حسن :
اطلس : شكل ١٩٩ ، ٢٠٠ .



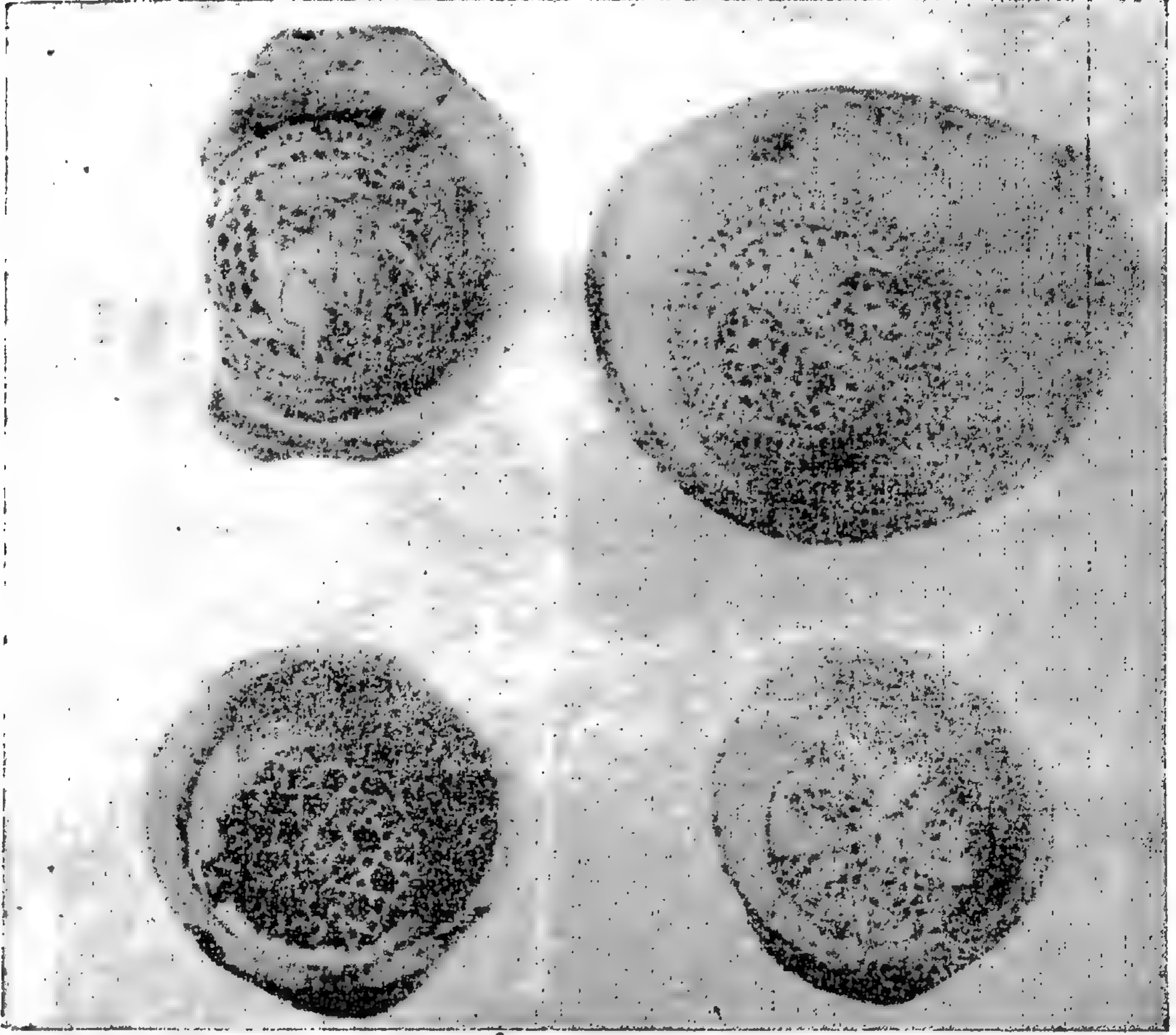
(شكل ٨)

كأس من الفخار المظلي المملوكي من صناعة مصر في القرنين
 (٧ - ٩ هـ / ١٣ - ١٥ م) عليه رنك الكأس بمتحف الفن الاسلامي
 (رقم سجل ٣٩٤٥) راجع أيضا : زكي حسن : اطلس :
 شكل ١٩١ .



(شكل ٩)

شباك قله من عدل « عابد » من صناعة مصر في العصور الوسطى
بمتحف الفن الاسلامى (بدون رقم سجل) راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس : شكل ٢٠٣ .



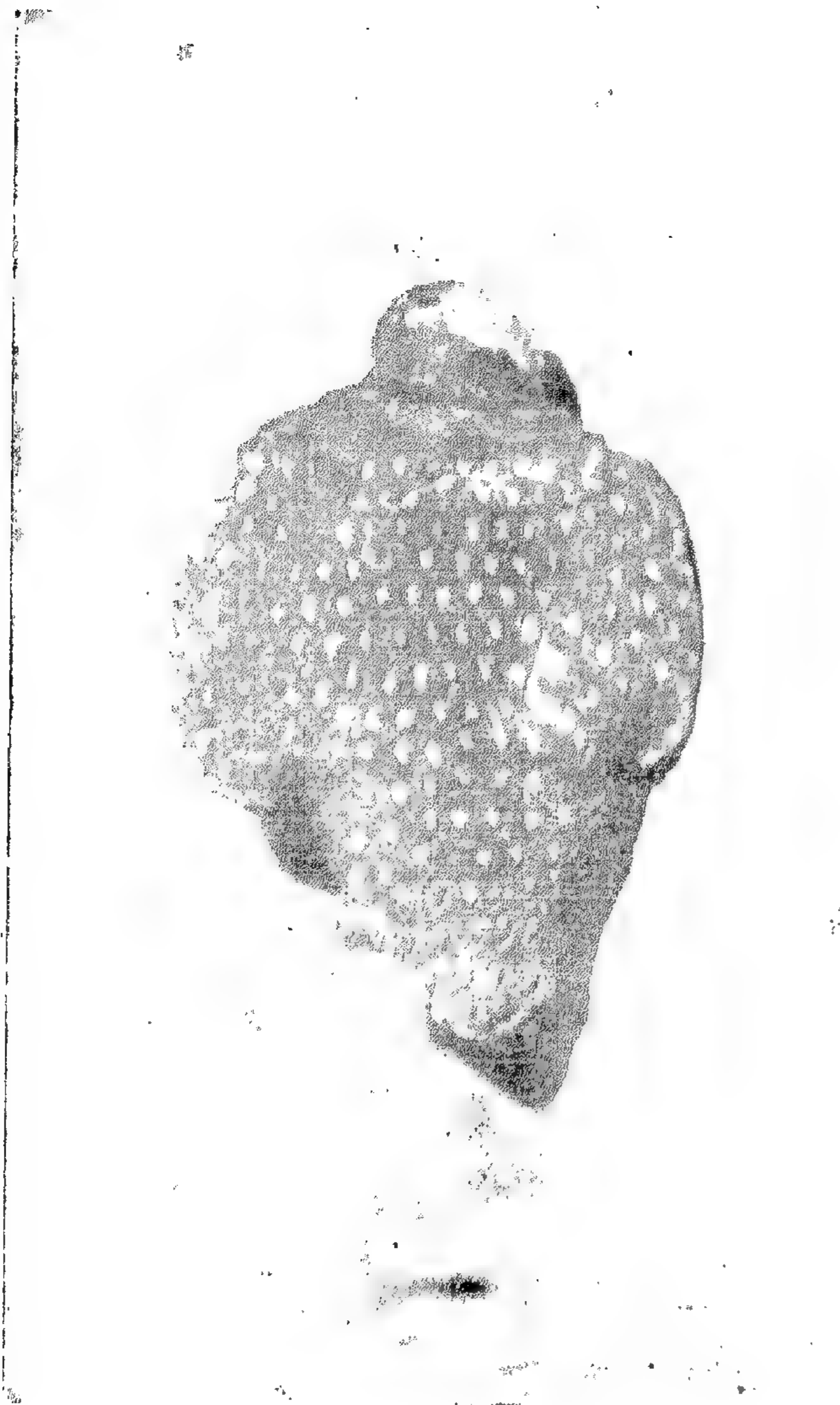
(شكل ١٠)

شبابيك قلل من صناعة مصر فى العصور الوسطى • بمتحف كلية
الآثار (ارقام سجل ٧٢٢ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩) • راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس : شكل ٢٠٢ •



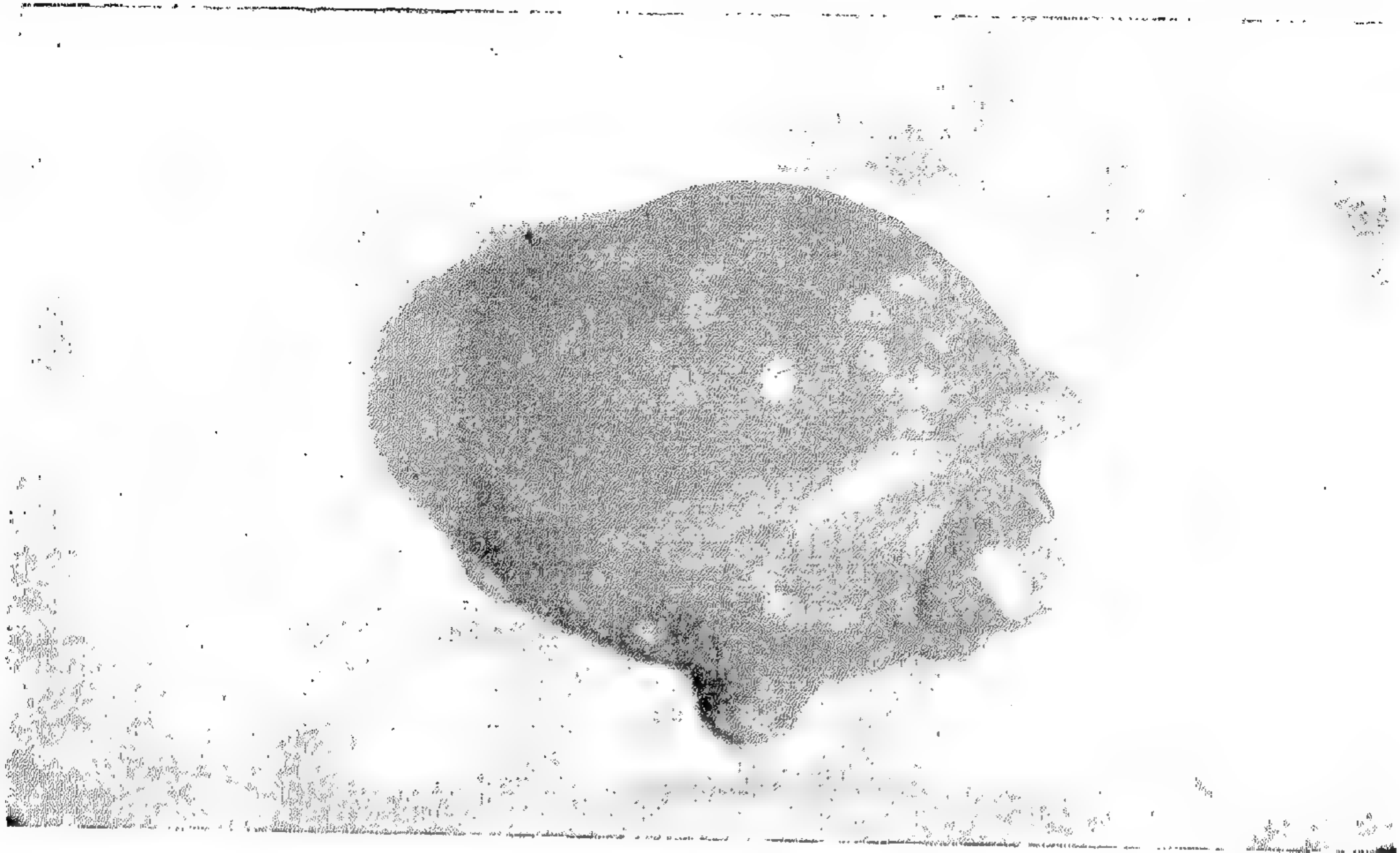
(شكل ١١)

قارورة نפט من صناعة مصر فى العصور الوسطى ذات شكل
تقليدى • بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢٥٦٨٠) • قارن
ايضا : محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى مصر قبل
الفاطميين : شكل ٥٠ ، ص ١٧٣ - ١٧٦ •



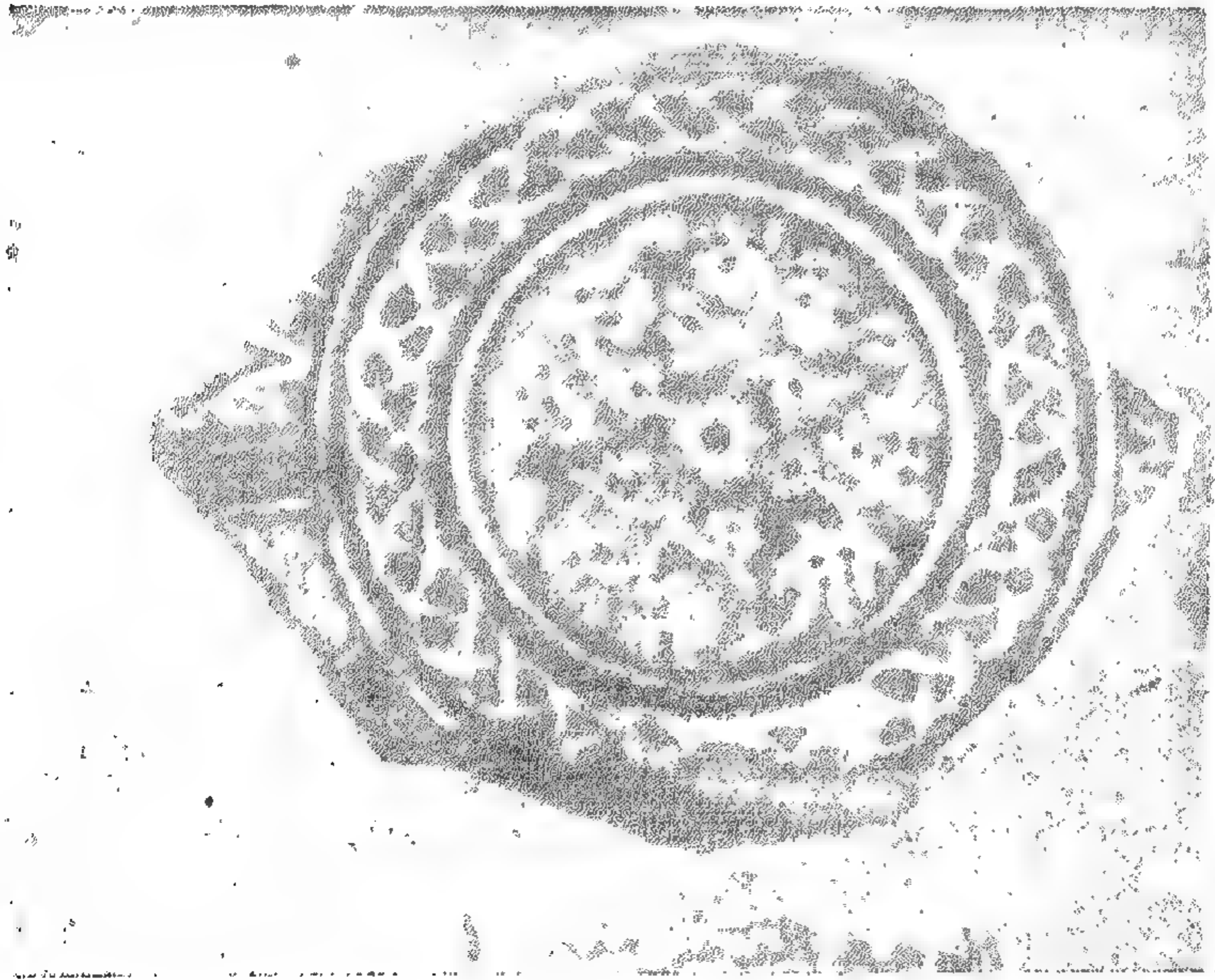
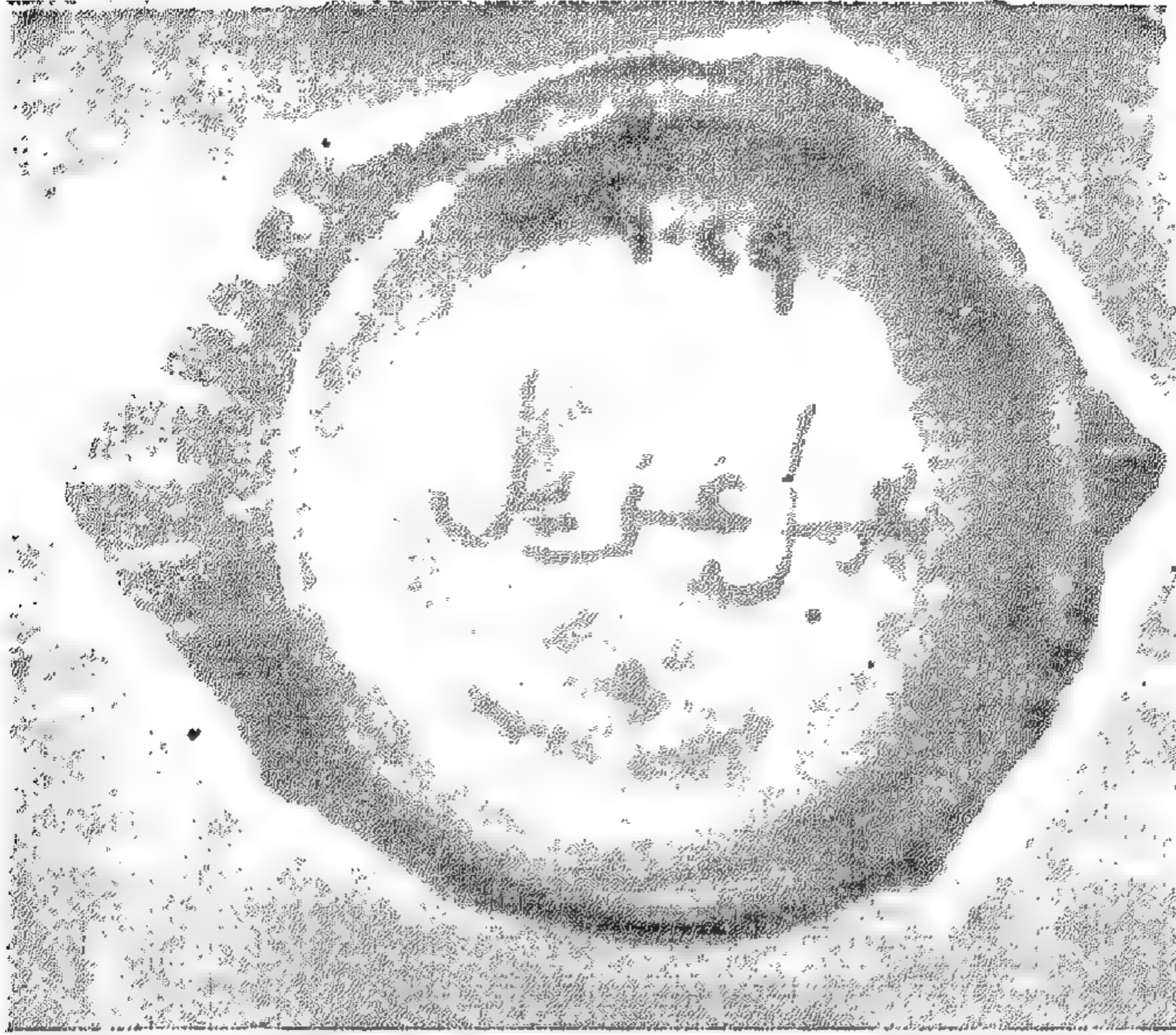
(شكل ١٢)

قارورة نطف من صناعة مصر في العصور الوسطى ذات شكل على
هيئة سمكة بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٣٩٢٤) • قارن
ايضا : المرجع السابق : نفس الشكل ونفس الصفحات •



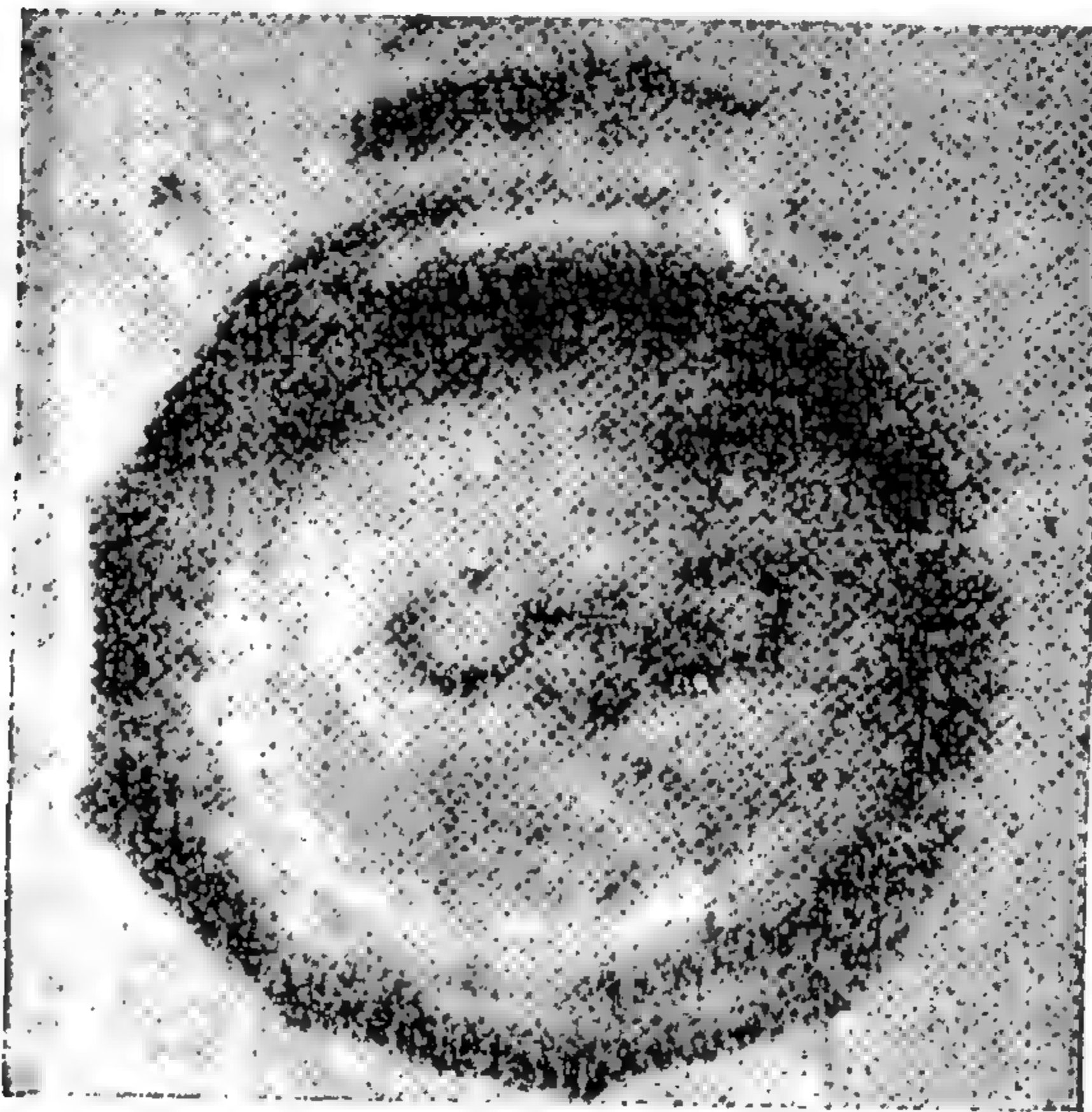
(شكل ١٣)

قارورة نفط من صناعة مصر في العصور الوسطى ذات شكل على
هيئة سلحفاة بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٤٣١٥) • قارن
أيضا : المرجع السابق : نفس الشكل ونفس الصفحات •



(شكل ١٤)

قطعة من الخزف المملوكى ذى الزخارف المرسومة تحت الدهان عليها
توقيع « غزير » من صناعة مصر فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م)
بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٦٠٢٩) راجع أيضا :
زكى حسن : أطلس : شكل ١٨٨ •



(شكل ١٥)

قطعة من الخزف المملوكى ذى الزخارف الرسومة تحت الدهان عليها
توقيع « دهن » من صناعة مصر فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥ م)
بمتحف الفن الاسلامى رقم سجل ١/٦٠٣٧ راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس : شكل ١٨٨ •



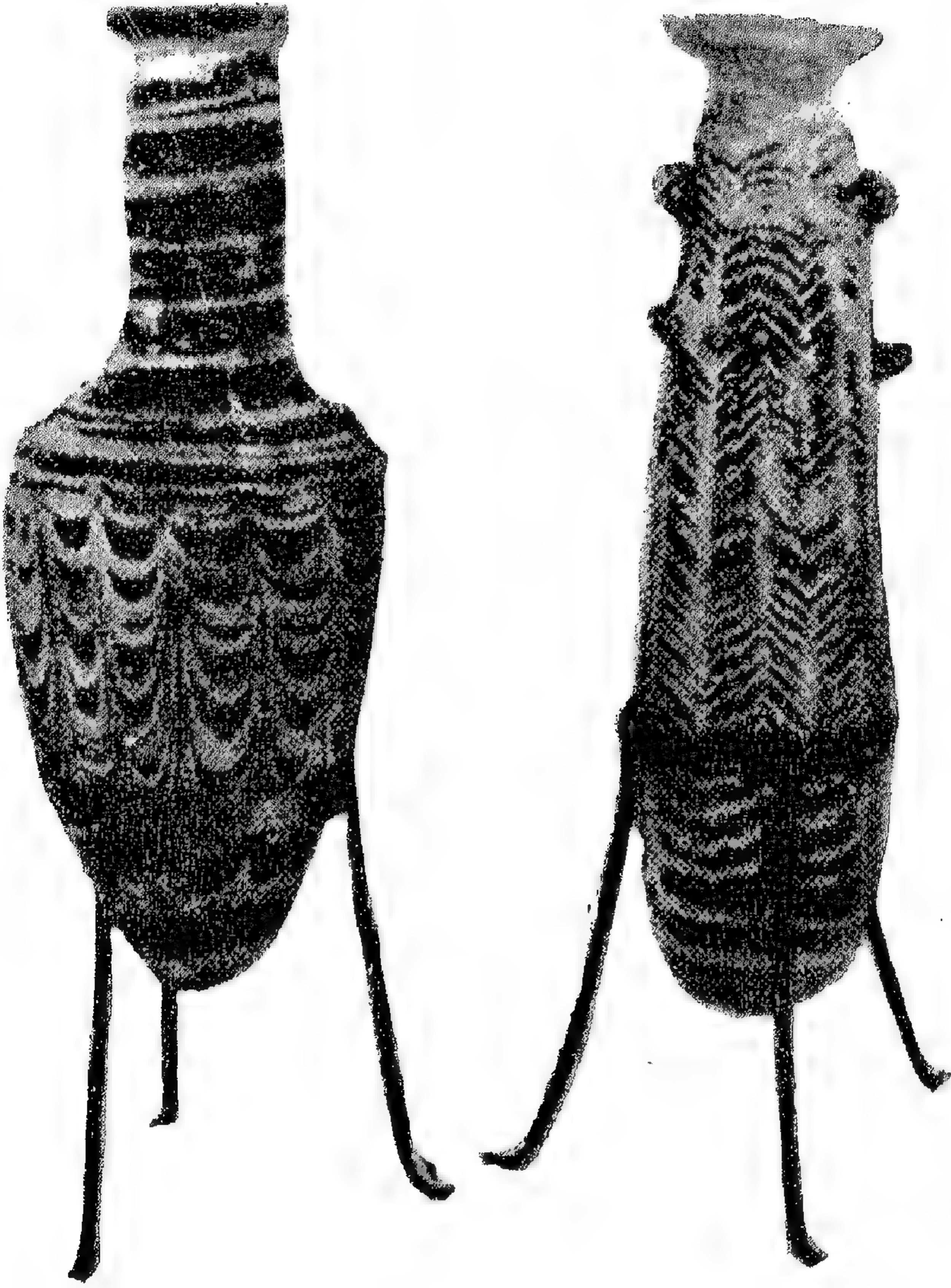
(شكل ١٦)

مثقال فلس باسم عبيد الله بن الحبحاب • عامل خراج مصر من سنة
١٠٢ - ١١٦ هـ / ٧٢٠ - ٧٣٤ م بمتحف الفن الاسلامي راجع ايضا :
عبد الرحمن فهمي : صنيح السكة : (شكل ١٦ لوحة ٢) ،
ص ص : ٥٢ - ٥٣ •



(شكل ١٧)

كاس من الزجاج المعتم ذات زخارف مختومة من صناعة مصر في القرنين
(١ - ٢ هـ / ٧ - ٨ م) في متحف برلين راجع أيضا : زكي حسن :
اطلس : شكل : ٧٣٢ .



(شكل ١٨)

قنيتان من الزجاج الذى يشبه الزجاج المليفورى من صناعة مصر فى
القرنين (١ - ٢ هـ / ٨ - ٩ م) فى متحف كلية الآثار • راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس : شكل : ٧٣١ •



(شكل ١٩)

كاس من الزجاج من صناعة مصر في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م)
في متحف برلين راجع ايضا : زكى حسن : اطللس :
شكل : ٧٣٠



(شكل ٢٠)

كاس من الزجاج من صناعة مصر في القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م)
 في متحف كلية الآثار (رقم سجل ١٦١٧) راجع أيضا :
 زكي حسن : اطللس : شكل : ٧٣٦ .



(شكل ٢١)

كأس من الزجاج من صناعة مصر في القرن (٤ هـ / ١٠ م) في
متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٢٤٦٣) راجع ايضا : زكي
حسن : اطلس : شكل : ٧٣٧ .



(شكل ٢٢)

فنية من الزجاج من صناعة مصر في القرنين ٥ - ١١/هـ - ١٢ م
 في متحف برلين • راجع ايضاً : زكى حسن : اطلس :
 شكل : ٧٣٨ •



(شكل ٢٣)

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم الملك الأشرف خليل من صناعة
مصر في القرن (٧ هـ / ١٣ م) في متحف الفن الاسلامي ،
راجع ايضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٧٤٩ .



(شكل ٢٤)

مشكاة من الزجاج الموه بالميثا باسم الملك الناصر محمد ، من صناعة
مصر في القرن (٧ هـ / ١٣ م) • في متحف الفن الاسلامي •
راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٧٥٠ •



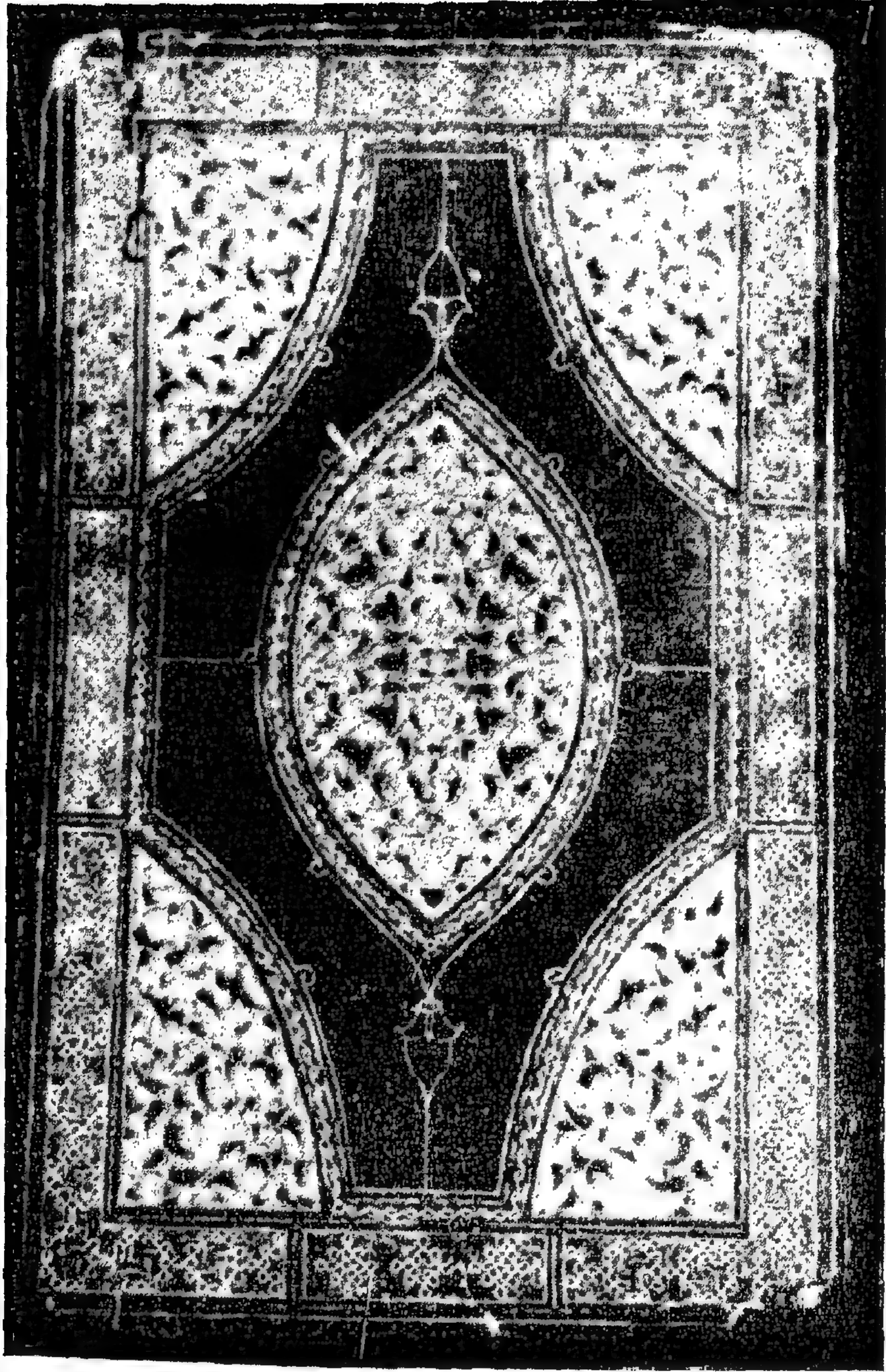
(شكل ٢٥)

إبريق من البللور الصخري من صناعة مصر في القرن (١١/٥٥ م)
في متحف فكتوريا والبرت بلندن . راجع أيضا : زكي حسن :
اطلس : شكل : ٧٤٣ .



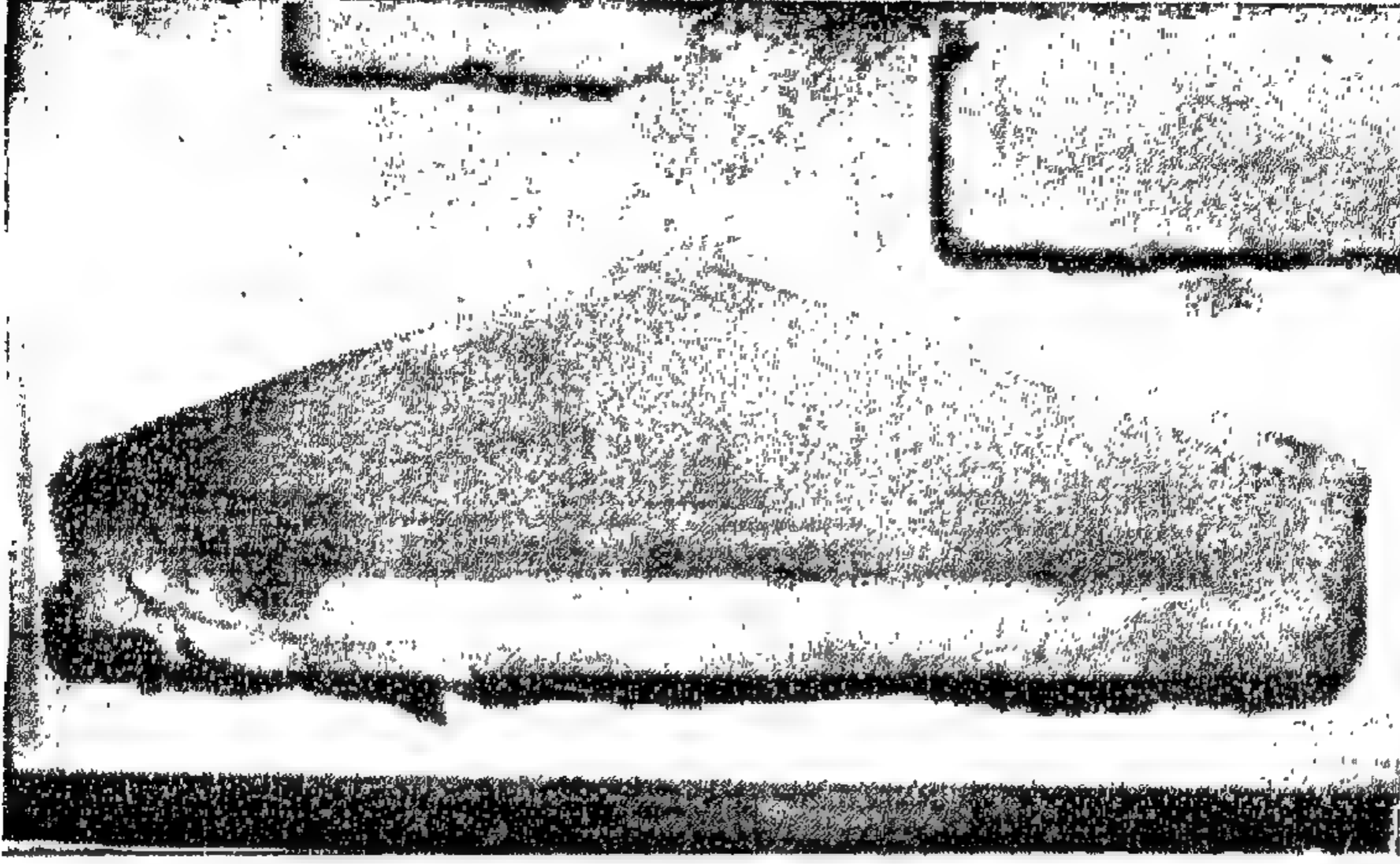
(شكل ٢٦)

أحدى الكؤوس الزجاجية المعروفة باسم كؤوس القديسة هدويج من
صناعة مصر فى القرن (٥ هـ / ١١ م) • فى متحف أمستردام •
راجع أيضا : زكى حسن : اطللس : شكل ٧٤١ •



(شكل ٢٧)

جلدة كتاب من صناعة مصر في القرنين (٧ - ٨ هـ / ١٤ - ١٥ م)
في متحف برلين . راجع ايضا : زكى حسن : اطلس شكل ٩٣٤



(شكل ٢٨)

قطع من جلود كتب من صناعة مصر خلال العصر المملوكى فى القرنين
(٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) بمتحف الفن الاسلامى .



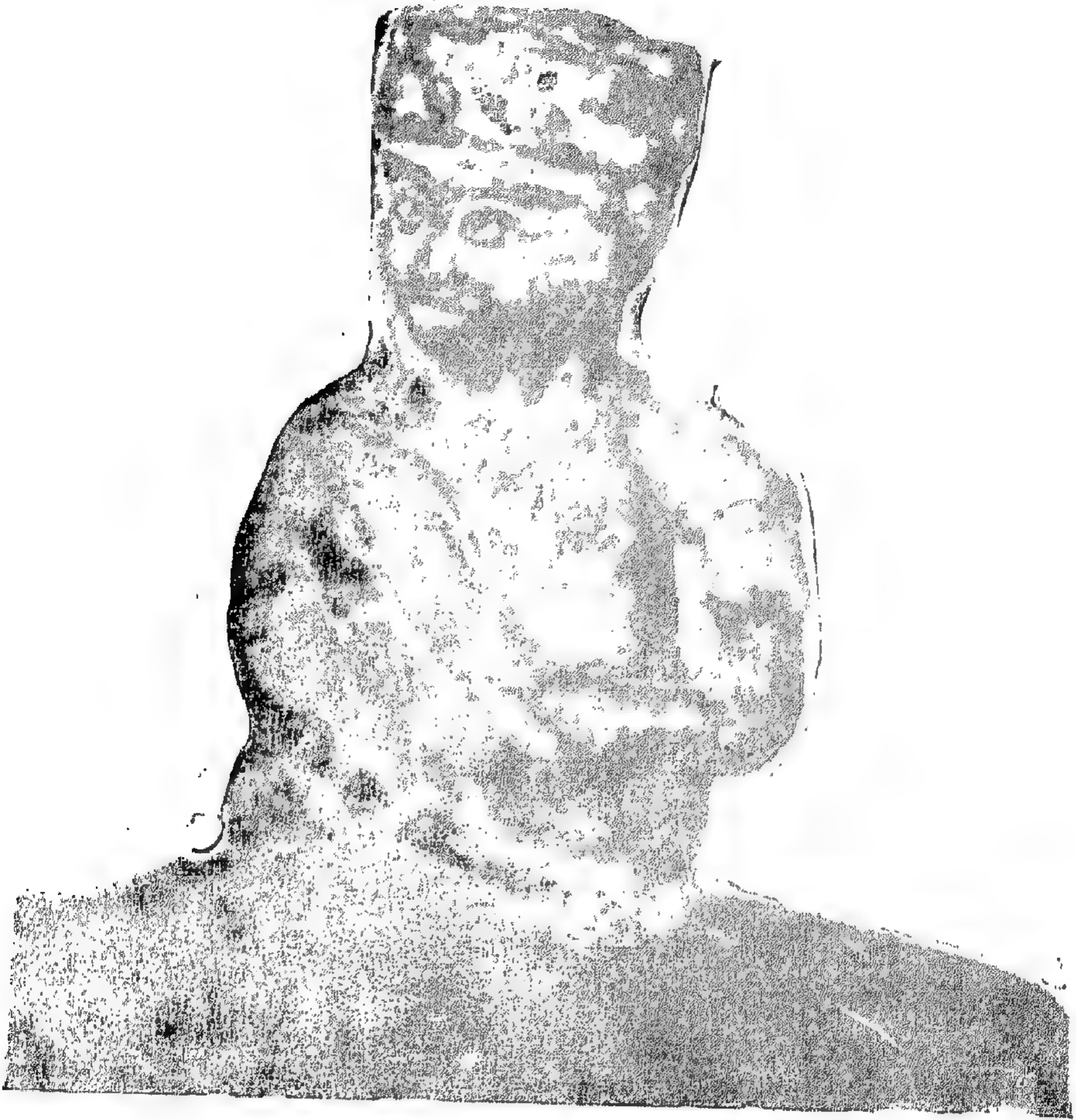
(شكل ٢٩)

تمثال آيل من البرونز من صناعة مصر في العصر الفاطمي في القرنين
(٤ - ٦ هـ / ١٠ - ١٢ م) في متحف ميونيخ . راجع ايضا :
زكى حسن : اطلس شكل ٤٥٠ .



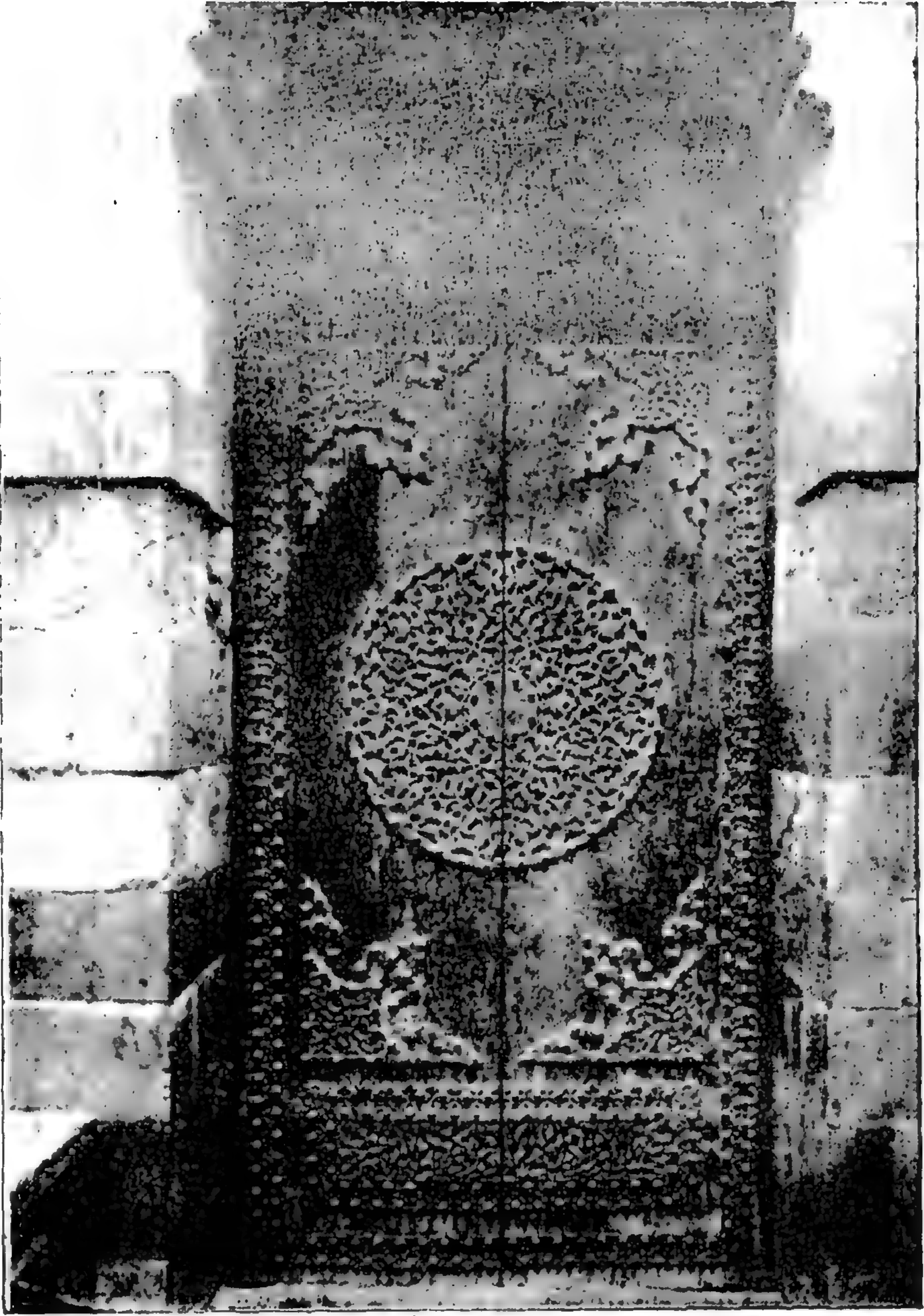
(شكل ٣٠)

تمثال ارنب من البرونز من صناعة مصر في العصر الفاطمي في القرنين
(٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل
١٤٤٨٧) • راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٤٥٥ •



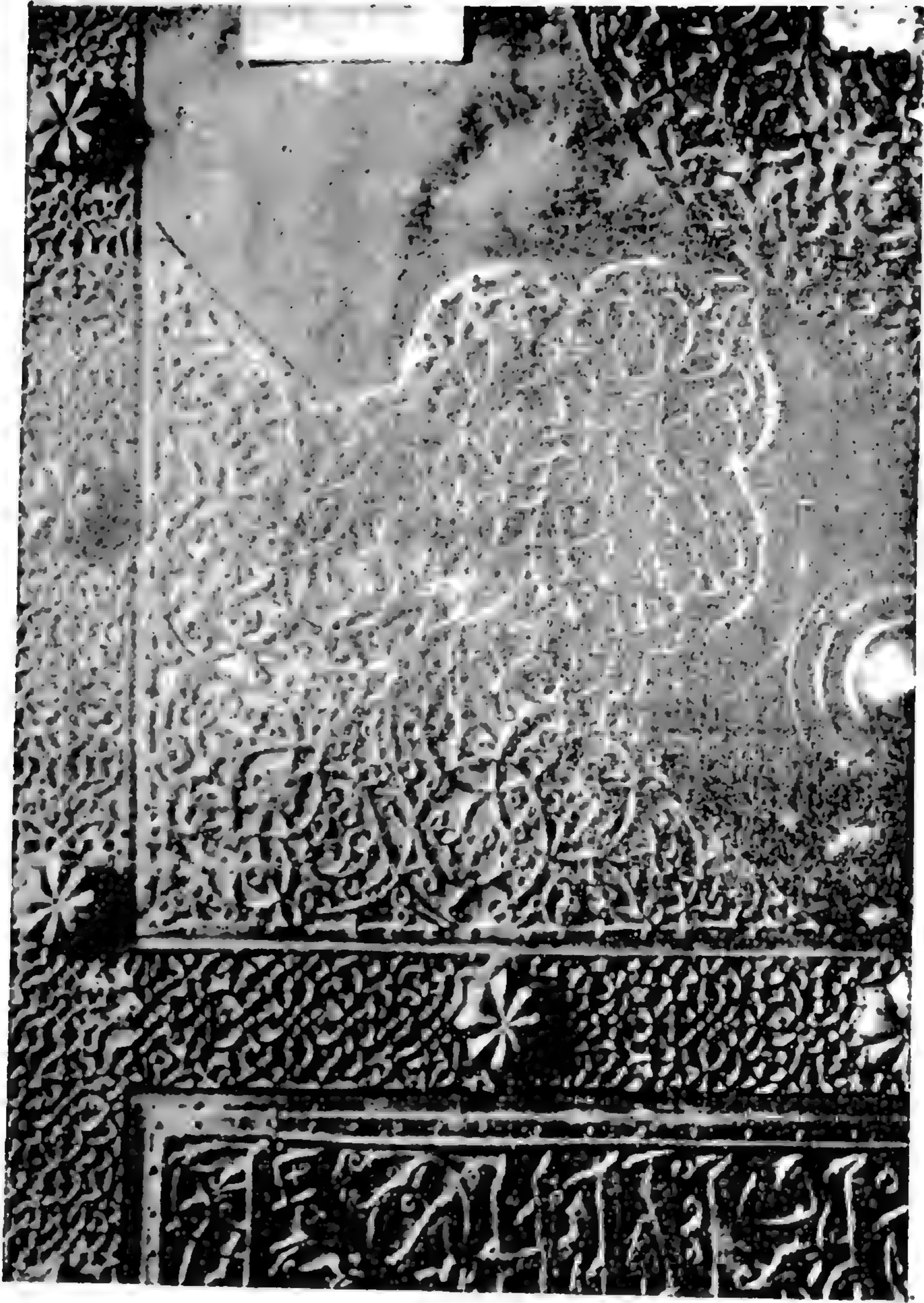
(شكل ٣١)

تمثال سيدة من البرونز من صناعة مصر في العصر الفاطمي في القرنين
(٤ - ٦ هـ / ١٠ - ١٢ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم تسجيل
٦٩٨٣) راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٤٤٩ .



(شكل ٣٢)

باب خشبي معشق بالنحاس المزخرف يوجد في المدرسة الباسطية
بالقاهرة التي ترجع الى سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م . راجع ايضا :
زكي حسن : اطلال : شكل ٥٣٢ .



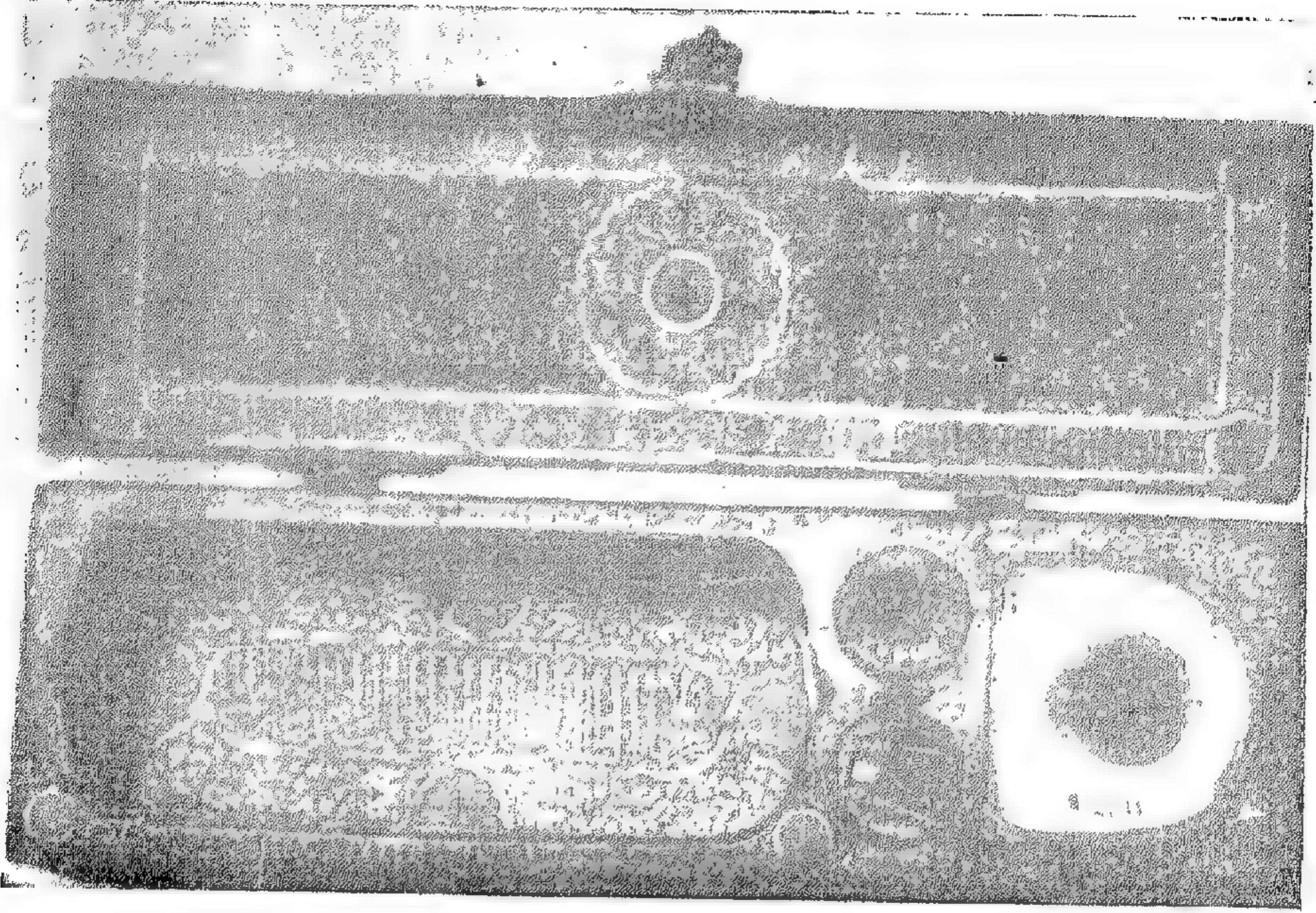
(شكل ٣٣)

رسم مفصل لجزء من الزخرفة الركنية الموجودة بالباب المشار اليه
 راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٣٤ .



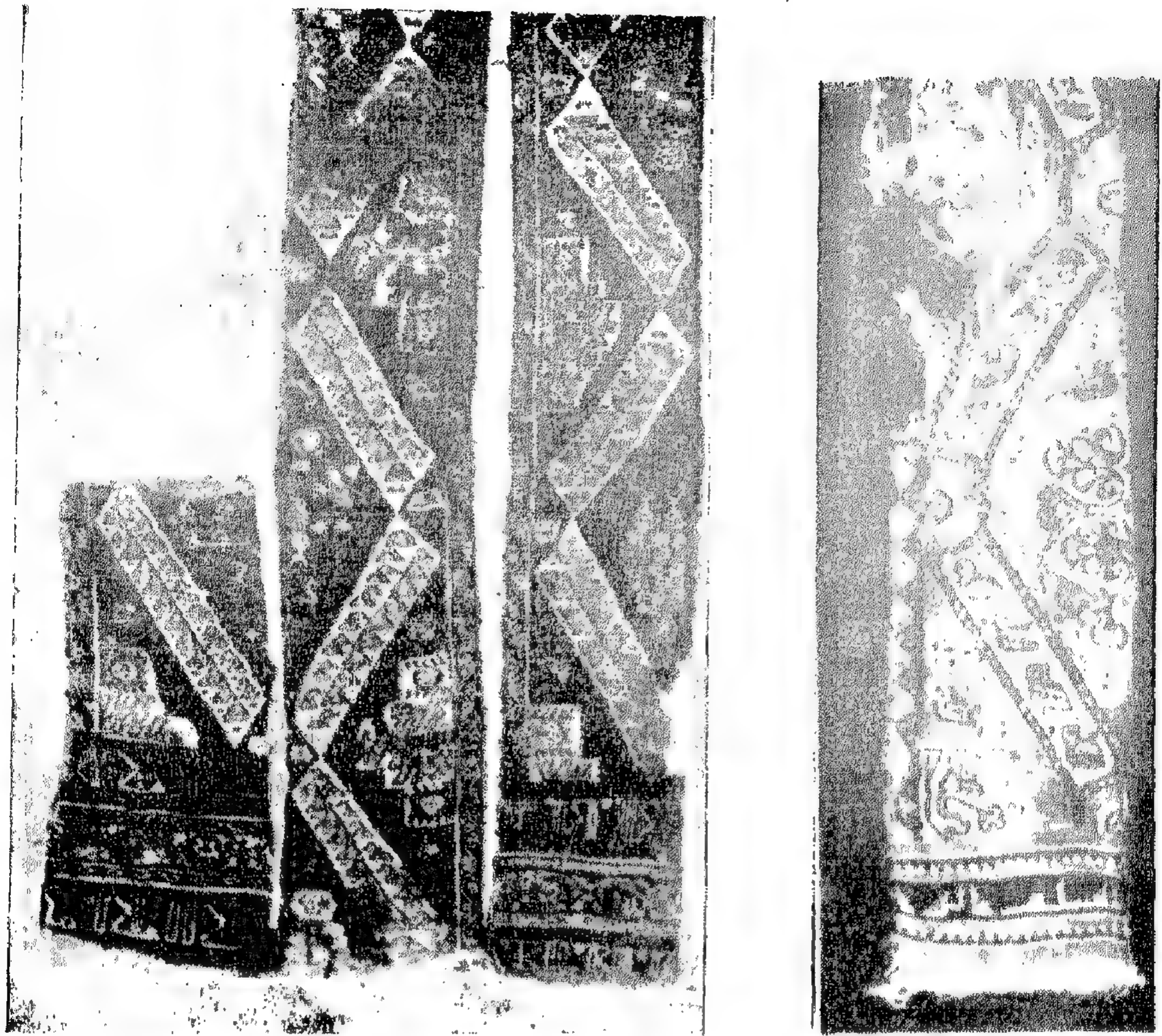
(شكل ٣٤)

قرص من الذهب الموه بالمينا من صناعة مصر في العصر الفاطمي في
القرنين (٥ / ١١ هـ / ١٢ م) في متحف الفن الاسلامي (رقم
سجل ٤٣٣٧) راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٤٥٣ .



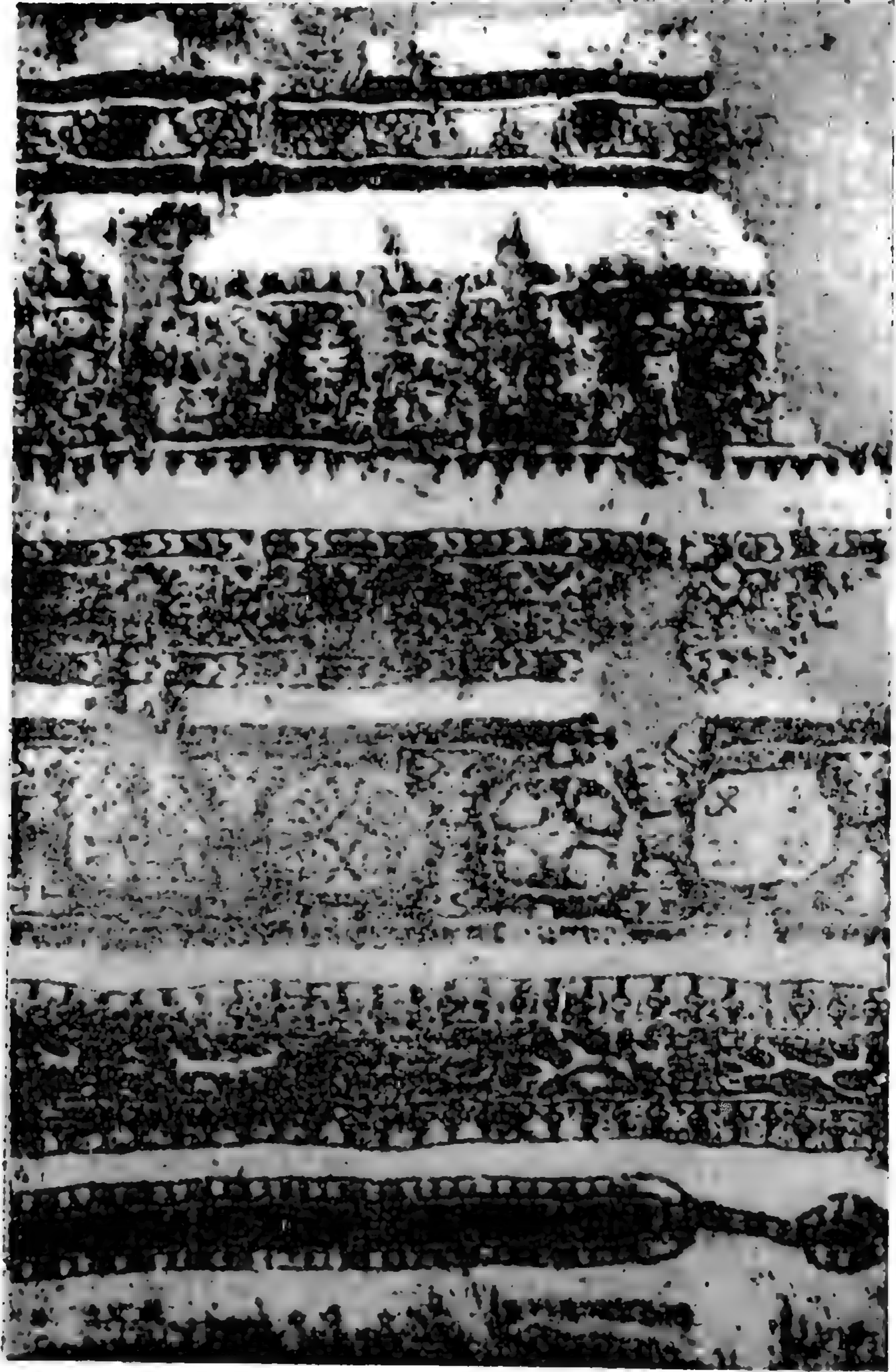
(شكل ٣٥)

مقلمة ومجبرة من النحاس المكفت بالذهب والفضة عليها كتابة باسم
الملك المنصور محمد من صناعة مصر في القرن (٨٠٤ / ١٤٠٤ م) في
متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٤٤٦١) راجع ايضا : زكى حسن :
اطلس : شكل ٥١٩ .



(شكل ٣٦)

أشرطة من نسيج من الصوف على الطراز القبطي من صناعة مصر في
القرنين (٢ - ٣هـ / ٨ - ٩م) في متحف الفن الإسلامي (رقم سجل
١٣٠٤٢) . راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٦٠ .



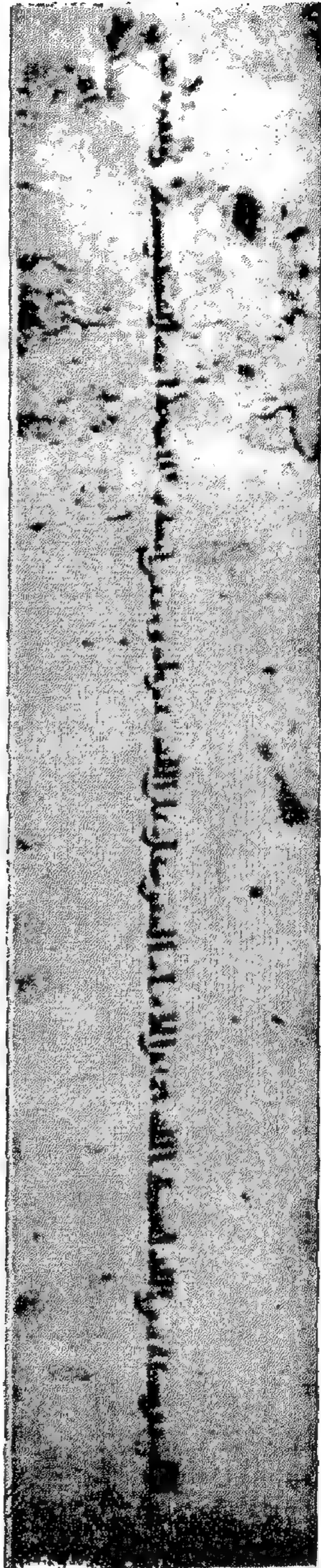
(شكل ٣٧)

قطعة من نسيج الصوف على الطراز القبطي من صناعة مصر في
القرنين (١ - ٧/٥٣ - ١٩) في متحف برلين : راجع أيضا :
زكي حسن : اطلس : شكل ٥٦٢ .



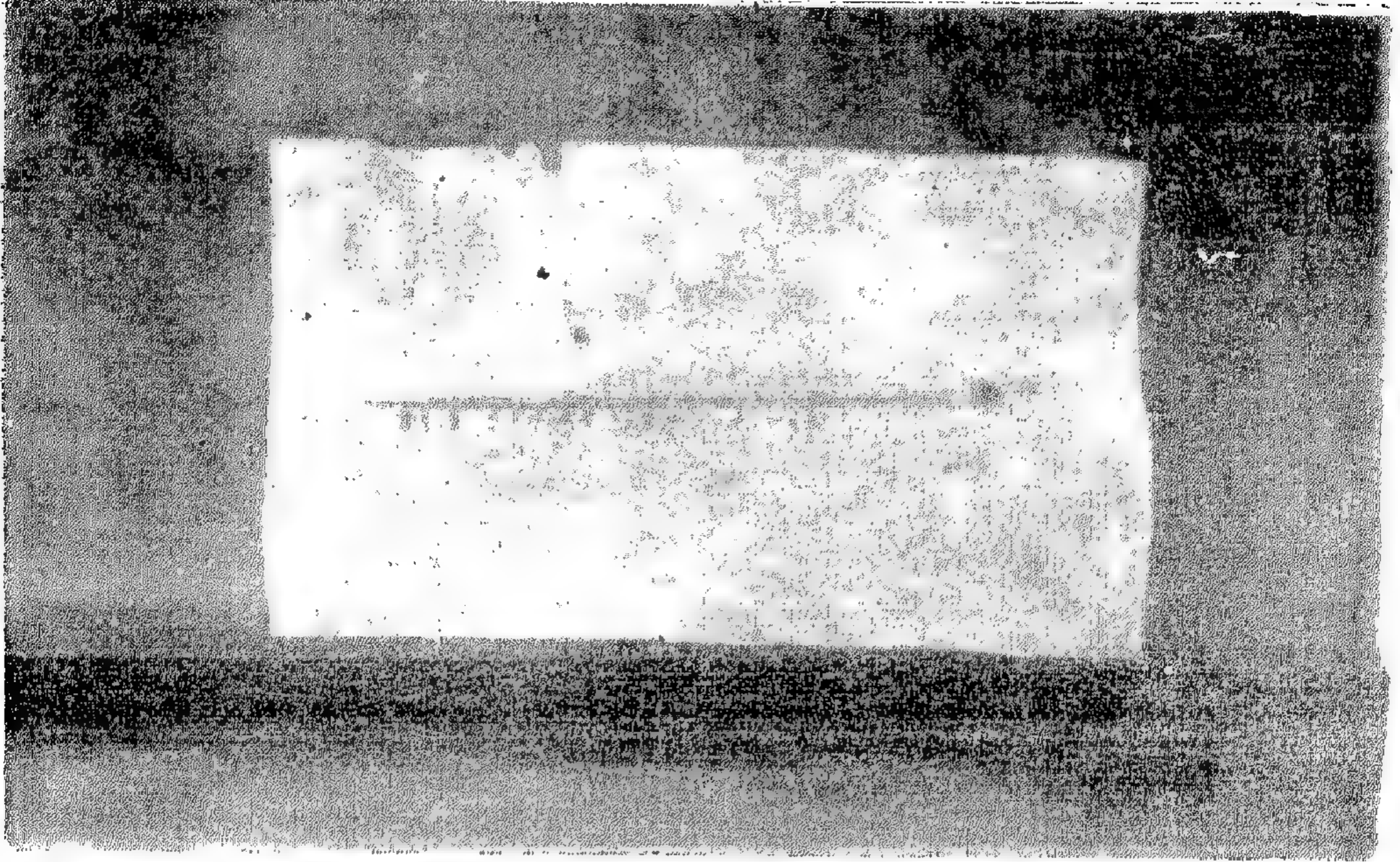
(شكل ٣٨)

قطعة من نسيج سميك عليها رسم لفرس البحر من صناعة مصر في
القرن (٨/هـ) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٥٦٢٨)
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٦٣ .



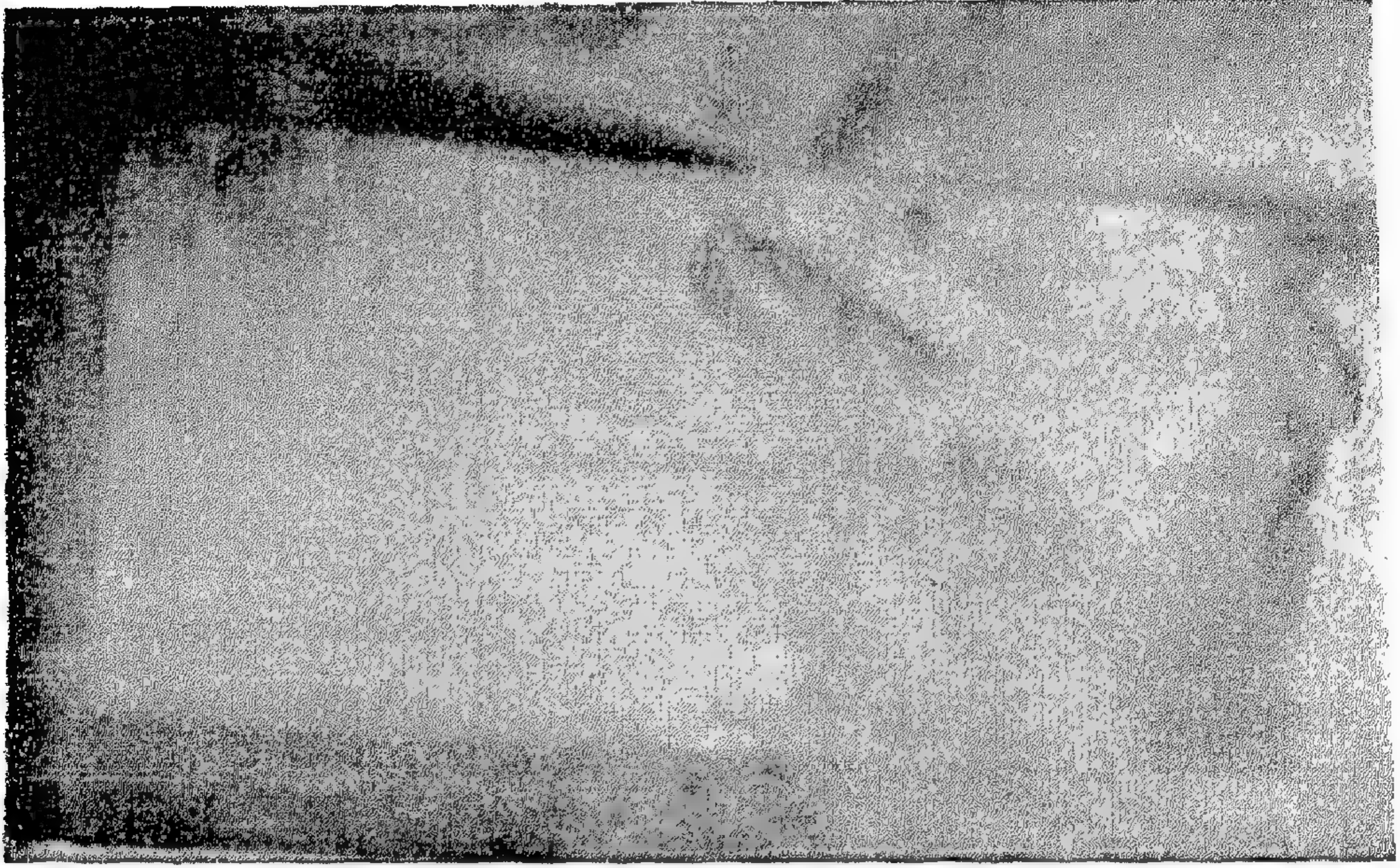
(شكل ٣٩)

قطعة نسيج من الكتان عليها كتابة باسم الخليفة العباسي المتوكل
مؤرخة بسنة (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) من صناعة مصر ، وتعد أقدم ما وصلنا
من المنسوجات العباسية المطرزة بكتابة تاريخية في متحف الفن
الإسلامي (رقم سجل ٩٤٣٩) راجع أيضا : زكي حسن :
أطلس : شكل ٥٨٣ .



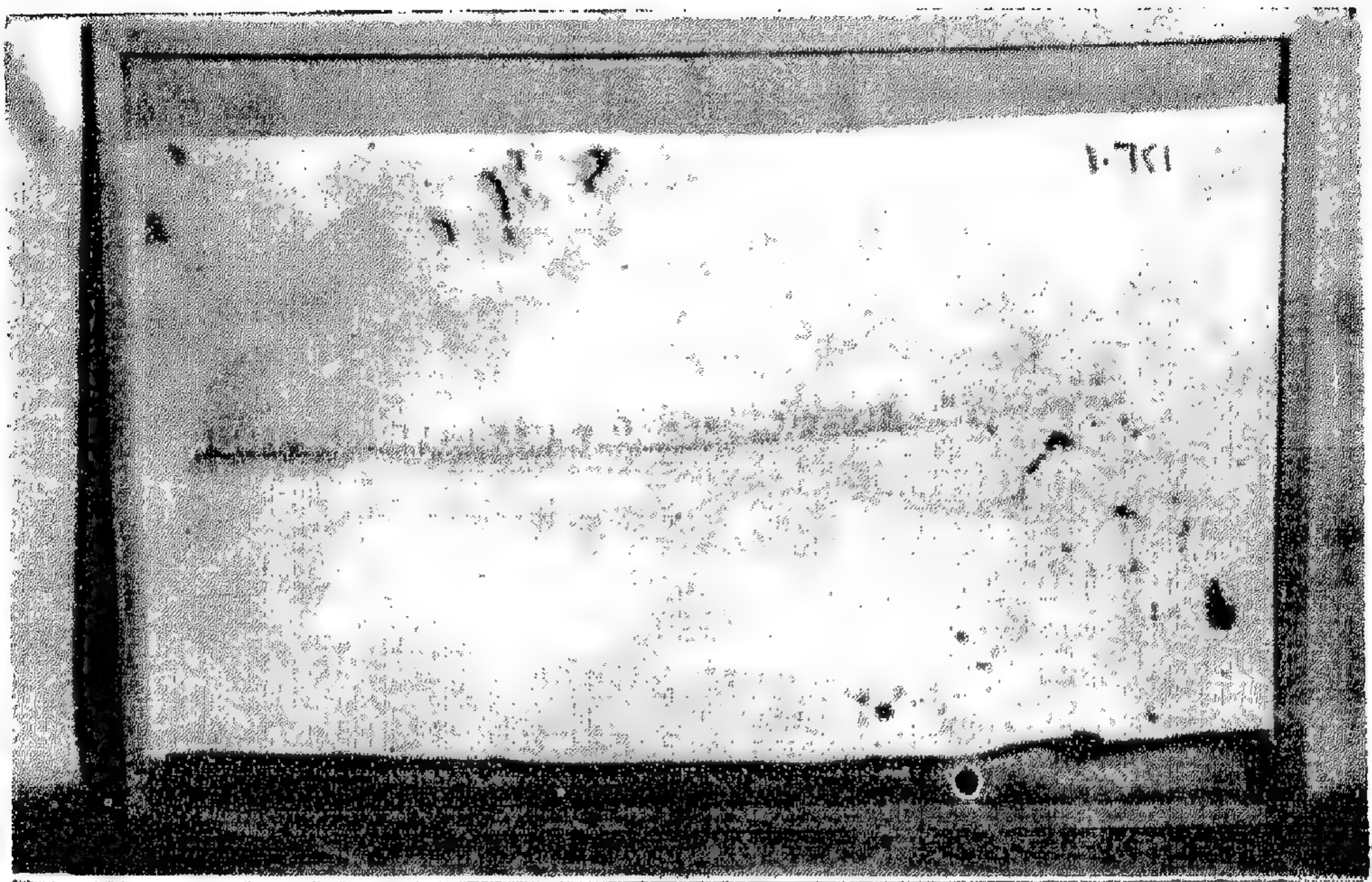
(شكل ٤٠)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المعتمد على الله العباسي تاريخها
(٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠٧٥٣) .



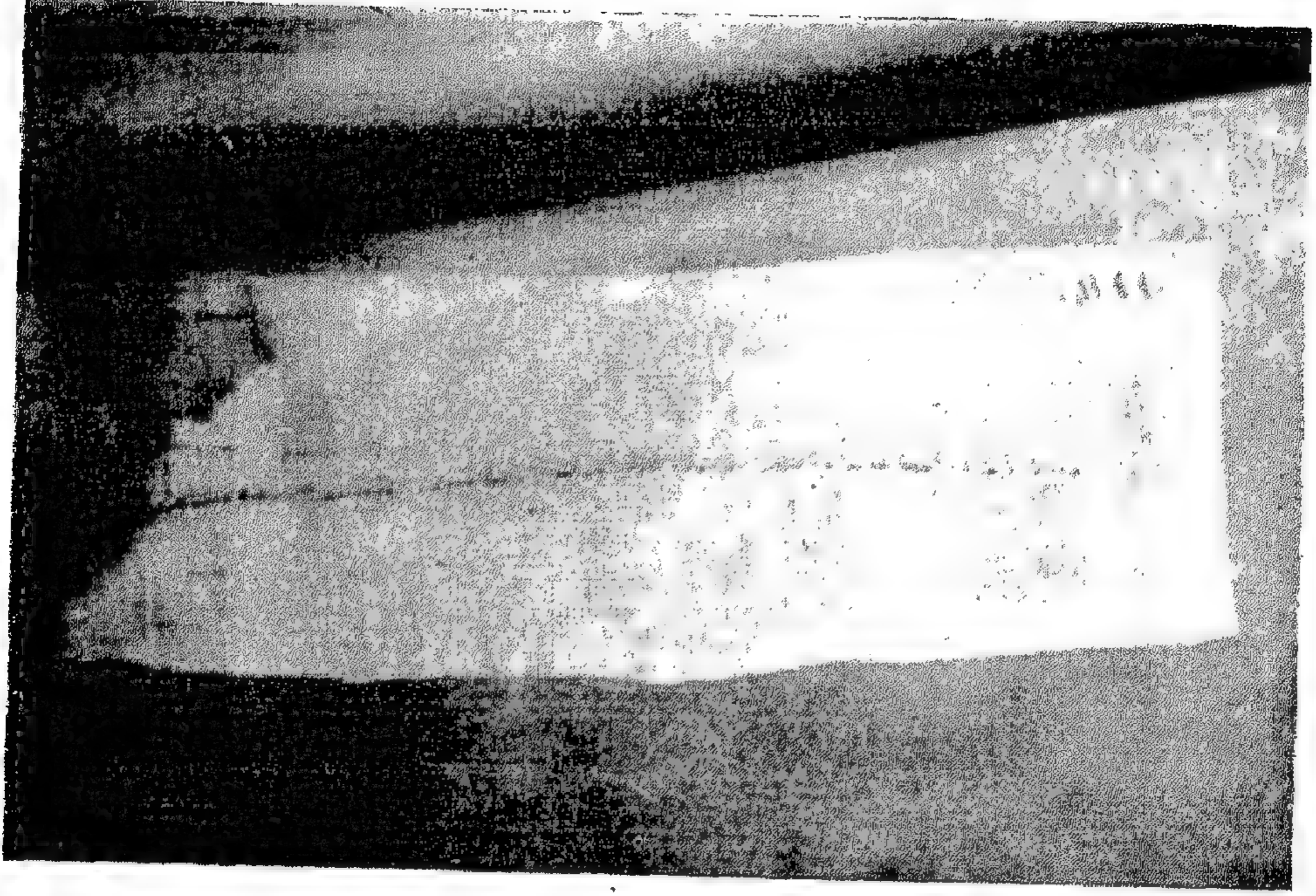
(شكل ٤١)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المكتلى بالله العباسى تاريخها
(٢٩٤هـ / ٩٠٦م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٤٩٢) .



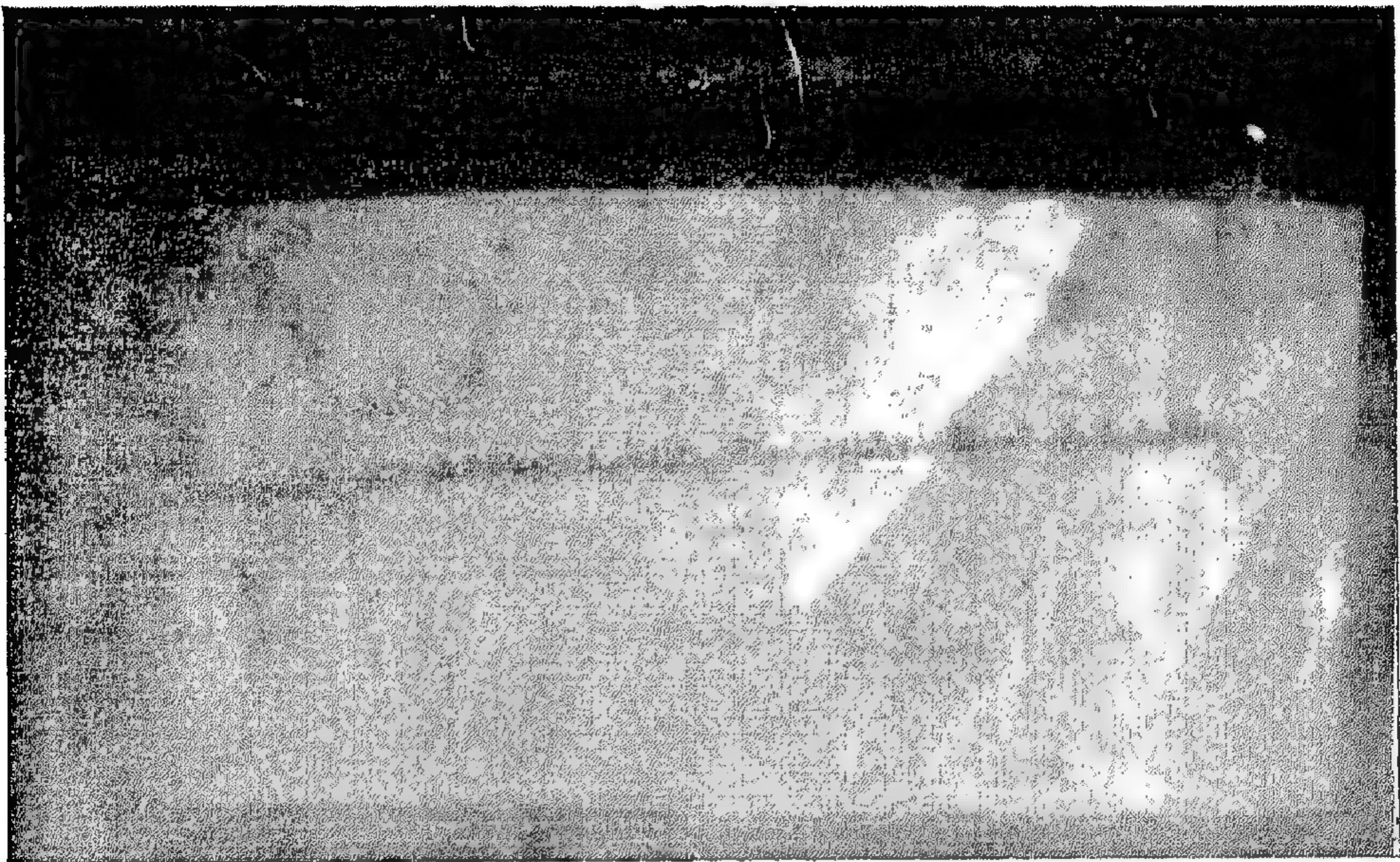
(شكل ٤٢)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المقتدر بالله العباسي تاريخها
(٣٠٣هـ / ٩١٥م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠٦٢١)



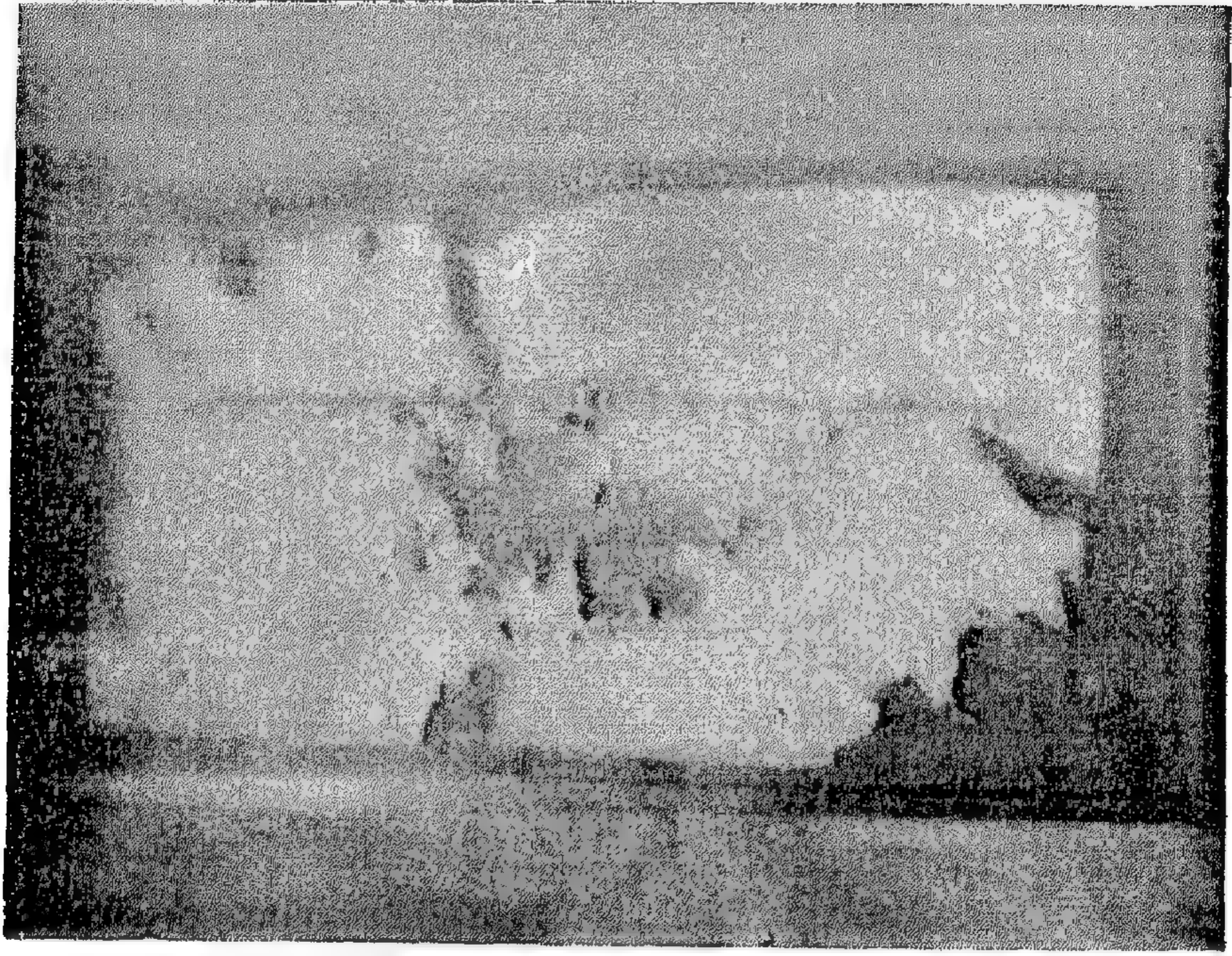
(شكل ٤٣)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم القاهرة لله العباسي بمتحف الفن
الإسلامي (رقم سجل ١١٤٩٠) .



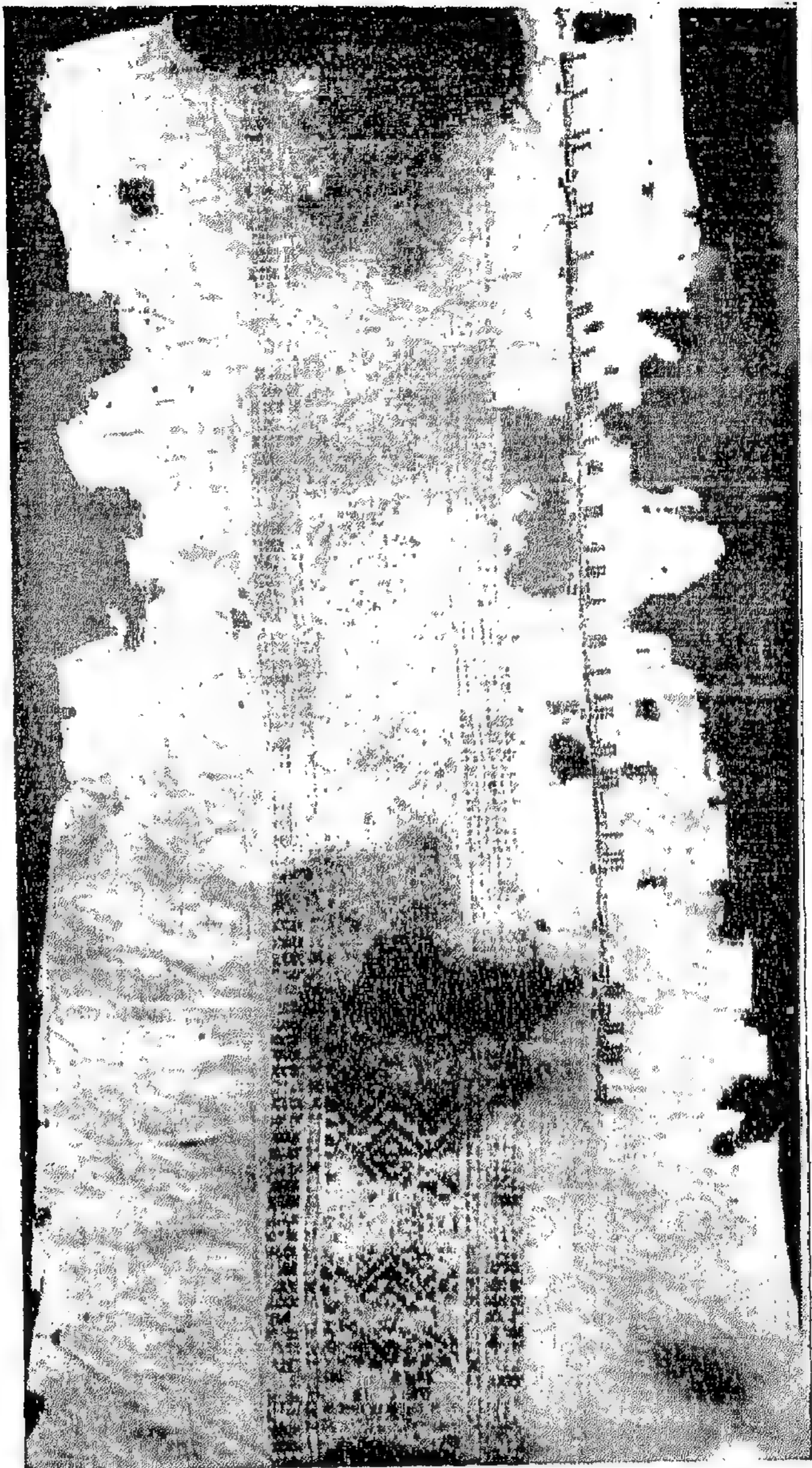
(شكل ٤٤)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم الرازي بالله العباسي تاريخها
(٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠٧٠٤) •



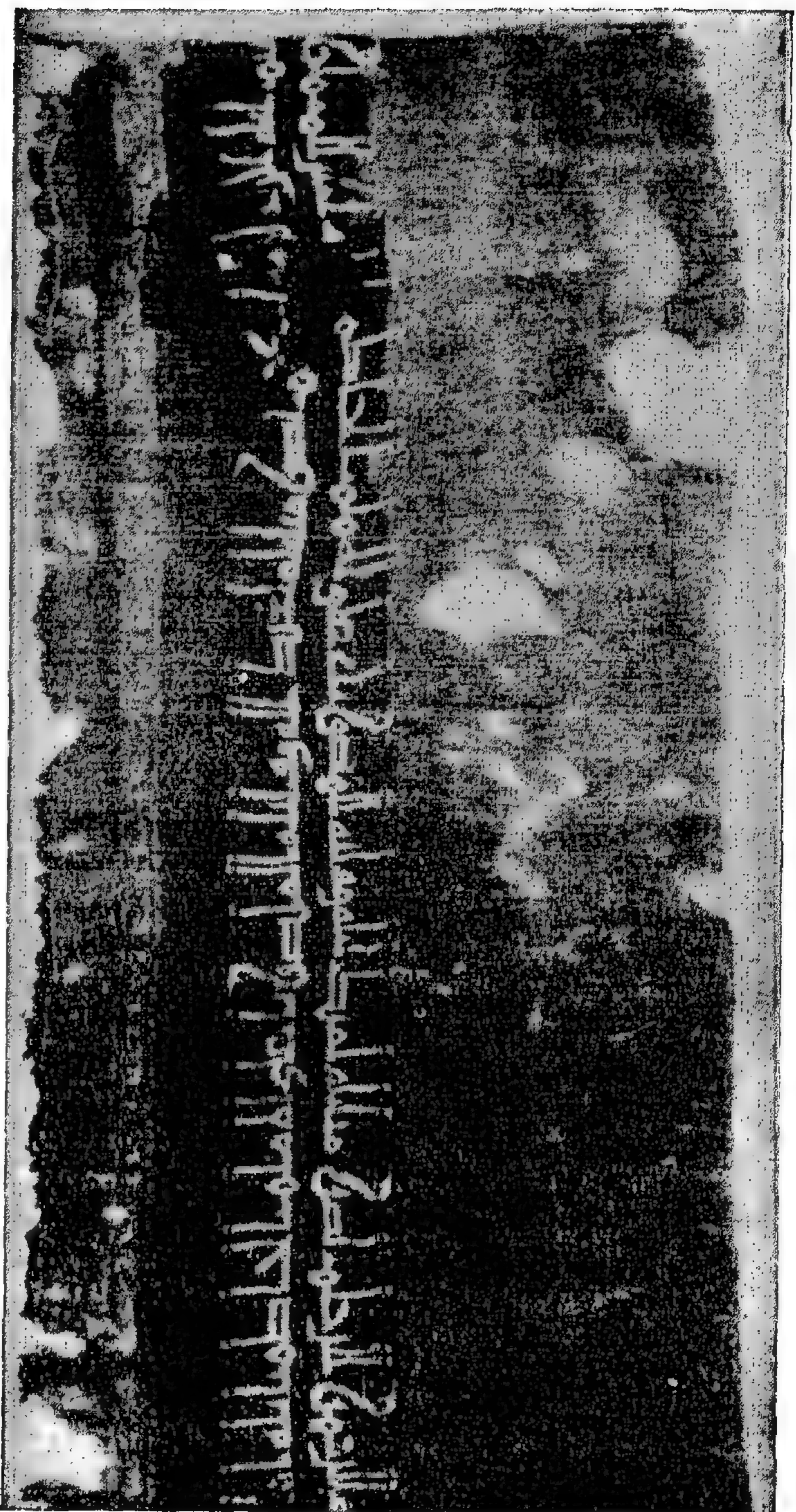
(شكل ٤٥)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المتقى لله العباسى تاريخها
(٣٣٠هـ / ٩٤١م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل (١٠٠٩١) .



(شكل ٤٦)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المطبخ لله العباسي تاريخه
 (٨٢٦٩ رقم سجل)



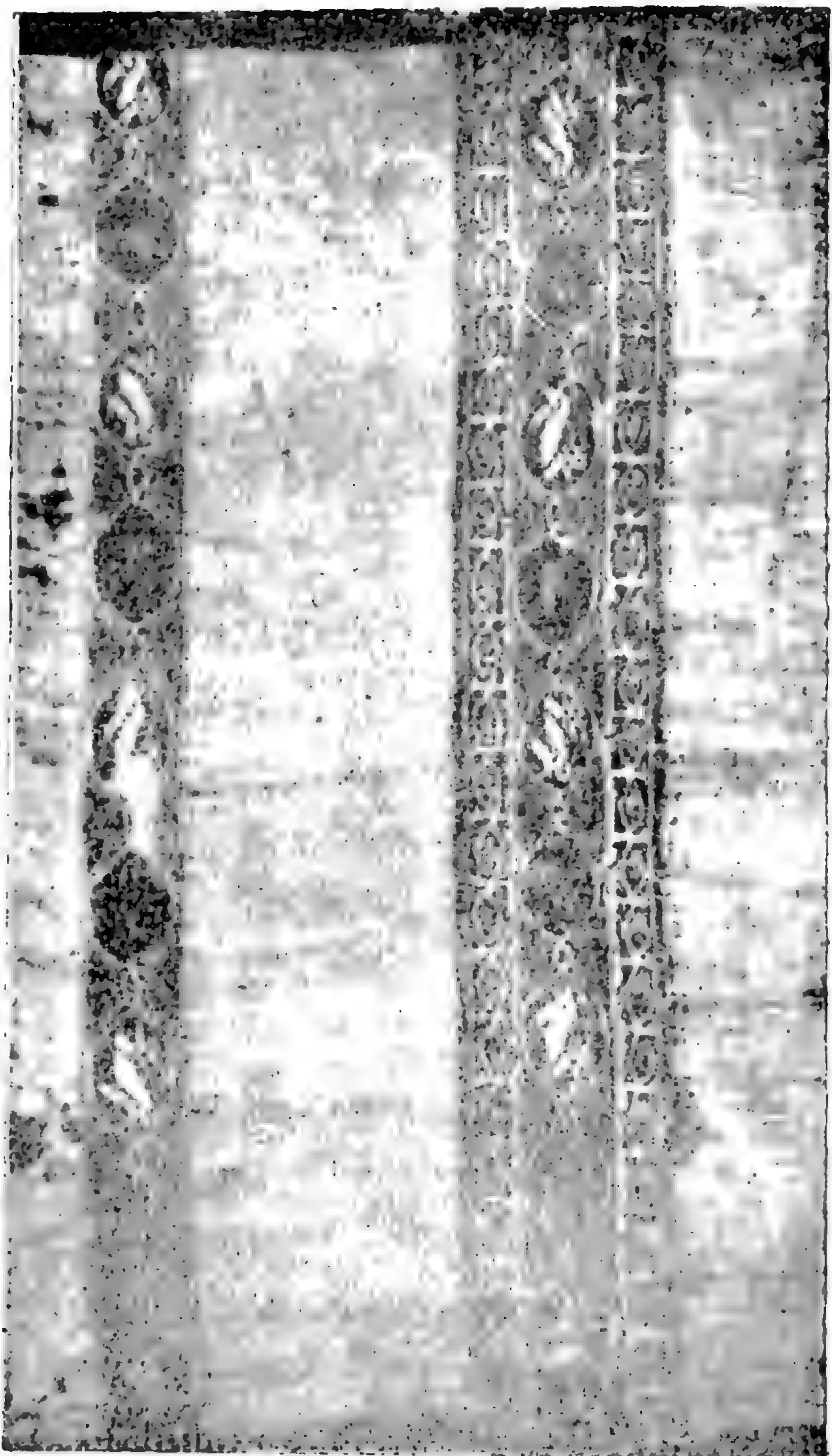
(شكل ٤٧)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر في القرن (١٠هـ / ١٠م) باسم
الحاكم بامر الله انطاكي في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل
١٤١٧٤) • راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٨٩ •



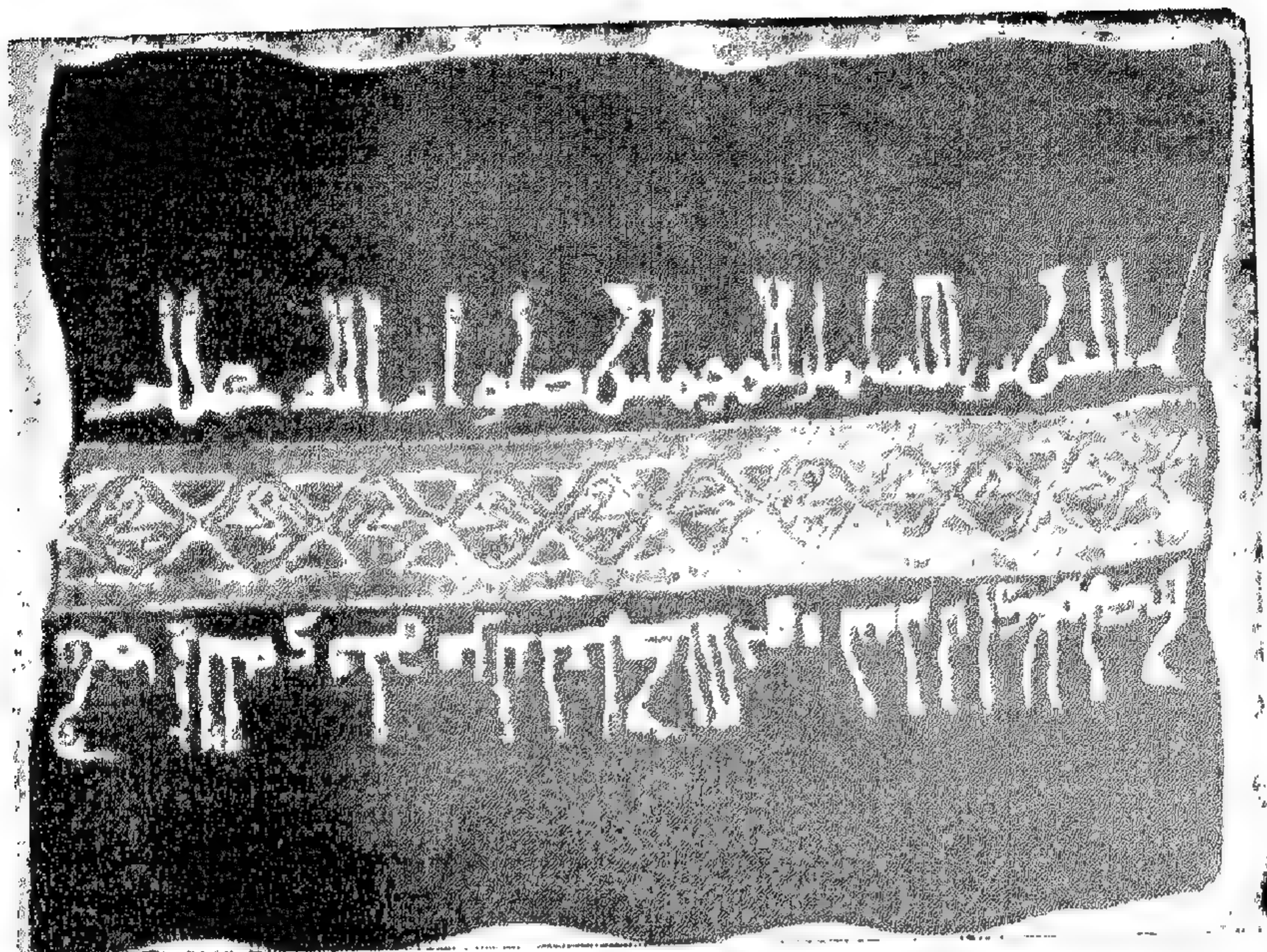
(شكل ٤٨)

قطعة نسيج من الكتان والحرير من صناعة مصر في القرن
 (١١هـ / ١١م) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي في متحف الفن الاسلامي
 (رقم سجل ٨٢٦٤) ، راجع أيضا : زكي حسن : اطلس :
 شكل ٥٩٠ .



(شكل ٤٩)

قطعة نسيج من الكتان بها رسوم طيور وارانبي . من صناعة مصر
في القرن (١١هـ / ١١م) في متحف كلية الآثار (رقم سجل ١٦٤٥)
راجع ايضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٩٤ .



(شكل ٥٠)

قطعة من نسيج الكتان والخير من صناعة مصر في القرن
 (١١ / هـ) باسم العزيز بالله الفاطمي في متحف الفن الاسلامي
 (رقم سجل ٩٤٤٥) • راجع ايضا : زكي حسن : اطلس :
 شكل ٥٩١ •



(شكل ٥١)

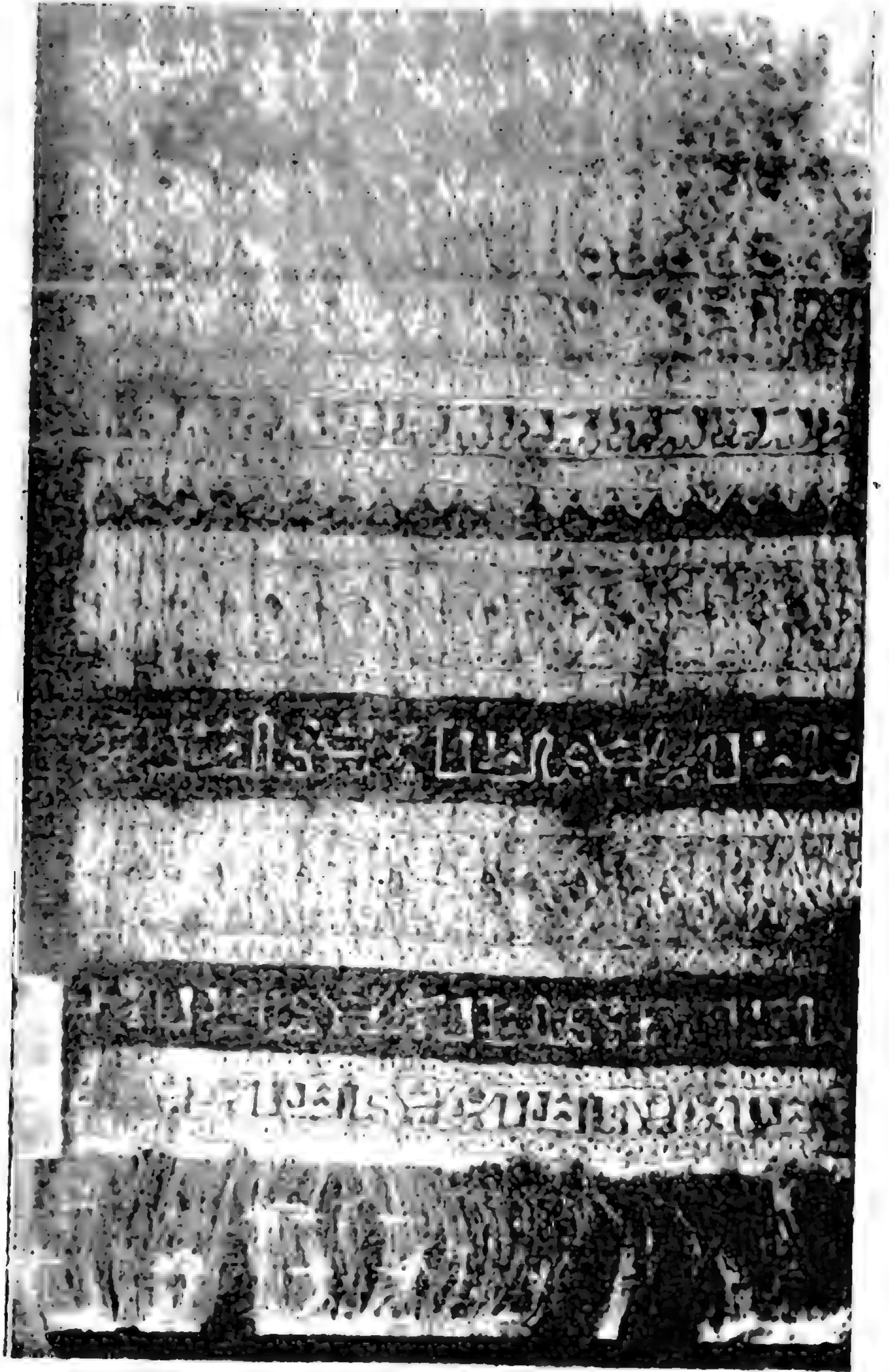
قطعة نسيج من الكتان بها زخارف نباتية وحيوانية من صناعة مصر
خلال العصر الفاطمي في القرن (١١هـ / ١١م) في متحف الفن الإسلامي
رقم سجل (٤٢٠) راجع ايضا : زكي حسن : اطلس

شكل : ٥٩٢ .



(شكل ٥٢)

قطعة نسيج من الكتان والخير من صناعة مصر في القرن
 (١٢/م) • في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٢١٤٦) •
 راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٩٧ •



(شكل ٥٣)

قطعة نسيج من الكتان والحريز من صناعة مصر في القرن
 (١٢/هـ) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠٨٣٦)
 راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل : ٥٩٦ .



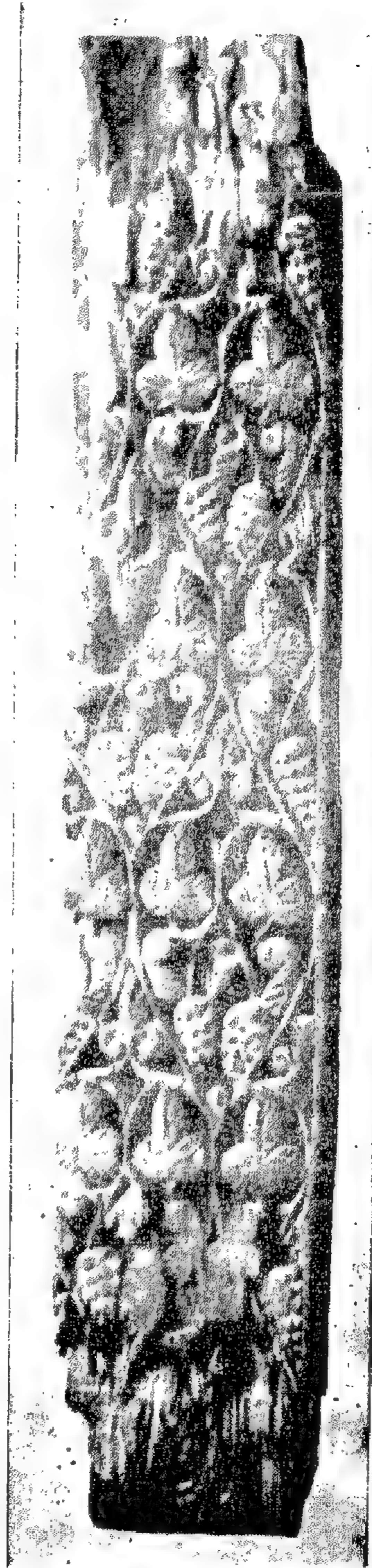
(شكل ٥٤)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر في القرن (١١م / ٥٥ هـ) في
متحف بوسطن بأمريكا راجع أيضا : زكي حسن : اطلال :
شكل ٥٩٣ .



(شكل ٥٥)

قطعة من الخشب ذي الزخارف المدفونة من صناعة مصر في القرنين
(١ - ٧ هـ / ٧ - ٨ م) بمتحف الفن الإسلامي • راجع أيضا :
زكي حسن : أطلس : شكل : ٢٩٢



(شكل ٥٦)

قطعة من الخشب الأموي ذي الزخارف المعنونة من صناعة مصر في
القرن (٢ هـ / ٨ م) بمتحف الفن الاسلامي • راجع أيضا :
زكي حسن : اطلس : شكل ٢٩٠ •



(شكل ٥٧)

حشوة من الخشب العباسي ذي الزخارف المنقوشة بالحفر المائل من
 صناعة مصر في القرنين (٣ - ٤هـ / ٩ - ١٠م) بمتحف اللوفر في
 باريس راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٣١٨ .



(شكل ٥٨)

حشوة من الخشب العباسي ذي الحفر المائل من صناعة مصر في القرنين
(٢ - ٩ هـ / ٩ - ١٠ م) بمتحف كلية الآثار (رقم سجل ١٢١٤)
راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٢١٧ .



(شكل ٥٩)

حشوة من الكتشب الفاظمى ذى الحفر المائل على احدى الروابط الكتشبية
 • بجامع الحاكم بالقاهرة من صناعة مصر فى سنة (٢٩٣ / هـ / ١٠٠٣ م)
 • راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٣٣٦ .



(شكل ٦٠)

حلية خشبية فوق أعمدة برواق القبلة في جامع عمرو بن العاص
تؤرخ بسنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م) راجع أيضا : زكي حسن :
اطلس : شكل ٢٩٧ .



(شكل ٦١)

حشوة من الخشب عليها رسم سيدة في هودج من صناعة مصر خلال
العصر الفاطمي في القرن (١١هـ / ١١م) . بمتحف الفن الاسلامي
(رقم سجل ٥٠٢٤) .



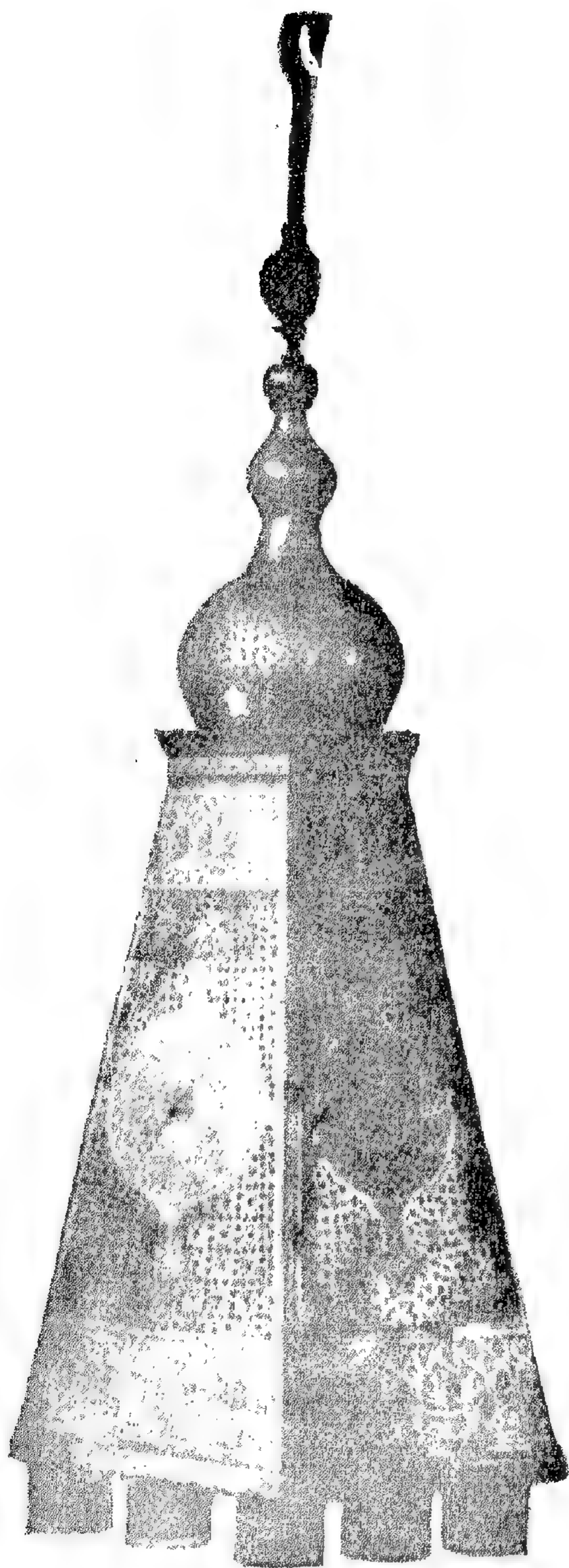
(شكل ٦٢)

شمعدان مكفت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خلال العصر المملوكي
في القرن (١٣/هـ) باسم الأمير كتبغا المنصوري بمتحف الفن
الاسلامي (رقم سجل ٤٤٦٣) .



(شكل ٦٢)

رقبة شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة باسم الأمير كتبها
النصوري كتابتها تنتهي بأشكال آدمية بمتحف الفن الاسلامي
(رقم سجل ٤٤٦٣) راجع ايضا محمد مصطفى : دليل موجز :
صورة ٤٥ •



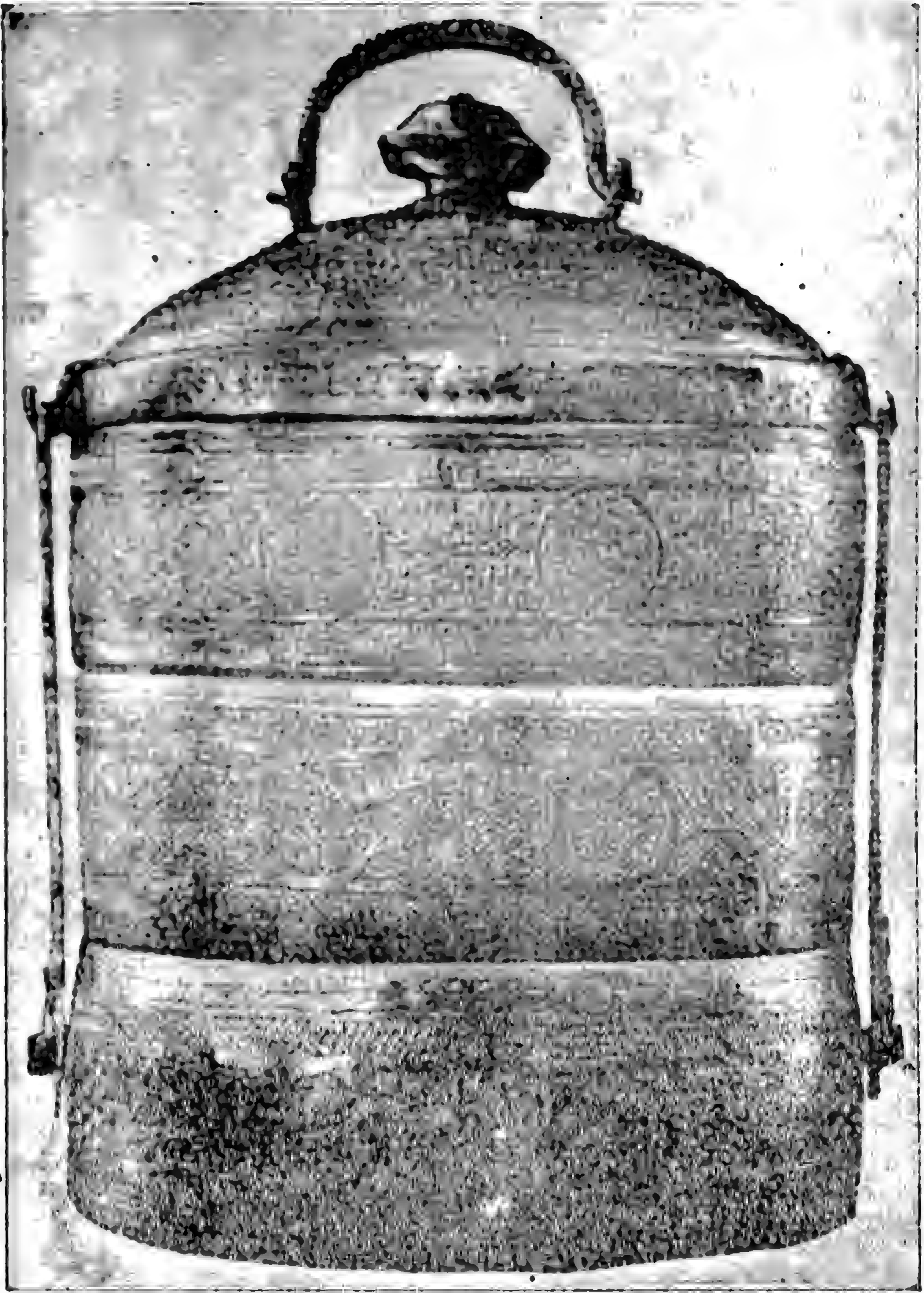
(شكل ٦٤)

ثريا من النحاس باسم السلطان المملوكي قايتباي
(ت : ٩٠١هـ / ١٤٩٦م) في متحف الفن الاسلامي (رقم تسجيل
٣٠٨٣) راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٢٦ +



(شكل ٦٥)

صندوق من النحاس المكثت بالفضة عليه كتابة باسم الأمير المملوكي
 طغاي تور من صناعة مصر في القرن (٨هـ / ١٤م) في متحف الفن
 الاسلامي (بدون رقم سجل) . راجع أيضا : زكي حسن :
 أطلس : شكل ٥١٧ .



(شكل ٦٦)

طاسة من النحاس من صناعة مصر في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م)
 في متحف الفن الاسلامي (بدون رقم سجل) راجع ايضا : زكي
 حسن : اطلس : شكل ٥٣٧ .



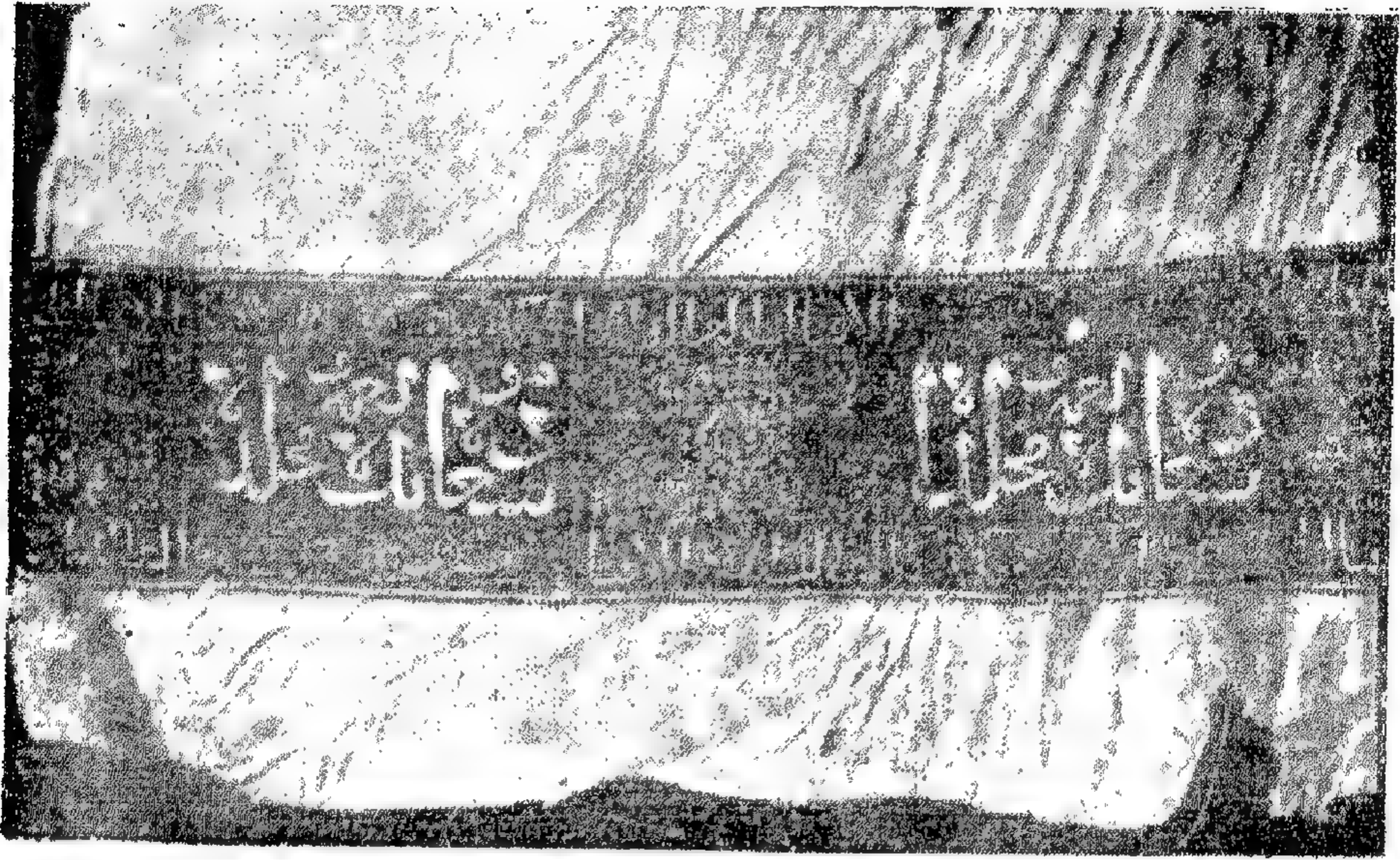
(شكل ٦٧)

قمقم من النحاس المكفت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خلال
العصر المملوكي في القرن (٨٠٤/١٤ م) باسم الملك الناصر حسن
ابن قلاوون بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٥١١١) .



(شكل ٦٨)

زهريّة من النحاس المكفّت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خلال
العصر المملوكي في القرن (٨هـ / ١٤م) باسم الأمير قطز تهر بمتحف
الفن الاسلامي (رقم سجل ١٥١٢٥) .



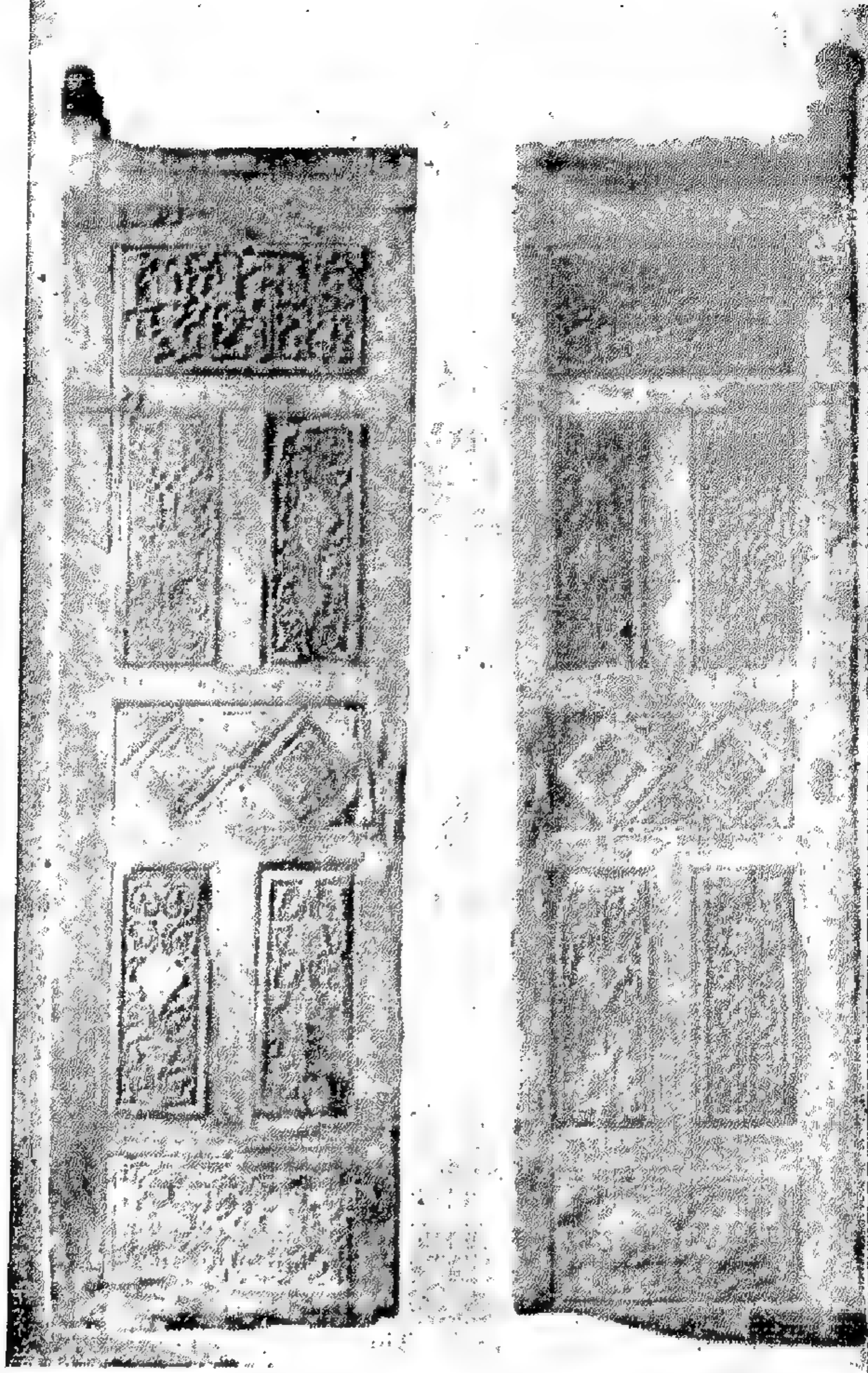
(شكل ٦٩)

- قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر خلال العصر المملوكي في القرن
 (١٣/هـ) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٣٠٨٥) •
 راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٦٠٤ •



(شكل ٧٠)

قطعة نسيج من الحرير من صناعة القاهرة خلال العصر المملوكي في
القرن (٨٠٠هـ / ١٤م) باسم الناصر محمد . في متحف الفن الاسلامي
(رقم سجل ٥٨٧٢) . راجع ايضا : زكي حسن : اطلس :
شكل ٦٠٧ .



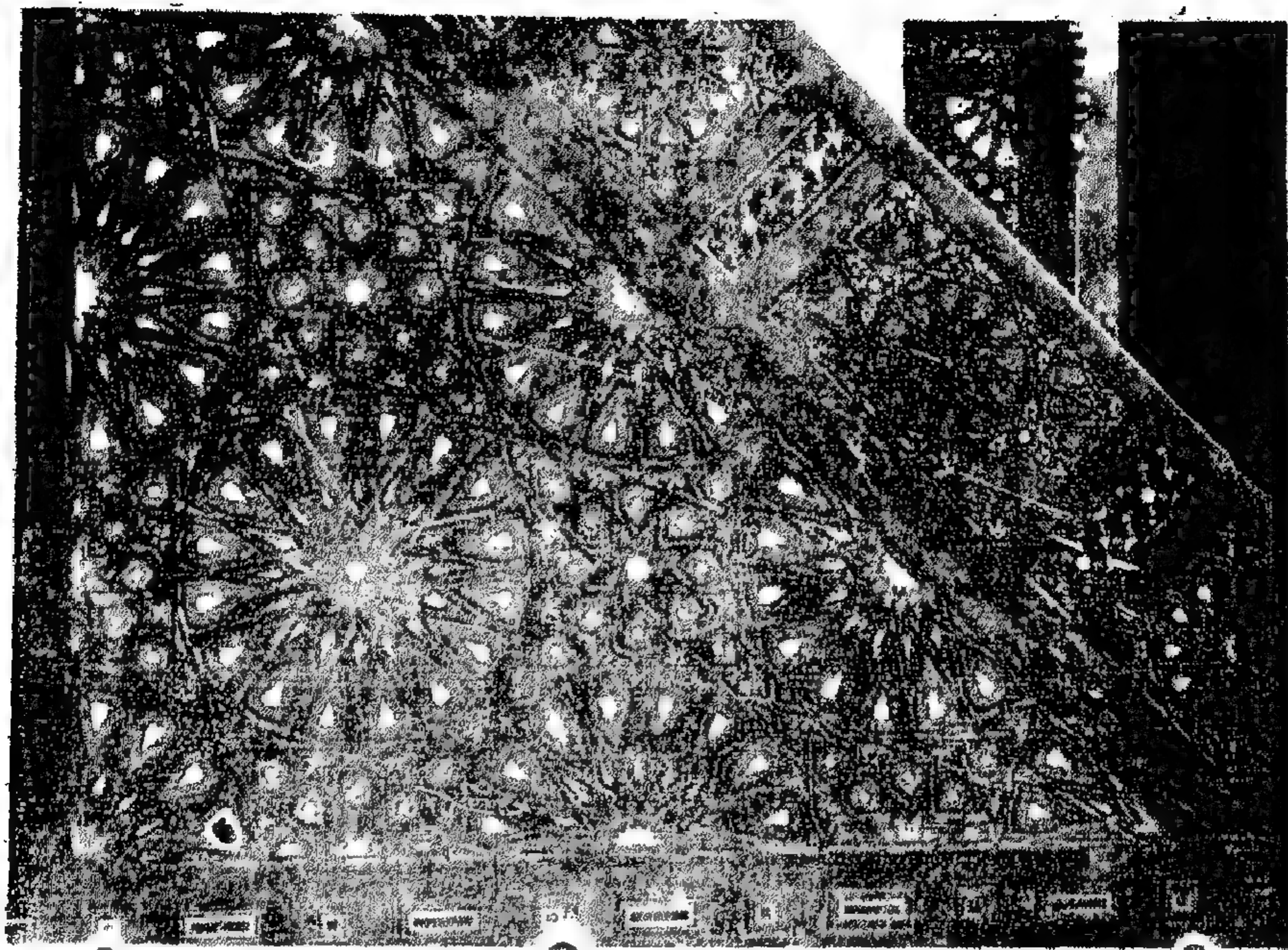
(شكل ٧١)

باب خشبي باسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عمل سنة
 (٤٠٠هـ / ١٠١٠م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٥٥١)
 راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٣٣٤ .



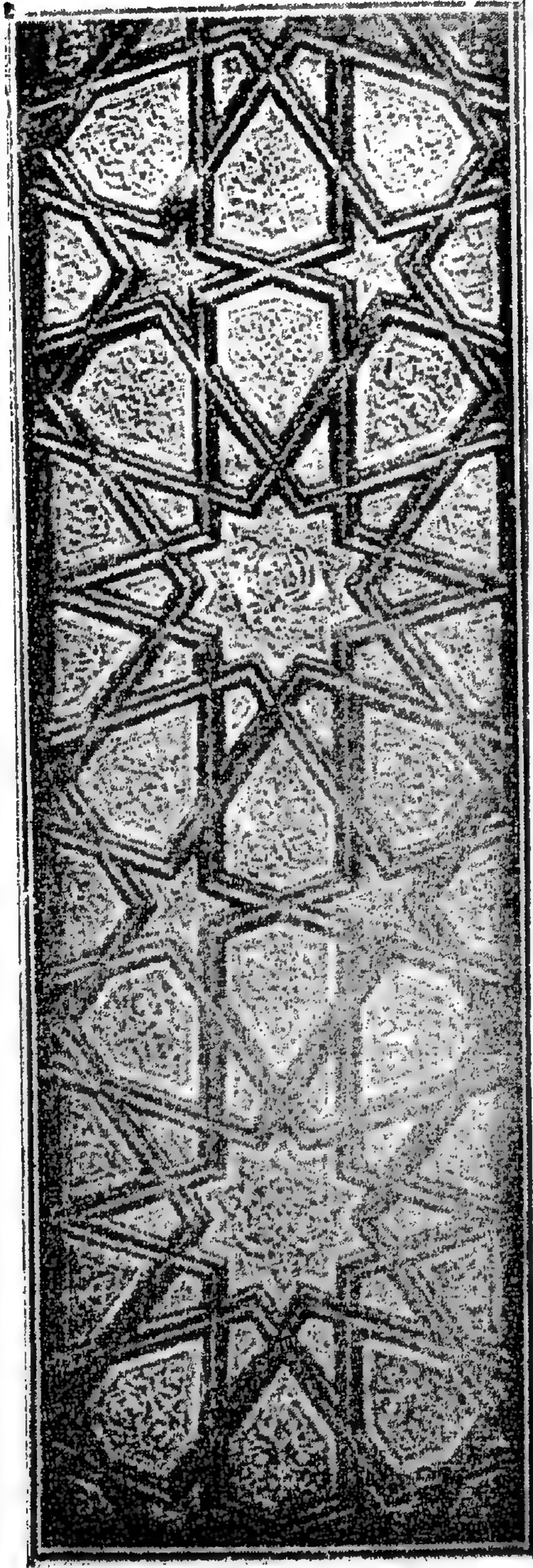
(شكل ٧٢)

حشوة من الخشب عليها بسملة بالكوفي والتسغى على تركيبة قبر
الامام الحسين رضي الله عنه بالقاهرة من صناعة مصر في القرن
(١١٢٠ هـ / ١٧٠٢ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٥٠٢٥)
راجع ايضا : محمد مصطفى : دليل موجز صورة ٢٧ ص ٢٥ .



(نسل ۷۳)

منبر مدرسة الأشرف برسباي بالقاهرة يرجع إلى سنة
(۸۲۷هـ / ۱۴۲۴م) راجع أيضا : زكي حسن : أطلس :
شكره ۴۰۱ .



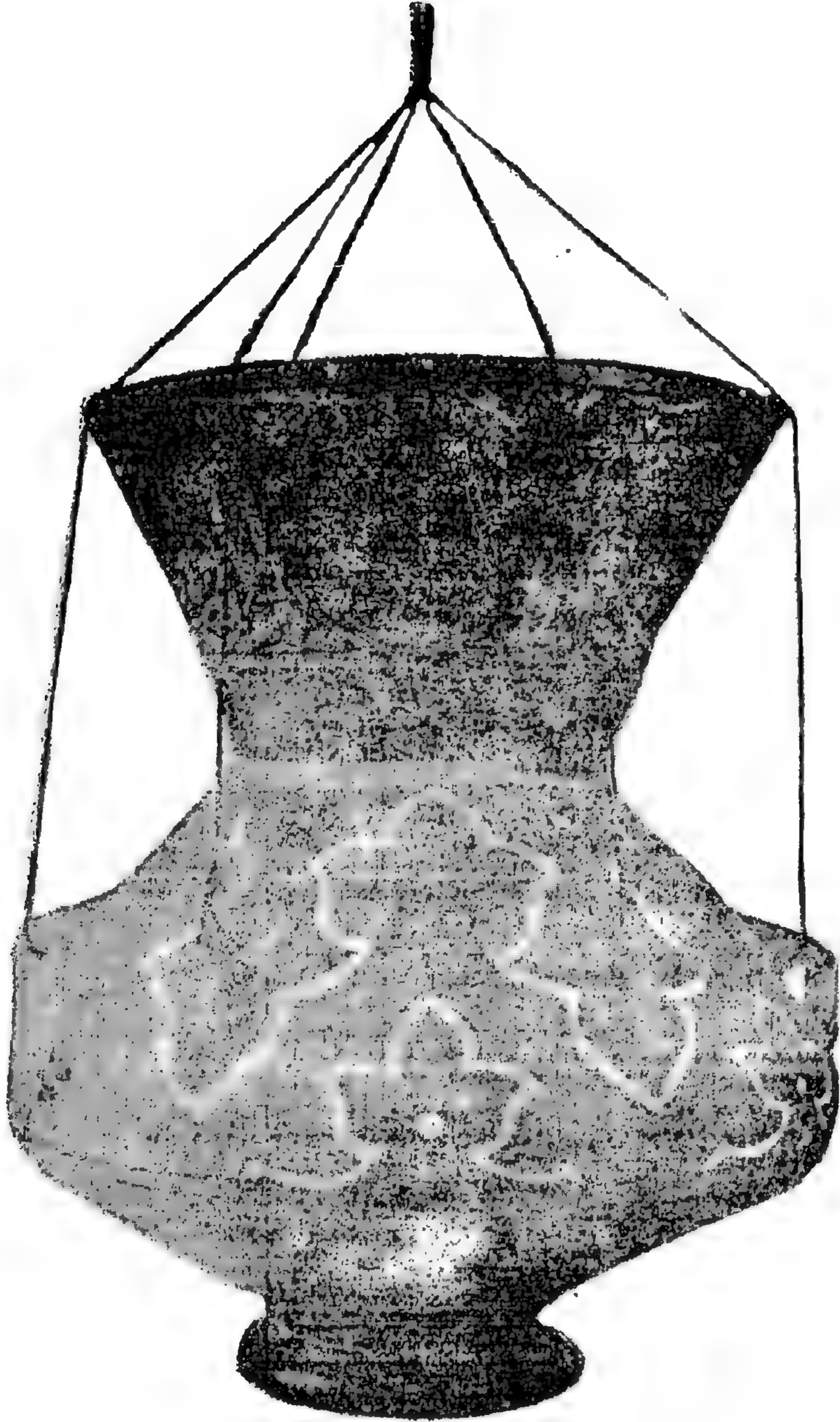
(شكل ٧٤)

مصراع باب من الخشب من صناعة مصر في القرن (١٥/هـ)
 في متحف فكتوريا والبرت بلندن راجع أيضا : زكي حسن :
 اطلس : شكل ٤٠٢ .



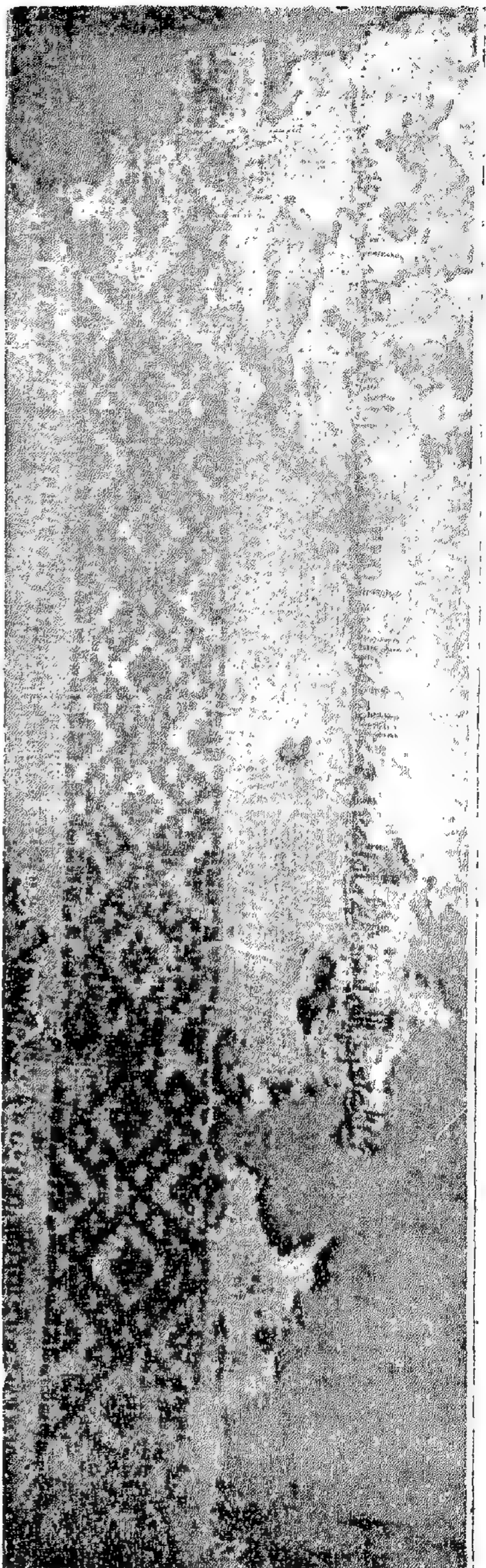
(شكل ٧٥)

مشكاة من الزجاج الموه بالميثا باسم السلطان الناصر حسن
 (ق ٨١٤/هـ) في متحف الفن الاسلامي : راجع أيضا :
 زكي حسن : اطلس شكل : ٧٦١



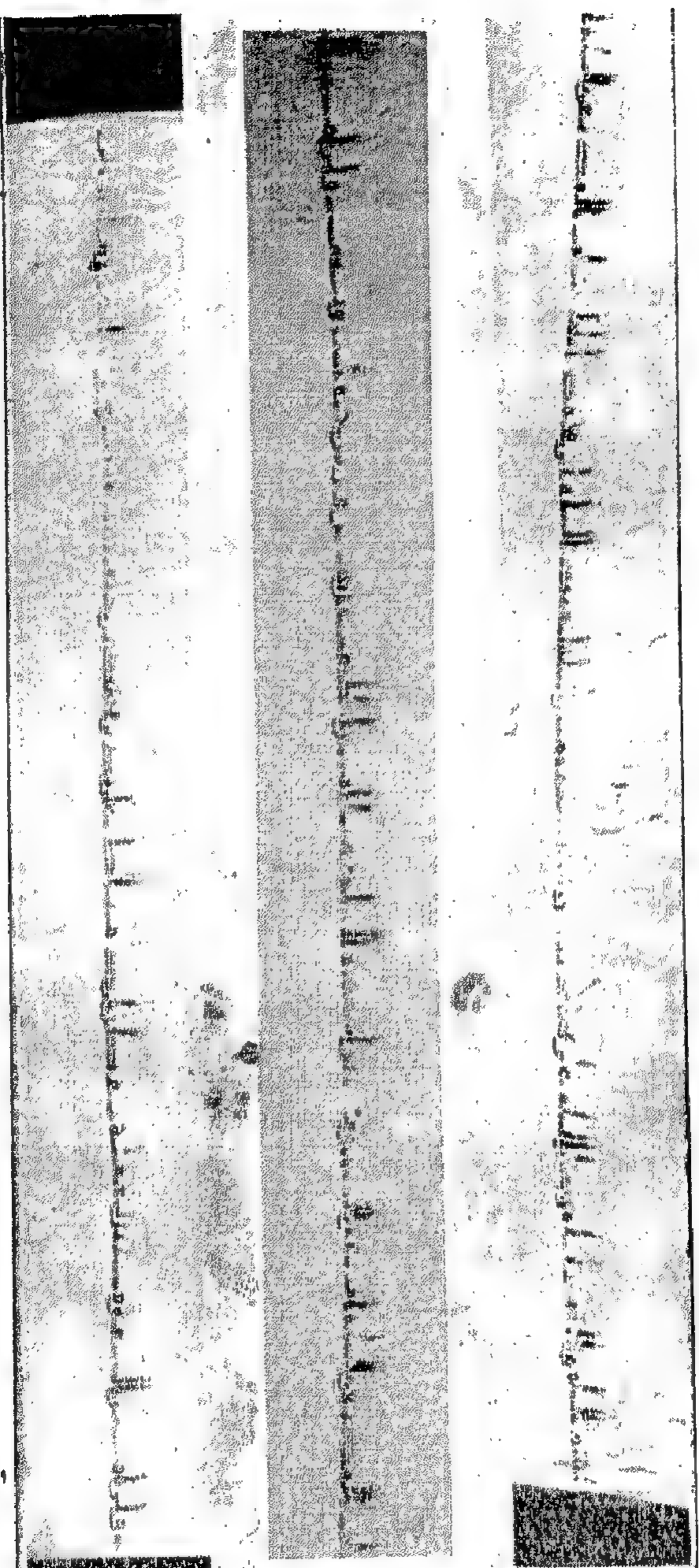
(شكل ٧٦)

مشكاة من الزجاج المعوه بالمينا باسم السلطان الناصر حسن من صناعة
مصر في القرن (٨٠٠هـ / ١٤م) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل
٢٨٤٠) - راجع ايضا : محمد مصطفى : دليل موجز : صورة ٣٢ .



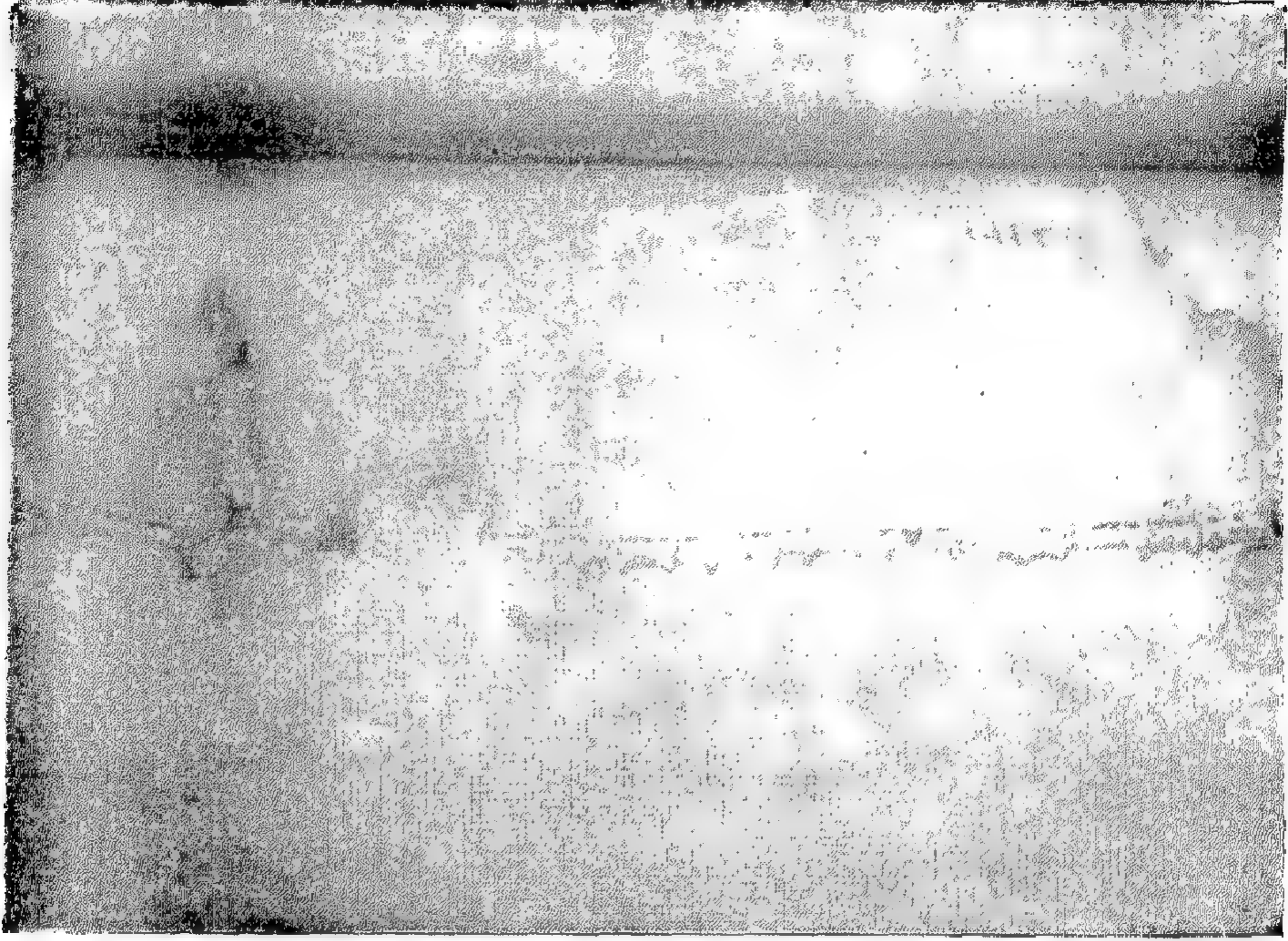
(شكل ٧٧)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة الاسكندرية سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م)
باسم المعتمد على الله العباسي في متحف المنسوجات بواشنطن . راجع
أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٨٥ .



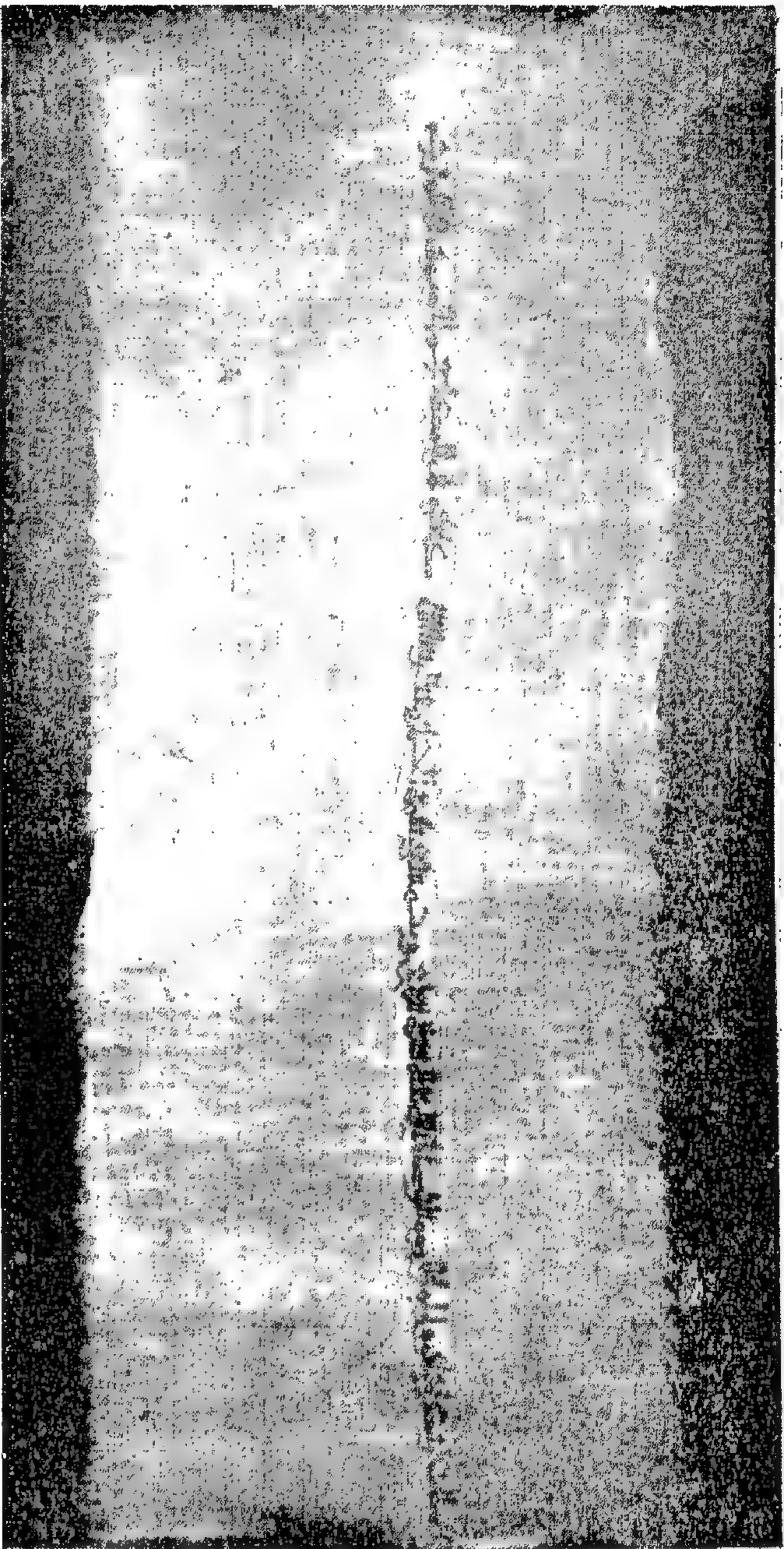
(شكل ٧٨)

قطعة نسيج من صناعة ومياط باسم المكتفي بالله العباسي تاريخها
 (٢٨٩هـ / ٩٠١م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٩٢٩٣) .



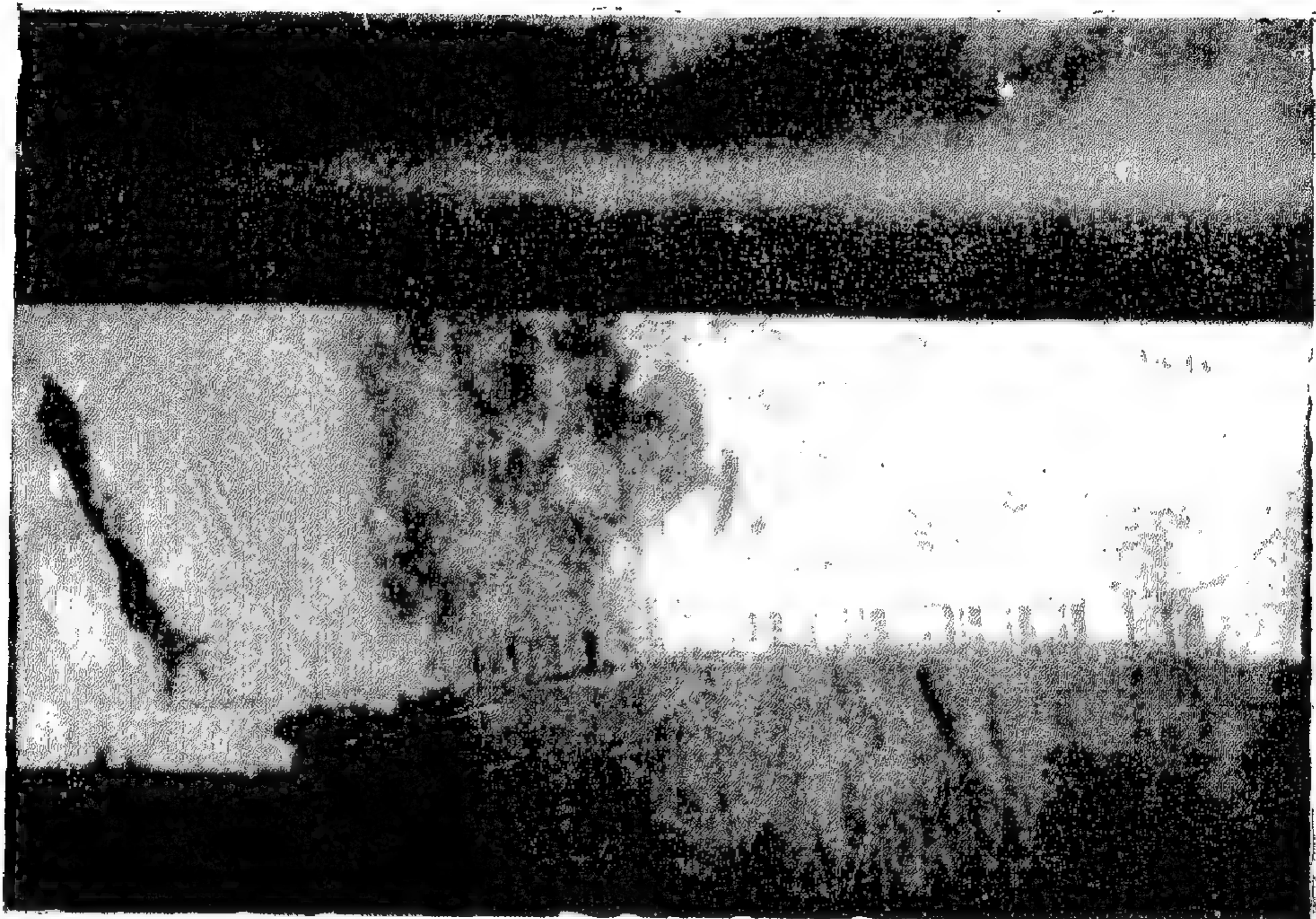
(شكل ٧٩)

قطعة نسيج من صناعة دمياط بدون اسم خليفة تاريخها
(٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠١٢٣) .



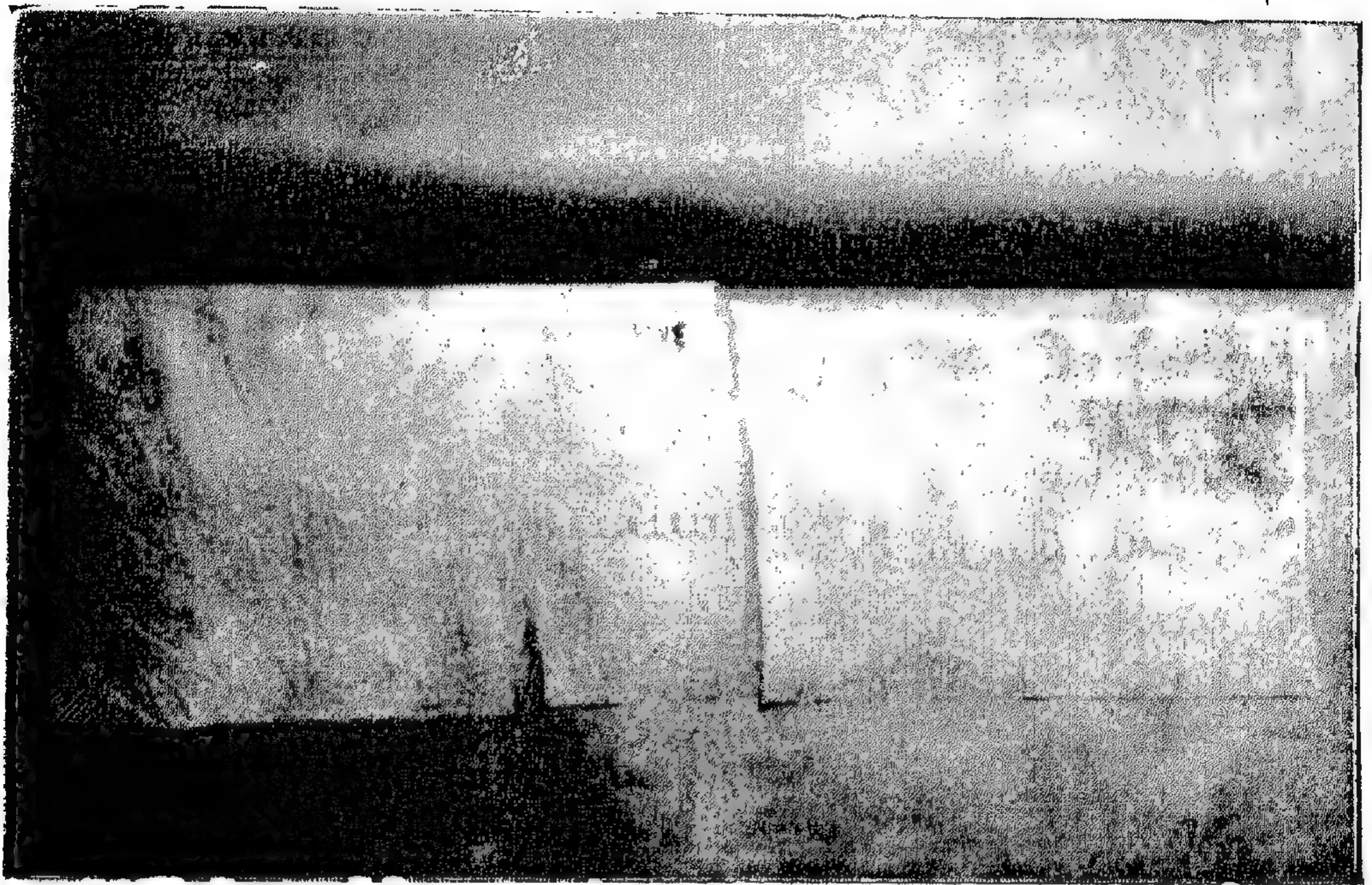
(شكل ٨٠)

- قطعة نسيج من الكتان من صناعة شطا سنة (٢٥٧هـ / ٨٦٨م)
- في مجموعة تانو • راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٨٤
- سيدة كاشف : مهر في عصر الاخشيديين ٢٩٨ •



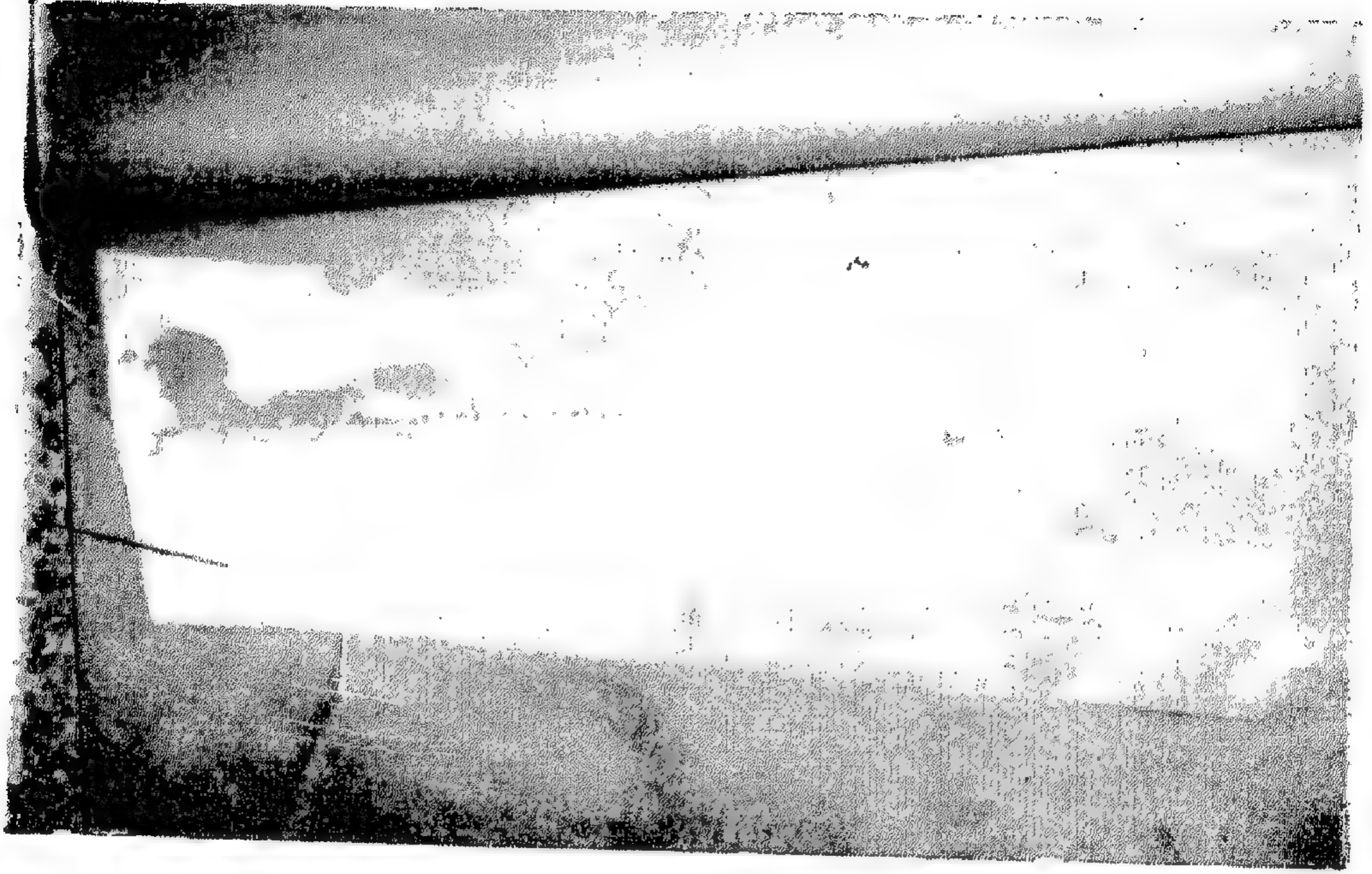
(شكل - ٨١)

قطعة نسيج من صناعة تيس باسم المعتمد بالله القياسي تاريخها
 (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) - بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٠٢٩٢)



(شكل ٨٢)

قطعة نسيج من صناعة تنيس باسم المكتفى بالله العباسى تاريخها
(٢٩٣هـ / ٩٠٥م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٤٧٤) •



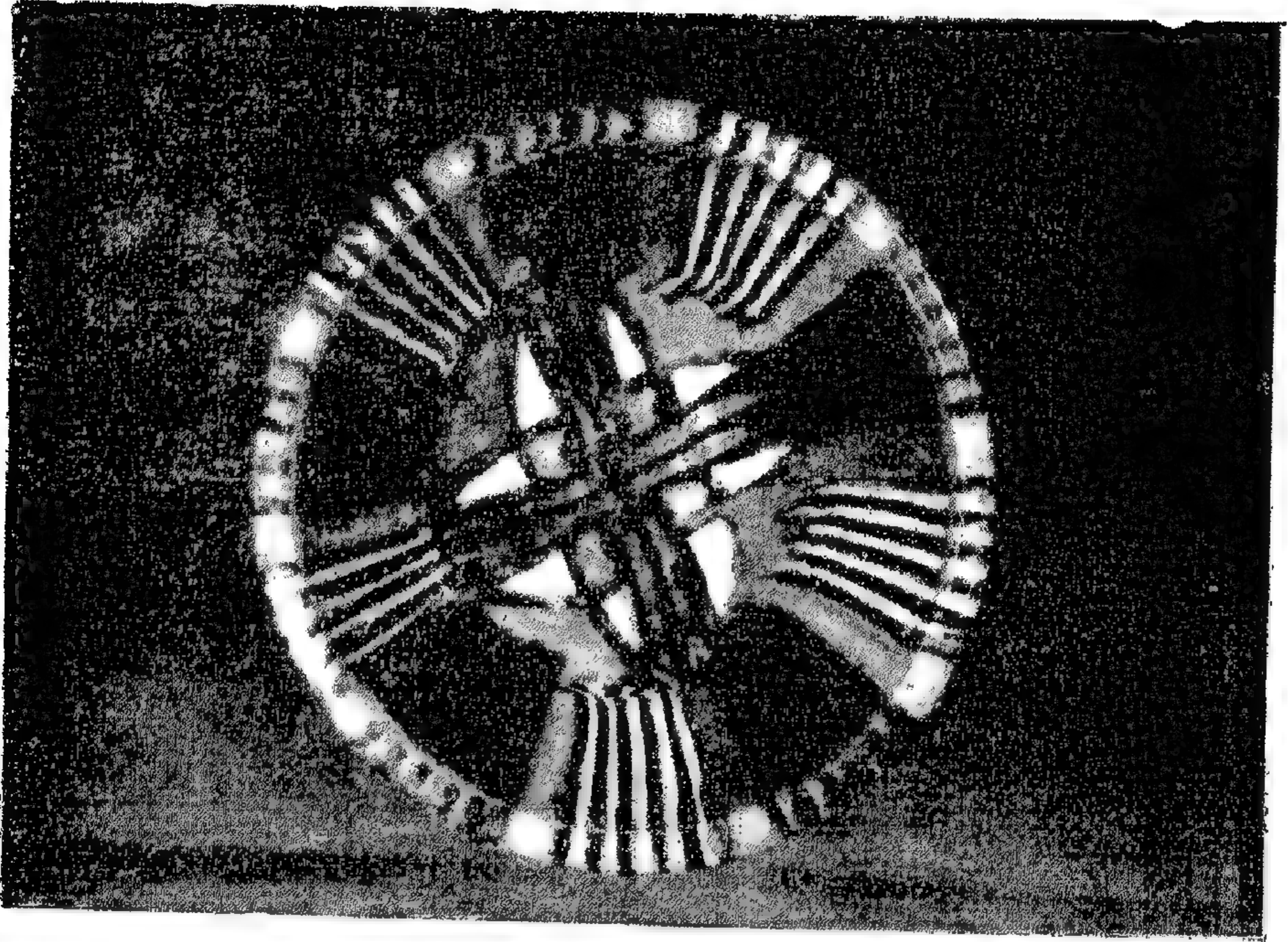
(شكل ٨٣)

قطعة نسيج من صناعة دبيق تاريخها (٨٢٣/٥٢٠٨ م) بمتحف الفن
الاسلامي (رقم سجل ١٠٢٧٠) .



(شكل ٨٤)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صناعة الفيوم في القرنين
(٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) في متحف الفن الاسلامي (رقم تسجيل
٩٠٥٢) راجع ايضا : زكي حسن : اطلال شكل ٨٥٧ .



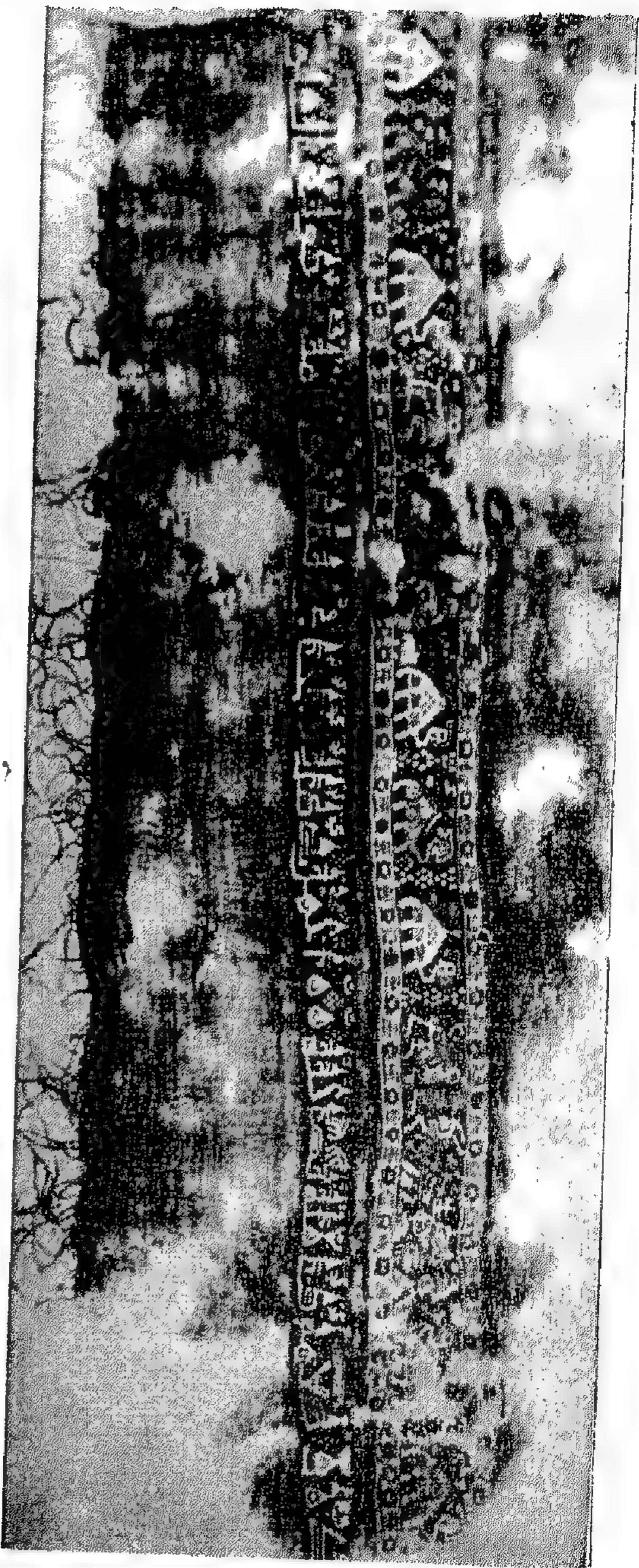
(شكل ٨٥)

صحن كبير من خزف الفيوم يُؤرخ بالقرن (١١/هـ) بمتحف الفن
الاسلامي (رقم سجل ١٠٠٣٨)



(شكل ٨٦)

ابريق من البرونز يقال انه ابريق مروان الثاني يرجع تاريخه الى
القرن (١ هـ / ٧ م) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٩٢٨١)
راجع ايضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٤٤٠ .



(شكل ٨٧)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صناعة مطور بالفيوم في القرنين
(٣ - ٩ هـ / ٩ - ١٠ م) في متحف الفن الإسلامي (دلم سجل
٩٠٦١) راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٦٦ .



(شكل ٨٨)

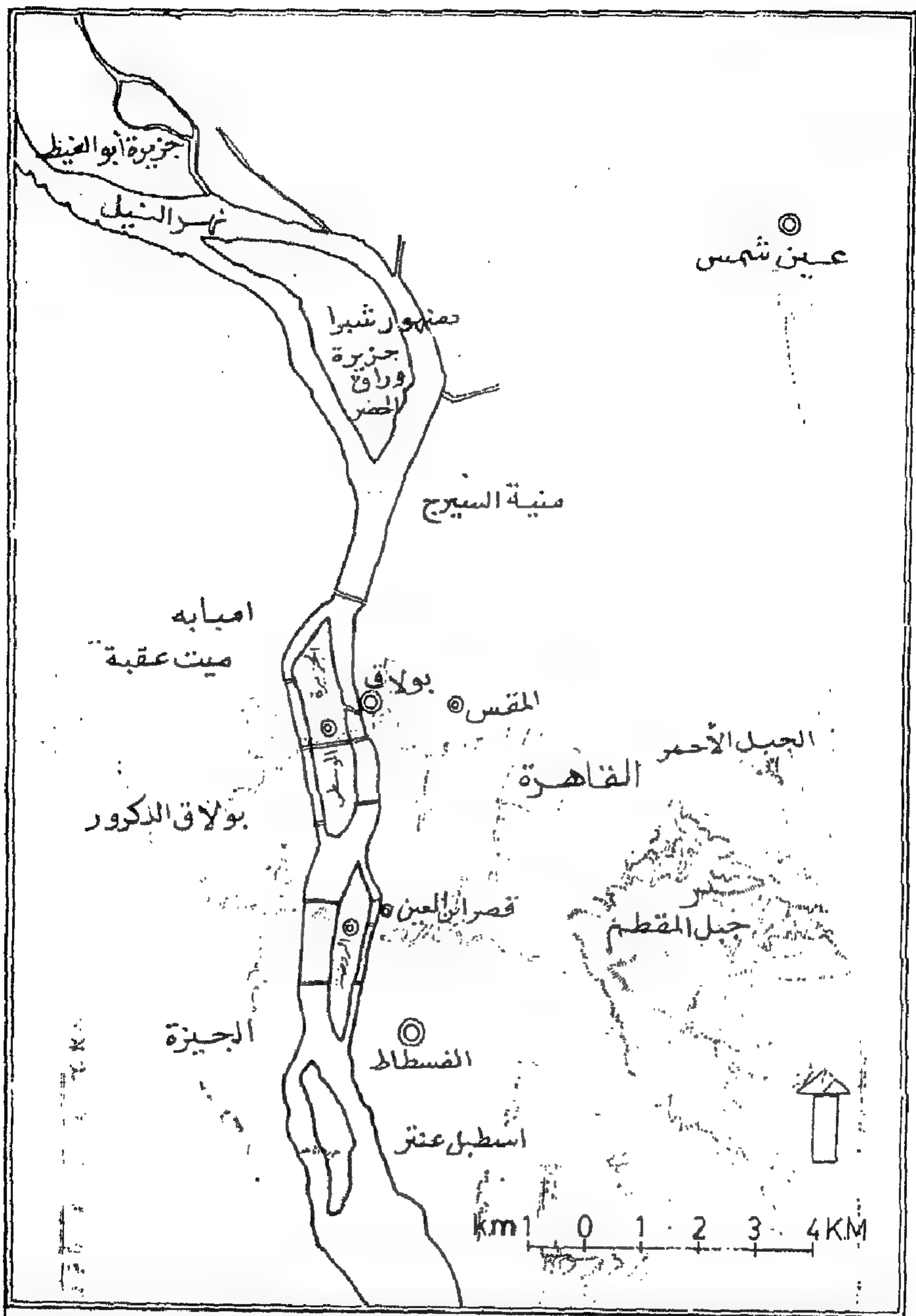
قطعة نسج من عمامة باسم « سمويل بن موسى » مؤرخة تقريباً بسنة
 (١٨٨٨هـ / ١٨٠٧م) عن صناعة سنهور بالفيوم في متحف الفن
 الاسلامي (رقم سجل ١٠٨٤٦) راجع ايضاً : زكي حسن :
 اطلس : شكل ٥٥٩ .



(شكل ٨٩)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صناعة البهنسا في القرن
 (١٠هـ / ٧١٠م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٧١٢٠) راجع أيضا :
 زكي حسن : اطلس : شكل ٥٦٥ .

الخزائن

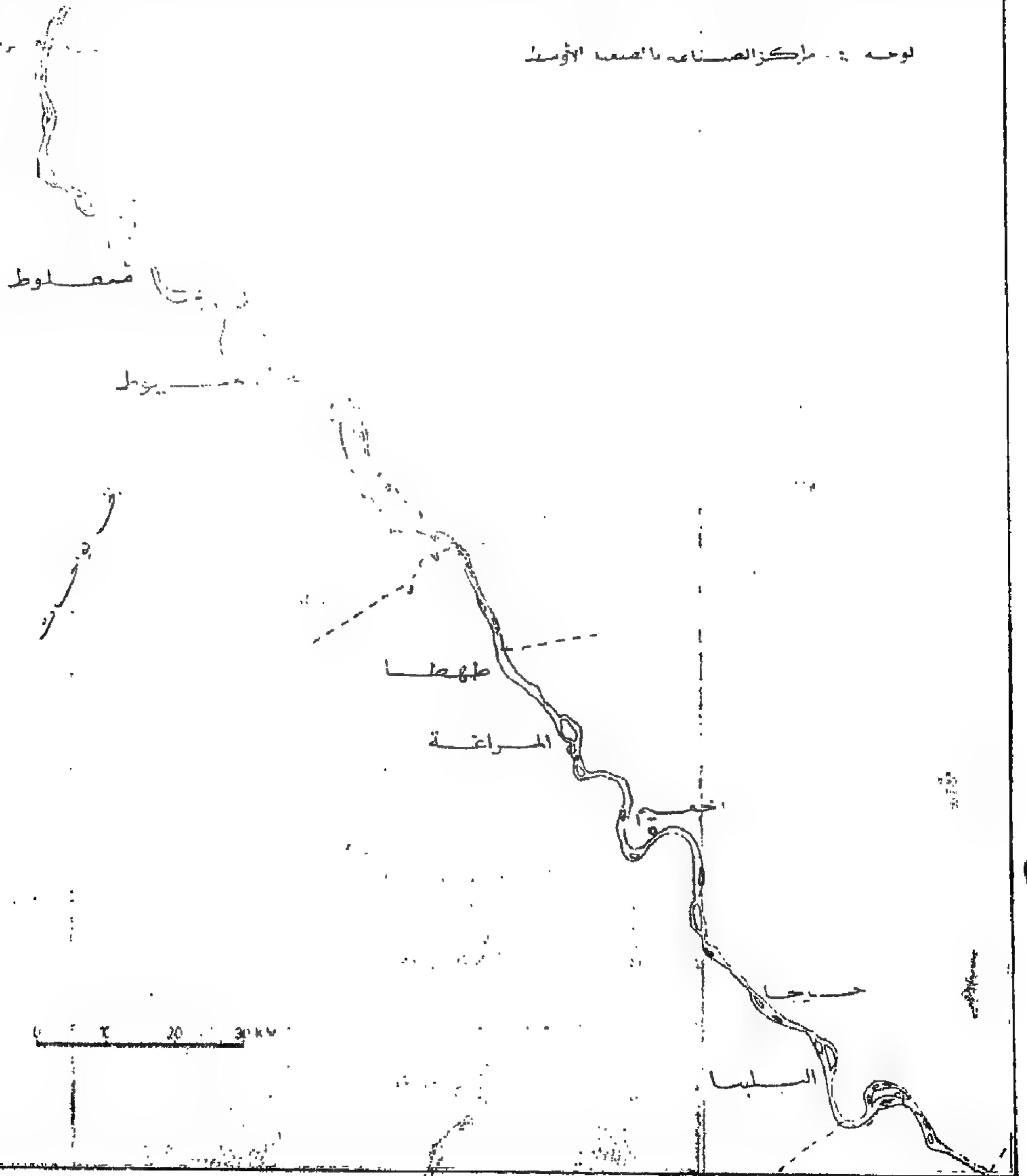


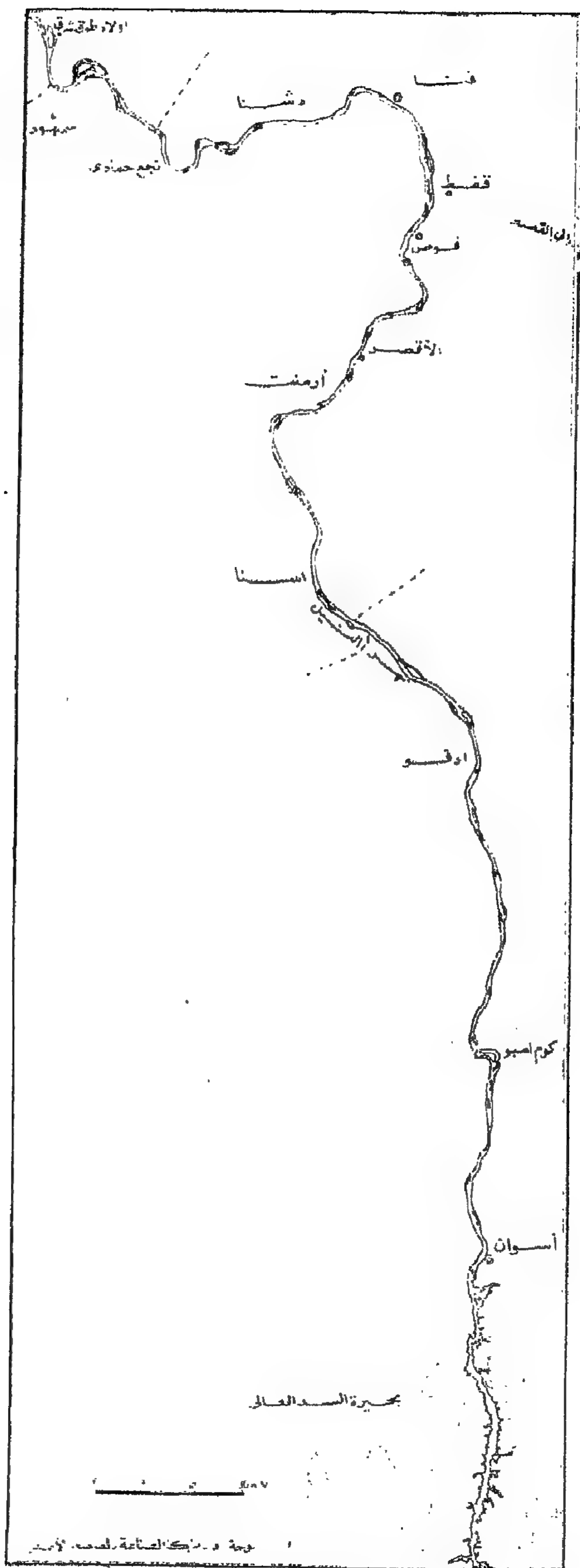
لوحة ١ - القواصم وضواحيها
 (مقياس ١: ١٠٠٠٠٠)



لوحة ٢ - الوجه البحري

لوحة : مركز الصناعة بالصفحة الأولى





الفهرس

الصفحة

٧	اهداء
٨	تمهيد
١١	الباب الأول : العواصم وضواحيها
١٥	الفصل الأول : الفسطاط
١٨	١ - صناعة الفخار والخزف
٢١	٢ - صناعة الزجاج والبلور
٢٤	٣ - حرف وصناعات تعتمد على منتجات زراعية
٢٤	(أ) صناعة السكر والعسل
٢٥	(ب) طحن الغلال
٢٦	(ج) صناعات الزيوت والصابون والشموع
٢٧	(د) صناعة الفقاع والنببند
٢٨	(هـ) صناعة الورق
٢٩	٤ - صناعة الجلود والدباغة
٣٠	٥ - صناعة المعادن والحلى
٣٢	٦ - صناعة النسيج والسجاد والصباغة
٣٧	٧ - صناعة الخشب والعظم والعاج
٣٩	٨ - صناعة السفن
٤١	هوامش وتعليقات الفصل الأول
٥٥	الفصل الثاني : مدينة القاهرة
٥٨	١ - صناعة المعادن والحلى
٦٠	٢ - سك العملة
٦١	٣ - صناعة النسيج والسجاد والصباغة
٦٤	٤ - صناعة الجلود والدباغة
٦٥	٥ - صناعات الخشب والعظم والعاج

٦٨	٦ - صناعة الزجاج والبلور
٦٩	٧ - صناعات تعتمد على منتجات زراعية
٧٣	حواشى وتعليقات الفصل الثانى
٧٩	- الفصل الثالث : ضواحي العاصمة
٧٩	١ - جزيرة الروضة
٨٤	٢ - عين شمس (المصرية)
٨٨	٣ - المقس
٩٠	٤ - مراكز أخرى بالقاهرة
٩٣	حواشى وتعليقات الفصل الثالث
٩٧	- الباب الثانى : مراكز الوجه البحرى
١٠١	- الفصل الأول : غرب الدلتا
١٠١	١ - الاسكندرية
١٠٤	١ - صناعة النسيج
١٠٧	٢ - صناعة الزجاج والبلور
١٠٨	٣ - سك العملة
١٠٩	٤ - بناء السفن
١١٠	٥ - صناعات أخرى متفرقة
١١٠	(أ) صناعة السكر والنبيد والحصير والصابون
١١١	(ب) صناعتا الفخار والجلود
١١٢	(أ) مدينة دمهور الوحشى
١١٣	(ب) بلقطن
١١٣	(ج) ترنوط
١١٤	(د) رشيد
١١٦	(هـ) ادكو
١١٧	حواشى وتعليقات الفصل الأول من الباب الثانى
١٢٣	- الفصل الثانى : وسط الدلتا
١٢٣	أولا : محافظة المنوفية
١٢٣	١ - أشمون
١٢٥	٢ - منسوف
١٢٦	ثانيا : محافظة الغربية

١٢٧	١ - مدينة طنطا وضواحيها
١٢٩	٢ - المحلة الكبرى وضواحيها
١٣١	٣ - مراكز أخرى متفرقة بالاقليم
١٣١	(أ) ابيار
١٣٣	(ب) سبنو
١٣٣	(ج) سنباط
١٣٣	(د) سمنود
١٣٤	ثالثا : محافظة دمياط
١٣٤	١ - مدينة دمياط
١٣٦	(أ) صناعة النسيج
١٤١	(ب) بناء السفن
	(ج) صناعات أخرى تعتمد على منتجات
١٤٢	زراعية
١٤٣	٢ - شطا
١٤٦	٣ - بوره (كفر البطيخ)
١٤٨	٤ - مراكز فرعية أخرى
١٤٨	(أ) دميره
١٤٩	(ب) ابوان
١٤٩	(ج) دقهله
١٤٩	(د) وسيمه
١٥١	حواشي وتعليقات الفصل الثانى
١٥٩	- الفصل الثالث : شرق الدلتا
١٥٩	أولا - محافظة القليوبية :
١٥٩	١ - مدينة بنها
١٦١	٢ - مدينة اتريب
١٦٢	ثانيا - محافظة الشرقية :
١٦٢	١ - تنيس
١٦٦	١ - صناعة النسيج
١٧٣	٢ - صناعات أخرى غير النسيج فى تنيس
٤٠٥	

١٧٣	• • • • • (أ) صناعة الزجاج
١٧٤	• • • • • (ب) صناعة المعادن
١٧٥	• • • • • (ج) صناعة الفخار والخزف
١٧٥	• (د) صناعات تعتمد على منتجات زراعية
١٧٦	• • • • • ٢ - تونه
١٧٩	• • • • • ٣ - الفرما
١٨١	• • • • • (أ) صناعة النسيج
١٨٢	• (ب) صناعات تعتمد على منتجات زراعية
١٨٢	• • • • • ثلثا - محافظة الدقهلية :
١٨٣	• • • • • ١ - دبيق
١٨٦	• • • • • ٢ - برنبال
١٨٩	• • • • • حواشى وتعليقات الفصل الثالث
١٩٩	• • • • • - الباب الثالث : مراكز الصناعة بالوجه القبلى
٢٠٣	• • • • • - الفصل الأول : الصعيد الأدنى
٢٠٣	• • • • • أولا - محافظة الجيزة
٢٠٣	• • • • • ١ - الصالحية
٢٠٤	• • • • • ٢ - البدرشين
٢٠٥	• • • • • ثانيا - محافظة بنى سويف
٢٠٥	• • • • • ١ - اهناسيا
٢١٧	• • • • • (أ) صناعة النسيج
٢٠٨	• (ب) صناعات أخرى تعتمد على منتجات زراعية
٢٠٨	• • • • • ٢ - بوش
٢٠٩	• • • • • ٣ - طحا
٢١٠	• • • • • (أ) صناعة النسيج
٢١١	• • • • • (ب) صناعة المعادن
٢١١	• • • • • ٤ - دلاص
٢١٢	• • • • • (أ) صناعة النسيج
٢١٣	• • • • • (ب) صناعة الجلود

٢١٣	• • • • • (ب) صناعة المعادن
٢١٤	• • • • • ٥ - سمطا
٢١٤	• • • • • ثالثا - محافظة الفيوم
٢١٥	• • • • • ١ - مدينة الفيوم
٢١٧	• • • • • (أ) صناعة النسيج
٢١٨	• • • • • (ب) صناعة الزجاج
٢١٩	• • • • • (ج) صناعة الفخار والخزف
٢١٩	• • • • • صناعة اعتمدت على منتجات زراعية
٢٢١	• • • • • ٢ - بوحير
٢٢٢	• • • • • ٣ - مطمور
٢٢٣	• • • • • ٤ - سنهور
٢٢٥	• • • • • حواشي وتعليقات الفصل الأول من الباب الثالث
٢٣١	• • • • • - الفصل الثاني : الصعيد الأوسط
٢٣١	• • • • • أولا - محافظة المنيا :
٢٣٢	• • • • • ١ - الاشمونين
٢٣٤	• • • • • (أ) صناعة النسيج
٢٣٥	• • • • • (ب) صناعة الزجاج
٢٣٥	• • • • • (ج) صناعات الخزف والبردى والعملات
٢٣٦	• • • • • ٢ - القيس
٢٣٨	• • • • • ٣ - البهنسا
٢٤٣	• • • • • ٥ - أنصنا
٢٤٥	• • • • • ٥ - ملوى
٢٤٧	• • • • • ثانيا - محافظة أسيوط :
٢٤٧	• • • • • ١ - مدينة أسيوط
٢٤٨	• • • • • (أ) صناعة النسيج والصباغة
٢٥١	• • • • • (ب) صناعة السجاد
٢٥١	• • • • • (ج) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية
٢٥٣	• • • • • (د) صناعات أخرى متفرقة

٢٥٣	٢ - أخميم
٢٥٥	(أ) صناعة النسيج
٢٥٧	(ب) صناعة السكر
٢٥٨	(ج) صناعتا الجلود والزجاج
٢٥٩	٣ - مراكز أخرى متفرقة بالاقليم
٢٦١	حواشى وتعليقات الفصل الثانى من الباب الثالث
٢٦٩	- الفصل الثالث : الصعيد الأعلى
٢٦٩	أولا - قنا :
٢٦٩	١ - مدينة قنا
٢٧١	٢ - سمهود
٢٧٢	٣ - قفط
٢٧٤	٤ - قوص
٢٧٦	٥ - الأقصر
٢٧٧	٦ - القصير
٢٧٧	ثانيا - محافظة أسوان
٢٧٩	(أ) صناعة الفخار
٢٧٩	(ب) صناعة المعادن
	(ج) صناعة شواهد القبور وأعمدة البناء وحجارة
٢٨٠	الطواحين
٢٨١	(د) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية
٢٨١	ثالثا - محافظة اسنا
٢٨٢	اسنا
٢٨٣	خاتمة
٢٨٥	حواشى وتعليقات الفصل الثالث من الباب الثالث
٢٨٩	مصادر ومراجع الكتاب
٣٠٣	الأشكال واللوحات

كانت المراكز الصناعية في مصر الاسلامية - مثلها هي
الآن - أساساً قامت عليه بعض التجمعات الحضارية الهامة ،
فالصناعة تمثل عامل جذب للسكان للعمل في الانتاج أو
التسويق ، وكانت مصر حينذاك أحد أهم البلدان المنتجة
للصناعات ذات الجودة العالية التي وجدت سبيلها إلى الأسواق
العربية بل والأوربية وغيرها ، ويعالج الكتاب في أبوابه
الثلاث عواصم مصر الاسلامية ومراكز الصناعة في الوجهين
البحري والقبلي في ضوء الأبحاث والحفائر الأثرية والتحف
والمقتنيات الأثرية .

Bibliotheca Alexandrina



0553449